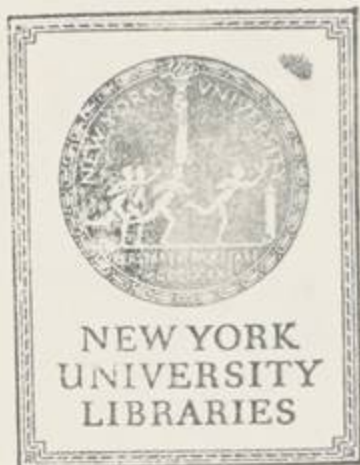


BOBST LIBRARY



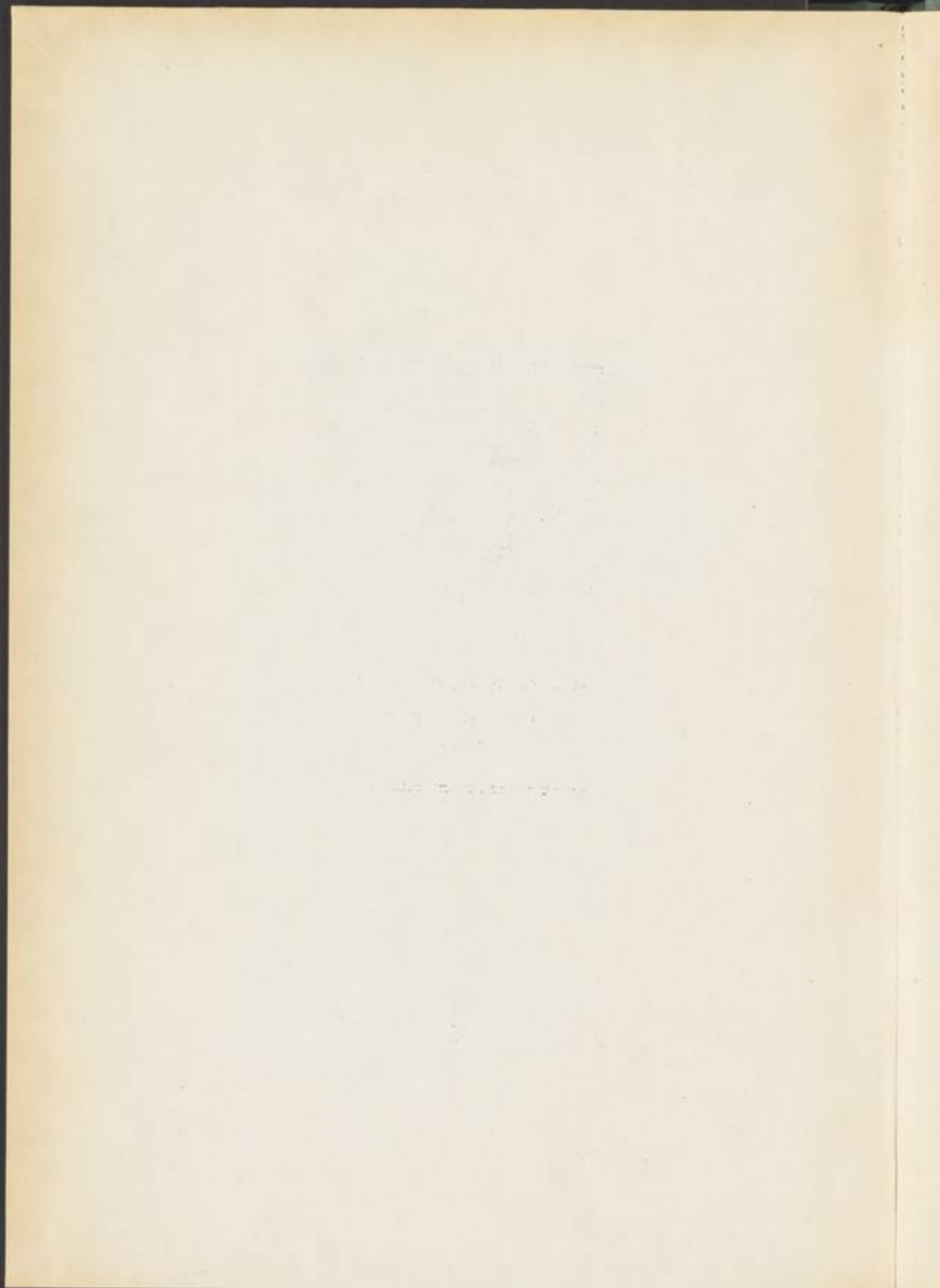
3 1142 02913 4320



GENERAL UNIVERSITY  
LIBRARY

---

---





dp

+

دكتور محمد كامل حسين

Husayn, Muhammad Kamil

بكلية الآداب - جامعة فؤاد

/Fi adab Miṣr al-Fāṭimīyah/

فِي آدَابِ مِصْرِ الْفَاتِمِيَّةِ

front

N.Y.U. LIBRARIES

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

B

Near East

PJ

8206

.H83

c-1

N.Y.U. LIBRARIES

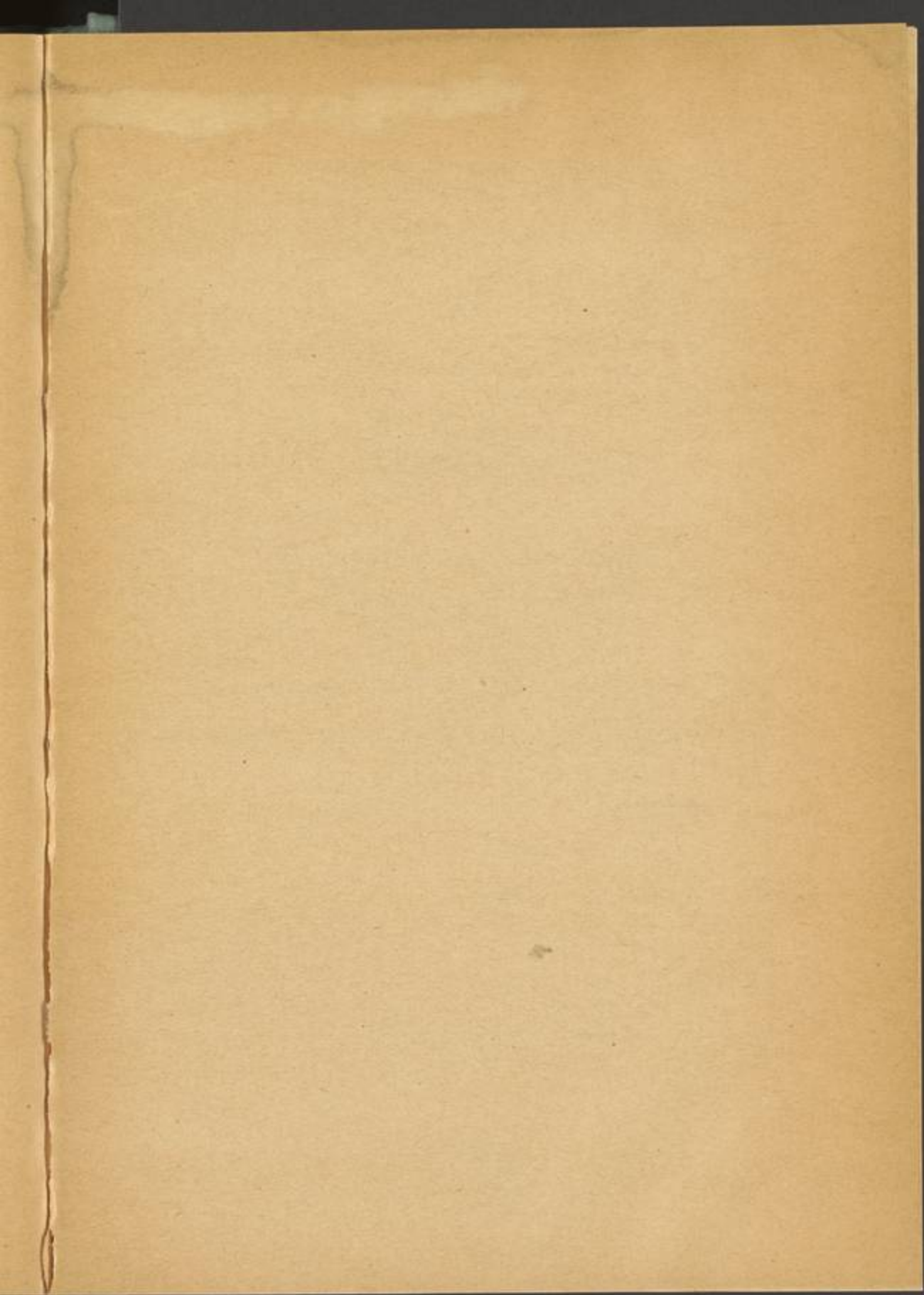
# الفهرس

إلى أستاذي الأجل حضرة صاحب المعالي

الدكتور طه حسين

الذي آثرني فوجهني إلى دراسة أدب مصر، وحباني بغزير علمه وعميم  
فضله، أرفع ثمرة من غرسه، وقطرة من فيضه، إجلالا له ووفاء له.

محمد كامل حسين





## فهرست الموضوعات

صفحة	صفحة
١٠٠ . . . فقهاء الشافعية	(٧) مقدمة
١٠١ . . . فقهاء المالكية	الكتاب الأول: الحياة العقلية
١٠٣ . . . تعصب الفاطميين لمذهبهم	الباب الأول: في الدعوة الفاطمية
١٠٨ الفصل الثالث: التاريخ والسير	الفصل الأول :
١٠٨ . . . ابن زولاق	عقائد الفاطميين ٣
١١٠ . . . المسيحي	الفصل الثاني :
١١٢ . . . القضاعي	مراتب الدعوة الفاطمية ومراكزها ١٩
١١٣ . . . فن السير	المساجد ٢٣
١١٤ . . . سيرة الأستاذ جوذر	القصر ٢٦
١١٦ . . . السيرة المؤيدية	دار العلم ٣٠
١١٧ خاتمة القول في الحياة العقلية	الفصل الثالث :
الكتاب الثاني: في الحياة الأدبية	مجالس الحكمة التأويلية ٣٣
الباب الأول في الشعر	الفصل الرابع :
الفصل الأول :	أشهر علماء الدعوة الفاطمية
ازدهار الشعر ١٢٤	بنو النعمان ٤٢
شعر الأئمة ١٢٩	يعقوب بن كلس ٥٤
ضياح الشعر الفاطمي ١٣٧	المؤيد في الدين داعي الدعاة ٥٩
الفصل الثاني: الشعر والأئمة ١٤١	الباب الثاني: في الحياة العلمية ٦٦
الاسكندراني ١٤٢	الفصل الأول:
قصيدة ذات الدوحة ١٤٣	العلوم الفلسفية ٧٢
الأمير تميم بن المعز ١٧٠	ابن الهيثم ٧٨
الفصل الثالث :	الفصل الثاني: علوم اللغة
الشعر والوزراء ١٧٤	العربية والفقه . . .
الأفضل وشعراؤه ١٧٩	علوم اللغة والنحو ٨٩
أمية بن أبي الصلت ورسائله	القراءات وعلوم القرآن ٩٥
المصرية ١٧٩	رواية الحديث . . . ٩٧
أبو علي الأنصاري ١٨٧	دراسة مذاهب أهل السنة ٩٩
ظافر الحداد ١٩٠	

٢٨٠	التصوف والزهد	شعراء بني رزبك حتى آخر
٢٨٢	ابن السكيتاني	الدولة الفاطمية
٢٨٥	الوصف	المهذب بن الزبير
٢٩٥	خاتمة القول في الشعر	الرشيد بن الزبير
	الباب الثاني : في النثر	القاضي الجليس
٣٠٢	الفصل الأول : ازدهار النثر	عمارة النيني
٣٠٦	النثر والأئمة	ابن فلاقس
	الفصل الثاني :	الفصل الرابع :
	٢٢٧	الشعر والحروب الصليبية
		الفصل الخامس :
٣١١	كتاب ديوان الانشاء	الفكاهة والمجون
٣٢٣	ابن خيران	أبو الرقعمق
٣٢٦	رسالة المؤيد	جماعة صالح بن رشدين
٣٢٨	ابن الشيخبام	جماعة الأمير تميم والرمي
٣٣٣	ابن منجب الصيرفي	ابن وكيع التنيسي
٣٣٨	أبو الفتح بن قادوس	الشريف العقيلي
٣٤٣	أبو علي حسن بن زيد	القليوبي الكاتب
٣٤٤	الموفق بن الحلال	قتيل الغواني
٣٤٨	عمارة النيني الناثر	شعراء آخرون
٣٥٥	خاتمة	الفصل السادس : في الغزل
٣٦٠	فهرست عام	الفصل السابع :
٣٧٦	المصادر والمراجع	أغراض أخرى في الشعر

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

هذا الكتاب ، وفي أدب مصر الفاطمية ، حلقة جديدة من سلسلة « أدب مصر الإسلامية » ، وكان من حقه أن يكون بين يدي الجمهور منذ خمسة عشر عاما ، ولكننا لم نشأ أن نخرجه للناس قبل أن نعطيهم صورة صحيحة لتلك النزعة الدينية التي تميز بها عصر الفاطميين عن غيره من عصور مصر ، فقد خضعت مصر لهذا المذهب الديني واتخذها أمة هذا المذهب قاعدة ملكهم ، فأصبح هذا المذهب هو المحور الذي تدور عليه الحياة المصرية من اجتماعية وسياسية وفكرية وأدبية ، بحيث لا نستطيع أن نعرف حقيقة هذه الألوان المختلفة من الحياة المصرية في عصر الفاطميين إلا على ضوء عقائد هذه الفرقة من فرق المسلمين . أدركنا هذه الحقيقة وقرأنا الكتب التي تحدثت عن الفاطميين وعقائدهم ، فرأينا هذه الكتب تعطينا صورة متناقضة أشد التناقض عن عقائد الفاطميين بحيث لا يستطيع أن يطمئن إليها باحث ، ففي الوقت الذي نرى فيه هذه الكتب تذهب إلى أن الفاطميين أقاموا دولتهم على أساس ديني إسلامي ، وأن الخلفاء الفاطميين اتخذوا سندهم من نسبتهم إلى الرسول الكريم صلى الله عليه ، وأن الفاطميين احتفلوا بالأعياد الدينية الإسلامية احتفالاً لم يعهد من قبل ، وأنهم أسسوا المساجد لإقامة الصلوات ، وكانوا يخرجون لإمامة الناس والخطبة في الأعياد إلى غير ذلك من المظاهر التي تشعر بأن الفاطميين كانوا من أشد الناس حرصاً على الإسلام وتقاليد المسلمين ، في الوقت نفسه نرى هذه الكتب أيضاً تذهب إلى أن الفاطميين كانوا يقولون بالإباحة وتحليل ما حرمه الله تعالى ، ونبذوا الصلاة والصوم والحج ، بل عملوا على طرح الأديان ، ودانوا بالكناسخ والحلول والتلاشي وادعوا معرفة الغيب . . . إلى غير ذلك . قرأنا ذلك كله وعجبنا أشد العجب لهذا التناقض الذي وقع فيه القدماء والمحدثون ، فحرصنا على أن نرجع إلى كتب دعوة الفاطميين ، وراعنا أن القاهرة التي أنشأها الفاطميون وكانت قاعدة ملكهم الواسع لا تحتفظ بكتاب واحد من كتب الدعوة ، فسمعنا إلى البحث في غير مصر ، وكان السعي شاقاً عسيراً كلفنا من الجهد والمال الشيء الكثير ، وما حيلتنا إذا كانت أكثر كتب الدعوة في حوزة طاهر سيف الدين

الذي لقب نفسه بسُلطان البهرة وزعم أنه الداعي المطلق لإمام مستور من نسل الأئمة الفاطميين ، وهو رجل شحيح بهذه الكتب على الباحثين بدعوى أنها كتب الدعوة السرية ، ولكن حجته هذه أوهى من بيت العنكبوت فإن الأئمة الفاطميين - الذين ورث دعوتهم - لم يسترُوا علومهم ، بل عملوا على نشرها وإذاعتها ، شجعوا العلم والعباء ، وانشأوا دار العلم وخزائن الكتب ليطلع عليها من يشاء متى يشاء ، وكانوا يطلبون من العلماء تأليف الكتب على النحو الذي سترناه في هذا الكتاب ، فظاهر سيف الدين الآن يعمل عكس ما عمله الأئمة ، ويأتي بآراء لم نعهدها في عصر الفاطميين ، ولعله يريد أن يظل أتباعه في جهل مطبق حتى يستطيع أن يخدعهم بهذه الآراء الرجسة التي لا سند لها من تقاليد الأئمة ونظمهم ، ومن يدري لعله يريد أن يستغل ما عليه أتباعه من جهل بحقيقة الدعوة الفاطمية كي يستولى على أموالهم باسم الدين ، شأنه في ذلك شأن كل دجال مشعوذ ، ومع ذلك كله في طائفة البهرة عدد من المثقفين المستنيرين الذين لا يعبأون بظاهر سيف الدين ولا يقيمون وزناً لاضلالاته ، زودونا بالكتب التي حرصنا على تقديمها للجمهور قبل أن نقدم إليهم هذا الكتاب حتى يدركوا حقيقة الدعوة الفاطمية من كتب الدعاة أنفسهم ، فقد نشرنا ستة كتب فاطمية وسيتبعها كتب أخرى إن شاء الله .

والدعوة الفاطمية دعوة شيعية وقيل أن تتحدث عنها وعن أثرها في مصر نتساءل : إلى أي حد عرفت مصر التشيع قبل دخول الفاطميين بها ؟

كان المسلمون في مصر بعد الفتح العربي يجمعون على مذهب واحد ، ويخضعون لإمام واحد ، فلم نعرف أنه كان بين العرب الوافدين من خالف في مسألة الإمامة ، أو تتحدث عن تفضيل خليفة على آخر ، ولكن بدأ المسلمون في عهد عثمان بن عفان يتحدثون عن سياسته وتصرفاته ، فانتهم بعض المسلمين في مصر هذه الفرصة ودعوا لخلعه ، ويروي الطبري قصة عجيبة عن ثورة المصريين ضد عثمان ، وأن ذلك كان بتأثير عبد الله بن سبأ !!

يقول الطبري : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين محاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فاخرجوه حتى أتى مصر ، فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما قال : لعجب من يزعم أن عيسى يرجع ويكذب ، بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل : « إن الذي

فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، فحمد أحق بالرجوع من عيسى ، فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصى وكان على وصى النبي ، ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ... الخ (١) ، وهكذا ساق الطبري هذه الرواية بين روايات عديدة عن سبب قيام المصريين ضد عثمان ، ونحن نعجب لهذه الرواية إذ لم أجد في كتب التاريخ التي وضعها المصريون عن بلدهم وعن تراجم رجال مصر مثل كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم وكتب الكندي وابن الداية وابن زولاق ، أو في كتب المتأخرين الذين نقلوا عن هؤلاء المؤرخين القدماء ما يشير إلى وفود شخصية عبد الله بن سبأ على مصر ، أو أن أحدا من المصريين قال بمثل هذه المقالة التي زعم الطبري أن ابن سبأ عليها للمصريين ، فلو صححت رواية الطبري لرأينا شيئا من إنكار الصحابة الذين كانوا في مصر إذ ذلك لهذه الدعوة السبائية ، ومعارضتهم لها ، ولا سيما أن ابن عبد الحكم وغيره رووا بعض الأحاديث عن صحابة مصر وترجوا لهم ولم يرد ذكر ابن سبأ ولا آرائه . ولم يذكر شيئا عن إنكار هذه الآراء أو معارضتها ، فقصه ابن سبأ في مصر ، وأنه بث آراء التشيع بين المصريين هي أقرب إلى الحرافات منها إلى أي شيء آخر .

حقيقة نار بعض المصريين على عثمان ، وقام محمد بن أبي حذيفة بانتزاع الإمارة في مصر ، وطرده عامل عثمان من القسطنطين سنة ٣٥ هـ وزج بعدد من شيعة عثمان في السجون ، ولكن ليس معنى ذلك أن ابن سبأ هو الذي أثار على الناس وألهم على عثمان ، إنما كان ذلك بتدبير بعض أبناء الصحابة الذين كرهوا أن يكون أمير مصر هو عبد الله بن أبي سرح أخو عثمان في الرضاة ، وكبر في نفوسهم أن يعزل عمرو بن العاص عن مصر ، فلم تسكن ثورة المصريين ضد عثمان تمت بسبب إلى تشيع المصريين إلى علي بن أبي طالب أو المطالبة بإمامته ، وبالرغم من أن المصريين هم الذين بايعوا علياً بالخلافة بعد مقتل عثمان ، فإن ذلك لم يكن عن حب خالص له أو عن عقيدة بأنه أحق الناس بها ، فالمفاوضات التي كانت قبل مبايعته تدل على أنهم نظرروا إلى علي بن أبي طالب نظرهم إلى غيره من الصحابة ، أضف إلى ذلك إن المصريين بعد أن بايعوا علياً عادوا إلى القسطنطين وهم يرجزون :

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٨ (طبعة مصر) .

نحذها إليك واحذرن أبا الحسن  
إننا نمر الحرب إمرار الرسن  
بالسيف لن نحمد نيران الفتن

ففي هذا الرجز تحذير للإمام الجديد علي بن أبي طالب ، فإن سار على نهج  
عثمان في سياسته فهي الحروب الدائمة والفتن المستمرة ، فهذا دليل على أن  
المصريين لم يذهبوا في علي بن أبي طالب ما رواه الطبري عن ابن سبأ ، وأن  
المصريين لم يقدسوا علياً أو يقولوا بوصايته ، ثم أننا نرى المسلمين في مصر  
انقسموا بعد مقتل عثمان إلى فريقين : فريق يطالب بدم المقتول ، وفريق يؤيد  
خلافة علي ، وكانت مصر من الولايات التي خضعت للأمراء الذين أرسلهم علي ،  
ولكن أنصار علي لم يكن لهم شأن كبير في الأحداث التي جرت ، ولم يقيموا  
وزناً للنزاع بين علي ومعاوية ، فقد سم الأشر النخعي على حدود مصر ، وقتل  
الوالي محمد بن أبي بكر الصديق ، وأدخلت جثته في إهاب حمار وأحرقت على مرأى  
من المصريين فلم يحرك شيعته ساكناً ، فلو كان التشيع في مصر قويا لأسهم الشيعة  
في النزاع بين علي ومعاوية ولناصروا علياً ، ونحن نتساءل أيضاً ، أين كان  
شيعة مصر عندما قتل علي وبعد مقتل الحسين ؟ وأين كان شيعة مصر إبان  
حركة المختار الثقفي ؟ هذه أسئلة لم يجب عنها المؤرخون ، فالمصادر التي بين أيدينا  
لم تذكر شيئاً عن قيام الشيعة بمصر في المساهمة في الحركات الشيعية التي كانت في  
الأقطار الأخرى ، مما يجعلنا نذهب إلى أن الشيعة في مصر كانوا من الضعف  
لدرجة أنهم لم يؤثروا في الحياة السياسية والعقلية ، ولذلك نعجب لقول المؤرخين  
الذين يزعمون أنه بعد أن تم الأمر للأمويين أصبح الجند وأهل شوكة مصر  
عثمانية وكثير من أهلها علوية<sup>(١)</sup> . والمقصود بالعثمانية أهل السكف الذين قالوا  
كن عبد الله المقتول ولا تسكن عبد الله القاتل . وإذا كان هذا موقف الشيعة في  
مصر من علي وابنه الحسين فكيف نرى عدداً من المصريين يخرج لمنصرة  
عبد الله بن الزبير في نوره سنة ٦٤ هـ ضد الأمويين ، بل نرى ابن الزبير يرسل  
والياً من قبله على مصر هو عبد الرحمن بن جحدم الفهري وهو من الخوارج ،  
وقد قدم مصر ومعه عدد كبير من الخوارج فأظهروا بمصر التحكيم ودعوا إليه<sup>(٢)</sup>  
ثم عادت الشوكة والقوة للعثمانية بعد فشل الزبيريين وعودة مصر لسلطان

(١) المقرئ : المخطوط ج ٤ ص ١٥١ (٢) السكندري : الولاة والفضاء ص ٤١

الأمويين ، وكان الأمويون يظهرون في مصر سب علي بن أبي طالب دون خشية ثورة الشيعة وذلك لضعف شأن الشيعة في مصر ، ومع ذلك فقد روى المقرئ عن يزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٢٨ هـ أنه قاله : نشأت بمصر وهي علوية فقلبتها عثمانية (١) فإن صح هذا القول عن يزيد فينما يدل على أن بعض المصريين كانوا يتحدثون عن فضائل علي ، وأن يزيد استطاع أن يصرف الناس عن ذلك ويجعلهم يميلون إلى رأى أهل الكف والمسائل الفقهية ، ولا نستطيع أن نقول إن المصريين شغلوا بالآراء الشيعية التي شغلت شيعة العراق وفارس ، فإننا نستطيع أن نمر بالعصر الأموي في مصر دون أن نسمع شيئاً عن الشيعة بمصر ، ومن يدري لعله كان بمصر شيعة هواهم مع أبناء علي وقلوبهم مع أهل البيت ولكن سيوفهم كانت مع بني أمية ، وأغفلت كتب التاريخ الحديث عنهم فأصبحنا لا ندرى شيئاً عن نشاط الشيعة في مصر في هذا العصر الأموي ولا عن العقائد التي دانوا بها إلا ما قيل عن قصة فرار مروان بن محمد إلى مصر من وجه المسودة ، فقد وجد الدعوة الجديدة سبقتة إلى مصر ووجدت بين المصريين قبولا ، وقد ذكر الكندي أسماء زعماء هذه الحركة بمصر ، ففي الحوف الشرقي كان أول من لبس السواد شرحبيل بن مذبلقه الكلبي ، وفي الاسكندرية كان الأسود بن نافع ، وبالصعيد عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني ، وبأسوان يحيى بن مسلم (٢) ، ونحن نعلم أن دعوة المسودة في أول أمرها كانت للرضا من أهل البيت ، وتوهم الشيعة في جميع الأقطار الاسلامية أن الدعوة لهم فاستجابوا لها ونشطوا مع القائمين بها ، فلعل هؤلاء الذين دعوا للمسودة في مصر كانوا من الشيعة وتوهموا ما وهمه غيرهم ، فإن صح ذلك فتكون هذه أول حركة شيعية في مصر علينا بها . ومهما يكن من شيء فإن مروان استطاع أن يقضى على هذه الحركة وأن يقتل زعماءها ، ولكن القدر لم يمهله كي يستمر في حكم مصر ، فقد دخلت جيوش العباسيين مصر سنة ١٣٣ هـ وقبض على مروان بن محمد ومن معه من الموالين للأمويين وخضعت مصر للعباسيين ، وكان العباسيون في مبدأ أمرهم يتحيبون إلى الشيعة ، فحجى من مصر سب علي وآله ، وظن العلويون أن الأيام أقبلت عليهم ، وجاءت دولتهم التي طالما حلموا بها ، ولكنهم سرعان ما فطنوا إلى أن العباسيين نقمة حلت بهم ، ذلك أن العباسيين نكلوا بأهل البيت

(١) المقرئ : المخطوط ج ٤ ص ١٤٦ (٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٩٤

ومن لاذ بهم أو من عرف بولايتهم ، فلا غرابة إذا كنا نرى في العصر العباسي سلسلة حركات شيعية تظهر من وقت إلى آخر ، وأمعن الشيعة في النقية وأكثروا من الدعوات السرية المختلفة وكانت مصر من الميادين التي ظهرت فيها بعض حركات الشيعة في العصر العباسي ، ففي خلافة أبي جعفر المنصور قدم مصر سنة ١٤٤ هـ على بن محمد بن عبد الله ودعا لأبيه النفس الزكية ، وانتشرت دعوته في البلاد على يد الداعي خالد بن سعيد بن ربيعة الصدفي ولكن الوالي العباسي استطاع أن يقضى على هذه الحركة (١) . وفي عهد المتوكل العباسي أرسل إلى والي مصر بإخراج كل أهل البيت من مصر إلى العراق فأخرج الوالي اسحق بن يحيى سنة ٢٣٥ هـ بعض أهل البيت بعد أن فرق فيهم الأموال ليتحملوا بها فأعطى كل رجل ثلاثين ديناراً والمرأة خمسة عشر ديناراً (٢) ، فاضطر من كان بمصر من الشيعة إلى النقية خوفاً من بطش العباسيين ، ولا سيما بعد أن أصبح أكثر الولاة في مصر من الأتراك الذين كانوا شديدي التعصب ضد الشيعة ، ولعل أكثر الولاة الأتراك اضطهاداً للشيعة ومطاردة لهم هو الوالي يزيد بن عبد الله الذي ولي مصر سنة ٢٤٢ هـ وظل على مصر حتى سنة ٢٥٥ هـ وتذكر كتب التاريخ قصصاً عديدة عما أتاه هذا الوالي من اضطهاد للشيعة ، من ذلك أنه ضرب رجلاً من الجندي في شيء وجب عليه فأقسم الجندي عليه بحق الحسن والحسين إلا أعفاه فزاده الوالي ثلاثين درة ، ورفع صاحب البريد أمر هذا الجندي إلى الخليفة في بغداد فأمر بضربه مائة سوط ثم حمل بعد ذلك إلى بغداد (٣) ، وفي أيامه دل على علوى هو محمد بن علي بن الحسن بن علي زين العابدين فذهب الوالي وأحرق الموضع الذي به العلوى بعد أن قبض عليه (٤) ، وفي أيامه أيضاً أتاه من بغداد بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرساً ، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها ، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، ومن كانت بينه وبين أحد العلويين خصومة قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بينة (٥) وفي سنة ٢٥٠ هـ أخرج هذا الوالي ستة رجال من الطالبيين إلى العراق ، وفي رجب من السنة التالية أخرج ثمانية منهم (٦) ، وكانت هذه السياسة التعسفية

(١) المقرئى : المخطوط ج ٤ ص ١٥٣ (٢) السكندى : الولاة والفضة ص ٩٨

(٣) المقرئى : المخطوط ج ٤ ص ١٥٣ (٤) السكندى : الولاة والفضة ص ٢٠٤

(٥) المقرئى : المخطوط ج ٤ ص ١٥٤ (٦) السكندى : الولاة ص ٢٠٥



سبياً في أن ينتظم أحد العلويين وهو عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بابن الأرقط  
 إلى ثورة جابر المدلجي سنة ٢٥٢ هـ وقوى الثائرون بانضمامه إليهم وزاد عددهم  
 فهزموا جيش الولاى الذى استعان بالخليفة العباسى فأمده الجيش بقيادة مزاحم  
 ابن خاقان فأخذت الثورة واستأمن ابن الأرقط العلوى فأخرج من مصر (١) ،  
 وفى سنة ٢٥٤ هـ نار بغا الأكبر وهو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا  
 ولكنه هزم وقتل ، وفى سنة ٢٥٥ هـ فى ولاية أحمد بن طولون خرج بغا الأصغر  
 وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا وانتشرت دعوته فى الإسكندرية  
 وبرقة والصعيد ولكنه قتل ، وفى هذه السنة أيضا خرج بمصر ابن الصوفى وهو  
 إبراهيم بن محمد بن يحيى من نسل عمر بن أبى طالب واستمر ثائرا يحارب ابن  
 طولون أربع سنوات إلى أن هزم فاضطر إلى أن يهرب إلى مكة سنة ٢٥٩ هـ  
 وكانت المصائب التى صبها الجند من السودان على الشيعة بمصر أضعاف مانال  
 الشيعة من اضطهاد الولاة ، فقد كثر عدد السودان فى مصر واستفحل أمرهم ،  
 فأصبحوا مصدر فتن بين أهل السنة والشيعة ، فى سنة ٣٥٠ هـ خرج شيعة مصر  
 إلى قبر كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق وأقاموا هناك ما تم الحسين ،  
 فتدخل الجند واضطربت الأمور بين الجند والشيعة ، وقتل جماعة من الفريقيين  
 فلم يكتف الجند من السودان بذلك بل ساروا فى الطرقات يصيحون : معاوية  
 خال على !! حتى أنهم كانوا يصيحون بنقيب الأشراف الحسينيين أن جعفر مسلم  
 ويهتفون بذلك فى وجهه (٢) ، ولما ورد الخبر بقيام بنى الحسن بمكة ومحاربتهم  
 الحاج ، خرج خلق من المصريين ولقوا كافورا الأخشيدى بالميدان وصاحوا :  
 معاوية خال على !! وسألوه أن يبعث جيشاً لمحاربة بنى الحسن (٣) .  
 وهكذا كان حال الشيعة فى مصر ، فقد أصابهم ما أصاب غيرهم فى الإفطار  
 الإسلامية من اضطهاد العباسيين وتقممهم ، وهذه الأمثلة التى أوردنا بعضها  
 إن دلت على شئ. وإنما تدل على أن التشيع بدأ بدخول مصر ، بل أخذ يقوى ويشد  
 أزره ، وأصبح الشيعة يؤثرون فى الحياة العامة بمصر ويقومون بشورات ضد  
 الولاة . أضف إلى ذلك أن مصر فى هذا العصر شاهدت عددا من العلماء الذين  
 كانوا يفضلون عليا على الشيعيين ، ويخلصون فى حبهم لأهل البيت ولعل الشافعى

(١) نفس المصدر ص ٢٠٨ (٢) المقرئى : المخطوط ج ٤ ص ١٥٥

(٣) شرحه

أصدق مثل ذلك ، ففي شعره ما يدل على عاطفة مخلصه قوية لأهل البيت فهو يقول :—

يا آل بيت رسول الله حبيكم فرض من الله في القرآن أنزله  
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لاصلاة له (١)

فهذا قول إمام من أئمة أهل السنة ، وصاحب مذهب فقهي من مذاهبيهم ،  
فقد ذهب إلى أن حب أهل البيت فرض أنزله الله تعالى في القرآن ، وإن الله  
تعالى لا يقبل صلاة من لا يصل على أهل البيت ، وهذه آراء شيعية لا يقول  
بها إلا متعصب في تشيعه ، ونحن نشك في أن تصدر مثل هذه الآراء من الشافعي  
ونخشى أن تكون موضوعة ونسبت إليه ، ولكن الشافعي يظهر مرة أخرى أنه  
يحب علياً ولا ينكر فضل الشيخين ، وهذا الرأي يخالف الرأي السابق فالشافعي يقول

إذا نحن فضلنا علياً فإننا روافض بالتفضيل عند ذو الجهل  
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته رميت بنصب عند ذكرى للفضل  
فلا زلت ذارفض ونصب كلاهما بحبيهما حتى أوسد في الرمل

وهكذا كان الشافعي في أحاديثه وأماله وأشعاره يشيد بفضل علي وحبه ،  
وأخذ المصريون عن الشافعي فيما أخذوه هذا الحب لأهل البيت . واتخذ المصريون  
عادة التبرك بأهل البيت أحياء وأمواتاً ، فقد قيل إنه في سنة ٢٠٨ هـ توفيت  
بمصر السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد فأراد زوجها اسحق بن جعفر الصادق  
أن يحملها ليدفنها بالمدينة ، ولكن أهل مصر سألوه أن يتركها في مصر ليتبركوا  
بها (٢) فدفنت في مصر وبني قبرها الوالي عبيد الله بن السري بن الحكم ، ولا يزال  
قبرها إلى الآن مقصد المسلمين في مصر يتبركون بها . ووضع التتائي المحدث  
المعروف كتاباً في فضائل علي بن أبي طالب رواه عنه المصريون ومنهم القاضي  
الفقيه محمد بن أحمد بن الحداد (٣) وكان هذا القاضي ممن يفضلون علياً ولكنه لم  
يستطع أن يصرح بذلك خوفاً من السلطان ومن شغب العامة ، ويروي ابن زولاق  
أن ابن الحداد كان في مجلس أبي القاسم بن الأخشيد مع جماعة ، فلما نهض ابن الحداد  
أمسكه ابن الأخشيد وسأله : أيهما أفضل أبو بكر وعمر أم علي ؟ فقال القاضي  
الاثنان حذاء واحد . فكرر عليه السؤال فقال ابن الحداد : إن كان عندك فعلي  
وإن كان برّء ( في الخارج ) فابو بكر (٤) . وشبهه بهذا ما يرويه ابن زولاق أيضاً

(١) الجوهر النقيس ص ٤٦ (٢) المفريزي : الخطاط ج ص ٣١٥

(٣) ابن حجر العسقلاني : رفع الإصر ( نسخة خطية بدار الكتب المصرية )

(٤) نفس المصدر

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فقيه مصر ورئيس مذهب مالك في عصره أن رجلا سأله : أيهما أفضل أبو بكر وعمر أم علي ؟ فاستغفاه ابن عبد الحكم فألح عليه الرجل ، فقال له ابن عبد الحكم : إن أخبرت أحدا عما أقول لك كنت أحمد بن طولون الأمير فضربك بالسياط ، علي أفضل (١) . وقيل إن يموت بن المزرع كان في حلقة يلقى دروسه الأدبية واللغوية على المصريين فتطرق الحديث عن أبي بكر وعمر وعلي فانقسم الناس إلى طائفتين طائفة تزيد فضائل علي ، وطائفة تزيد فضائل أبي بكر وكانت هذه الطائفة الأخيرة أكبر (٢) فهذا كله يدل على أن المصريين أخذوا ينقسمون بين أبي بكر وعلي ، وأن الحديث قد كثر في التفضيل بينهما ، ولكن الذين كانوا يفضلون عليا كانوا يتسترون خوفا من شعب العامة ويطش الولاة وجندهم من السودان .

علي أن أمر الشيعة بمصر أخذ يقوى منذ استطاع دعاة عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية من بسط دعوتهم في شمال أفريقيا وتقويض أركان دولة بني الأغل ، وقد كان المهدي دعاة وأنصار بمصر ، ويحدثنا القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة ، أن المهدي نفسه دخل مصر مستترا في زى التجار هربا من العباسيين ، فأنت السكتب من بغداد إلى والي مصر بصفة المهدي والأمر في طلبه وكان بعض أهل خاصة ذلك لوالى وليا مؤمنا ( بدعوة المهدي ) فأسرع إلى المهدي بالخبر ، ولطف في أمره إلى أن خرج المهدي من مصر ومعه القائم وبعض عبيده (٣) . ويروى صاحب سيرة جعفر بن علي الحاجب . وسرنا ( أى المهدي ورجاله ) من الرملة إلى مصر ، فاستقبلنا أبو علي الداعي ، وكان مقبلا يدعوها وأكثر دعاة الإمام من قبله . وكان فيروز الذي رعاه ورباه وزوجه ابنته أم أبي الحسين ولده ، فتقدم إليه المهدي ع . م قبل دخولنا مصر بأن لا ينزله عنده ولا عند من يشار إليه بشيء من أمرنا . وأن ينزله عند من يثق به فأنزله عند ابن عياش (٤) . ويقول في موضع آخر عن داعي المهدي بمصر : ولما صح عند فيروز خروج المهدي إلى المغرب تغيرت نيته وعزم على النفاق ، وكان قد زوج ابنته كما ذكرنا أولا بأبي علي الداعي بمصر ، ومحمد أبو الحسين بن أبي علي الداعي ولده ، وقد بلغ محمد أبو الحسين هذا مع الأئمة المهدي بالله والقائم بأمر الله

(١) نفس المصدر (٢) ابن زولاق : أخبار سيبويه المصرى ص ٣٩

(٣) النعمان بن محمد : افتتاح الدعوة ( نسخة خطية بمكتبتي ) .

(٤) سيرة جعفر : نسخة خطية بمكتبتي

والمنصور بالله والمعز لدين الله صلوات الله عليهم المحل الجليل العظيم وكان داعي  
الدعاة (١) . ولما تم الأمر للمهدى بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ راسله شيعته بمصر للنهوض  
إليها ، وفعل حارل الفاطميون غزو مصر عدة مرات ، منها تلك الحملة التي كانت  
بقيادة حباسة بن يوسف الكتامي التي نجحت في دخول الإسكندرية ولكن  
تكاثر جيوش العباسيين فانهزم حباسة (٢) وشعر والى مصر أن بين المصريين  
من كاتب الفاطميين لغزو البلاد فتبعهم الوالى وسجن منهم عددا كبيرا ، وعذب  
آخرين بقطع أيديهم وأرجلهم (٣) ، وفي ذلك قال الشاعر المصرى ابن مهران :

وقد وافى حباسة في كتمام بكل مهند وبكل خطى  
وقد حشدوا المصر ودون مصر له خرط القتاد وأى خرط  
وأقبل جاهلا حتى تخطى وجزا بجهله حد التخطى  
بكتب جماعة قد كاتبوه من اقباط بمصر وغير قبلى  
وكل كاتبوه وناقفونا وكل فى البلاد له موطنى  
فقل لحباسة إن كنت عنا مضيت فإن قتلك ليس يبطل (٤)

كذلك نذكر الحملة التي كان يقودها القائم بأمر الله فى سنة ٣٠٧ هـ فقد فتح  
القائم بأمر الله الاسكندرية ثم سار إلى الفيوم وكاتب المصريين بالنثر تارة  
وبالشعر تارة أخرى ، فكان القائد مؤنس الحادم يصادر هذه المكاتبات  
ويرسلها إلى الخليفة العباسى المقتدر وظلت أحوال القائم بمصر مضطربة حتى  
اضطر إلى العودة إلى المغرب سنة ٣٠٩ هـ ، وقد حفظ عريب بن سعد القرطبي  
صورة مقطوعة من الشعر قيل إن القائم أرسلها إلى شيعته من المصريين يستنص  
مهمهم ، وذهب عريب إلى أن هذه المقطوعة أرسلت إلى بغداد وأن الخليفة أمر  
محمد بن يحيى الصولى بالرد عليها ؛ وهاك المقطوعة .

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم أم اختدعت من قلة الفهم والأدب  
صلاتكم مع من ؟ وحجكم بمن ؟ وغزوكم فيمن ؟ أجيئوا بلا كذب  
صلاتكم والحج والغزو ويلكم بشراب نمر عا كفين على الريب  
ألم ترني بعث الرفاهة بالسرى وقت بأمر الله حقا كما وجب  
صبرت وفي الصبر النجاح وربما تعجل ذو رأى فأخطا ولم يصب

(٢) السكندى : الولاة ص ٢٧١

(١) نفس المصدر

(٣) المرزى : المخطوط ج ١ ص ٢٨١ (٤) السكندى : الولاة والفضاة ص ٢٧٢

إلى أن أراد الله إعزاز دينه      فقامت بأمر الله قومة محتسب  
وناديت أهل الغرب دعوة واثق      برب كريم من تولاه لم يحجب  
جاءوا سراعا نحو أصيد ماجد      يبادونه بالطوع من جملة العرب  
وسرت بخيل الله تلقاء أرضكم      وقد لاج وجه الموت من خلل الحجب  
وأردفتها خيلا عتاقا بقودها      رجال كأمانال الليوث لها جنب  
شعارهم جدى ودعوتهم أبى      وقولهم قولى على النأى والقرب  
فكان بحمد الله ما قد عرفتم      وفزت بسهم الفلح والنصر والغلب  
وذلك دأبى ما بقيت ودأبكم      فدونكم حربا تضرم كاللهب (١)

وتابعت غزوات الفاطميين لمصر فكانت ترد مهزومة مدحورة ، فاضطر  
شيعة المهدي إلى اتخاذ التقية وإلى الدعوة السرية حتى ولى كافور نيابة عن ابن  
سيده الحسن بن عبد الله بن طغج وكان ابن طغج ضعيفا فطمع فيه الجند وكرهوه ،  
واستغل ضعفه أحد دعاة الفاطميين وهو أبو جعفر بن نصر وحبب إليه دخول مذهبه  
ومكاتبة المعز لدين الله (٢) ويذكر ابن زولاق أنه كان بمصر داعية آخر يسمى بأبي  
عيسى عبد العزيز بن أحمد (٣) ، ويخيل إلى أن أبا جعفر بن نصر الداعي كان  
معروفا أكثر من صاحبه وأنه كان من جلساء كافور وبني طغج ، وعرف عنه  
الدعوة للفاطميين في مصر ولا أدري سبب سكوت الأمير عنه ، ويذكر ابن  
زولاق أن هذا الداعي بنى دارا له بمصر فر عليه سيبيويه المصرى فقال : كافور  
الأسود غدا يؤخذ بأذنه ، إنما بنيت هذه الدار لصاحب المغرب تؤخذ فيها البيعة  
على كل تابع ومتبوع ، وذليل ومر فوع تغير فيها الأحوال وتحمل إليها الأموال (٤)  
معنى هذا كله أن الدعوة الفاطمية كانت أسبق إلى مصر من جيوش الفاطميين  
وأن الدعاة استطاعوا أن يبدروا بين بعض المصريين عقائد الفاطميين فاستجاب  
لهم من استجاب وكانوا عوناً لجيش جوهر القائد في دخول مصر سنة ٣٥٨ هـ  
إذن كان بمصر شيعة ، ولسكننا لا ندرى إلى أى فرقة من فرق الشيعة كان  
المصريون ، ويغلب على ظني أن المصريين لم يعتنقوا مذهباً من مذاهب التشيع

(١) عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبرى ص ٤٢

(٢) ابن زولاق : أخبار سيبيويه المصرى ص ٤٠ ، وأبو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٧٣

(٣) نفس المصدر ص ٢٣ (٤) نفس المصدر ص ٤٠

كغيرهم من فرق الشيعة الأخرى ، ولم يتخذوا التشيع من ناحية العبادة العملية كما فعل غيرهم ، إنما كان هوامم مع علي بن أبي طالب وأهل بيته ، ولكنهم لم يجاهدوا كما جاهد الشيعة في الأقطار الأخرى ، ولم يفلسفوا عقيدتهم الدينية على النحو الذي نراه عند غيرهم ، بل اكتفوا بالقول بتفضيل علي ، وحرصوا على جهم وولاتهم لأهل البيت ، يكرمون الأحياء ويتبركون بالأموات ، حتى دخل جوهر مصر ، ووجد المصريون أنفسهم أن لا طاقة لهم بقتاله وصدده عن ديارهم ، فإرسلوا إليه وفدا برئاسة أحد العلويين بمصر كان نقيب الأشراف الحسينيين بها وهو أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسني ، وطلبوا من جوهر الأمان والصلح ، فأجابهم ، وكشبه لهم الأمان وفيه نص بتأمين المصريين على عقيدتهم فقد كان السواد الأعظم من المصريين حريصين أشد الحرص على أن لا يتحولوا عن مذهبهم الديني الذي كانوا عليه وهو مذهب أهل الجماعة والسنة ، وإن لا يتعرض الفاطميون لعقائدهم التي دانوا بها ، فألحوا في أن يذكر جوهر ذلك في كتاب أمانه لهم . فهل وفي الفاطميون في مصر بذلك ؟ الواقع أن الفاطميين لم يحترموا الأمان الذي أعطاه جوهر للمصريين فقد عملوا على تشيع المصريين على النحو الذي سنراه في هذا الكتاب ، فأصبحت مصر شيعية لها من الآراء ما تميز به في هذا العصر عن جميع عصورها التاريخية ، وأثرت هذه العقائد الفاطمية الجديدة على الحياة المصرية بل تعدت مصر إلى غيرها من البلدان الأخرى ولاسيما التي خضعت لنفوذ الفاطميين ، فأثرت في الحياة العقلية الإسلامية تأثيراً كان له خطره في جميع البلدان الإسلامية .

وهذا الكتاب هو محاولة الكشف عن الحياة العقلية والأدبية بمصر في عصر الفاطميين ، وهو عصر غامض لنا أشد الغموض بالرغم مما كتب حوله ، وكان عصر الفاطميين عصراً زاهراً في الأدب والعلم ولكن ما بقي لنا من آثار هذه الفنون والعلوم شيء قليل جداً متفرق في كتب مختلفة ، وقد حاولنا مما بقي لنا أن نعطي صورة لما كانت عليه الحياة العقلية والأدبية ، ونرجو أن نكون قد وفقنا في هذه المحاولة ؟

جزيرة الروضة في ١٥ إبريل سنة ١٩٥٠

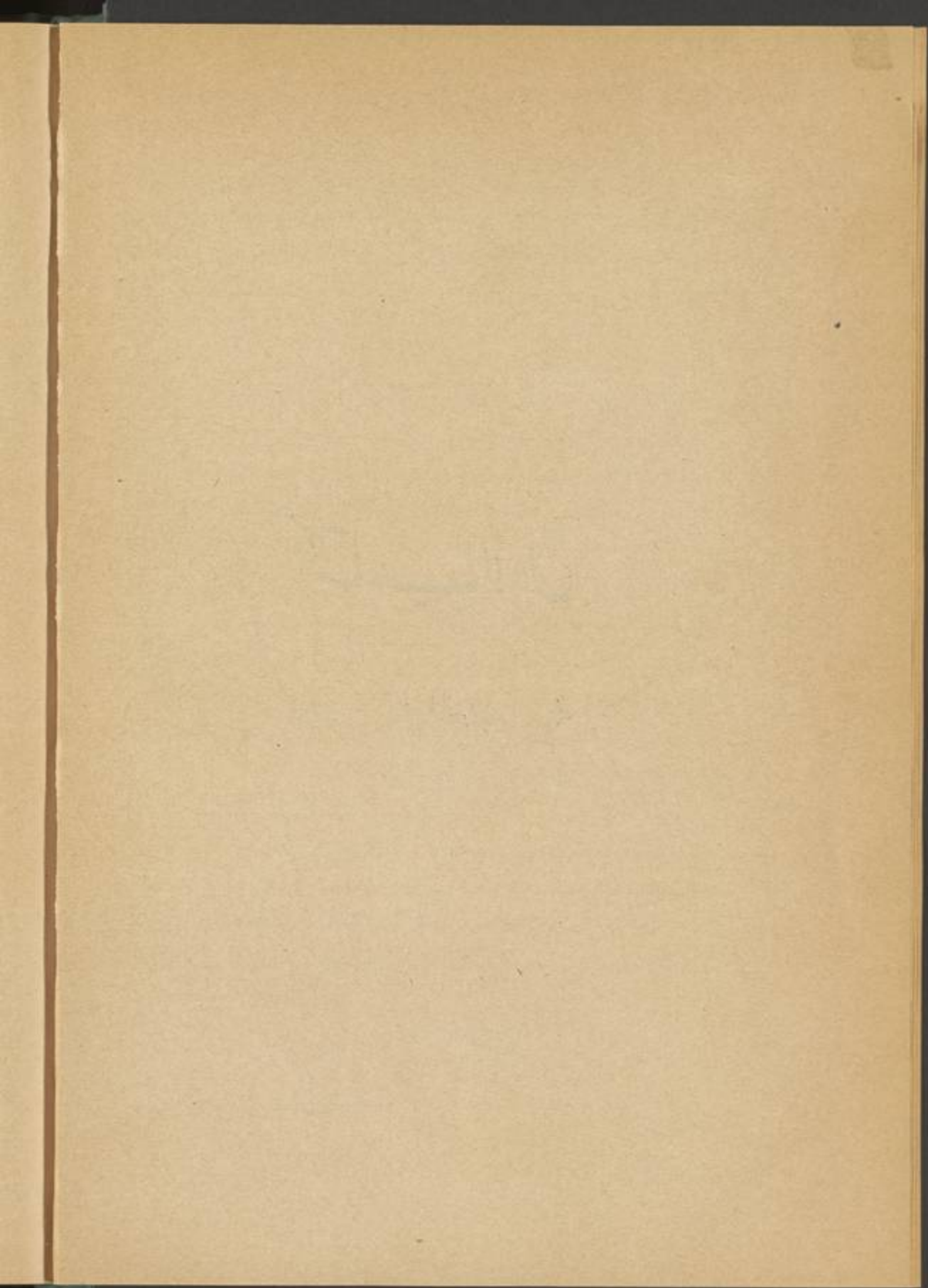
٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩

محمد كامل حسين

# الكتاب الأول

---

الحياة العقلية





# الباب الأول

في الدعوة الفاطمية

## الفصل الأول

عقائد الفاطميين

جاء الفاطميون مصر يدعون إلى عقيدة تختلف عما كان عليه أكثر المسلمين ، فقد كان السواد الأعظم من مسلمي مصر ينقسمون بين مذهب مالك وبين مذهب الشافعي ، وقليل منهم من كان على مذهب أبي حنيفة . ومهما كانت الفروق بين هذه المذاهب فكلها من مذاهب أهل السنة والجماعة التي تخالف عقائد الفرق الشيعية وتباينها ؛ والفاطميون فرقة من فرق الشيعة عرفت بالإسماعيلية نسبة إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق . قال الفاطميون بنبوة محمد عليه السلام ، ووصاية علي بن أبي طالب (١) ، وإمامة ابنه الحسن فالحسين ، فزين العابدين ، فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق . فهم على هذا النحو يتفقون في تسلسل الإمامة مع الشيعة الاثني عشرية . وبعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ انقسمت الشيعة الإمامية إلى الإسماعيلية وهي الفرقة التي قالت بإمامة إسماعيل بن جعفر فابنه محمد بن إسماعيل فأئمة ( دور الست ) وهم عبد الله بن محمد ، فأحمد بن عبد الله فالحسين بن أحمد (٢)

(١) قال الفاطميون إن مرتبة الوصاية أسمى من مرتبة الامامة وأقل من مرتبة النبوة فعلى ابن أبي طالب في مرتبة أقل من مرتبة محمد عليه السلام وأرفع من مرتبة بنائه الأئمة ولذلك لا يعدونه إماما من أئمتهم بل قالوا إنه وصى النبي ، أما الشيعة الإمامية فقالوا بأن عليا وصى وهو أول إمام من أئمتهم .

(٢) اختلف المؤرخون في هؤلاء الأئمة المستورين ، فمنهم من قال بأن عبد الله بن محمد هو عبد الله بن ميمون القفاح الذي ينسب إليه بعض المؤرخين أصل الخلفاء الفاطميين ، ولعل السر الذي لم يعرف كنهه إلى الآن هو في هؤلاء الأئمة المستورين ، فالحديث عنهم أقرب إلى الخرافات منه إلى الواقع ، فالإمام المستور عند الإسماعيلية لا يعرف إلا لأقرب الناس إليه ، وإمعانا في السر =

ثم أئمة دور الظهور وأولهم عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية . وإذا قرأنا كتب دعاة الفاطميين استطعنا أن نطمئن إلى أن الفاطميين نظروا إلى أمتهم على أنهم من البشر ، يجرى عليهم ما يجرى على البشر من موت وحياة ، فهم في ذلك يخالفون الغلاة من الشيعة الذين ألهوا عليا والأئمة من ذريته ، وقالوا إنهم أحياء يرزقون . ومخالفون الشيعة الاثني عشرية الذين ذهبوا إلى غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري وأنه سيظل حيا حتى يعود ليلا الدنيا عدلا كما ملئت جورا . وقال الفاطميون إن الإمامة تنتقل من الآباء إلى الأبناء . ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، فالأب ينص على ابنه في حياته . وهذه العقيدة أصل من أصول المذهب في تسلسل الإمامة عند الفاطميين ، وقد أولوا قول الله تعالى ، وجعلها كلمة باقية في عقبه ، بأن الله سبحانه وتعالى لا يترك العالم غالبا من إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور تنتقل الإمامة إليه بعد أبيه الإمام من نسل علي بن أبي طالب ،

والإمام حجة الله على عباده وهاديهم إلى الطريق القويم . فوجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الإمام . وجعلوا ولاية الإمام إحدى أركان الدين ودعائمه ، بل ذهبوا إلى أن الولاية أفضل دعائم الدين وأقواها ولا يستقيم الدين إلا بها . قال المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في مجالسه : « فلو أن رجلا عمل بفرائض الله تعالى وسننه التي جاء بها رسوله كلها ، ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتي بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ، ولم يتبع غير أهل النار سبيلا . إذ ولاية الرسول كالمركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض ، فلا يصح وجودها إلا بوجوده ، وإذا كانت هذه نصبة الرسول في حياته كانت نصبة من يوليه أمر دينه مثلها ، وكمثل ذلك نصبة من يليه ومن يلي من يليه ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد ، وورثها ولد عن والد ، إذ الولاية هي الأصل الذي يدور عليه موضوع الفرائض ، <sup>(١)</sup> وهذا الرأي يقول الشيعة الإمامية جميعا ، وهو ما يتباينون به عن

== بلقبهم بلقبه ويسمى باسمه ويكنى بكنيته . ومن هنا التبس أمر نسب الفاطميين على المؤرخين بحيث لم يقطعوا برأى فيه إلى الآن ، وكل حديث عن هؤلاء المستورين يحتاج إلى أدلة لإثباته . ومن الصعب الحصول على هذه الأدلة ، ولذلك تمعدنا إغفال الحديث عن نسب الفاطميين إلى أن نستطيع الحصول على نصوص يمكن الاعتماد عليها

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٥ ( نسخة خطية بمكتبة الخاصة )

جمهور أهل السنة ، وأبد الشيعة الإمامية ومنهم الإسماعيلية هذا الرأي بقصة تروى أن النبي بعد أن أدى حجة الوداع ونزل عند (غدير خم) في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، هناك أنزل عليه قوله تعالى ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ) فذهب الشيعة إلى أن النبي الكريم صدع بأمر ربه ، وأمر بالصلاة حتى إذا انتهى منها أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال ، أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، قالوا : بلى . قال : أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ! قالوا : بلى ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، واعتبر الشيعة قول الرسول عليه السلام تليفاً لأمر الله تعالى ، ونصاً صريحاً بوجوب اتباع علي وولايته ، ومن بعده من ذريته المنصوص عليهم ، وقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب هذه القصة وأتبعها بقوله : فلقبه ( أي لقي علياً ) عمر بن الخطاب ، فقال : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة <sup>(١)</sup> .

فالشيعة الإمامية على اتفاق مع الإسماعيلية في وجوب ولاية الوصي علي ابن أبي طالب ، ويروون عن النبي أحاديث كثيرة في شأن علي مثل قولهم : وأنا مدينة العلم وعلي بابها ، وعلى منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنا المنذر وعلي الهادي من بعدي ، والنجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وأهل بيتي كسفينه نوح من ركبها نجاة ومن تركها غرق ، وفي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، <sup>(٢)</sup> واشترك الفاطميون في رواية هذه الأحاديث وغيرها . واتخذ الفاطميون دليلاً آخر أخذوه من تاريخ الأنبياء الذين سبقوا دور محمد عليه السلام فذهبوا إلى أن لكل نبي وصياً يكمل إليه أمر المؤمنين ، وأن الله تعالى هو الذي

(١) راجع الجزء الأول من مسند أحمد بن حنبل ص ٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ، ٣٣٠ . والجزء الرابع ص ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ والجزء الخامس ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، في هذه المواضع نجد هذا الحديث عن النبي عليه السلام . وفي سنن الترمذي ( الكتاب السادس والأربعون الباب التاسع عشر ) قول النبي لعلي بن أبي طالب ( أنت ولي كل مؤمن بعدي )

(٢) راجع ذلك كله في كتاب بحار الأنوار وفي المجالس المؤيدية في مواضع متفرقة .

يوحى إلى نبيه باعلان من اختاره الله وصيا لنبيه ، وخليفة له ، فكان وصى آدم هايل  
ووصى نوح ابته سام ، ووصى إبراهيم ابته إسماعيل ، وكان وصى موسى أخاه  
هرون ، ووصى عيسى بن مريم حواريه شمعون الصفا ( سمعان بن يونا المعروف  
بالصفا )<sup>(١)</sup> ، فوجب أن يكون لمحمد وصى ، شأنه في ذلك شأن غيره من الأنبياء  
السابقين ، وأن الله تعالى اختار على بن أبي طالب لمرتبة الوصاية ، ويحيل إلى أن  
الفاطميين أخذوا هذا الرأي مما جاء في إنجيل يوحنا في مواضع متعددة أن سمعان  
ابن يونا هو الذى سماه المسيح بطرس أو صفا ، وأمره المسيح أن يرعى بعده خرافه  
أى جماعة المؤمنين ، فصبغ الشيعة هذه العقيدة بالصبغة الإسلامية ، واتخذوا لها  
أدلة من القرآن والأحاديث ، على أن الإسماعيلية الذين جعلوا عليا وصيا للنبي  
جعلوا عليا من ناحية أخرى يشارك النبي في كل صفاته وخصائصه وفضائله إلا  
في مرتبة النبوة والرسالة اللتين خص بهما النبي وحده ، فكل الآيات القرآنية التى  
جاءت في النبي كقوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، و « إنما أنت منذر  
ولكل قوم هاد » ، إلى غير ذلك من الآيات هى في محمد وفي علي أيضا ، بل جعلوها  
في كل الأئمة المنصوص عليهم من نسل علي ، ولم يكتف الإسماعيلية بذلك بل ذهبوا  
في تأويل كثير من آيات القرآن إلى أن الله تعالى يشير فيها إلى علي والأئمة من  
ذريته ، مثل قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس  
ويكون الرسول عليكم شهيدا » ، وقوله « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا  
العالمون » ، وقوله : « وأولى الأمر منكم » ، وقوله : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا  
من عبادنا » وغير ذلك . فقد أولت جميع هذه الآيات بأن الإشارة فيها إلى علي  
ابن أبي طالب والأئمة من أهل بيته الذين اصطفاهم الله واختارهم دون غيرهم من  
البشر . فمحمد وعلي عندهم صنوان متشابهان في كل الصفات إلا في مرتبة النبوة التى  
أطلقوا عليها اسم (مرتبة الاستيداع) فقد اختص بها محمد عليه السلام ، على حين اختص  
علي بمرتبة الوصاية والإمامة التى أطلقوا عليها اسم (مرتبة الاستقرار)<sup>(٢)</sup> ؛ ولذلك  
يروون أن النبي قال : لم أزل أنا وأنت يا على من نور واحد نتقل من الأضلاب  
الطاهرة إلى الأرحام الزكية ، كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم حتى اتتهينا

(١) الفترات والقرانات لجعفر بن منصور البين ( ص ١٢ ب ) نسخة خطية بمكتبتي الحاضرة

(٢) راجع ما كتبناه عن هذا الموضوع في كتاب « ديوان المؤيد في الدين داعى الدعاة »

إلى الجدل الأفضل والآب الأكل عبد المطلب فانقسم ذلك النور نصفين في عبد الله وأبي طالب . فقال الله تعالى : كن يا هذا محمدا ويا هذا كني عليا (١) ، ولهذا العقيدة التي تجعل من علي شريكا وشديها للنبي في كل شيء . قال الإسماعيلية بعصمة الأنبياء والأوصياء والأئمة ، بل لعل الفاطميين لم يدينوا بعصمة الأنبياء ولم يؤولوا قصص الأنبياء هذا التأويل الذي نراه في كتبهم (٢) إلا لإثبات عصمة أئمتهم ، ولا ينفرد الإسماعيلية بالقول بهذه العصمة ، إنما هو رأي جميع فرق الشيعة ، وكان موضوع عصمة الأنبياء من موضوعات الجدل بين علماء الكلام .

ولعل المشاركة الكبرى التي جعلوها بين محمد وعلي هي عقيدتهم في التأويل الباطن ، وهو العلم الذي خصوا أنفسهم به ، وسموا من أجله بالباطنية ، فقد جعلوا محمدا هو صاحب تنزيل القرآن ، وجعلوا عليا صاحب تأويله ، أي أن القرآن الكريم أنزل على محمد بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، أما أسرار الدين وأسرار التأويل الباطن فقد أنزلت على محمد ولكنه خص بها عليا وأبناءه من بعده دون غيرهم من البشر ، وأن عليا وأبناءه من الأئمة هم الذين يدلون الناس على هذه الأسرار ، أخذ الإسماعيلية بعض آيات القرآن الكريم دليلا على عقيدتهم في وجوب التأويل كقوله تعالى ، وكذلك يجتنيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، وقوله : وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولتعلم من تأويل الأحاديث ، وقوله : وسأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي ذهبوا في تفسيرها إلى أن الله تعالى : جعل لدينه تأويلا خاصا يختلف عما يقول به جمهور أهل السنة والجماعة الذين أطلقوا الإسماعيلية عليهم لقب أهل الظاهر أو العامة واستدلوا بقول الله تعالى ، هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الآلباب ، على أن الأنبياء والأوصياء

(١) المجالس المؤيدية في مواضع متفرقة .

(٢) راجع كتاب أساس التأويل لفاضل النعمان نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن وكتاب أسرار النطقاء وكتاب سرائر النطقاء لجعفر بن منصور البين والمجالس المؤيدية . وكلها نسخ خطية بمكتبتي الخاصة .

والأئمة هم الراسخون في العلم وهم الذين يعلمون تأويله ، وذهب علماءهم إلى أن قوله تعالى ( والراسخون في العلم ) نسق على الله ؛ وقوله ( يقولون آمنا به ) أخرجه مخرج الحال بمعنى أنهم ليعلمونه ويقولون آمنا به ، إذ لو لم يكن الراسخون في العلم يعلمونه لكان مستحيلا منهم أن يقولوا آمنا به لأن الإيمان معناه التصديق والتصديق بالشيء لا يثبت إلا بعد إحاطة العلم به ولا يجوز تصديق المرء بما لم يعلمه . ثم أنه ليس يخلو من أن يكون النبي علم بتأويل ما أتى به أو لم يعلمه ، فإن كان علم به بطل الوقف بعد لفظه ، الله ، في الآية السابقة ، ووجب دخول النبي في شرط من علمه ؛ وهو أول الراسخين في العلم وأفضلهم وعنه أخذ من أخذ من الراسخين في العلم ، وإن كان النبي لم يعلم فأرسال الله تعالى إياه بشيء إذا سئل عنه لا يعلمه خارج عن الحكمة والرسالة (١) . فالنبي كان يعلم تأويل القرآن ، ومن يقوم مقام النبي في كل عصر يعلم هذا التأويل أيضا ، وضربوا مثلا بقصة موسى مع الرجل الصالح التي وردت في القرآن الكريم بأن الله خص الرجل الصالح بأمرار لم يعرف كتبها نبي ناطق من الأنبياء وهو موسى ، فقصة موسى هذه دليل عندهم على أن العامة من المسلمين أضعف وأقصر من النهوض بأعباء تأويل القرآن الذي اختص به الوصي والأئمة . وفي ذلك يقول المؤيد في الدين :

ولم أجزنا ظاهر الكلام	في ذلك أسدناه للخصام
ففي اختلافات القرآن كثره	من كل قول مع كل زمرة
يا قوم سر الملكوت هذا	يجعل أصنامكم جذاذا
سر له صاحب موسى الحضرا	قال معي لن تستطيع صبرا
وقال موسى سوف ألقى صابرا	فلم يكن إذ ذاك إلا قاصرا
تدبروا القصة ماذا بما	من قصها إن لم تكونوا نوما
لعلكم أن تحسبوها سمرا	إذن أسأتم للنفوس النظرا
من كان ذا عقل وذا عينين	يلغ حقا بجمع البحرين (١)

ولهم أدلة عقلية على وجوب التأويل أخذوها أيضا من القرآن الكريم كقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » وقوله : « وفي الأرض آيات للموقنين

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥١ .

(٢) ( القصيدة الأولى ) من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .

وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، فذهبوا إلى أن مثالة الدين تؤخذ من خلقه السموات والأرض وتركيب الأفلاك وجميع ما يتأمل بما خلقه الله تعالى ، فقد ركزت في المخلوقات كل معاني الدين الذي حمله القرآن الكريم ، فأيات القرآن إذن في حاجة إلى من يخرج كنوز هذه المعاني (١) ، وبناء على هذه الطريقة التي اتخذوها لأنفسهم للتأويل وهذه القاعدة التي بها يستدلون بما في الطبيعة والمخلوقات على الدين جعلوا المخلوقات قسمين : قسم ظاهر للعيان وقسم باطن خفي ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسماوا الباطن ماثولا والظاهر مثالا . ولذلك أستطيع أن أطلق على نظرية التأويل عندهم ، نظرية المثل والممثول (٢) ، وقد أخذت هذا الاسم مما كتبه دعاة الفاطميين ، فال مؤيد في الدين يقول في مجالسه ، خلق الله أمثالا ومثولات ، لجسم الإنسان مثل ، ونفسه ممثول ، والدنيا مثل والآخرة ممثول . وأن هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وأن قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال (٣) وقول صاحب المجالس المستنصرية : ومعشر المؤمنين إن الله تعالى ضرب لاسم الأمثال جملا وتفصيلا ، ولم يستح من صغر المثل إذا بين به ماثولا ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دايلا (٤) ، ويقول المؤيد في الدين :

اقصد حمى ممثوله دون المثل ذا إمبر الشحل وهذا كالعسل (٥)

وإذن فالقاعدة في التأويل عند الإسماعيلية هي تطبيق نظرية المثل والممثول ، فظاهر القرآن مثل وباطنه ماثولات . والظاهر هو هذه المعاني التي يعرفها العامة وينطق بها علماء أهل السنة ، والباطن هو هذه المعاني التي يستخلصها الوصي والأئمة من أهل البيت دون سواهم من سائر المسلمين . وبالرغم من أن الإسماعيلية أتوا بأدلة من القرآن الكريم على التأويل وعلى نظرية المثل والممثول . فإن هذه النظرية

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥٢

(٢) راجع نظرية المثل والمثول وأثرها في شمر مصر الفاطمية — بحث فرى\* في مؤمر

المستشرقين الحادى والعشرين في باريس يوم ٢٩ يولية سنة ١٩٤٨

(٣) المجالس المؤيدية : المجلس الثامن من المائة الثانية

(٤) المجالس المستنصرية ص ٩٨ — ٩٩ ( طبع دار الفكر العربي )

(٥) الفصيحة الأولى من ديوان المؤيد في الدين داعى الدعاء

وإن كانت قد صبغت بالصبغة الإسلامية فإنها هي نظرية المثل الأفلاطونية القديمة ، أدخلوها في عقيدتهم بعد أن غيروا فيها بما يتفق مع تعاليمهم وعقائدهم الإسلامية . ويخيل إلى أن فكرة التأويل الباطن على هذا النحو الذي نراه عند الإسماعيلية لم يعرف لدى المسلمين قبل عصر الترجمة والحركة العلمية التي ظهرت في عصر المأمون العباسي وبعده ، وبعد أن ترجمت الكتب الفلسفية اليونانية ، والمعروف أن بعض فلاسفة الإسكندرية وعلى الأخص فيلون وتلاميذه حاولوا تأويل التوراة تأويلا باطنيا — إن صح هذا التعبير — وأن سانت أوغسطين هو أول من حاول تأويل الإنجيل تأويلا باطنيا كذلك . وجاء الإسماعيلية وأخذوا فكرة التأويل مما نقل إلى العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة ، ولكنهم صبغوا تأويلهم بالصبغة الإسلامية كما عادت لهم دائما في كل ما أخذوه عن العلوم والفلسفة الأجنبية . ومع ذلك كله لم يستطع الإسماعيلية ألا يتخلوا جملة عما أخذوه من العلوم والفلسفة الأجنبية فقد ظهرت في تأويلاتهم آثار هذه العلوم والفلسفة كما ظهر تأثرهم بالعقائد والأديان القديمة التي غمرت العالم قبل الإسلام وبعده . ويخيل إلى كذلك أنهم لم يتخذوا هذا التأويل الباطن إلا إمعانا منهم في زيادة شرف على بن أبي طالب والأئمة ، وخصهم بميزات تبعدهم بعض البعد من سائر البشر ، فكأن الولاية هي المحور الذي تدور عليه جميع العقائد الفاطمية ، فتأويلاتهم وفلسفتهم في الإبداع والخلق وكل عقيدة في النفس والعقل كلها تنتهي إلى نتيجة واحدة هي الوصي والأئمة ، ففي التأويل الباطن أن ، وجه الله ، و يد الله ، و جنب الله ، هم الأئمة ، والشمس محمد والقمر على والأئمة ، والأهله هم الأئمة . بل ذهبوا كما ذهب بعض فلاسفة الإسكندرية إلى أن الله أبدع الكلمة (اللوجوس) فقالوا إن الكلمة هي ، كن ، من قوله تعالى : ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وكلمة ، كن ، حرفان كاف ونون : ولكنهما في التأويل الباطن مثلان للحدود الروحانية المقربة إلى الله ، قال كافي رمز للعقل الأول أو (القلم) وهو أقرب الحدود إلى الله وهو الذي ورد فيه الحديث النبوي الذي رواه البخاري : ، أول ما خلق الله القلم ، فقال له أقبل فأقبل ، فقال له أدبر فأدبر ، فقال : بعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أعز علي منك ، بك أئيب وبك أعاقب . الخ ، والعقل الأول الذي ذكر في ظاهر القرآن بالقلم ولأنه أقرب الحدود إلى الله تعالى وأسبقهم إلى معرفة الله وتوحيده سمي بالسابق . أما النون فهي رمز



للفنفس الكلية وهي التي رمز إليها في القرآن باللوح وسميت بالتالي ، وبناء على نظرية المثل والممثل يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالإمام هو مثل السابق ، وحجته مثل التالي ، وكل خصائص العقل الأول ( السابق ) جعلت للإمام ، فثلاث نرى الإسماعيلية ينزهون الله تعالى عن كل الصفات والأسماء ، وقالوا : إن أسماء الله الحسنى هي أسماء العقل الأول ( السابق ) وأن الله سبحانه يتعالى على أن يتصف بصفة وأنه ليس أيسا وليس ليسا ، إنما كل ما جاء في القرآن الكريم من صفات الله فهي صفات العقل الأول ( السابق ) وإذن فهذه الصفات يوصف بها أيضا مثل العقل الأول في العالم الجسماني وهو الإمام ، وعلى ضوء هذه النظرية نستطيع فهم قول ابن هاني الأندلسي في مدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار  
فقد فهم القدماء من هذا البيت وأمثاله من شعر ابن هاني أنه يؤله إمامه ،  
وحكموا بأن الأئمة الفاطميين ادعوا الألوهية بدليل هذا البيت وأمثاله ، ولو كان  
القدماء يعرفون حقيقة العقيدة الفاطمية ما وجدوا في هذا القول تأليها ولا غلوا  
في العقيدة ، وسنتحدث عن ذلك كله في باب الشعر .

وإذن فالتأويل الباطن عندهم لسبب واحد هو إغداق صفات التجديد والتفخيم  
لأئمتهم . على أن الإسماعيلية الذين قالوا بالباطن وضرورته قالوا أيضا بالظاهر معه  
فلا يقبل الظاهر دون الباطن ، ولا ينفع الباطن دون الظاهر ، فإن الظاهر والباطن  
كالروح والجسد إذا اجتمعا انتدحت الفوائد وعرفت المقاصد ،<sup>(١)</sup> ومن عبيد الله  
تعالى بظاهر دون باطن أو بباطن دون ظاهر فهو ممن يعبد على حرف<sup>(٢)</sup> والظاهر  
عندهم هو هذه العبادة العملية من طهارة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان  
وحج البيت والجهاد في سبيل الله ، فيجب على المؤمن أن يؤدي هذه الفرائض العملية  
الظاهرة كما ورد في كتاب الله وما سنه رسول الله ، وفي الوقت نفسه يجب أن يؤمن  
بعلم الباطن الذي هو العبادة العلية التي خص بها الوصي والأئمة ، فالفاطميون إذن  
لم يعملوا على طرح الأديان وإبطال العبادة كما وهم الكتاب والمؤرخون الذين

(١) المجالس المستنصرية ص ٢٧ .

(٢) المجالس المستنصرية أيضاً ص ٢٩ .

محدثوا عن الفاطميين ، بل كانوا كما قال شاعرهم المؤيد في الدين :

فإننا لأهل علم وعمل لله دنا بهما عز وجل (١)

وشاركوا غيرهم من المسلمين في هذه العبادة الظاهرة ، ودعوا إليهادعوتهم إلى عبادتهم الباطنة ، وإذا قرأنا كتب الفقه الإسماعيلي مثل كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن محمد وكتاب المجالس المستنصرية ، للداعي ثقة الإمام علم الإسلام وجدنا أن الفقه الإسماعيلي لا يكاد يختلف عن فقه أهل السنة وفقه مالك على وجه خاص ، مع أن الإسماعيلية لا يأخذون في أحكامهم الشرعية بالرأى ولا بالقياس إنما يأخذون بالأحكام التي يشرعها الإمام ، ومع ذلك لم يختلفوا عن مذهب أهل السنة إلا في بعض مسائل فرعية ، لعل أهمها مسألة ابتداء شهر الصوم ، فقد كانت هذه المسألة من أهم المسائل التي أثارته سخط المسلمين على الفاطميين ، ذلك أن الفاطميين لا يبدؤون صوم رمضان برؤية الهلال على ما يذهب إليه جمهور أهل السنة ، فقد وجد الفاطميون أن الهلال إذا غم في بلد من البلاد بسبب سحب أو غيره فقد يظهر في بلد آخر قريب ، فلا يصوم أهل البلد الأول على حين يصوم أهل البلد الآخر ، وكثيرا ما يحدث اضطراب في بدء الصيام في البلد الواحد ، فيقع ما يسمى بيوم الشك ، وهو ما نشاهده كل عام إلى اليوم . ومن ثم لجأ الفاطميون إلى الفلك والحساب فعملوا تقويما قريبا يحسبون بمقتضاء سير القمر ويقدرن منازلها حتى يعرفوا أن هلال رمضان قد أهل حقا ، فعملوا الشهور العربية شهرا تاما والتالي له ناقصا دائما وبذلك أصبح شعبان ناقصا دائما ورمضان تاما دائما ، ومن هذا التقويم الدقيق عرفوا متى يبدأ رمضان ومتى ينتهي دون الرجوع إلى رؤية الهلال رؤية نظر ، بل جعلوا قول النبي الكريم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، أنها رؤية استبصار لا رؤية إبصار ، وهذا التقويم الفاطمي جعلهم يصومون قبل جمهور أهل السنة بيوم أو يومين ويبدؤون عيد الفطر قبل جمهور أهل السنة بيوم أو يومين ، ومن هنا أساء المؤرخون والعلماء الذين تحدثوا عن الفاطميين فهم حقيقة دعوتهم ورموهم بالخروج عن الجماعة وعن الإسلام .

ومن الخلافات بين الفاطميين وجمهور أهل السنة بل بين الشيعة عامة وبين السنين مسألة ميراث البنات ، فالشيعة يورثون البنات كل ما تركه الأب إذا لم يترك

(١) القصيدة الأولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة

ولذا ذكرا . ومن الخلافات أيضا مسألة مسح الرجلين في الوضوء ، فقد ذهب الشيعة إلى وجوب المسح ، على حين قال أهل السنة بوجوب غسل الرجلين ، ومن أهم الخلافات التي بين الشيعة الاثني عشرية والإسماعيلية أن الفرقة الأولى تقول بأن إمامهم الثاني عشر حتى يرزق منذ اختفى في السرداب ، وأنه سيظهر ليملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا ، على حين يذهب الإسماعيلية إلى أن الإمام من البشر يجري عليه ما يجري على البشر من حياة وموت ، فمن السخف أن يقال إن إماما يعيش طويلا هذه المدة ، ومن الخلاف أيضا قول الاثني عشرية بتحليل زواج المتعة على حين يحرمه الإسماعيلية . ولم يذهب الفاطميون بالقول بالرأى كالمعتزلة ولا بالقياس كأهل السنة بل رفضوا الأخذ بالرأى والقياس ، وقالوا بالرجوع إلى الإمام المعصوم وإلى علوم أهل البيت التي خصهم بها الله تعالى دون غيرهم من سائر البشر ، فعمل الباطن الذي خص به الأئمة دعاهم إلى القول بأن إعجاز القرآن من ناحية المعنى أقوى من إعجازه من ناحية اللفظ ، فالقرآن معجز بلفظه ومعناه ، ولكن إعجازه يظهر بما يحتويه من معاني وفي ذلك يقول المؤيد :

إن كان إعجاز القرآن لفظا      ولم ينل معناها منه حظا  
صادقتم معقوده محلولا      من أجل أن أنكرتم تأويلا

وفكرة عصمة الإمام دعوتهم كما دعت الشيعة عامة إلى القول بعصمة الأنبياء . أما ما ورد في القرآن الكريم عن معاصي الأنبياء فقد ذهبوا في تأويلها إلى أوجه لم يعرفها المفسرون ، ولا أدري من أين أتوا بها ( راجع ما كتبناه عن تأويل الأنبياء في كتاب « ديوان المؤيد في الدين » ) .

وهكذا ترى الفاطميين لا يكادون يختلفون في عبادتهم العملية الظاهرة عن غيرهم من المسلمين ، فهم يحرمون ما حرمه الله تعالى ، ويتجنبون المآثم والمعاصي ، ويحللون ما أحله الله تعالى للمسلمين ، ولكن التأويل الباطني للإسماعيلية هو الذي جعلهم يوسعون الهوة بينهم وبين غيرهم من المسلمين ، فقد أرادوا بتأويلهم الباطني إسباغ الفضائل على الأئمة فجعلوا الأئمة يناسبون العقل الأول ، وصفات الله وأسماءه الحسنى المذكورة في القرآن الكريم جعلوها للعقل الأول ، وتبعاً لذلك جعلوها للأئمة ، أما الله سبحانه وتعالى فقد نزّهه عن كل صفة ووجدوه التوحيد كله .

نوحده الله ولا نشبهه      قد انتفت عنا بذلك الشبهه (١)

(١) القصيدة الأولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة

فالإمام مثل سائر البشر مكون من جسم ونفس ، وبعد موته يتحلل كل قسم إلى ما يناسبه ، فالجسم الترابي يعود إلى التراب ، والنفس الشريفة تعود إلى ما يجانسها ويناسبها ، فتصبح نفس الإمام عقلا من العقول المدبرة للعالم ، فلا تناسخ ولا تتلاشى ، لأن الفاطميين لا يديشون بالتناسخ ، وهي المنقصة التي رماهم بها خصومهم ، ولا يقولون بالتلاشى بل ناقشوا أصحاب هذه العقائد وسفهوا آراءهم ، كما كفروا الغلاة الذين ألهوا عليا والأئمة من أبنائه ، قال المؤيد في الدين داعي الدعاة :

فكيف شرع الأنبياء ندفع	وما لنا إلا النبي مرجع
بثوره في الدرجات نرتقي	وبالكرام الكاتبين نلتقي
يا رب فالعن جاحدى الشرائع	وارمهم بأجسع الفجائع
والعن إلهي من يرى الإباحه	بلعنة فاضحة محتاحه
والعن إلهي غالبا وقاليا	ولا تذر في الأرض منهم باقيا
يا رب إنا منهم براء	هم واليهود عندنا سواء
فأخزم وأخز من رمانا	بريبة ولقه الهوانا (١)

ويقول في الرد على القائلين بالتلاشى والتناسخ :

أيها المدعى التلاشى حقا	ذا الذي تدعى عليك وكيل
أترى هذه الصنائع طرأ	عبثا ما لصانع محصول
حركات الأجرام قل لي لماذا؟	ولماذا طلوعها والأفول؟
ألها في مجالها الفعل أم لا؟	فبغير إذأ يجوز تجول
إن تقل ذلك فعلها باختيار	أنكرت منك ما ادعت العقول
إن فيما دنا من الماء والنار	على ما علا لنا التمثيل
ولئن قلت : ذلك غير اختيار	قلت : كل مدبر محمول
فإذا كان هكذا ثبت الحامل	والفَاعِل اللطيف الجليل
فإذا كان فاعل متقن الفعل	وما دونه له مفعول
فالتلاشى لفعله مستحيل	جملَ عما به عليه تحيل
والذي قال إنه النسخ والفسخ	وما ذا بغير دنيا حلول
فهو عن جوهر النفوس البسيطا	ت ومن حيث بدوها مستول

(١) من القصيدة الأولى من ديوان المؤيد داعي الدعاة

فلئن كان يثبت الأصل منها فكذا نحوه يكون القول  
ولئن كان نافيا قيل مهلا فلهذا المشاهدات أصول  
فتواب يكون بالأكل والشرب فذاك العذاب والتنكيل (١)  
ومع هذا كله نرى المؤرخين والكتاب يرمون الفاطميين بالإباحة المطلقة  
والقول بالتناسخ والحلول، إلى غير ذلك من الاتهامات التي أظهر البحث الحديث  
أن الفاطميين براء منها. على أنى لا ألوم هؤلاء الكتاب الذين أظهروا العقيدة  
الفاطمية على أنها مباينة للإسلام وتوحيد الله بقدر ما ألوم بعض الغلاة من الدعاة الذين  
غيروا المذهب الفاطمي وخرجوا به عن منهجه الصحيح، حتى اضطرت الأئمة إلى  
إعلان عصيان هؤلاء الدعاة وطردهم من الدعوة وتحذير الناس من ضلالهم. نذكر  
من هؤلاء الدعاة علي بن الفضل الذي كان من أسبق الدعاة في أواخر دور الستر  
الأول في إظهار الدعوة في اليمن ولكنه ضل طريق رشده، فترأى منه الامام وطلب  
من الداعي الحسين بن حوشب المعروف بمنصور اليمن أن يحاربه ويمحو أتباعه (٢)  
ونذكر أحمد بن الكيال الذي كان داعيا للاسماعيلية فغير المذهب ودعا لنفسه (٣)  
والقرامطة الذين استباحوا المحرمات ونادوا بالإباحة فاضطر عبيد الله المهدي قبل  
ظهوره بالمغرب إلى عزله عن الدعوة فخاربه وقتلوا بعض أهل البيت وسلبوا  
متاعهم، فاضطر المهدي إلى الفرار منهم إلى الرملة فحصر إلى أن رحل إلى شمال  
أفريقيا حيث أقام دولته (٤) واستمر العدا بين القرامطة والفاطميين ردحا طويلا  
من الزمان، وقامت الحروب بين الفريقين على نحو ما ذكر في كتب التاريخ؛ وكذلك  
نقول عن فرقة الدرزية التي ظهرت في عهد الحاكم بأمر الله، فأمثال هؤلاء الدعاة  
كانوا أسلحة ماضية ضد المذهب، حتى قال القاضي النعمان وذكر المعز لدين الله رجلا  
أصابه بلاء عظيم في نفسه ووصف ما صارت حاله إليه، وكان هذا الرجل قد أُلحِد  
في أولياء الله وغلا في دينه، وقد كان قلد شينامته وناله بسبب ذلك من سخط الأئمة  
ما نعوذ بالله منه، فقال المعز لدين الله لما ذكر ما صار حال هذا الرجل إليه: ما أُلحِد

(١) القصيدة الخامسة من ديوان المؤيد داعي الدعاة.

(٢) راجع كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ( نسخة خطية بمكتبتي الخاصة ) وكتاب  
كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الجبائي ص ٢١ وما بعدها .

(٣) راجع الشهرستاني .

(٤) راجع افتتاح الدعوة واستتار الامام وسيرة جعفر الحاجب .

أحد فينا ولا أراد إدخال النقص على شيء من أمرنا إلا ابتلاه الله في عاجل الدنيا ببلاد يكون نكالا ، ولعذاب الآخرة أخصى وأشد وأبقى .

ثم ذكر من تجاوز هذا الرجل وتعديه وما أدخل على الدين من الشبهة على ضعفاء المؤمنين ما يطول ذكره . قال : وتقرر عند المنصور بالله أنه يقول : عندنا من حكمة الله وعلمه ما نزيل به الجبال ولنا من أوليائنا في الدين من تزول السموات والأرض ولا يحول ولا يزول . فأعظم ذلك المنصور بالله من قوله وأحضر جماعة من الأولياء فذكر ذلك لهم عنه ولعنه . ثم قال المعز لدين الله : أعظم آيات موسى فلق البحر ، فهذا الشقي ادعى فوق ذلك لنفسه وهو ينسب إلينا ويدعى علينا ومذهبنا وقوننا ، نحن نبرأ إلى الله من دعواه وقوله ، وما ينسبه إلى نفسه ، أن ينسب إلينا وإلى من يتصل بنا . ثم قال : سمعت القائم بأمر الله يقول : إنما أراد الدعاة إلى النار الذين انتسبوا إلينا بما ينحلوننا إياه أنا نعلم الغيب وما تخفى الصدور ، وأشياء ذلك مما افتروه علينا ونسبوه إلينا أن يجعلوه عدة لتفاهم ... الخ (١) . وقال حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني : إن أعظم الفرق ضلالا لفرقة الغلاة ، ضلت وأضلت غيرها ، فانسلخت عن جملة أهل الدين والديانة ، (٢) ويقول المؤيد في الدين ، استعبدوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة ، وهم من طلائع الكفر والإلحاد شر طليعة ، يستوطنون مركب الإباحة ، ويميلون ميل الراحة ، ويمتحنون بكون الصلاة إشارة إلى حد من حدود الدين ، فإذا عرف سقطت الصلاة ، وأن الزكاة إشارة إلى مثله فإذا عرفت بطلت الزكاة ، وأن الصوم هو السكوت عن إفشاء سرهم إلى غير أهله ، فإذا هم سكتوا لم تبق لهم حاجة إلى الصوم واحتمال كده ، وأن النهي عن شرب الخمر هو النهي عن موالاة بعض الأضداد ، فإذا هم كفوا كان شربها حلالا سهل القياد ، ولا يزالون كذلك حتى يحلوا من تكاليف الشريعة كل عقد ، ويردوا من مهاوى الردى في تحليل المحرمات شر وورد ، وهؤلاء أضرب بالدين وبالمؤمنين بمن شهر سيفه وشرع رحمه إلى أمتهم بالبعضاء . ولم يزل من مضى من أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته إلى إمام الزمان برآء إلى الله تعالى بمن هذه سبيله سرا وجبرا ينشرون في صحف الحزبي على من دان دينهم . الخ (٣) فقولاً . الدعاة الذين نسبوا أنفسهم إلى الدعوة

(١) المجالس والسايرات ورقة ٨٦ م نسخة خطية بمكتبة الخاقانية

(٢) كتاب تنبيه الهادي والمتهدي نسخة خطية بمكتبة

(٣) المجالس المؤيدية

الإسماعيلية كانوا سببا في أن يذهب المؤرخون القدماء ومن تبعهم من المحدثين إلى فساد عقيدة الفاطميين ، ومن يتعمق في دراسة العقيدة الفاطمية كما جاءت في كتب دعواتهم وعلماهم — وهي الكتب التي لا يقربها إلا من بلغ درجة رفيعة في الدعوة — يرى الفاطميين براء من كثير مما نسب إليهم ، ولولا هذا التأويل الباطني الذي جعلوه قوام عقيدتهم لتساواوا مع غيرهم من المسلمين في كل شيء . ولما وجد خصومهم مطعنا في عقيدتهم .

والذي ألاحظه على عقائد الفاطميين أنها مزيج من مجموعة المذاهب والديانات القديمة التي عرفت وانتشرت في الأقطار الإسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من الشعوب المختلفة ، واستطاع الفاطميون أن يخضعوا هذه المذاهب والآراء القديمة للآراء الإسلامية وبصيغتها بالصيغة الإسلامية ، فالباحث يستطيع أن يتعقب أكثر عقائد الفاطميين ويردها إلى أصولها القديمة ، فمثلا قال قدماء المصريين بأن روح الملوك تنتقل إلى العالم العلوي وتصبح من الآلهة ، فقال الفاطميون إن روح الإمام تصبح ملكا من الملائكة وعقلا من العقول الروحانية المدبرة لعالم الكون والفساد، وذهب بعض فلاسفة اليونان إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يرى شيئا إلا بمساعدة ضوء الشمس أو القمر أو الشعل ، فقال الفاطميون إن العقل البشري في تبصره لا يستطيع الوصول إلى معرفة شيء . وإذراكه إلا بمساعدة خارجية تأتيه من الأئمة ، ومن أقوال فلاسفة اليونان أيضا أن النفس كانت صفحة بيضاء فإذا حلت في جسم نقش عليها ما اكتسبه الإنسان إن خيرا غير وإن شرا فشر ، فقال الفاطميون بهذه المقالة . وأخذ الفاطميون عن العبرانيين والبابلية القديمة عقيدة الأدوار السبعة ، وعن الأفلاطونية الحديثة مذهب الإبداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلي وخلق العالم بواسطة الكلمة ؛ مع خلاف أن الأفلاطونية الحديثة جمعت الكلمة هي العقل الكلي على حين قال الإسماعيلية بأن الكلمة هي السابق والتالي أي القلم واللوح وأنها هي كلمة كن من قوله تعالى ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، كما أخذ الإسماعيلية عن الأفلاطونية الحديثة الفيوضات ومراتبها بأن جعلها الإسماعيلية الحدود الروحانية والجسمانية ، وأخذوا عن أفلاطون نظرية المثل ، وعن الزرادشتية القديمة مذهب التخميم ، وعن الفيثاغوريين القدماء مذهبهم في التوحيد ، وجعل الأعداد أصولا لعقائدهم ، بل كان نظام دعوتهم

هو النظم الفيثاغورية عينها ، وهكذا يستطيع الباحث أن يرد كثيرا من الآراء والعقائد الفاطمية إلى أصولها الأولى بالرغم من صبغ هذه الآراء والعقائد بالصبغة الإسلامية ، حتى ليتوهم الباحث في كتبهم أن كل عقائدهم إسلامية لم يطرأ عليها أي علم أو رأي دخيل .

وخلاصة القول في العقائد الفاطمية أن الولاية هي محور هذه العقائد ، وأن فلسفتهم كلها تدور حول الإمام وتمجيده أكثر من أي شيء آخر ، وهم يعتقدون بكل ما يعتقد به غيرهم من المسلمين من موت وحياة وبعث ونشر ونواب وعقاب ، ويقومون بفرائض الدين ، ويحرمون ما حرمه الله ، ولا يقولون بالتعطيل أو الإباحة ، ولم يعتقدوا التناسخ أو الحلول أو التلاشي ، غير أنهم قالوا بأدوار الأنبياء ، فلكل نبي دوره ، ويأتي النبي الذي بعده ينسخ شرع النبي قبله ، فلما جاء دور محمد وهو سادس الأنبياء جمع الله له كل أدوار الأنبياء قبله ، فمحمد هو آدم وهو نوح وهو إبراهيم وهو موسى وهو عيسى ، وأن ما حدث في أدوار هؤلاء الأنبياء يحدث مثله في دور محمد ، وما حدث لأوصياء الأنبياء يحدث لوصي محمد والأئمة بعده وأولوا ذلك كله تأويلا يتفق مع عقيدتهم هذه ، ونراه واضحا في أشعار شعرائهم ورسائل كتابهم على النحو الذي نراه في باب الشعر من هذا الكتاب .



## الفصل الثاني

### مراتب الدعوة الفاطمية ومراكزها

رتب الفاطميون لدعوتهم نظاماً دقيقاً محكماً لا أكاد أجد له مثيلاً في تاريخ الدول والدعوات حتى في عصرنا هذا الذي عرف فيه للدعاية قدرها ومكانتها ، ولعل الفاطميين هم أول من أقاموا للدعاية مناصب رسمية في دولتهم ، ومن الحق علينا أن نذكر أنه كان للعباسيين نقباء يدعون لهم قبل أن يستولوا على الحكم ، ولكن هؤلاء النقباء لم يظهر لهم شأن بعد أن تم الأمر للعباسيين ، وكان للمعتزلة دعاة يدعون لأرائهم في الإفطار الإسلامية ، ولكن المعتزلة لم يكن لهم كيان سياسي ولم تكن لهم دولة لها حكومتها . أما الفاطميون فكان لهم نظم لدعوتهم قبل ظهور دولتهم على مسرح السياسة وبعد ظهورها ، بل لانزال هذه النظم قائمة إلى اليوم بين من ورث دعوتهم ، وهم المعروفون بالهجرة والمعروفون بالاسماعيلية الأغاخانية . وكما أنهم في تأويلهم الديني يطبقون نظرية المثل والممثل التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، كذلك نراهم قد طبقوا هذه النظرية أيضاً على نظم الدعوة أي أنهم أخذوا هذه النظم من المشاهدات المحسوسة أي من نظام دورة الفلك وتقسيم السنة إلى شهور وأيام وساعات ، فالسنة اثنا عشر شهراً والشهر ثلاثون يوماً واليوم أربع وعشرون ساعة منها اثنا عشرة بالنهار واثنا عشرة بالليل ، فكذلك قسمت مراتب الدعوة : فالسنة التي تجتمع الشهور والأيام مثل على النبي في عصره أو الامام الذي يجمع جميع مراتب الدعوة ، والاثنا عشر شهراً مثل على رؤساء الدعوة في الجزائر<sup>(١)</sup> ويسمون حجج الجزائر ، ولكل من هؤلاء الحجج ثلاثون داعياً أو

(١) قسم الفاطميون العالم إلى اثني عشر جزء ، ١ ، سما كل جزء بجزيرة أي لإمام . وحاولت أن أعرف هذه الجزائر دون قائدة ، وبذهب الأستاذ ابانوف ( هامس ١ ص ٢٠ من كتاب Rise of Fatimite ) إلى أن هذه الجزائر هي : العرب . الترك . البربر . الزنج . الحبشة . خزر ، الصين . فارس . الروم . الهند . الهند . الصقالية . ولكنني وجدت أن حميد الدين السكرماني كان يلقب بحجة العراقيين . ولم أجد العراقيين بين الجزائر التي ذكرها الأستاذ ابانوف . وكلمة جزيرة مأخوذة من الأصل ( جَزَرَ ) بمعنى قسم .

نقيا ، ولكل داع من هؤلاء الدعاة أربعة وعشرون داعيا مأذونا أو مكسرا .  
ولكل مرتبة من هذه المراتب عمل خاص به ، فالامام يختار من شيعته أقواهم لسانا  
وأصدقهم جنانا وأحججهم بالحجة وأغزرهم علما ، فيجعله في مرتبة داعي الدعوة أو  
باب الأبواب ، وهذه المرتبة أعلى مراتب الدعوة ، لأنها تلي مرتبة الامام مباشرة  
من الناحية المذهبية فهو المالك لجماعة الحجج والدعاة ، وإليه الاشراف على الدعوة  
في جميع الاقطار ، وقد وصف أحد علماء المذهب هذه المرتبة بقوله : وحد الباب  
هو من الحدود الصفوة واللباب ، فهو أفضل الحدود ، وهو حد العصمة ، ولا ينتهي  
إلى ذلك إلا الآحاد والأفراد (١) ، وقال آخر : هو باب صاحب الزمان الذي  
يؤتى منه إليه ، وحجته على الخلق ، وحامل علمه ، وصاحب دعوته ، (٢) فنسبة الحججة  
إلى الإمام كنسبة الوصي إلى الناطق ، والحجة هو صاحب التأويل في عصر الإمام فهو  
الذي يعقد مجالس الحكمة ، ويتلو على المستجيبين علوم أهل البيت أى علم الباطن .  
ولكل إقليم أو جزيرة من الجزائر التي قسموا إليها العالم حجة هو كبير دعاة الإقليم  
والمشرف على الدعوة فيه ، وهو الذي ينوب عن باب الأبواب في عقد مجالس  
الحكمة وتلاوة المجالس ، وهذا الحججة على صلة وثيقة بباب الأبواب الذي اختاره  
الإمام ، ولكي ندرك مكانة حجة الجزيرة هذا في نفوس أتباعه أنقل ما كتبه  
أحدهم وهو المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في سيرته وهو يحدث الوزير  
بشيراز : « معلوم ما بيني وبين الديلم من الأحوال الممهدة ، والأسباب المؤكدة ، وأن  
أحدهم إذا اختصم مع أهله ليلا فإنه يباكرني شاكيا إلى ، ومورد اجملة أمره وتفصيله  
على ، (٣) فكانة حجة الجزيرة في جزيرته لا تقل عن مكانة الوالى أو القاضى ؛ ولكل  
حجة جزيرة ثلاثون داعيا نقيا يقومون بهداية الناس وبث الدعوة في نفوس  
المستجيبين ، وهم الذين يقاتحون الذين دخلوا في الدعوة بالعلم بعد أن يأخذوا عليهم  
العهد والميثاق ، وهم الذين يجمعون النجوى منهم ويكون أمرهم لحجة الجزيرة ، ولكل  
نقيب من هؤلاء النقباء أربعة وعشرون داعيا مأذونا مكسرا ، وهو الداعي الذي  
يشكك المسلمين في عقائدهم المذهبية ويوقع الوهم في نفوس المتدينين أنهم على

(١) رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف رجب (مخطوط رقم ٢٥٧٤٠  
بمدرسة اللغات الشرقية بلندن) .

(٢) هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ١٥٣ (مخطوط بمكتبتي الخاصة)

(٣) السيرة المؤيدية من مطبوعات دار الكاتب المصرى .

ضلال ، ولا يزال بهم حتى يطلبوا إليه أن يدلهم على الصواب المبين ، ولكنه يحاورهم ويداورهم حتى إذا وثق من اقتناعهم بأنهم على ضلال أحاطهم على الداعي أو التقيب الذي يبدأ في مفاتحتهم بأسرار الدين شيئا فشيئا بعد أن يأخذ عليهم العهود والمواثيق ، وهكذا يصبح المستجيب أو الطالب في زمرة الدعوة ، ومن ذلك يتبين أن الداعي المأذون هو الذي يكامر الناس بأن يحطهم بأسئلة لا يستطيعون الإجابة عنها ، ولذلك يشترط في من يتولى هذه المرتبة أن يكون على علم وافر بمذاهب الفرق الإسلامية جميعها ، وموضع الضعف في كل مذهب من المذاهب ، وأن يكون متمكنا من أصول مذهبه ، وأن يكون لسنا مجادلا ، وقد حدد الفاطميون الصفات التي يجب أن تتوفر في الداعي ، نلخصها في سعة العلم والثقافة وشدة التقوى والورع والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية ، وأن يكون حسن السياسة مع من يتصل بهم ولا سيما أتباعه ، وهذه المرتبة هي أقل مراتب الدعوة فما بالك بالشروط التي يجب أن تتوفر في مراتب الحدود التي هي أعلى شأنًا من مرتبة المكامر .

ويحدثنا الداعي أحمد حميد الدين الكرمانى في كتابه راحة العقل عن الحدود الجسمانية الذين إليهم أمر الدعوة ورتبهم بالترتيب الآتى . -

- ١ - الناطق وله رتبة التنزيل
  - ٢ - الأساس وله رتبة التأويل
  - ٣ - الإمام وله رتبة الأمر
  - ٤ - الباب وله رتبة فصل الخطاب
  - ٥ - الحججة وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا
  - ٦ - داعى البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد
  - ٧ - الداعى المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية
  - ٨ - الداعى المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة
  - ٩ - المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق
  - ١٠ - المأذون المحدود الذى هو المكامر وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة (١)
- هكذا ذهب الكرمانى في ترتيب الحدود الجسمانية ولكنه نساها عن الطريفة التي رتبها هذه الحدود بعد وفاة الناطق والأساس ولا سيما وقد ذكر الفاطميون

(١) المشرع السادس من السور الرابع من كتاب راحة العقل (مطبوعات الجمعية الاسماعيلية

في كتب الدعوة أن الإمام يقوم مقام الناطق بعد وفاته ، ثم تتساءل مرة أخرى عن مرتبة الإمام في عهد الناطق إذ المعروف أن الناطق له جميع المراتب وأن الإمامة كانت له فما معنى وجود الإمام مع وجود الناطق

وضع هذا النظام للدعاة بحيث لا يخلو بلد من دعائهم . وفي ذلك قال المعز لدين الله الفاطمي : إن أكثر الناس يجهلون أمرنا ، ولا يظنون أنا لا نعني إلا بمن شاهدناه وكان محضرتنا ، ولو كان ذلك لسكتنا قد ضيعنا من بعد عنا ، وقد أوجب الله على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا واتباع أمرنا والهجرة والسعي إلينا من قرب ومن بعد ، ولسكتنا للرافة بهم ولما نرجوه ونحبه من هدايتهم قد نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم إلينا ويهدمهم علينا ، (١) .

وبالرغم من أن الدعوة كانت سرية قبل العصر الفاطمي وكان الأئمة ودعائهم يتخذون الستر تقيه على أنفسهم خوفاً من بطش العباسيين فقد استطاع الباحثون المحذون بفضل الكشف عن بعض مخطوطات الفاطميين أن يعثروا على أسماء بعض الدعاة الذين كانوا في دور الستر الأول ، نذكر من هؤلاء الدعاة الحسين بن حوشب ابن زاذان الملقب بمنصور اليمن ، وهو الذي أوفده الإمام الثالث من أئمة دور الستر — الحسين بن أحمد بن عبد الله — للدعوة باليمن ، وهو الذي أوفد تلميذه أبا عبد الله الشيعي داعية إلى المغرب (٢) . ومنهم الداعي فيروز وكان داعي الدعوة في زمن المهدي قبل ظهوره بالمغرب ، وكان من أجل الناس عند الإمام ومن أعظمهم منزلة والدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده ، وهو باب الأبواب إلى الأئمة (٣) ، ومنهم أبو جعفر الجزري وكان له أيضا محل جليل عند المهدي لأنه كان من كبار الدعاة ، ووكله المهدي بالحريم عندما فر من سلمية (٤) ، وتوفي هذا الداعي برفادة بعد أن فتحها المهدي . وكان الداعي بمصر في وقت فرار المهدي إلى المغرب رجلاً يعرف بأبي علي الداعي ، وكان رأس الدعوة بمصر وأبو علي هذا هو الذي ذكره جعفر بن منصور اليمن في كتابه ، الفترات والقرانات ، ملقباً بالشيخ الأجل المقيد وهو أحد تلاميذ فيروز وزوج ابنته (٥) وانجب ابنته محمداً أبا الحسين بن أبي علي الداعي

(١) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ورقة ١٠٥ B مخطوط .

(٢) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان نسخة خطية .

(٣) سيرة جعفر الحاجب نشرت بمجلة كلية الآداب ، الجزء الثاني من المجلد الرابع ، عدد

ديسمبر سنة ١٩٣٦ . (٤) المصدر السابق . (٥) المصدر السابق .

الذى بلغ مع الأئمة المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله المحلل الجليل العظيم وكلا داعي الدعاة (١) ، وجاء في كتاب استنار الإمام أن عددا من الدعاة اجتمعوا للبحث عن الإمام المستور ، وهم ابو غنير وأبو سلامة وأبو الحسن ابن الترمذى وحياد الخنعمى وأحمد بن الموصلى وأبو محمد الكوفى (٢) وهؤلاء جميعا لا نعرف عنهم شيئا . أما في دور الظهور - الذى يبدأ بظهور المهدي بالمغرب إلى انقراض الدولة الفاطمية - فقد وصلت إلينا أسماء عدد كبير من الدعاة كما وصلت إلينا بعض كتبهم (٣)

قلنا: إن من أهم أعمال داعي الدعاة هو عقد مجالس الحكمة والتأويلية لقراءة علوم أهل البيت على جمهور المؤمنين ، فأتخذت مراكز لإلقاء هذه المجالس التأويلية ، ولعل أهم هذه المراكز في مصر هي :

(١) المساجد (٢) القصر (٣) دار العلم

١ - المساجد : كانت المساجد تقوم مقام المدارس والجامعات في أيامنا الحديثة ، فقد كان الناس يتحلقون في المساجد حول العلماء يستمعون إلى ما يلقىه هؤلاء عليهم من علوم وآداب على النحو الذى نراه إلى الآن في بعض المساجد في مصر ، فالمساجد على هذا النحو لم تكن مكانا لإقامة الشعائر الدينية لحسب بل كانت دور علم أيضا . وعرف الفاطميون هذه الحقيقة فلم يتوانوا في اتخاذ المساجد مجالا لنشر دعوتهم الدينية وبث عقائدهم المذهبية ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله أكثروا من بناء المساجد وجعلها تتناسب مع عظم ملكهم أولا وما أرادوه من اتخاذها وسيلة من وسائل نشر دعوتهم ثانيا ، لذلك نرى القائد جواهر الصقلى عند ما وضع أساس مدينة القاهرة لم يفس أن يبني مسجده العتيد - الجامع الأزهر - أنشأه بأمر مولاة الإمام المعز لدين الله ، وشرع في بنائه في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة (٤) وتم بناؤه لتسع خلون من رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، ثم جدد فيه العزيز بالله والحاكم بأمر الله

(١) المصدر السابق ص ١١٤ .

(٢) استنار الإمام ، نشر مجلة كلية الآداب بالجزء الثانى من المجلد الرابع عدد ديسمبر

سنة ١٩٣٦ ص ٩٣ .

(٣) راجع مقدمة كتاب المجالس المستنصرية .

(٤) خطط القرينى ج ٤ ص ٤٩ (طبع مطبعة النيل) .

الذي وقف عليه رباعاً بمصر ، ثم جدد المستنصر بالله والحافظ لدين الله الذي انشأ فيه مقصورة بجوار الباب الغربي ، وهكذا كان هذا المسجد في العصر الفاطمي محل رعاية الأئمة وعنايتهم ، فلم يقصروا في تجديده والزيادة فيه ، حتى قيل إنه كان يصدر في محرابه منطقة فضة قلعها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩ هـ فكان وزنها خمسة آلاف درهم سوى قناديل الفضة وتمورين من الفضة ، ووقفوا المؤذنين وخدمه ووسائل نظافته وإنارته وفرشه ما هو مذكور في كتب التاريخ ، والذي يهمننا الآن هو أن الفاطميين كانوا يشجعون العلماء والفقهاء للتجليل في هذا المسجد العتيق واتخذوا منه جامعة علمية ، فقد بحث أقدم جامعة عرفها التاريخ ، ففي هذا المسجد اتخذت الدعوة الفاطمية مكاناً لها بين أماكن أخرى ، ففيه عقد أول إجتماع بمصر للاحتفال بعيد الغدير - وفي ذلك يروي المقرئ عن المسيحي أنه في يوم الغدير ثمانية عشر من ذي الحجة سنة ٣٦٢ هـ اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيماً أقاموا إلى الظهر ثم خرجوا إلى القصر فخرجت إليهم الجائزة وكان هذا أول ما عمل بمصر (١) ، وبالجامع الأزهر كان داعي الدعاء يعقد مجلساً للنساء يلقي عليهن شيئاً من علوم أهل البيت (٢) وفيه جلس القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان وابتدأ في قراءة كتاب جده ، اختلاف أصول المذاهب (٣) ويذهب المقرئ إلى أن أول ما عرف من إقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله زار ، وعمل ذلك بالجامع الأزهر (٤) ، ويقول القلقشندي إن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله في حمله رزق جماعة من العلماء كانوا بمسجد القاهرة وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق وبنى لهم داراً بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا في الفقه ، وأبو يعقوب قاضي الخندق رئيس الحلقة والملق عليهم إلى وقت العصر وكانوا سبعة وثلاثين نفراً (٥) ، وجاء في خاتمة النسخة الخطية من رسالة مباهم البشارات . وتمت رسالة مباهم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين عليه السلام وصلواته وبركاته وتحياته على رسوله وخيرته من خاتمه محمد وآله الأئمة الطاهرين وهي الرسالة التي كتبها علي بن حسين بن أحمد الأصبهاني المؤذن بالجامع الأزهر عن داعي

(١) المقرئ المخطوط ٢ ص ٢٢٣ . (٢) خطط المقرئ ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) رفه الإصر ص ٧٣ . (٤) خطط المقرئ ٤ ص ١٩٢ ، ٢ ص ٢٢٢ .

(٥) صبح الأعشى ٣ ص ٣٦٦ .

احمد بن عبد الله بن محمد الكرمانى مؤلفها قدس الله روحه ، كتبت من نسخته وقرأت عليه وعلى جمهور المؤمنين (١) ويحدثنا الكرمانى فى مقدمة هذه الرسالة أنه وفد إلى مصر — ويحيل إلى أنه جاء مصر إبان ثورة الدرزي — فاضطر إلى تأليف هذه الرسالة وقراءتها على الناس فنقلها عنه مؤذن الجامع الأزهر . فهذا كله يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الفاطميين اتخذوا من المسجد الجامع الأزهر مركزا من مراكز دعوتهم ومعهدا تلقى فيه علوم أهل البيت .

وهنا نقف لتسامل ، هل كان هذا المسجد معهدا لتعليم الدعوة الفاطمية لحسب فلا نجد أثر الحلقات الشافعية والمالكية والحنفية ؟ يحيل إلى أن الفاطميين كانوا يتسارعون مع علماء أهل السنة بأن أذنوا لبعض فقهاء أهل السنة أن يلقي دروسه وتعاليمه فى الجامع الأزهر ، فقد قيل إنه فى سنة ٣٨٣ هـ رتب رجل جمعوى للجلوس فى الجامع للفتوى على مذهب أهل البيت فتشعب عليه الفقهاء من أهل الجامع ، فبلغ القاضى ذلك فقبض على بعضهم (٢) فمن هذا النص نستطيع أن نتبين أنه كان بالجامع فقهاء يخالفون العقيدة الفاطمية ، وأنهم كانوا يفتون على حسب مذهبهم وعقيدتهم ، فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الفاطمى شعبوا عليه فاضطر القاضى إلى أن يقبض على بعضهم لاشئ سوى أنهم لم يتسارعوا مع هذا الفقيه مثل ما تساحت الدولة معهم . ويروى أيضا أن الحاكم بأمر الله أمر بطلب فقيهين وأمرهما بتدريس مذهب مالك فى الجامع ثم بدا له فقتلها بعد ذلك (٣) . أضف إلى ذلك أن مصر شهدت فى العصر الفاطمى عددا من فقهاء الشافعية والمالكية ، كذلك وفد على مصر عبد السلام بن محمد ابن بندار أبو يوسف القزوينى شيخ المعزلة وأقام بها أربعين سنة (٤) يلقي تعاليمه التى تخالف تعاليم الفاطميين ، وسنتحدث عن ذلك كله فى الفصل الخاص بفقهاء أهل السنة ، وإذن نستطيع أن نقول إن الفاطميين كانوا يسمحون لاصحاب المذاهب الأخرى بإلقاء تعاليمهم بجانب ما كان يلقي من تعاليم الفاطمية . وقد تكون هذه سياسة وضعت لأن تقام المناظرات بين علماء هذه المذاهب وبين دعاة الفاطميين حتى يستطيع جمهور المستمعين أن يتبينوا بعض المآخذ على المذاهب غير الفاطمية وأن يقتنعوا بحجج الدعاء وأدلتهم وتبرهم فصاحتهم فدخلوا فى الدعوة .

(١) رسالة مباسم البشارت : نسخة خطية بمكتبى الخاصة .

(٢) السكندى ص ٥٩٤ . (٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٨ .

(٤) المصدر السابق ج ٥ ص ١٥٦ .

وإلى جانب الجامع الأزهر نرى الفاطميين قد بنوا جامع الحاكم خارج باب الفتوح وجامع راشدة وجامع المقس وجامع القرافة والجامع الأحمر وكثيرا من المساجد التي لا يزال بعضها ماثلا أمام أعيننا الآن ، وقد نقل الفاطميون إليها المصاحف وجلس فيها الفقهاء والعلماء ودعاة المذهب الفاطمي فكانت هذه المساجد بمثابة مدارس لتلقي الدعوة الفاطمية .

٢ - القصر : يحدثنا القاضي النعمان بن محمد بأنه لما فتح المعز لدين الله (ص) للدومنين باب رحمة وأقبل عليهم بوجه فضله ونعمته أخرج إلى كتابا من علم الباطن وأمرني أن أقرأه عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه ، فكثرت ازدحام الناس وغص بهم المكان ، وخرج احتفالهم عن حد السماع وملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه (١) .

وفي موضع آخر قال القاضي النعمان : وسمعت صلي الله عليه (أى سمع المعز) يقول لبعض الأواباء : ما تنظرون اليوم في شيء تنتفعون به ، ما تقرمون شيئا ، ما تسمعون شيئا ؟ فسكتوا ، وكنت قبل ذلك قد سمعت بعضهم يحرض بعضا في الاجتماع لقراءة كتاب دعاتهم الإسلام الذي بسطه المعز لدين الله (ص) وجعله في مجلس من مجالس قصره ، وأباح لهم حتى أحبوا استماعه وقراءته وانتساخه والتعلم منه والتفقه فيه ، وقال بعض من حرض على ذلك : ويحك أما تخافون إن قصرتم في هذا أن يكون حجة من الله ومن وليه عليكم أن يختبركم فيه ، وقد أباحه لكم دهرًا طويلا فيختبركم فيه أو في بعض أبوابه فلا يجردكم حفظكم شيئا منه ولا انتفعتم به ، فيقال لكم إذا كنتم لم تقوموا بما أعطيناكم من ظاهر دينكم الذي تعبدكم الله بالقيام به فكيف ينبغى لنا أن نعطيكم من باطنه (٢) .

ولعل هذه القاعة التي أشار إليها النعمان والتي ألقى فيها هذا العلم الباطن هي المسكان نفسه الذي خصصه الفاطميون للدعوة وعرف باسم المحول . فكان المحول في العصر الفاطمي أشبه شيء بقاعات المحاضرات العامة في عصرنا الحديث ، وكان يوم المحول الخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصر والطارئون على مصر وعامة الناس (٣) ، وهكذا جعل الفاطميون جزءا من قصرهم للدعوة لمذهبهم ، ومكانا

(١) المجالس والمساربات ورقة ٦٨ ب .

(٢) المجالس والمساربات ج ٢ ص ١٢٣ - ١٣٤ .

(٣) خطاط القرظي ج ٢ ص ٢٢٦ .



يلقى فيه العلماء والدعاة علوم أهل البيت ، وهي المجالس التي عرفت بمجالس الحكمة  
والنأويلية . ولم يكتف الأئمة الفاطميون بأن يكون المحول في قصرهم بل نراهم  
يهتمون اهتماما خاصا بمكتبة القصر حتى عدت هذه المكتبة من مفاخر الفاطميين ،  
فقد تميزت عن جميع مكتبات العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ويقول المقرئ  
نقلا عن ابن أبي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين الأيوبي على القصر : « ومن  
جملة ما باعوه خزانة الكتب ، وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال إنه لم يكن في جميع  
بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ، ومن عجائبها أنه  
كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري إلى غير ذلك ، ويقال إنها كانت تشتمل  
على ألف وستائة ألف كتاب (١) . ويقول المقرئ : « وما يؤيد ذلك أن القاضي  
الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة القاضية بالقاهرة جعل فيها من كتب  
القصر مائة ألف مجلد (٢) . ويروي عن المسبحي أن عدة الخزائن التي برسم الكتب  
في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة بعضها داخل القصر لا يتوصل إليها أحد  
وبعضها في خزائن القصر البرانية . وكانت هذه الخزائن تشتمل على مجلدات في كل  
فن من فنون العلوم الإسلامية ، فن فقه على سائر المذاهب إلى نحو ولغة وكتب  
حديث وتاريخ ونجامة ، وروحانيات وكيمياء غير المصاحف الكثيرة ، ويقال إن  
العزير بالله ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دقائه فأخرجوا  
من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل نفسه ، وحمل  
إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزير خازنه  
فأخرج له من الخزانة ما يثيف عن عشرين نسخة منها نسخة بخط ابن جرير . الخ (٣)  
وهكذا كانت خزانة كتب القصر . ولعلنا نستطيع أن ندرك من هذه اللوحة القصيرة  
مدى عناية الخلفاء الفاطميين باقتناء الكتب في كل فن وحرصهم على أن تجمع  
خزائنتهم الطرائف والنفائس في كل علم ، وذلك تشجيعا منهم للعلم والعلماء . ولا  
غرو في ذلك ، فإن مذهبهم الديني يدعو إلى العلم والعمل وإلى الاستزادة من جميع  
العلوم والآداب ، حتى يتسنى لدعاتهم أن يكامروا خصومهم بأدلة علمية ، وأن  
يتخذوا من سعة أفقهم ومداركهم وثقافتهم مجالا يجلون فيه حتى يتزوا غيرهم . فلا  
نعجب إن رأينا داعيا من دعاتهم مثل هبة الله بن موسى الشيرازي المعروف بالمؤيد

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٥٥ . (٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٣ .

في الدين كان يلم بجميع ألوان العلوم التي كانت معروفة في عصره ، واستطاع بما حصله من علم أن يرد على جميع المذاهب والفرق الإسلامية ، وأن يدحض رأى الزنادقة المارقين أمثال ابن الراوندي والثغوري ، وأن يناظر بعض الشاكين أمثال أبي العلاء المعري ، وأن يجادل خصومه هؤلاء بأدلة علمية منطقية وحجج قوية ، فلو لا ما أوتيته من علم لما استطاع أن يعرف مواطن الضعف عند هؤلاء جميعا فيها جهم ويدحض حججهم نثرا وشعرا ويترك لنا هذه الذخيرة في مجالسه وديوانه ونستطيع أن نقول كذلك عن الداعي أحمد حميد الدين الكرمانى وعن الداعي أبي حاتم الرازى وعن السجستاني وغيرهم من تحول دعاة المذهب الذين تم على أيديهم فلسفة المذهب وتبلورت عقائده .

لكن هذه الكنوز العلمية من نفائس الكتب التي حافظ عليها الفاطميون في قصرهم أصابها ما أصاب الفاطميين أنفسهم ، وكان ابتداء هذه المحنة التي نكبت بها مكتبات القصر إبان الشدة العظمى التي حلت بالبلاد أيام المستنصر بالله الفاطمي وقد شاهد المسيحي المؤرخ المصري شيئا من هذه المحنة وصفها بقوله ، وكنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبها محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لها عما يستحقانه وغلماهما من ديوان الجليلين ، وأن حصة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جارى بمالبيكة وغلماها بخمسة آلاف دينار ، وذكر لي من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ، ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة ابن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كديشة وغيرهما ، هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحرق بالأسكندرية ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب ، وسوى ما ظفرت به لوانة محمولا مع ما صار إليه بالاتباع والغصب في بحر النيل والإسكندرية في سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم ، وأحرق ورقها تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان

أعز الله أنصاره ، وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم ، سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار وبقى منها ما لم يحرق ، وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب<sup>(١)</sup> هذا ما عاينه هذا المؤرخ المصرى الكبير وذكره في كتبه ، وعنه أخذ من جاء بعده عن هذه الذخيرة العلمية ومقدار ما أصابها إبان الشدة المستنصرية من تلاعب الوزراء والحدم بعد أن ضعف أمر الخلافة الفاطمية وأصبح الوزراء والأمراء أصحاب الحول والطول في البلاد ، ومع ذلك كله بقي في مكتبات القصر عدة آلاف من الكتب ، ويحدثنا ابن ميسر أنه وجد في ثروة الأفضل بن بدر الجمالي خمسمائة ألف مجلد من الكتب<sup>(٢)</sup> لأشك أن أكثرها كان في خزائن القصر وأبادهها صلاح الدين الأيوبي كما أباد دولة الفاطميين وقد ذكرنا ما أخذه القاضي الفاضل من خزائن القصر لمدرسته الفاضلية ، ويذكر المقرئى أن ابن صورة دلال الكتب باع منها جملة في مدة أعوام<sup>(٣)</sup> وكذا ضاعت كتوز الفاطميين العلمية بيد التعصب المقوت .

كان في هذه الخزائن كتب الدعوة وما ألفه الأئمة وكانت هذه الكتب مما يحافظ عليه الفاطميون أشد المحافظة حتى لا يصيبه الفساد ، ويحدثنا منصور الجوزرى الكاتب أن المنصور بالله أرسل إلى جوذر الصقلي رسالة نسختها : وبعث إليك كتي وكتب الأئمة آبائي الطاهرين ، وقد ميزتها فأقررها عندك مصونة من كل شر ، فقد وصل الماء إلى بعضها فغير فيه ، وما من الذخائر شيء هو أنفس عندى منها فأمر محمداً كاتبك يذسخ لك منها ثلاث كتب ففيها من العلوم والسير ما يسرك الله به<sup>(٤)</sup> فهذا يدل على شدة العناية التي كان يوجهها الفاطميون إلى كتب الأئمة وهي كتب الدعوة ومحافظتهم عليها . فلا شك أن مثل هذه الكتب العزيزة لديهم كانت تحفظ داخل القصر فلا يقرها إلا الأئمة والدعاة فقط ، أما المكتبات التي عبر عنها المسبحى و بالبرانية ، فأرجح أنها كانت كالمكتبات العامة في عصرنا هذا ، ولا سيما في تلك الأيام التي كان يجتمع فيها الناس بالقصر لسماع مجالس الحكمة التأويلية .

فهذه المكتبات التي كانت في القصر لعبت دوراً هاماً في الدعوة ونشرها ،

(١) خطاط المقرئى ج ٢ ص ٢٥٤ . (٢) أخبار مصر لابن ميسر ص ٥٧ .

(٣) خطاط المقرئى ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) سيرة الأستاذ جوذر ، نسخة خطية بمكتبي الخاصة .

فحرص الفاطميين على إفتناء الكتب على اختلاف فنون العلم والآداب ، وشغفهم بالمحافظة عليها ، سهل للدعاة الاطلاع وإدمان النظر فيها ، والمجادلة فيها بينهم ، والمناظرة في هذه العلوم حتى يتخذوا منها وسيلة لغايتهم ، وسلاحا من أسلحة دعوتهم . حقا لم يذكر لنا القدماء أن الفاطميين استخدموا هذه المكتبات التي كانت بالقصر في خدمة الدعوة ، فلم يعقد فيها الدعاة مجالس الحكمة ، ولكن هذه الكتب الكثيرة لم توجد في القصر عينا ، ولم يحافظ عليها الفاطميون ليباعوا بها غيرهم ومنافسيهم فحسب ، بل كانت أداة من أدوات تثقيف الدعاة وتعليمهم حتى تكون لديهم ذخيرة علمية للقيام بما تفرضه عليه طبيعة عملهم ، ولا سيما هذه الكتب التي كانت في داخل القصر والتي لا يقربها إلا الخاصة ، وهي الكتب التي فلنا إنها كتب الأئمة أى كتب الدعوة ، فكيف يتأتى للداعي أن يقوم بما فرض عليه من الدعوة إلا بمعرفة هذه الكتب ودراسة ما فيها دراسة كاملة شاملة ، ولا سيما أن الداعي كان عرضة دائما للمجادلات والمناظرات مع علماء المذاهب الأخرى المخالفين لمذهبه ، وقد ذكرنا شيئا من صفات الداعي العلمية ، وما يجب أن يكون عليه من سعة الاطلاع والإلمام بمذهبه ، وإذن فلنا أن نقول إن هذه المكتبات التي كانت في القصر استخدمت في الدعوة من طريق غير مباشر . وهكذا استخدم القصر في العصر الفاطمي في نشر الدعوة الفاطمية بمحوه ومكتباته ، وفي المحول كان يجتمع الناس لسماع المحاضرات - مجالس الحكمة التأويلية - وكان الجمهور يقسم إلى أقسام فكان الأولياء مجلس ، وللخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصر مجلس ، ولعوام الناس مجلس ، وللطائرين مجلس وللنساء مجلس (١) ، وهكذا ، وستحدث عن ذلك في فصل مجالس الحكمة التأويلية .

دار العلم : ومن مآثر الفاطميين تلك الدار التي أنشأها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ وسماها بدار العلم وجعلها جزءا من قصره ، ولعلها هي الخزانة التي أشار إليها المسبجى باسم الخزانة البرانية ، وقد حمل إلى هذه الدار الكتب من خزائن القصر من سائر العلوم والآداب ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك ، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها مجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء ، فكان ذلك من المحاسن المأثورة التي لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه

(١) خطاط القرظي ج ٢ ص ٢٢٦ .

وغيره ، وحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم وفنونهم العلمية ، فهم من محضر لقراءة الكتب ، ومنهم من محضر للنسخ ، ومنهم من محضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق (١) ، فدار العلم إذن كانت مكتبة عامة على نحو ما نراه اليوم في المكتبات العامة ، ولكنها بجانب ذلك كانت جامعة علمية للتعليم ، وكثيرا ما كانت تقام المناظرات بين علمائها . من ذلك ما يرويه السيوطي أن جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي أبا أسامة اللغوي النحوي قدم مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد وأبا إسحاق علي ابن سليمان المعري النحوي ، وكانوا يجتمعون في دار العلوم بالقاهرة وتجري بينهم مباحثات ومذاكرات (٢) . ويروي المقرئ عن المسيحي أنه في سنة ٤٠٣ هـ أمر الحاكم بإحضار جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد ، وجماعة من الأطباء إلى حضرته ، للمناظرة بين يديه ، وكانت كل طائفة تحضر على انفراد ، ثم يخلع الحاكم على الجميع ويصلهم (٣) .

ومن أشهر العلماء الذين ألقوا بعلومهم في دار العلم رجل مكشوف يقال له أبو الفضل جعفر ، قدم مصر فأعجب به الحاكم وخلع عليه ، ولقبه بعالم العلماء ، وجعله يجلس في دار العلم يدرس النحو واللغة (٤) ، ومنهم أبو بكر الأنطاكي الفقيه المالكي الذي سمح له الحاكم والشيخ مالكي آخر أن يقيم بدار العلم ويلقي دروسا في المذهب المالكي (٥) . فهذا كله إن دل على شيء فإنه يدل على أن دار العلم كانت بمثابة جامعة فيها أساتذتها ومهاجرتيها ، وفيها كل ما يبعث على النشاط العلمي والبحث والتحصيل ، فالقائمون بإنشائها الجامع الأزهر ودار العلم كانوا أسبق الناس إلى إنشاء الجامعات التي تمتاز بها المدنية الحديثة في أيامنا هذه !

جعل الحاكم بأمر الله النظر على دار العلم إلى عبد العزيز بن محمد بن النعمان قاضي القضاة (٦) ، وظلت تؤدي أغراضها العلمية ، ويقبل عليها الطلاب والعلماء من كل صوب ، إلى أن كانت أيام وزارة الأفاضل بن بدر الجمالي ، وعلم الوزير أن جماعة من المترددين على دار العلم يحاولون بث دعوة إلحادية بين الطلاب . وأن بعضهم ادعى الألوهية ، فأضطر الوزير إلى أن يعلق هذه الدار سنة ٥١٦ هـ بعد أن عمرت

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٤ . (٢) بقية الوعاة للسيوطي ص ٢١٣ .

(٣) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٤) رفع الإصر (ص ١٩ هـ) نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

(٥) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٢ . (٦) الولاية والقضاة للسكندى ص ٦٠٠ .

أزيد من قرن ، وكان إغلاق هذه الدار العلوية وقع وقع الصاعقة على الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله وعلى بعض العلماء الذين كانوا في خدمته ولكن الخليفة كان مسلوب الإرادة مع وزيره ، فصبر على مضض ، حتى قتل الأفاضل وتولى الوزارة المأمون البطامشي ففأتمه الأمر في إعادة دار العلم على ما كانت عليه ، وما زال الخليفة بوزيره حتى قبل أن يعيد افتتاحها بشرط أن تكون بعيدة عن القصر ، وأن يتولاها رجل دين ، وأن ينظر فيها الداعي ابن عبد الحقيق ، وأن يقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن . فوافق الخليفة الأمر على ذلك كله ، واستخدم في هذه الدار الجديدة أبو محمد حسن بن آدم (١) ، ولكن هذه الدار الجديدة لم تعمر طويلا إذ قضى عليها بالقضاء على الدولة الفاطمية .

كانت دار العلم من مراكز الدعوة الفاطمية ، فكان الداعي يجلس فيها ويجتمع إليه من التلاميذ من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم (٢) ، كما كانت هذه الدار المسكن الذي يجتمع فيه داعي الدعاة بالدعاة والفقهاء لتنظيم أمور الدعوة (٣) . ومن يدري لعل في دار العلم كانت تحضر مجالس الحكمة التأويلية التي كان يلقيها داعي الدعاة نائبا عن إمامه .

ومهما يكن من شيء فالقصر والمساجد ودار العلم كانت أبرز مراكز الدعوة في العصر الفاطمي . ولما كانت هذه المراكز في القاهرة كان في كل بلد من البلدان مركز للدعوة هو المسجد أو منزل الداعي في هذا البلد . يحدثنا المؤيد في الدين وكان داعيا في أول الأمر بشيراز : « فلما كان يوم عيد الفطر من سنة تسع وعشرين وأربعمائة كنت ييوم قبله مستعدا له في تحصيل فرش وآلة وسجادات يصلي عليها المصلون ولا يستغنى عنها المتعبدون ، فرفع الخبر بأنني أستجمع الجموع للصلاة والخطبة في غد وأضرب في ساحة داري المضارب والغازات ولما كان في غد وهو العيد اجتمع الخلق الكثير من الديلم للصلاة فصليت بهم ، فلما أتممت عكفت عليهم بالوعظ والإنداز . . الخ (٤) فالداعي هنا كان يتخذ منزله مركزا للدعوة ولكنه كان في بلد يخضع لحكم العباسيين ، أما في مصر فقد كانت الدعوة ظاهرة مكشوفة تؤيدها الدولة بما لها وسلاحها ، فكان الدعاة يتخذون المنازل والمساجد للدعوة دون خشية ، وفي المساجد كانوا يلقون بمجالسهم التأويلية .

(١) المقرئ ج ٢ ص ٣٣٧ . (٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٣) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٦٦ . (٤) الدبرة المؤيدية .

## الفصل الثالث

### مجالس الحكمة التأويلية

من أجل أعمال داعي الدعوة ونوابه في الجزائر عقد مجالس الحكمة التأويلية ، أو بعبارة أخرى إلقاء محاضرات على جمهور المؤمنين بدعوتهم ببشم فيها الداعي عقائد مذهبهم والتساؤل الباطن للدين ، وهي العلوم التي عرفت بعلوم أهل البيت ، والتي هي السر الذي يجب أن يظل مدفوناً في صدور الأولياء لا يبوحون به لأحد ، فكل المجالس التي عقدها الدعوة هي مجالس تعليمية ، ولكن لهذه المجالس درجات ، ولكل طبقة من المؤمنين مجلس خاص كما ذكرنا من قبل ، فللعامة مجلس ، وللنساء مجلس ، وللخاصة مجلس ، وهكذا. ولم تقسم هذه المجالس على حسب الطبقات الاجتماعية لجمهور المؤمنين ، إنما قسمت على حسب مرتبة الحاضرين في مدارج الدعوة ، فلا يلقى داعي الدعوة على دعائه ما يلقيه على المتقدمين في دخول الدعوة ، ولا يلقى على العامة من أهل البلد ما يلقيه على الغرباء ، فلكل طبقة من هذه الطبقات أسلوب خاص ، وعلوم خاصة ، بحيث ينتهي إلى أسرار الدعوة التي يجب ألا يقربها إلا كل ذي قدم راسخة في الدعوة ، ومن بلغ فيها مرتبة رفيعة كأن يكون داعياً مثلاً.

وداعي الدعوة - ويعرف بسباب الأبواب ، وباب حطة ، وبالْحِجَّة - هو الذي يعد هذه المحاضرات ويرفعها إلى الإمام فيوقعها هذا بعلامته ويعيدها إلى كبير دعائه فيلقها على المستجيبين في المحول أو غيره ، فإذا انتهى من قراءتها مسح على رءوس الناس بعلامة الإمام تبركاً بها ، وتكتب هذه المجالس عادة على أنها صادرة من الإمام فنظير للجمهور وكان الإمام هو الذي كتبها وأزداعي الدعوة هو قاريها لما كتب الإمام ، ولذلك يخفى اسم الداعي ولا يظهر في كتب المجالس ، مع أن المعروف أن حجة الإمام هو صاحب التأويل في عصره .

تبدأ هذه المجالس عادة بحمد الله والصلاة على نبيه والائمة من نسل علي ، ويردفا الداعي بشيء من الوعظ والإرشاد ، ثم يبدأ في تأويل آية من آيات القرآن أو حديث نبوي أو أثر عن الائمة أو يؤول شيئاً من فرائض الدين العملية ،

ويجتمه مجلسه بالدعاء والصلاة والحمد وتلقى هذه المجالس مرتين في الأسبوع :  
يوم الاثنين ويوم الخميس ، ويخيل إلى أن مجالس يوم الخميس كانت للخاصة ، وفيها  
يقول المؤيد :

يا صباح الخميس أهلا وسهلا      زادك الواحد المهيمن فضلا  
أنت عيد للؤمنين عتيد      جمع الدين منهم فيك شملا  
نحن بجنى ثمار جنة عدن      كلما أقبل الخميس وولى  
من رياض أنهارها جاريات      وبها الحور في المقاصر تجلي  
تروى الأرواح منها بما      هو أشقى من الزلال وأحلى  
رتبة خصنا بها صاحب المص      رامين الإله عز وجل (١)

وبين يدي الآن عدة كتب جمعت مجالس الحكمة التأويلية التي كان يلقيها بعض  
الدعاة ، مثل كتاب تأويل دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن محمد ، وكتاب المجالس  
المؤيدية ويحتوي على ثمانمائة مجلس من مجالس التأويل ، وكتاب المجالس  
المستنصرية للداعي الموسوم بعلم الإسلام ثقة الإمام (٢) ، وهذه المجالس تختلف  
باختلاف الداعي ، فمجالس القاضي النعمان في تأويل فقه الفاطميين ، والمؤيد يميل  
في تأويله إلى فلسفة المذهب ، أما ماجاء في المجالس المستنصرية فهو تأويل بدائي ،  
ويخيل إلى أن المجالس المستنصرية كانت تلقي على المبتدئين في الدعوة ، وقد رأيت  
أن أقدم صورة من هذه المجالس المختلفة .

المجالس العاشر من الجزء الرابع من تأويل دعائم الإسلام للقاضي النعمان

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي جل عن تقدير المتوهمين ، ولطف عن  
لطيف بحث المتوسمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين ،  
ثم إن الذي يتلو ما تقدم ذكره ما جاء عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال :  
أول الصفوف أفضلها ، وهو صف الملائكة ، وأفضل المقدم ميامن الإمام . تأويله  
ما تقدم القول به من أن أمثال الصفوف في الصلاة أمثال درجات المستجيبين إلى  
دعوة الحق على مقادير فضلهم وسبقهم ، وأن أمثال الملائكة من الناس أمثال

(١) ديوان المؤيد داعي الدعوة .

(٢) طبع هذا الكتاب سنة ١٩٤٦ بدار الفكر العربي بالقاهرة .



المعسكين أمور العباد ، وهم أولياء الله من رسله وأئمة دينه ومن ملكوه شيئا من أمور العباد وأرسلوه لهم وما أرسلوهم له ، والملك والملائكة فيما ذكر أهل اللغة مشتقة أسماءها من الرسالة ، والألوك والملائكة في لغة العرب الرسالة ، وقد قال الله جل من قائل : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، فالصف الأول من صفوف ظاهر الصلاة لا ينبغي أن يقف فيه إلا أفضل أهل المسجد من علمائهم ، كما قال رسول الله (ص) : ليلني منكم أولو النهى والعلم . وينبغي أن يكون على يمين الإمام في الصف من خلفه أفضلهم ، ومن يصالح أن يكون إماما إن حدث به حدث يوجب خروجه من الصلاة ، لأن انصرافه إذا انصرف من الصلاة إنما يكون عن ذات اليمين ، فيكون من يقدمه هناك ، فيأخذ يديه ويقدمه مكانه ، وعلى هذا تجري مراتب أهل الدعوة في حدودها : أن يكون الذين يلون القائم بها في الدرجة العالية من درجات المؤمنين الذين هم أهلها ، وأن يكون أقربهم منه عن يمينه ، وهي أفضل درجاتهم ، من يصلح لمقامه من بعده ، ويتلوه ذلك ما جاء عنه عليه السلام أنه قال : سدوا فرج الصفوف ، ومن استطاع أن يتم الصف الأول أو الذي يليه فليفعل ، فإن ذلك أحب إلى نبيكم ، وأتموا الصفوف فإن الله وملائكته يصلون على الذين يتمون الصفوف . وعن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال : « أتموا الصفوف ولا يضرك أن تتأخر إذا وجدت تضيقا في الصف الأول فتم الصف الذي خلفك ، وإن رأيت خلا أمامك فلا يضرك أن تمشي منحرفا حتى تسده . يعني وهو في الصلاة . وعن رسول الله (ص) أنه قال : صلوا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، ولا تخالفوا بينها فتختلفوا ويتخللكم الشيطان كما يتخلل أولاد الحذف . فتعدیل الصفوف وسد ما فيها من الفرج وتمامها واعتدال وقوف القيام فيها من واجب الصلاة وحدودها في الظاهر ؛ ومثله في الباطن اعتدال أهل الدرجات في دعوة الحق على درجاتهم وحدودهم التي حدث لهم ، لا يتجاوز أحد منهم حده إلى غيره ، ومن رأى منهم خلا في حد من الحدود التي فوقة أو دونه فينبغي له أن يسعى ويجتهد فيما يبلغه إلى تلك الدرجة ويوجب له سد ذلك الخلل ، وبأن يكون أهل كل حدود درجة قد استوت بهم الحال فيها ، وأوجب لهم الأحوال والأعمال أن يكونوا متساوين في ذلك على ما أمروا به من التساوي فيه ، لا يتقدم أحد منهم

أحدأ في ذلك ، كما وجب في ظاهر الصلاة أن يحاذي أهل كل صف منها بين مناكبهم ، ولا يتجاوز أحد منهم أحدأ ، وأنهم إن فعلوا ذلك اختلفوا وتخللهم الشيطان ، وتأويل ذلك أن أهل مراتب الدعوة إذا تعدى أحدهم حده ، وخرج عنه إلى حد غيره ، أوجب ذلك اختلافهم ، ودخل بينهم ما يجب أن يختلفوا عن أعداء أولياء الله الذين أمثالهم أمثال الشياطين ، وقوله : « كما يتخلل أولاد الحذف » . فالحذف ضرب من الغنم الصغار السود ، واحدها حذفة ، تتخلل الغنم وتمشى بينها ، فشبهه رسول الله ( صلع ) تخالما ومشيا بتخلل الشيطان ومشيه بالتخريب بين المؤمنين لما يريد من تقاطعهم وتدابره إذا وقع مثل ذلك فيهم ، وتنافسوا في الرياسة بالخروج من حدودهم التي حدث لهم وأمروا بلزومها . ويتلو ذلك ما جاء عن علي (ص) أنه قال : قال لي رسول الله (ص) يا علي لا تقوم في العيكل . قلت : وما العيكل يا رسول الله ؟ قال : تصلي خلف الصفوف وحدك ، فهذا مما يكره في ظاهر الصلاة ، أن يقف المصلي خلف الصفوف وحده ، وهو يجرد فيها مكانا يقوم فيه ، فإن لم يجد ذلك قام إلى أن يأتي من يقوم إلى جانبه أو يصلي كذلك وحده إن لم يأت أحد ولم يجد في الصفوف موضعا يقوم فيه ، وتأويل ذلك في الباطن ؛ نهى رسول الله (ص) عليا عليه السلام عن أن يفعله في الظاهر لأنه ليس هو حده في الباطن ، وحده في الباطن أعلى الحدود وأرفع الدرجات دون درجة النبوة ، فكره له أن يقوم في الظاهر في مكان لا يشبه مكانه في الباطن ، وكذلك لا ينبغي له أن يخلف بنفسه وأن يتواضع عن الدرجة التي جعلها له رسول الله (ص) . ويتلو ذلك قول محمد بن علي عليه السلام : « ليكن الذين بلون الإمام أولو الأحلام والنهي فإن تعابا لقنوه ، وقد جاء في مثل ذلك عن رسول الله (ص) أنه قال : ليلني منكم أولو النهي والعلم . وتأويل ذلك ما تقدم القول به من أن ذلك كذلك يجب في ظاهر الصلاة أن يكون الذين بلون الإمام إذا صلى بالناس علماءهم وأهل الفضل منهم ، فإن تعابا وتوقف في القراءة لقنوه وإن سها في الصلاة سبحوا له ليتذكر ما سها فيه ، فيرجع إلى الواجب منه ، وإن ذلك في الباطن كذلك لا يلي صاحب دعوة الحق في الرتبة والدرجة إلا أفضل أهل تلك الدعوة فإن سها عن شيء عندهم من علم ذكره إياه على ما تقدم القول به ، ويتلو ذلك قول أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام : « إذا صلى النساء مع الرجال قن في آخر الصفوف لا يتقدمن رجلا ولا يحاذينه إلا أن

يكون يمشن وبين الرجال ستره ، فهذا هو الواجب في ظاهر الصلاة . وتأويله ما قد تقدم القول به من أن الرجال أمثال المفيدين والنساء أمثال المستفيدين ، وأن درجة المفيدين فرق درجة المستفيدين ، ولا ينبغي للمستفيد أن يتجاوز حداً إلى حد المفيد ولا أن يدانيه ، بل ينبغي له كما ذكرنا أن يقع دونه ويتواضع له ، وأما قوله : إلا أن تكون يمشن وبين الرجال ستره ، وتأويله أن يكون المفيد مستتراً لحال التقية ، فيعامل المستفيد منه في السر ويفيدهه ويتقدم إليه إلا يدل عليه شيء من إجلاله ولا التواضع له فيطرح ذلك المستفيد في ظاهر أمره تقية على مفيده وعلى نفسه . فافهموا بيان التأويل يا ذوى النهى والعقول ، جعلكم الله عن يفهم ويعلم ويعمل بما علم ، وصلى الله على محمد نبيه وعلى الأئمة من ذريته وسلم تسليماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة من المجالس المؤيدية :

### المجلس التاسع من المائة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى علا عن كل معلوم ، وسما عن كل موسوم ، وكبر عن كل موهوم ومفهوم ، وصلى الله على ربيب رحمته المعمور ، وبحر حكيمته المسجور ، محمد المبشر به فى التوراة والإنجيل والزيور ، وعلى أخيه وابن عمه فارس يوم الهياج ، ومستودع سر ليلة المعراج ، على بن أبى طالب البرزخ بين البحرين العذب الفرات والملح الأجاج ، وعلى الأئمة من ذريته هداة من ذرأ الله من خلقه ، والمستحفظين لدينه وحقه ، والمتمين كلمة عدله وصدقته . معشر المؤمنين ، آمنكم الله من الفزع الأكبر ، وحشركم مع من تحبون فى يوم المحشر ، القليل الطيب خير من الكثير الخبيث ، فكونوا طيباً ، وكونوا فى جانب الخير ولا تيمموا شر جناباً ، والخير كله طاعة الله واتباع رسوله ( صلح ) فيما شرع ، والافتداء به فى وصل ما وصل وقطع ما قطع ، فصلوا ما أمر الله به أن يوصل بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، واقطعوا ما أمر الله به أن يقطع بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، يرض عنكم ، وبدلوا جرحكم على الدنيا فتورا ، وفتوركم عن الآخرة حرصاً ، وعوضوا

عن نقصكم في طلب الباقي ازديادا. وعن ازديادكم في طلب الغائي نقضا ، من قبل أن  
يفشيكم غواشي الندم ، ويطوف عليكم طوائف العدم ، فلا دنيا أدركتم ، ولا بعقي  
تمسكتم ، وأنصتوا لما يلقي إليكم من الحكمة فإنها تنقش صور نفوسكم المستجئة في  
الأجسام ، كما تنقش قوى الشراب والطعام صور الأجنة في الأرحام . واعدلوا أنها  
نعمة الله سبحانه على خالصة عباده ، وأنتم بها مشمولون ، وعلى حالتى حفظكم لها  
وإضاعتهم لا محالة مشولون . قال الله أصدق القائلين : ثم لتسألن يومئذ عن النعيم .  
زعم الزاعمون أنه الماء البارد في اليوم الصائف ، وحى الماء البارد للبهائم كما  
للإنسان مباح ، وأحق منه بالسؤال عنه ما هو للإنسان دون البهائم متاح ، وهو  
علم الحقيقة الذى يؤثر في النفوس اللطيفة لصلاح المعاد أكثر مما يؤثر الماء البارد  
لصلاح الأجسام . وفسر بعض مفسرى الشيعة أن النعيم المسئول عنه هو ولاية  
على بن أبى طالب (ص) وقد صدقوا إن اعتقدوا فيه أن الولاية مصحة التوحيد ،  
ومعرفة الحدود الوقوف على معالم الإيمان ، وعلم التأويل الذى نفك به أقفال  
القرآن ، وكذبوا إن اعتمدوا في معرفة الله سبحانه على عقولهم ، وادعوا وقوع  
الغناء فيها عن الرسول والوصى ، على ما عليه رأى كثير من الشيعة بزعمهم من  
الاستظهار بالولاء والافتداء في معرفة التوحيد بذوى القياس والآراء والجدود  
بالتأويل الذى يتفد من ظلمات الاختلاف ويفضى إلى نور الائتلاف ، وإنما  
الافتقار إلى الرسول والوصى عليهما السلام لبلوغ ما هم بزعمهم بالغوه من معرفة  
الله جل جلاله ، فإذا كانت معرفة الله سبحانه تصحح من دونها فأى حاجة تبقى  
بعدها إليهما للناس ، وأية فتيلة تخلص لهما ، وسوى هذا فإن كانت المعتزلة التى  
هى الفئة المبرزة بدعاوى معرفة الله سبحانه بغير واسطة رسول نزولا على رأى  
بعض الفلاسفة وإشراف منهم بقوا مأمونين عند من أشرنا إليهم من الشيعة أن  
يقتدوا بهم في توحيد ربهم والقول فى العدل على قضايا مذهبهم ، فلم لا يكونون  
مأمونين على الإمامة التى هى دونها فيرجعوا إلى ربهم فيها ، ولا يناقضوهم في  
نقض مبادئها ، عهد من يكون مأمونا على انتظار ، ولا يكون مأمونا على دينار ، فقد  
اختل عليهم القول بولاية على (ص) بقطعهم ما أمر الله به أن يوصل من نظام  
الإمامة فى ولده ، فصاروا فى معالم توحيدهم وعدلهم على أضدادهم عبالا ، ولو

فأما إلى جملة المعتصمين بحبل الله الممدود باتصالها لوردوا عيوننا وظلالا ،  
ذلك بأهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم ، وقد كان قرى  
عليكم من قول الله سبحانه : فأما الذين آمنوا فיעلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين  
كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا . ما شفع بالإبانة عن معنى الحق ، ولم سمى  
حقا؟ وإن ذلك جهة كونه أصلا يحتمل الوضع عليه ، وانتهى الشرح إلى القول بأن الأشكال  
الجمانية الكثيفة موضوعة على القوى النفسانية اللطيفة ، ومثال ذلك : أن السموات  
والأرض وما بينهما محمولة على قوة إلهية لطيفة يعبر عنها بأمر الله كما قال الله سبحانه :  
ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، وكذلك أجسام البشر على ثقلها محمولة  
على الأرواح اللطيفة التي هي من أمر الله سبحانه . . ويسألونك عن الروح قل الروح  
من أمر ربي . . الآية . . فقد ثبت العلم أن النفسانيات حاملة والجمانيات محمولة  
عليها ، وأن النفوس المحقوقة بالثواب إذا انفكت عن عالم الجسم ثابت إلى عالم النفس  
الذي هو الحق والأصل الحامل ، وثبت أيضا من اتلاف الجسم والنفس الإنسانية  
عن غير قصد منها ولا إرادة ، وتفرقتما عن غير قصد ولا إرادة على كون تألف  
النفس الكلية بالجسم الكلية وعالم الجسم من السماء والأرض وما بينهما أيضا عن غير قصد  
منها ولا إرادة ، بل بأمر المبدع سبحانه ، وأنه إذا أراد أن يبطل دار الدنيا بأفلاكها  
وأنجمها وسفلها وعلوها أمكنته القدرة منه على حسب الإمكان من التفريق بين  
الأنفس والأجسام الذي يصير به عامر الأجسام خرابا . وأتم تسمعون ما نقرأه  
الآن عليكم من قوله تعالى : يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به  
إلا الفاسقين ، وما تلوح به في معناه . وقال قوم : إن الضلال والهدى من الله سبحانه  
وهم جمهور العامة ، واستشهدوا عليه بهذه الآية وما هو في معناها من مثل قوله : ولوشئنا  
لا نينا كل نفس هداها ، وقوله تعالى : إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي  
من يشاء ، وقوله حكاية عن نوح ع م : ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح  
لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ، ونظائرها كثيرة في  
القرآن ؛ وقال أهل الرأي : إنه إن كانت الصورة هذه فقد بطل ثواب المحسنين  
وعقاب المسيئين ، وإن لهذه الآيات تأويلا يرجع إليه ويحمل الأمر عليه ، وهو مثل  
قولهم في معنى الآية : يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا . أي يضل به عن الثواب

الضالين ويهدي به إلى الثواب المهتدين بفعلهم وكسب أيديهم . واستشهدوا على ذلك بقوله سبحانه : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وما يجرى بجره وهو كثير في كتاب الله تعالى . وقد مثل الصادق عليه السلام عن ذلك فقيل : يا بن رسول الله الناس مجبورون على المعاصي؟ فقال : الله أعدل أن يجبر خلقه على المعاصي ثم يعاقبهم عليها . قيل : ففروض إليهم؟ قال : هو أعر من أن يكون لأحد في ملكه سلطان . قيل : فكيف ذلك؟ قال عليه السلام : أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض ، فقوله تعالى « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، ويجب أن كثير الضالين قليل وقليل المهتدين كثير ، وذلك أن الإنسان كثير بنفسه البسيطة لا يحسمه الكشيف ، فالنفس الصالحة منسرحة في فضاء عالم النفس منفسحة ، وصاحبها قليل من حيث الجسم المحدود المحصور ، كثير من حيث النفس البسيطة غير المحصورة ، قال الله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة ، والنفس الطالحة ضيقة حرجة كأنفس البهائم لاخطر لها في العالم العلوي ، فأربابها وإن كثروا عددا فلقد قلوا محصولا كما قال الله سبحانه : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، وكما قال سبحانه : قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ، وقال رسول الله ( صلح ) لعلى عليه السلام : لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك بما طلعت الشمس عليه . وقوله : « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ، معنى الفسوق الخروج من الطاعة وعقد البيعة ، وأما والفاسقين ، فنفس الفسوق ففسق عن أمر ربه دور آدم عليه السلام الذي هو أول الأدوار وهو إبليس لعنة الله عليه فنقض بيعة الله ، وفيه قال الله سبحانه : « وإذا قلنا للبلائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، ثم نزل على مكانه في آخر الأدوار الذي هو دور محمد ( صلح ) فنقض بيعة الغدير ، وسار الآخر على منهاج الأول ، فأبليس إمام الفاسقين أولا وهو إمام الفاسقين آخرا ، جعلكم الله برا من الفاسقين ، وألحقكم بالصالحين ، لتكونوا لهم في منازلهم مرافقين ، والحمد لله الذي له في إظهار ديبته أمر يبلغه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، وصلى الله على رسوله الأمين ، محمد المبعوث بالبرهان المبين ، وعلى وصيه السني الأقدار ، على بن أبي طالب معدن الفخار ، وعلى الأئمة من ذريته هداة الحق ، وأولياء الحق .

هكذا كانت مجالس الحكمة التأويلية التي كان يلقيها كبار الدعاة على جمهور المستجيبين، كل بحسب درجته وحده في مراتب الدعوة، فكل مجالس التأويل كما ذكرنا هي تطبيق النظرية التي أطلقت عليها نظرية المثل والمثول، وكل العقيدة الفاطمية إنما تدور حول الإمام وولايته ومحاولة إثبات أن الله سبحانه أشار إلى الأئمة في كتابه الكريم ورمز إليهم فيه، وعلى المسلمين المؤمنين طاعة الأئمة وولايته وتصديق ما جاءوا به، وأن الله سبحانه وتعالى خص الأئمة بعلم التأويل الباطن وأمرهم بستره إلا لمستحقيه من المؤمنين.

## الفصل الرابع

### أشهر علماء الدعوة الفاطمية

١ - بنو النعمان (١)

لأأكد أعرف في تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية أسرة كان لها من الأثر في الحياة العقلية والسياسية ما كان لها تين الأسرتين: أسرة عبد الحكم (٢) قبل العصر الطولوني وأثناءه وأسرة النعمان في العصر الفاطمي ، فبنو عبد الحكم كانوا أساتذة المدرسة المالكية في مصر ، وكذلك كان بنو النعمان أساتذة مدرسة المذهب الفاطمي بمصر ، وكان بين بنو عبد الحكم من أتجه إلى التاريخ وتدوينه ، كذلك كان بين بنو النعمان من دون التاريخ ، وكان بنو عبد الحكم مقرين إلى الولاية في مصر ، كذلك كان بنو النعمان في مكانة لا تقربها مكانة أخرى لدى أئمة الفاطميين ، فالأسرتان - بنو عبد الحكيم وبنو النعمان - من أشد الأسرات أثرا في الحياة المصرية ، ولا سيما من الناحية العقلية .

أسس أسرة النعمان رجل عرف أنه من أشهر فقهاء المذهب الفاطمي ومن أكثرهم تأليفا للكتب ، وتعد مؤلفاته من الأسس التي تبعها من جاء بعده من علماء هذا المذهب ، بل لا تزال بعض كتبه إلى اليوم من أهم الكتب وأقومها لدى طائفة البهرة الإسماعيلية ، هذا الرجل هو القاضي أبو حنيفة النعمان ابن أبي عبد الله محمد بن منصور بن حيون التيمي المغربي ، ويعرف في تاريخ الدعوة الفاطمية باسم القاضي النعمان تميزا له عن سمي أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب السني المعروف . اختلف الناس في تاريخ مولده فذهب بعضهم مثل الأستاذ جوثيل إلى أنه ولد سنة ٢٥٩ (٣) وتبعه الأستاذ ماسينيون في ذلك الرأي . ولكن الأستاذ آصف فيظي خالفهما وذهب إلى أنه ولد في العشر الأخير من القرن الثالث (٤) وليس لدينا

(١) راجع ما كتبناه عن بنو النعمان في مقدمة كتاب المهمة في آداب اتباع الأئمة . (طبع دار الفكر العربي)

(٢) راجع ما كتبناه عن بنو عبد الحكم في كتاب أدب مصر الإسلامية - عصر الولاية

(٣) J.A.O.S. 1907 Pvol. XXVII P.227.

J.R.A.S. I I P.34 (٤)



ما يرجح أحد الرأيين ، بل نصح بأنه لم يصلنا شيء عن أنشأته الأولى ولا عن آبائه وأسرته إلا ما رواه ابن خلكان أن والده أبا عبد الله محمد قد عمر طويلاً ، وأنه كان يحكى أخباراً كثيرة نفيسة حفظها في كبره ، وتوفي في رجب سنة ٣٥١ وصلى عليه ولده أبو حنيفة النعمان ودفن بأحد أبواب القبروان (١) لحياة الأسرة غامضة أشد الغموض ، ولم يحفظ التاريخ شيئاً عنها ، ولا أدري من أين استقى الأستاذ جوئيل ما رواه من أن والد النعمان كان من رجال الأدب ، إلا إذا كان قد فهم من نص ابن خلكان ذلك .

وليس لدينا شيء عن حياة النعمان قبل قيام الدولة الفاطمية سنة ٢٩٦ هـ وقبل اتصاله بعبيد الله المهدي الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية ، إلا أنه كان مالكي المذهب وتحول إلى المذهب الفاطمي (٢) ، ولكن مؤرخي الشيعة الاثني عشرية قالوا إن النعمان كان مالكي المذهب ثم تحول إلى الشيعة الاثني عشرية ثم انتقل إلى الإسماعيلية الفاطمية (٣) . ويذهب أبو المحاسن إلى أنه كان حنفي المذهب قبل أن يعتنق المذهب الفاطمي (٤) . ولكن إذا أمعنا النظر في هذه الخلافات وجدنا أن الأرجح هو ما رواه ابن خلكان ، فالمذهب المالكي هو المذهب الذي كان يسود شمال إفريقيا والأندلس ، على أن المذهب الحنفي كان قليل الانتشار بين المسلمين في إفريقيا وفي مصر أيضاً ، وأن خاصة تلاميذ مالك كانوا مصريين ، وعن مصر انتقل هذا المذهب المالكي إلى شمال إفريقيا والأندلس وساد هذه البلاد حتى قل أن نجد فيها مذهباً آخر من مذاهب أهل السنة ، فمن المرجح أن النعمان كان على مذهب أهل بلاده ، أما ما يدعيه الأستاذ آصف فيظن أن النعمان كان إسماعيلي المذهب منذ نعومة أظفاره وأنه اتخذ التقية والستر خوفاً على نفسه وعلى مذهبه فهو كلام يحتاج إلى ما يؤيده ، وكذلك لم يتحدث أحد من المؤرخين الذين ذكروا النعمان عن إسماعيليته إلا بعد صلته بالمهدي سنة ٣١٣ هـ أي بعد أن أظهر المهدي نفسه في المغرب وهزم الأغالبة واحتل ديارهم . دخل النعمان في خدمة المهدي واتصل به ، ولا ندري نوع الخدمة

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المستدرك ج ٣ ص ٣١٣

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٢

التي كان يؤديها ولا الصلة التي اتصلها به ، ولكن بعد وفاة المهدي اتصل النعمان بالقائم بأمر الله طوال مدة حكمه . وفي أواخر أيام القائم ولي النعمان قضاء مدينة طرابلس الغرب . أما قبل ولايته قضاء طرابلس فلا نكاد نعرف عنه شيئا . ولما بنى المنصور مدينة المنصورة كان النعمان أول من ولي قضاءها ، بل ولاه المنصور القضاء على سائر مدن إفريقية .

وأصبح النعمان شديد الصلة بالإمام الفاطمي مقربا منه ، وظل قاضي قضاء هذه المدن ومن تحته قضاتها ، إلى أن ولي المعز لدين الله الإمامة فاشتدت صلة النعمان به حتى إنه كان يجالسه ويسايره وقل أن يفارقه بعد أن كان مستوحشا منه عقب ولايته . ولكن المعز طلب إليه أن يكون في عهده كما كان في عهد أبيه المنصور بالله ، ثم قويت الصلة بين المعز والنعمان حتى أصبح النعمان جليسه ومسايره ، ووضع النعمان كتابه المجالس والمسائرات جمع فيه كل ما رآه وما سمعه من إمامه المعز . ولما رحل المعز من إفريقية إلى مصر سنة ٥٣٦٢ هـ اصطحب معه بني النعمان ، وكان النعمان إذ ذاك قاضي الجيش ، وكان من الطبيعي أن يقلد النعمان قضاء مصر ، ولكن المعز بعد أن استقر بمصر ترك القضاء لأبي طاهر الذهلي محمد بن أحمد الذي كان على قضاء مصر منذ سنة ٥٣٤٨ هـ وطلب إلى أبي طاهر أن يحكم بفقهاء الفاطميين ، فكان لا بد للقاضي من أن يسترشد في أحكامه بالقاضي النعمان ، وما زال كذلك حتى توفي النعمان سنة ٥٣٦٣ هـ .

ويقول ابن حجر: إن النعمان كان يسكن مصر أي الفسطاط ويفدو منها إلى القاهرة في كل يوم (١) ويروي ابن خلكان عن المسيحي أن النعمان كان من أهل العلم والفقهاء والدين والنبيل ما لا مزيد عليه (٢) ، ونقل ابن خلكان عن ابن زولاق أن النعمان بن محمد القاضي كان في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه . وعلمنا بوجوده الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف (٣) . وكل من تحدث عن النعمان من المؤرخين يذكر فضله وعلمه وسعة ثقافته ، فلا غرابة إذن أن نرى هذه الكتب الكثيرة التي ألفها النعمان والتي

(١) ذكر في الإصر ص ١٣٦ ب نسخة خطية بدار السكتب المصرية .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣) المصدر نفسه .

أصبحت عمدة كل باحث في المذهب الفاطمي بل أصبحت الأصل الذي يستقى منه علماء المذهب ، فلا أكاد أعرف عالماً من علماء الدعوة الفاطمية لم ينهج نهج النعمان في فقهه أو اختلف معه في رأى في المسائل الفقهية ، وقد يكون ذلك لأن النعمان قال في كتابه المجالس والمسائرات : إن الإمام المعز لدين الله طلب إليه أن يلقي على الناس شيئاً من علم أهل البيت ، فألف النعمان كتبه ، وكان يعرضها على المعز فصلاً فصلاً وباباً باباً حتى أتمها ، فهو يقول مثلاً :

أمرنى المعز لدين الله ( صلح ) بجمع شئٍ لخصه لى وجمعه وفتح لى معانيه وبسط لى جملة فابتدأت منه شيئاً ثم رفعته إليه ، واعتذرت من الإبطاء فيه لما أردته من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته منه بموافقته (ص) فظالعته فى مقداره ، فوقع لى : يا نعمان لا تبال كيف كان القدر مع إشباع فى إيجاز ، فكلمها أوجزت فى القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن ، والذى خشيت من أن يستبطأ فى تأليفه فوالله لولا توفيق الله عز وجل لإباك وعونه لك لما تعتقد من النية ومحض الولاية لما كنت تستطيع أن تأقى على باب منه فى أيام كثير ، ولكن النية يصحبها التوفيق (١) ، وفى كتابه هذا كثير من النصوص التى تدل على أنه كان يعرض كتبه على المعز قبل إذاعتها ونشرها بين الناس ، كما أنه كان يقرأ مجالس الحكمة التأويلية ومن هنا لقبه ابن زولاق بالداعى (٢) وليس لدينا من النصوص ما يثبت أن النعمان كان من الدعاة وإن كان مؤرخو المذهب المحدثون مثل الداعى لإدريس محدثنا فى كتابه عيون الأخبار أن النعمان كان فى مكانة رفيعة جداً قريبة من الأئمة ، وأنه كان دعامة من دعائم الدعوة ، ولكنه لم يصرح بأن النعمان ولى مرتبة داعى الدعوة ، ويخيل لى أن النعمان كان داهية فى سياسة التقرب لى الأئمة ، وأنه استطاع بعبه وثقافته أن يجذب لى قلوبهم ، فقرّبوه لىهم وعرف أسرارهم ونياتهم ، فوضع هذه الكتب الكشيرة وادعى أن الأئمة هم الذين لقنوه إياها ، بل لعل لى أعلى إذا قلت إن النعمان هو أول من دون فقه المذهب الفاطمى ، فلا أكاد أعرف فقيهاً من فقهاء المذهب قبله كتب فى هذا الفن ، وبين يدى الآن كتاب المرشد لى أدب الإسماعيلية (٣)

(١) المجالس والمسائرات ورقة ٧٥ ب .

(٢) ابن خلكان ج ٢ س ١٦٦ .

(٣) Inavow: Griol to Ismah. Litérqtire

وهو ثبت لأسماء المؤلفين والكتب الإسماعيلية ، وأمامى فهرست ابن النديم ،  
ومجموعة خطية قديمة لمؤلف مجهول جمع فيه أسماء الكتب التي ألقت منذ أوائل  
الدعوة الإسماعيلية ، فلم أعثر في هذه الكتب كلها على كتاب واحد في الفقه  
الإسماعيلي قبل كتب القاضي النعمان بن محمد . فلا غرو أن يعرف المعز فضل هذا العالم  
وأن يرفعه إلى أعلى الدرجات ، ولا سيما أن النعمان ذكر في كتبه أنه اقتبس هذه العلوم  
من الإمام ١١ حتى قال المعز عن النعمان : من يؤدي جزءا من مائة مما آداه النعمان  
أضمن له الجنة بجوار ربه (١) ويحدثنا المؤيد في الدين في سيرته أن الوزير اليازوري  
قال له : إن النعمان بنى هذا الأمر وإن أحق الناس بمكانه أباؤه (٢) ، فالنعمان إذن  
قد أدى للدعوة الفاطمية هذا الفضل الذي عرفوه له ، إذ لا يزال علماء الدعوة يعيشون  
على الفقه الذي وضعه لهم النعمان ، وربما على التأويل الذي ذكره في كتبه .

ولننظر الآن إلى هذه الكتب التي وضعها النعمان لأهل الدعوة ، فيقول ابن  
خلسكان : إن النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف  
وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا ، وله ردود على المخالفين ، له رد  
على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي وعلى ابن سريج ، وكتاب اختلاف الفقهاء  
يفتصر فيه لأهل البيت ، وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخب (٣) وسرد الأستاذ  
إيفانوف مؤلفات القاضي النعمان فإذا بها نحو أربعة وأربعين كتابا بعضها  
لا يزال يحتفظ به أتباع المذهب وهم طائفة البهرة ، ومنها كتب عشر على بعض أجزائها  
ومنها ما فقد ولم يعرف إلا أسماؤه ، ولا تعرف مكنتها أوربة إلا ستة كتب  
من كتب النعمان هي :

( ١ ) جزء من كتاب شرح الأخبار بمكتبة برلين ، وأحضرت دار الكتب  
المصرية صورة فتوغرافية منه .

( ٢ ) كتاب دعائم الإسلام بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن وفي دار  
الكتب المصرية صورة فتوغرافية منه .

(١) كتاب عيون الأخبار ج ٦ ص ٤١

(٢) البيرة المؤيدية .

(٣) ابن خلسكان ج ٢ ص ١٦٦

- (٣) تأويل دعائم الإسلام بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن وفي مكتبة جامعة فؤاد الأول صورة فتوغرافية منه .  
(٤) أساس التأويل بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن .  
(٥) جزء من كتاب المجالس والمساربات بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن وفي مكتبة جامعة فؤاد الأول .  
(٦) كتاب الهمة في اتباع الأئمة بمكتبة مكتب الهند بلندن . وعندى نسخة خطية منه .

ويحفظ أصحاب الدعوة الآن في مكتباتهم الخاصة بالكتب الآتية :

- (١) افتتاح الدعوة ، وعندى نسخة خطية منه كما تحتفظ مكتبة جامعة فؤاد بصورة منه (٢) كتاب الإيضاح (٣) كتاب ينبوع (٤) مختصر الآثار (٥) كتاب الطهارة (٦) القصيدة المختارة (٧) القصيدة المنتخبة (٨) منهج الفرائض (٩) الرسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة (١٠) اختلاف أصول المذاهب (١١) كتاب التوحيد والإمامة (١٢) مناقب بني هاشم (١٣) تأويل الرؤيا (١٤) مفاتيح النعمة .

أما كتبه التي لم يعثر عليها وعرفت أسماؤها فهي :

- (١) مختصر الإيضاح (٢) كتاب الأخبار (٣) كتاب الاقتصار (٤) كتاب الاتفاق والافتراق (٥) كتاب المقتصر (٦) كتاب يوم وليلة (٧) كتاب كيفية الصلاة (٨) الرسالة المصرية في الرد على الشافعي (٩) كتاب في الرد على أحمد بن سريج البغدادي (١٠) دامخ الموجز في الرد على العتكي (١١) نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل (١٢) حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل (١٣) كتاب إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق (١٤) كتاب في الإمامة في أربعة أجزاء (١٥) كتاب التعاقب والانتقاد (١٦) كتاب الدعاة (١٧) كتاب الحلبي والثياب (١٨) كتاب الشروط (١٩) أرجوزة ذات المنن وهي في سيرة الإمام المعز (٢٠) أرجوزة ذات المنن وهي في تاريخ ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (٢١) كتاب معالم المهدي (٢٢) كتاب منامات الأئمة (٢٣) كتاب التفریع والتعنيف .

هذه هي الكتب التي تركها الثعنان بن محمد ، ولعل أهم كتاب خالد له هو كتاب

دعائم الإسلام ، في ذكر الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام ، وهو الكتاب الذي أمر الظاهر بأن يحفظه الناس وجعل لمن يحفظه مالا جزيلًا ، ويشتمل هذا الكتاب على جميع فقه الفاطميين ، فدعائم الإسلام عندهم الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وكل فريضة من هذه الفرائض لها أصولها وفروعها وآدابها فهو يتحدث عن ذلك كله بشيء من الإطناب ، ويروى عن كل فريضة ما ورد عنها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وما جاء عن الأئمة ، ومن يقرأ هذا الكتاب ويقارن بين الفقه فيه وبين فقه مالك لا يكاد يجد اختلافًا إلا في بعض أمور لا تمس الدين في شيء ، اللهم إلا ما ورد في القسم الخاص بالولاية .

والفصل الخاص الذي في أول الكتاب يتحدث فيه عن الإيمان وجعل الولاية شرطًا أساسيًا للؤمن ، أما ما سوى ذلك من أحكام فرائض الدين وسننه والمعاملات وغيرها فلا تختلف عن الأحكام الشرعية عند المالكية . وتظهر قيمة هذا الكتاب عند علماء المذهب - منذ عرف هذا الكتاب - إذا عرفنا أن عالمين من أكبر علمائهم ذكراهم في كتبهم واعتمدا عليه ونوها به ، أما العالم الأول فهو أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى المتوفى ٤١٢ هـ فقد ذكر في مقدمة كتابه «راحة العقل» الكتب التي يجب أن تقرأ قبل قراءة راحة العقل ومن هذه الكتب كتاب «دعائم الإسلام» ، والعالم الثاني هو المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازى المتوفى ٤٧٠ هـ فقد ذكر في السيرة المؤيدية ، أنه كان يعقد مجلسًا خاصًا كل يوم خميس يقرأ فيه على السلطان أبى كاليبجار البويهى فصول كتاب دعائم الإسلام ، ويعتبر هذا الكتاب الآن من أهم كتب الإسماعيلية بالرغم من أنه في علم الظاهر ، وبعد من كتبهم السرية التي لا يقربها إلا علماء المذهب فقط .

وقد أتبعه القاضى النعمان بكتاب تأويل دعائم الإسلام واسمه الكامل : كتاب تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الإسلام ، وهو في ذكر التأويل الباطنى للأحكام والفرائض التي وردت في كتاب دعائم الإسلام ، وهو من أهم كتب التأويل عند الإسماعيلية ، وعليه اعتمد الدعاة بعد النعمان<sup>(١)</sup> ، وقد توفى النعمان قبل أن يتم هذا الكتاب .

(١) راجع ما ذكرناه عن ذلك في مقدمة كتاب المجالس المستنصرية .

ومهما يكن من شيء فالقاضي النعمان يعد من أكبر علماء الدعوة وفقهائها الأعظم ،  
وتوفى هذا الرجل بمصر سنة ٣٦٣ هـ

كان هذا الفقيه رأس هذه الأسرة ومؤسسها ، وجاء بعده أبنائه وحفدته  
وعرفوا جميعا بالعلم والفقه ، وتولوا الدعوة والقضاء بعده .

٢ — ولد ابنه الأكبر أبو الحسين علي بن النعمان بالقيروان في رجب سنة ٣٢٨ هـ (١)  
وقدم مصر مع باقي أفراد الأسرة في حجة المعز لدين الله ، ولما مات النعمان اشترك علي بن  
النعمان في قضاء مصر مع أبي طاهر الذهلي فظلا يقضيان حتى توفى المعز وولى العزيز  
وعرض لأبي طاهر القاضي مرض الفالج ، فقوض العزيز الحكم إلى علي بن النعمان  
وذلك في صفر سنة ٣٦٦ ، وظل منفردا بالقضاء وافر الحرمة عند الإمام العزيز  
حتى أصابته الحمى وهو بالجامع يقضى بين الناس ، فقام من وقته ومضى إلى داره  
وأقام عليلًا أربعة عشر يوما ، وتوفى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة ٥٣٧٤  
وصلى عليه العزيز ، وهو أول من لقب بقاضي القضاة في مصر ، وكان عالما فقيها مثل  
أبيه ، وكان شاعرا أورد له الثعالبي شيئا من شعره ، مثل قوله :

ولى صديق ما منى عدم مذ وقعت عينه على عدى  
أغنى وأقى فما يكلفني تقبيل كف له ولا قدم  
قام بأمرى لما قدمت به ونمت عن حاجتى ولم ينم (٢)  
ومن شعره ، وقيل بل من شعر أخيه محمد بن النعمان (٣)

رب خود عرفت فى عرفات سلبتى بحسنا حسنا  
حرمت حين أحرمت نوم عيني واستباححت دى بذى اللحظات  
وأفاضت مع الحجيح ففاضت من جفونى سوابق العبرات  
لم أنل من منى منى النفس حتى خفت بالخياف أن تكون وفاتى (٤)  
ومن شعره أيضا :

صديق لى له أدب صداقة مثله نسب  
رعى لى فوق ما برعى وأوجب فوق ما يجب

(١) رفع الإصر ورقة ٨٥

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٣٠٥

(٣) يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٣٠٦

(٤) دمية القصر للباخرزى ص ٨٨

فلو نقدت خلائقه بهرج عندها الذهب<sup>(١)</sup>  
فن هذه الآيات القليلة نستطيع أن ندرك أنه كان شاعرا رقيق الشعر عذب  
الديباجة متلاعبا باللفظ، ومن سوء الحظ أن شعره لم يصل إلينا كاملا حتى نستطيع  
أن نكون رأيا دقيقا في شاعريته .

ولا أدري أيضا من أين استقى الأستاذ آصف فيظي أن أبا الحسن علي بن  
النعمان كان في مرتبة داعي الدعوة ، فليس لدى من النصوص ما يؤيد ذلك ، بل  
الذي ذكره المؤرخون أن أول من أضيفت إليه الدعوة من قضاة الفاطميين هو ولده  
الحسين بن علي بن النعمان علي نحو ما سنذكره بعد .

٣ — ولما توفي علي بن النعمان أرسل الإمام العزيز بالله إلى أبي عبد الله محمد  
ابن النعمان بقول : إن القضاء لك من بعد أخيك ولا تخرجه عن هذا البيت<sup>(٢)</sup>  
وهكذا ولي مرتبة قاضي القضاة بعد أخيه، وكان في حياة أخيه يتوب عنه في القضاء ،  
فإنه لما سافر العزيز بالله إلى حرب القرامطة سنة ٣٦٨ وسار علي في صحبته استخلف  
أخاه محمدا في القضاء . ولد محمد بالمغرب سنة ٣٤٥ هـ<sup>(٣)</sup> وقدم القاهرة مع أفراد  
الأسرة ، وما زال بها حتى ولي القضاء وكان جيد المعرفة بالأحكام، متفتتا في علوم  
كثيرة، حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس<sup>(٤)</sup> . وقدمحه الشاعر  
عبد الله بن الحسن الجعفرى السمرقندى بقوله :

تعادلت القضاة علي أما أبو عبد الإله فلا عدل  
وجيد في فضائله غريب خطير في مفاخره جليل  
تألق بهجة ومضى اعتزاما كما يتألق السيف الصقيل  
ويقضى والسداد له حليف ويعطى والتمام له زميل  
لو اختبرت قضاياهم لقالوا يؤيده عليها جبرئيل  
إذا رقى المنابر فهو قس وإن حضر المشاهد فالخليل

فلما قرأ محمد بن النعمان هذه القصيدة كتب إلى الشاعر :  
قرأنا من قريضك ما يروق بدائع حاكها طبع رقيق

(١) بنية الدهر ص ٣٠٥ ، وابن خلكان ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٧ .

(٣) رفع الإصر ص ١٢٩ (٤) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٨



كان سطورها روض أنيق      توضع بينها مسك فتيق  
إذا ما أنشدت أرجت وطابت      منازلها بها حتى الطريق  
وإننا نأتقون إليك فاعلم      وأنت إلى زيارتنا تنوق  
فواصلنا بها في كل يوم      فأنت بكل مكرمة حقيق (١)

ومما يروى له أيضا قوله :

أيا مشبه البدر بدر السماء      لسبع وخمس مضت واثنتين  
ويا كامل الحسن في نعته      شغلت فؤادي وأسهرت عيني  
فهل لي من مطمع أرجيه      وإلا انصرفت بخفي حنين  
ويشمت بي شامت في هواك      ويفصح لي ظلت صفر اليدين  
فإما إمنت وإما قتلت      فأنت التقدير على الحالين (٢)

وفي سنة ٣٧٥ عقد لابنه عبد العزيز بن محمد بن النعمان على ائنة القائد جوهر الصقلي في مجلس العزيز ، ثم قرر ابنه هذا في نيابته عنه في الأحكام بالقاهرة ومصر ، وعلت منزلة محمد بن النعمان عند الإمام العزيز بالله حتى إنه كان يصعد معه على المنبر (٣) وكان مهيبا محترما ، حتى إن أحدا لم يكن يخاطبه إلا بسيدنا (٤) ويروى ابن خلكان عن ابن زولاق المؤرخ المصري : « ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحتما فلما فيه من العلم والصيانة والتحفظ وإقامة الحق والهيبة » (٥) فكانت هذه المكانة التي حظي بها هذا القاضي سببا في أن ينقم عليه الوزير يعقوب بن كلس . ويخيل إلى أن الوزير كان يخشى اتساع نفوذ بني النعمان فحاول ما استطاع أن يكسر شوكتهم وينقص من قدرهم ، فكان يعمل إلى أن ينقض أحكام القاضي ، ويروى ابن حجر العسقلاني عن المسيحي أن الوزير ابن كلس كان كثير المعارضة لبني النعمان في أحكامهم ، (٦) وروى قصة تدل على مدى خوف الوزير من اتساع سلطانهم ونفوذهم وما كان يضمه لهم . وبعد أن توفي العزيز بالله سنة ٣٨٥ وولى الحاكم بأمر الله أقر القاضي محمد بن النعمان على ما بيده من القضاء ، وزادت منزلته عنده

(٢) المصدر نفسه

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٨

(٤) السكندی ص ٥٩٤

(٣) المصدر نفسه

(٦) رفع الإصر ص ١٢٩

(٥) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٨

رفعة ، ولكن محمدا نزاحت عليه العلل ، فتوفي ليلة الثلاثاء رابع صفر سنة ٣٩٩  
وصلى عليه الحاكم ووقف على دفنه ، وحزن الحاكم لوفاته ، فلم يول أحدا مرتبة  
القضاء إلا بعد شهر ، فقلد القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان .

٤ - ولد أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان بالمهديّة سنة ٣٥٣ هـ وقدم  
مع أسرته إلى القاهرة المعزية ، ومهر في علوم الفقه حتى صار أحد أقطاب فقهاء  
المذهب الفاطمي ، وكان يشوب أحيانا عن عمه محمد بن النعمان في القضاء حتى وليه  
بعد وفاة عمه . وفي صفر سنة ٣٩١ بينا كان القاضي جالسا في الجامع بمصر يقرأ  
عليه الفقه أقيمت صلاة العصر ، فقام يؤدى الفريضة ، وبينما هو في الركوع إذ هجم عليه  
رجل مغربي وضربه بمنجل في رأسه ووجهه ، فحمل القاضي جريحا إلى داره ، وظل  
حتى اندمل جرحه ، فصار من ذلك اليوم يحرسه عشرون رجلا بالسلاح ، وكان إذا  
صلى وقف خلفه الحرس بالسيوف حتى يفرغ من الصلاة ثم يصلى حرسه ، ولا تكاد  
نسمع أن قاضيا من قضاة المسلمين في التاريخ الإسلامي كله كان يصلى والشرطة  
تحرسه غير الحسين بن علي بن النعمان . وزاد الحاكم في إكرامه حتى أمر أن يضاف  
له أرزاق عمه وصلاته وإقطاعاته ، وفوض إليه الخطابة والإمامة بالمساجد الجامعة ،  
وولاية الدعوة وقرارة مجالس الحكمة التأويلية بالقصر وكتابتها وهو أول قاض  
أضيفت إليه الدعوة من قضاة الفاطميين<sup>(١)</sup> . ويظهر أنه في ذلك الوقت دب ديب  
الشقاق بين أبناء هذه الأسرة ، فهذا القاضي طالب ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن  
النعمان ببعض ودائع كانت في الديوان أيام ولاية محمد بن النعمان على القضاء ، وتشدد  
القاضي في مطالبة ابن عمه بهذه الودائع حتى ألزمه أن يبيع كل ما خلفه أبوه سدا  
لهذه المطالبة ، ولست في مركز يسمح لي أن أقول أكان تشدد القاضي عن ورع  
ودين أم عن حسد وغيره وشقاق بين بنى الأعمام . ومهما يكن من شيء فقد  
سرف هذا القاضي عن رتبة القضاء والدعوة في رمضان سنة ٣٩٤ ، وأمر الحاكم  
بجسه ثم ضربت عنقه في مطلع سنة ٣٩٥ هـ وهكذا لقي حتفه بيد الحاكم ، بعد أن  
كان مكرما لديه مقربا إليه .

٥ - وولى القضاء بعده ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان المولود في  
أوائل ربيع الأول سنة ٣٥٥ هـ وهو الذي كان ينوب عن أبيه في القضاء ، وكان

(١) الكندي ص ٥٩٦ وما بعدها

علما من علماء الدعوة الفاطمية ينسب إليه كتاب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم في أصول الدين ، وهو الكتاب الذي رد عليه القاضي أبو بكر الباقلاني<sup>(١)</sup> ، وقيل إن هذا الكتاب من تصنيف عمه علي بن النعمان ، ومهما يكن من شيء فالقاضي عبد العزيز بن محمد هو أول من ولي النظر على دار العلم<sup>(٢)</sup> ، وكان يجلس في الجامع ويقرأ على الناس كتاب جده النعمان ، اختلاف أصول المذاهب ، وبالرغم من أنه خص بمجالسة الحاكم ومسايرته فإنه لم ينجح من نزوات الحاكم وتقليباته ، فعزله عن القضاء سنة ٣٩٨ هـ ثم اعتقله في السنة التالية ثم عفا عنه وأعاد إليه النظر في المظالم وخلع عليه ، وفي سنة ٤٠١ هـ اضطر هذا القاضي إلى أن يهرب من وجه الحاكم هو والقائد الحسين بن جوهر الصقلي ، فصادر الحاكم بيوتهما وحمل كل ما كان فيها ، ثم كتب الحاكم لها بالأمان وخلع عليهما ، ولكنه أمر بعد ذلك بقتلها في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ .

وبعد هذه المأساة ضعف أمر بني النعمان وساءت حالهم ، ولم تبق لهم تلك السطوة ولا ذلك النفوذ ، حتى إن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان ولي القضاء سنة ٤١٨ هـ ولكنه لم يمكث في هذه المرتبة سوى عام وشهرين ، وأعيد مرة أخرى إلى القضاء سنة ٤٢٧ هـ وأضيفت إليه الدعوة ويقول عنه المؤيد في الدين : « وتوجهت إلى الموسوم بالقضاء والدعوة ، وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله وإيانا ، فرأيت رجلا يصول بلسان نسيه في الصناعة التي رسم هادون لسان سيه ، فارقا مثل فؤاد أم موسى عليه السلام ، وفيه جنون بلوح من حركاته وسكناته »<sup>(٣)</sup> وعزل القاسم عن هذه المراتب سنة ٤٤١ هـ ومحدثنا المؤيد أن نساء بني النعمان تشفعن للقاسم عند أم المستنصر وألحقن عليها بالسؤال لإعادته ، فعيّنه الوزير البيازوري سنة ٤٤٢ هـ نائبا له في الدعوة ، فقبل القاسم أن يكون تابعا لداعي الدعاة بعد أن كان أصلا في هذه الخدمة ، واستمر القاسم بن عبد العزيز نائبا للبيازوري في مرتبة الدعوة حتى أقعده المرض ، فأتاب ابنه محمد بن القاسم في الدعوة بدله ، واستمر محمد نائبا عن والده في نيابة الدعوة حتى سنة ٤٥٠ هـ . ثم لم نعد نسمع شيئا عن هذه الأسرة التي ظلت زهاء قرن في مكانة رفيعة عالية وفي اتصال

(١) الكندي ص ٦٠٣

(٢) السيرة المؤيدية

(٣) المصدر نفسه

بالائمة الفاطميين ، كما كان لهذه الأسرة أثرها في بث العقائد الفاطمية في نفوس الناس بما ألفوه من كتب وما ألفوه من مجالس الدعوة ، وبما كانوا يحكمون به في القضايا على حسب فقه المذهب الفاطمي الذي وضعه لهم النعمان بن محمد مؤسس هذه الأسرة .

## ٢ - يعقوب بن كلس

ومن أشهر علماء الدعوة الفاطمية الذين كان لهم أثر قوي في الحياة العقلية بمصر أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، ولد ببغداد في أسرة يهودية ونشأ بها حيث درس شيئا من الكتابة والحساب واتخذ التجارة متكسبا له ، شأن غيره من أبناء جلدته الذين لا يتورعون عن كسب المال بشتى الطرق والوسائل ، ثم رحل مع أبيه إلى الشام في بعض مسائل تجارية فترز مدينة الرملة وأقام بها فصار وكيلًا للتجار بها ، ثم فر منها إلى مصر . قيل إن سبب ذلك أنه اجتمع قبله مال عجز عن أداؤه فهرب (١) وقيل بل أرسله أبوه إلى مصر للتجارة بها (٢) ومهما يكن من شيء فقد وفد يعقوب على مصر إبان ولاية كافور الإخشيدي ، فاستطاع بدكائه وكياسته أن يتصل بكافور ، وأظهر من علو النفس والجد ما جعل كافور يقربه إليه ويثق به حتى اشتدت صلة يعقوب بكافور ، فعرض عليه كافور الإسلام ، فترك يعقوب اليهودية ودخل دين الإسلام ، وذلك يوم الاثنين لثماني عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٥٦ ولزم التعبد ودراسة القرآن ، ورتب لنفسه رجلا من أهل العلم يدرس له أصول الدين الإسلامي ، وكأنه في ذلك الوقت كان يتطلع إلى ما وصل إليه بعد ذلك ، فعمل على إتمام النقص الذي كان يشعر به ، وهو يهوديته السابقة ، فأراد ألا يرمى بضعف إسلامه إذا بلغ ما تناقت إليه نفسه ، فاجتهد في الدرس والتحصيل حتى بلغ فيهما درجة عالية ، وكأني بالوزير أبي الفضل جمعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة وزير كافور عرف ما كان يرمى إليه يعقوب ، فخشى من صلة كافور بهذا اليهودي الناجر ، فإنه بعد أن أسلم يعقوب بن كلس اشتد مقت ابن حنزابة له ، فنصب له الحياتل لإخراجه من البلاد ، فلما توفي كافور سنة ٣٥٧ قبض ابن الفرات على جميع الكتاب وأصحاب الدواوين ، وطلب يعقوب بن كلس فوجده قد هرب إلى المغرب ، واتصل يعقوب

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٣

(١) المقرئ ج ٣ ص ٧

بالمعز لدين الله، فقر به المعز إليه وصحبه معه إلى مصر بعد أن فتحها الفاطميون . وقيل إن ابن كلثوم هو الذي أطلع المعز على أسرار مصر وسهل له أمر فتحها بعد أن استعصت على جيوش الفاطميين من قبل . وبعد أن استتب الأمر في مصر للمعز ونقل عاصمة ملكه إلى مدينة القاهرة ، ولي يعقوب بن كلثوم الخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة وذلك في سنة ٣٦٣ هـ ومن مثل ابن كلثوم يصلح لأمر المال !! فاستمر في عمله حتى سنة ٣٦٥ فقد زادت صلته بالمعز واكتسب حبه وثقته ، فولاه المعز النظر في جميع أموره في قصره ، وبعد قليل توفي المعز لدين الله ففوض العزيز بالله ليعقوب النظر في سائر أموره وجمله وزيره له وذلك في المحرم ٣٦٧ ، وفي رمضان ٣٦٨ خلع العزيز عليه ، ولقبه بالوزير الأجل ، فكان يعقوب بن كلثوم أول وزير في مصر الفاطمية ، ويروي ابن زولاق مؤرخ مصر ومعاصر ابن كلثوم أنه لما خلع على الوزير يعقوب بن كلثوم وكان مكينا من العزيز وكنت حاضرا مجلسه ، فقلت أيها الوزير : روى الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال حدثني الصادق رسول الله ( ص ) أن الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه ، وهذا علو سماوى ، فقال الوزير : ليس الأمر كذلك وإنما أفعالى وتوفيراتى وكفايتى ونيايتى ونيتى وحرصى الذى كان يهيجى ويعاب ، وقد مات قوم بمن كان وبقى قوم . وكان هذا القول بحضور القوم الذين حضروا قراءة السجل الذى خرج من العزيز في ذكر تشريفه ، قال ابن زولاق : فأمسكت ، وقلت : وفق الله الوزير ، إنما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا . وقت وخرجت وهو ينظر إلى . وحدثني أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسينى قال : عاتبت الوزير على ما تكلم به ، وقلت : إنما روى حديثا صحيحا بجميع طرقه ، وما أراد إلا الخير ، فقال الوزير : خفي عنك ، إنما هذا مثل قول المتنبى في كافور :

ولله سر في عسلاك وإنما كلام العدى ضرب من الهديان  
وأجمع الناس على أن ذلك هجو في كافور لأنه أعلمه أنه تقدم بغير سبب ،  
وإن زولاق هجانى على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، فما أمكنى السكوت ،  
وكان في نفسى شيء فجعلت كلامه سبيا<sup>(١)</sup> . فركب النقص عند يعقوب دفعه إلى أن  
يعتقد أن تهنته ابن زولاق هجاء له ، وشعوره بيهوديته الأولى وأنه أصبح وزيراً مقرباً

(١) معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٢٢٥ .

إلى إمام من أئمة المسلمين دفعته إلى أن يتعمق في دراسة الدين الإسلامي حتى أصبح علما من أعلام علماء الدعوة الفاطمية . ومع ذلك فنحن لا ندرى السبب الذي من أجله اعتقل الوزير في القصر سنة ٣٧٣ هـ عدة أشهر ، فالمؤرخون لم يذكروا لنا شيئا عن ذلك ، ثم نرى العزيز يطلقه سنة ٣٧٤ هـ ويأمر بحمله على عدة خيول وقرى سجل برده إلى تدير أمور الدولة مرة أخرى ، ووهبه العزيز خمسمائة غلام من الناشئة وألف غلام من المغاربة ، فأتسعت دائرته وعظمت مكاتبه حتى كتب اسمه على الطرز وفي السكتب<sup>(١)</sup>

بجانب هذه المنكأة الرفيعة التي بلغها الوزير يعقوب بن كلس ، وهذا السلطان القوي الواسع الذي أحرزه ، كان هذا الوزير محبا للعلم والعلماء مشجعا لمن طلب العلم ، يصدق المنح والعطايا للكتاب والشعراء ، ويروى ابن خلكان : « كان يعقوب يجمع عنده العلماء ، وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب والطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقظونها ، وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه<sup>(٢)</sup> فكان من خاصة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب الأسجاع<sup>(٣)</sup> والتميمي المقدسي الطيب الذي صنف للوزير كتابا ضخما في عدة مجلدات سماه « مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء »<sup>(٤)</sup> وأخذ الوزير علم العروض عن شيخه البدهي وبنقحه وهدايته قال الشعر<sup>(٥)</sup> وبلغ هو نفسه في علم الفقه الفاطمي درجة أهله لأن يؤلف السكتب ويعقد مجالس التأويل ، فقد رتب لنفسه مجلسا في كل ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاه على الناس ، وكان يحضر هذا المجلس القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل والعدول وغيرهم من وجوه الدولة<sup>(٦)</sup> ، كما نصب مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل للمناظرة بين يديه<sup>(٧)</sup> فرغابته للعلم والعلماء ساعدته على أن يؤلف هذه السكتب التي قرأها على الناس والتي منها كما ذكر ياقوت<sup>(٨)</sup>

(١) القرظي ج ٣ ص ٨ (٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٣٤

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٣٤ (٤) أخبار الحكماء للفقطي ص ٧٤

(٥) الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٢ (٦) ابن خلكان ج ٢ ص ٣٣٤

(٧) القرظي ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٨) معجم الأدباء ج ١٠ ص ١١٨ ط دار المأمون

(١) كتاب في القراءات (٢) كتاب في علم الأبدان وصلاحها (٣) كتاب في الفقه مما سمعه من المعز والعزير (٤) كتاب في الأدباني وهو في الفقه (٥) مختصر الفقه وهو المعروف بالرسالة الوزيرية (٦) كتاب في آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذه بعض الكتب التي ألفها هذا الوزير . ويقول إبقانوف إنها فقدت جميعها ولم يبق منها إلا الرسالة الوزيرية في مختصر الفقه وهو الكتاب الذي طلب الإمام الظاهر إلى الناس أن يحفظوه ، وشجع على ذلك بترتيب أموال لمن حفظه (١) ومحدثنا المقرئ أن الناس كانوا يفتون بكتابه في الفقه ، ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر ، وأن العزيز بالله أجرى لجماعة فقهاء كانوا يحضرون مجلس الوزير أرزاق كل شهر تكفيهم (٢) ، وقد ذكرنا أن هذا الوزير هو أول من جعل من الجامع الأزهر جامعة عليية ، ورتب لعلائها الأرزاق ، معنى هذا كله أن الوزير يعقوب بن كلس رعى العلم والعلماء . فالتسعت بفضل الثقافة ، وازداد الإقبال على العلم . وكذلك لقي الشعر على يديه التشجيع الذي لقيه العلم ، فقد كان الوزير بعد أن ينتهي من مجالسه العلوية يأذن للشعراء في إنشاده مدائحهم فيه (٣) وكان يقدق عليهم الهبات والعطايا ، ولعل أكثر الشعراء مدحا له هو الشاعر أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرعمق وعبدالله بن محمد بن أبي الجوع ، فن قول ابن أبي الجوع وقد مرض الوزير من علة أصابت يده :

يد الوزير هي الدنيا فإن أمت	رأيت في كل شيء ذلك الألمانا
تأمل الملك وانظر فرط عنته	من أجله ، وأسأل القرطاس والقلمنا
وشاهد البيض في الأغناد هائمة	إلى العدى وكثيرا ما روين دما
وأنفس الناس بالشكوى قد اتصلت	كأنما أشعرت من أجله سقما
هل ينهض المجهد إلا أن يؤيده	ساق يقدم في إنهاضه قدما
لولا العزيز وآراء الوزير معسا	تحيفتنا خطوط تشعب الألمانا
فقل لهذا وهذا أنتما شرف	لا أوهن الله ركنيه ولا انهما
كلا كما لم يزل في الصالحات يدا	مبسوطة ولسانا ناطقا وفا
ولا أصابكما أحداث دهر كما	ولا طوى لسكما ما عشتما علما
ولا انمحت عنك بامولاي عاقبة	فقد محوت بما أوليتني العدا

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ١٦٩ .

(٢) خطط المقرئ ج ٣ ص ٩ .

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

ومن قول أبي الرقعمق :

إن يعقوب قد أفاد وأقنى      وأعاد الندى وأغنى الضعيفا  
 سل سيفاً من البصيرة والرأى      ي فأغناه أن يسل السيوفاً  
 باذلاً للعزير دون حماه      مهجة حرة ورأيا حصيفا  
 ما رأيتاه قط إلا رأينا      خلقنا طاهرا وفعلا شريفا  
 ورأينا قرما كبيرا هماماً      منعا مفضلا رحباً روفاً (١)

ووجد بين شعراء مصر في ذلك الوقت من كان يهجو الوزير ابن كلس، ويحدثنا ابن الأثير أن الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي هجى يعقوب بن كلس وهجما كاتب الإنشاء أبا نصر عبد الله الحسين القيرواني بقوله :

قل لأبي نصر صاحب القصر      والمتأقى لنقض ذا الأمر  
 انقض عرا الملك للوزير تفز      منه بحسن النماء والذكر  
 واعط أو امنع ولا تخف أحدا      فصاحب القصر ليس فى القصر  
 وليس يدرى ما إذا يراد به      وهو إذا ما درى فما يدرى

فشكاه ابن كلس إلى الإمام العزيز وأنشده الشعر ، فقال له : هذا شئ اشتركنا فيه في الهجاء ، فشاركني في العفو عنه ، ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرض بالفضل القائد :

تنصر فالتنصر دين حق      عليه زماننا هذا يدل  
 وقل بثلاثة عزوا وجلوا      وعطل ما سواهم فهو عطل  
 فيعقوب الوزير أب وهذا      العزيز ابن وروح القدس فضل  
 فشكاه يعقوب إلى العزيز فامتنع منه إلا أنه قال : اعف عنه . فعفا عنه ،  
 ثم دخل الوزير على العزيز فقال له : لم يبق للعفو عن هذا معى وفيه غض من  
 السياسة ونقض لهيبة الملك ، فإنه قد ذكرك وذكرني وذكر ابن زبارج نديمك  
 وسبك بقوله :

زبارجى نديم      وكلس وزير  
 نعم على قدر المكا      ب يصلح الساجور

فغضب العزيز على هذا الشاعر وأمر بالقبض عليه ، ثم بدا للعزيز إطلاقه فأرسل

(١) ينمية الدر ج ١ ص ٢٣٩



يستدعيه ، وكان للوزير عين في القصر فأخبره بذلك ، فأمر بقتل الشاعر ، فقتل (١) وهكذا كان لهذا الوزير أعداء كما كان له أنصار ومحبون ، وقد حزن الناس حين ابتدأت علته في الحادى والعشرين من شوال سنة ٣٨٠ هـ ونزل إليه العزيز بالله بعوده وقال له : « وددت أنك تباع فأبتاعك بمالى أو تفدى فأفديك بولدى » (٢) . وتوفى يعقوب بن كلس ليلة الأحد لخمس خلون من ذى الحجة سنة ٣٨٠ هـ واجتمع الناس فيما بين القصر وداره لتشيعه إلى مقبره الأخير ، وخرج العزيز من القصر على بغلة ، والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه ، وأقام ثلاثا لا يأكل على مائدته ولا يحضرها من عادته الحضور ، وأقام الناس عند قبر الوزير شهرا ، وغدا الشعراء إلى قبره فرتاه مائة شاعر أجزوا كلهم . فهذا كله يدل على أنه كان للوزير مكانة في نفس إمامه وفي نفوس معاصريه جميعا ، وذلك لما عرف عنه من إنصافه وكرمه وعلوه ، وما أظهره من شدة تمسكه بأهداب الدين الإسلامى على مذهب القوم .

### ٣ — المؤيد في الدين داعى الدعوة (٣)

وهل يستطيع أن يتحدث عن علماء الدعوة الفاطمية دون أن يتحدث عن هذا العالم الذى بلغت علوم الدعوة الذروة على يديه ، ذلك هو المؤيد فى الدين داعى الدعوة الذى عرف فى تاريخ الأدب العربى بمناظرته مع أبى العلاء المعرى فى تحريم أكل اللحم . والذى أراد الأستاذ مرجوليوث المستشرق الإنجليزى أن يعرف شيئا عن حياته بثان التوفيق واكتفى بذكر اسمه دون حياته ، فبالرغم من أن المؤيد لم يكن مصرى المولد والنشأة فقد وفد على مصر ، وأقام بها زهاء ثلاثين عاما ، واستمع له جمهرة من المصريين ، أخذوا عنه علوم الدعوة فأثر فى الحياة العقلية المصرية بمبادئه التى كان يتنادى بها ، وفى مصر أخذ عنه ملك بن مالك قاضى الصليحيين باليمن فنقلت عن مصر علوم الدعوة إلى اليمن وأصبح اليمنيون يدينون للمؤيد بالاستاذية فى علوم الدعوة ، وفى مصر أنشد المؤيد أكثر قصائد ديوانه ، وألقى مجالسه التى بلغت

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ٤٨ (٢) القرظى ج ٣ ص ٩  
 (٣) راجع « ديوان المؤيد داعى الدعوة » وكتاب « السيرة المؤيدية » — مطبع شركة الكاتب المصرى .

الباغية مجلس ، فلا غرابة أن نتحدث عنه في كتابنا هذا ، وهو كتاب خاص بمصر .  
اسمه هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود الشيرازي ، ولد بشيراز في العشر  
الآخيرة من القرن الرابع من الهجرة في أسرة اتخذت العقيدة الفاطمية مذهبها لها ،  
وكان أبوه حجة جزيرة فارس أيام الحاكم الفاطمي ، فنشأ ابنه هبة الله ليأخذ  
مكاتبه في الدعوة في هذا الأقليم ، وأخذ منذ نشأته بالإمام بكل شيء يخص  
الدعوة وأسرارها ، وكاتب الحاكم بأمر الله بأن يولي ابنه هبة الله أمر فارس من  
بعده ، وبالفعل أصبح هبة الله حجة فارس بعد أبيه ، وما لبث أن أصبح يملك  
نفوس أتباعه فانقادوا له الانقياد كله ، فكانوا يفتشون إليه أسرارهم الخاصة حتى  
مع أهل بيتهم ، ويضحون في سبيله بأرواحهم ، وكثر أتباعه حتى خشى السلطان  
أبو كاليبجار البويهسي سطوته ونفوذه ، وهم أن ينفذه مرارا من شيراز ، ولكنه كان  
يخاف ثورة أتباع المؤيد ، وبلغت كراهية السلطان أبي كاليبجار للمؤيد أنه كان يكره  
سماع اسمه في مجالسه ، ولكن المؤيد في الدين احتال حتى استطاع أن يتصل بأبي  
كاليبجار ، وأن يجعل السلطان يستمع إليه وأن يعقد مجالس المناظرة بين المؤيد  
وعلماء المعتزلة والشيعة وأهل السنة ، فكان المؤيد يبرز على خصومه ومناظريه  
فاضطر السلطان أمام قوة بيبانه ودماغ حجة إلى أن يخضع للمؤيد ، بل لأن يدخل  
في دعوته وأن يعقد مجلسا خاصا يلقي فيه المؤيد على السلطان شيئا من علوم أهل  
البيت والفقهاء الفاطمي من كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان . كان ذلك كله سببا  
في غضب جمهور أهل السنة في فارس ولا سيما القضاة والعلماء ، فأخذوا يوغرون  
صدور المقرئين من أبي كاليبجار وندمائه على المؤيد ، وانتهزوا فرصة واتهم للإيقاع  
به ؛ ذلك أن المؤيد زار أتباعه في مدينة الأهواز فوجد مسجدا قديما تهدمت  
جدرانه فأمر شيعته بتجديده ونقش على محرابه بالذهب أسماء الأئمة الفاطميين  
وطلب من نقبائه الأذان فيه ، بحج على خير العمل ، أذان الشيعة ، وخطب يوم  
الجمعة باسم المستنصر الفاطمي ، فحبر بالدعوة الفاطمية دون خشية وأعلن عصيانه  
في بلد يدين للعباسيين ، مما جعل قاضي الأهواز يرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد  
ينعى الدولة العباسية وضياع خلافتها على يد المؤيد في الدين كما ثار أهل السنة على  
أبي كاليبجار وجاء الوزير العباسي ابن المسلمة موفدا من قبل العباسيين للقبض على  
المؤيد ، وكان أبو كاليبجار إذ ذاك يرثي إلى ملك بغداد ، فكار بين عاملين إما

ضياح هذه الفرصة من يده في سبيل رعاية ذمة المؤيد، وإما أن يضحى بالمؤيد في سبيل  
أطعامه. وأدرك المؤيد تردد أبي كاليبجار في هذا الأمر، ولا سيما بعد أن قطع السلطان  
بجالس الليلية مع المؤيد، ورغبته عن لقائه. فلم يجد المؤيد بدام من النزوح عن وطنه، فسار  
مخفيا متجنبا الطرق العامة، سالكا البراري والقفار حتى وصل إلى مصر سنة ٤٣٧ هـ .  
جاء مصر يحدوه الأمل فيما سيكون عليه شأنه من جاه وسلطان وتوقير، لأنه خدم  
دعوته بما لم يخدمها به أحد من الدعاة قبله. وقام بأمرها حق قيام، ولكنته من جهة  
أخرى كان يعلم أن الأمر في مصر ليس بيد إمامه المستنصر، بل كانت السلطة كلها بيد  
أم المستنصر ووكلائها أمثال التستري واليازوري وغيرهما. ويصرح المؤيد بذلك  
في سيرته بقوله: « بلغت بشق النفس الباب الطاهر، مترجحا بين أمل وبأس،  
ومتعقبا لملتقى ما يلتقى من طرفي إيماء وإشفاق، فأما الأمل فن جهة خدمة  
ما خدم مثلها غيري، حداني حاديا، وناداني بالأهل والمرحب مناديا. وأما  
اليأس فن حيث علت أن المقصود شمس توارت بالحجاب، ووجه نهار  
تبرقع بالسحاب، وأن المسافة لعلها تقذفني من الإضاءة في يم. وتوويني من حيث  
أرادت غنما إلى غم... أدخلوني من باب القاهرة المعزية إلى قصر الخلافة،  
عمرها الله تعالى - فاستلقت على جاري العادة في مثله الأبواب. ولحمت الترابا ترابا  
تحت قدمي إذ ترشفت ذاك التراب، وأجلسوني هنيئة لأفئق من غشية الهيبة التي  
ملأت جوانحي لما غشيت المسرة بمشاهدة ذلك المقام قلبي وجوارحي. ثم أدخلوني  
إلى الوزير المعروف بالفلاحى - رحمه الله - فرأيت شيخا عليه من الوفاق  
مسحة، ومن الإنسانية سمة. فأدنى وقرب. وأكرم ورحب، وأخرجت، فأخذوني  
إلى دويرة كانت فرشت لى هي من الكرامة في الدرجة الوسطى من الحال، لا بالإكثار  
ولا بالإقلال... وهكذا استقر بمصر واتصل برجالها وحضر مجالس الدعوة فيها،  
ولكن الوشايات لم تنقطع عنه، والدسائس تحاك جبالها حوله، فكان يقربه  
الوزراء حينما ويبعدونه حينما آخر، فعاش في مصر بين الرضا والغضب، وكثيرا  
ما فسكر في الرحيل عن مصر، ولكن القوم لم يسمحوا له بالرحيل، وكان يأمل أن  
يولى مرتبة داعي الدعوة ولكنها كانت تفر منه كلما حاول الإمساك بها، وأخيرا عينه  
الوزير اليازوري رئيسا لديوان الإنشاء، وزاد في معاشه، فتحسنت حاله، فظل في

هذا العمل إلى أن علم بقيام طغرلبك التركياني لامتلاك بغداد . وهنا تظهر لنا موهبة المؤيد وتوقد ذكائه ، إذ أدرك أن التركيانية خطر على الدولة الفاطمية وأنه إذا تم أمر بغداد لطغرلبك فإنه لا يثنى عن محاربة أملاك الفاطميين في بلاد الشام وأعلى الجزيرة ، فأسرع المؤيد في الدين في درء هذا الخطر عن أملاك إمامه ، فكاتب رجال طغرلبك يستميلهم إلى الدعوة الفاطمية ، كما راسل البساسيري وغيره من رجال العباسيين الذين يحدون على التركيانية ويخشون تملكهم للبلاد ، ووعد هؤلاء بإمدادات الفاطميين إن قاموا طغرلبك ، أما البساسيري ورجاله فرحبوا بالعمل باسم الفاطميين على حين لم يستجب رجال طغرلبك . فأيقن المؤيد أن الحرب لاشك ناشبة بين الفاطميين والتركيانية ، فنشط للدعوة بين الوزراء ورجال مصر لحرب طغرلبك ، ووجدت دعوته قبولا منهم وأعدت مصر الخلع والسلاح والعتاد والأموال . وأنفقت الدولة على هذه الحملة أموالا جمة ذكرها المؤرخون في كتبهم ، وهي الأموال التي أدت إلى ضعف مصر اقتصاديا وجرتها إلى ما عرف بالشدة العظمى ، وطلب من المؤيد أن يكون على رأس هذه القافلة لتسلم هذه الذخائر إلى البساسيري . فاعتذر المؤيد ولكن ، المستنصر الفاطمي أصدر أمره بأن يكون المؤيد على رأس الركب فلم يسع المؤيد إلا الخضوع لأمر إمامه . وطلب المؤيد لأن يلبس خلع الوزارة فأبى وأمعن في الإباء ، وهكذا بدأ المؤيد حياة جديدة . حياة الرجل العسكري وحياة السباسي الداهية . فقد خرج من مصر وليس معه جندي واحد وإنما كانت معه ذخائر وأموال وعتاد حربي ، ورسم له أن يصطنع من الأعراب وأمراء البادية ومن العرب والأكراد من يشاء ، وبغيرهم جميعا بالأموال والخلع والألقاب من قبل الفاطميين ، فإذا كانت لإجتهار تعترف لأحد أبنائها وهو لورنس ، بمخدماته في تأليب العرب على العنانيين في الحرب العالمية الأولى ، وتشيد بذكر أعماله وتمجد بطولته ، فكيف ينسى المصريون المؤيد في الدين وقيامه بما عهد إليه من حفظ ممتلكات الفاطميين ، بل ما أداه من نشر الدعوة الفاطمية في بلاد لم تذكر الدعوة فيها من قبل ، وفي إعادة بلاد أخرى كانت خرجت عن الدعوة وسلطانها . لقد وصف لنا المؤيد في سيرته حركته ومكاتباته مع أمراء العرب ، وكيف استألفهم جميعا للنهوض معه في حرب التركيانية ومساعدته في طردهم من العراق ، حتى تكاثر الانتصار حوله ، وسارع أمراء الكوفة وواسط وحلب إلى الدعوة باسم الإمام المستنصر ، فاستطاع المؤيد بما تجمع حوله أن ينتصر

على طغريك في موقعة سنجار التي ذكرها الشاعر ابن حيوس في قصيدة منها :

عجبت لمدعى الآفاق ملكا وغايته ببغداد الركون  
وبهذا النصر الذي أحرزه المؤيد دانت له الموصل والجزيرة ودبار بكر، ولكن  
جموعه كانت تضم نفوساً متباغضة متشاحنة فسرعان ماذب بينها النفور وحل الشقاق  
وتفرق عنه أكثر الأمراء حسدا منهم لمن قربهم المؤيد إليه . ووصف المؤيد حالهم  
بأنه كان بين ذئاب تتخادش وكلاب تتهارش . . . وكان يحاول تهدئتهم وإصلاح  
ما بينهم فلم يوفق ، وعلم طغريك بحالهم فأسرع إليهم وهزمهم ، وكان المؤيد  
إذذاك في الرحبة ، فاصطنع الصبر والثبات وأخذ يبحث من تفرقوا عنه إلى الرجوع  
إليه ويمدحهم ويمنيهم ، ولكنها كانت صيحة في واد ، وخشى أن يدركه العدو  
وهو حى ، فأثر أن ينسحب إلى حلب واتخذها مقرا لقيادته ، وكانت حلب في يد  
المرداسيين الذين قطعوا خطبة الفاطميين ، فإزال المؤيد بهم حتى سلوا بلدهم إلى الوالى  
الذى أرسله المستنصر الفاطمى ، وفى حلب استطاع المؤيد أن يتصل بأبراهيم بن  
ينال وأغراه أن يخالف طغريك ووعده بالتلقيب والخلع الفاطمية ، فكانت مؤامرة  
ناجحة إذ انفصل إبراهيم بن ينال عن جيوش طغريك وخرج هذا لمخاربه فاتتهز  
المؤيد هذه الفرصة ، وأمر البساسيرى بالمسير إلى بغداد فتم له ذلك سنة ٤٥٠ هـ  
ودعى على منابرها باسم المستنصر الفاطمى لمدة عام ، ولو كان وزراء مصر استمعوا  
لنصائح المؤيد لتغير وجه التاريخ الإسلامى ، وكانت هذه الحركة سببا في بحوالخلفة  
العباسية منذ دخلت جيوش البساسيرى بغداد سنة ٤٥٠ هـ ، ولكن المؤيد عاد إلى  
مصر دون أن يحفل به أحد ، ولم تحتفل مصر بامتلاك بغداد فلم ينفخ فيها بوق واحد  
ولم يقرع فيها طبل واحد ، ولا غرابة في ذلك فقد كان الوزير فى مصر إذذاك هو  
الوزير المعربى الذى لم ينس ما فعله الفاطميون بأجداده وآبائه . وهكذا أضاع  
وزراء مصر تلك الفرصة الذهبية التى هياها لهم المؤيد بدهائه وسياسته .

عاد المؤيد إلى مصر فولى مرتبة داعى الدعاة . وبذلك أصبح فى المرتبة التى شقى  
بالتطلع إليها ردحا طويلا من الزمان ، ولكنه لم يمتك فى تلك المرتبة طويلا إذ  
خشى الوزراء مكائته ونفوذه وسلطانه ، فنتفى مرة من مصر ، ثم أعيد إليها وولى مرتبة  
الدعوة ، ثم عزل عنها وولى ديوان الإنشاء مرة ثانية . وهكذا عاش حتى توفى ٤٧٠ هـ  
بالقاهرة ودفن فى دار العلم بجوار القصر ، وصلى عليه الإمام المستنصر نفسه .

كان المؤيد في الدين من أكبر علماء عصره ، وتدلنا كتيبه التي وصلت إلينا على أنه كان واسع الثقافة ملماً تماماً بجميع العلوم التي عرفت في العالم الإسلامي إذ ذاك ، قوى الحججة في مناظراته وجداله مع مخالفيه ، وقد صدق أبو العلاء المعري حين وصفه بقوله : « سيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين ، لازالت حجته باهرة ودولته عالية . . . ولو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه أو أفلاطون لتبذ حججه خلفه (١) » ويكفي أن ننظر إلى مناظرات المؤيد مع المعري لتدرك كيف كان شيخ المعرفة يتهرب من هذه المناظرة ، وأنه كان يخشى قوة منطق المؤيد وحجته مع فصاحة بيانه ، فاعترف له بالتفوق في الجدل ، وأنه ورث علم الأولين .

وضع المؤيد في الدين عدة كتب أهمها :

١ - المجالس المؤيدية وهو أكبر كتاب وصل إلينا في الدعوة الفاطمية إذ يضم هذا الكتاب ثمانمائة مجلس من مجالس الدعوة التي كان يلقيها المؤيد ، ويثبت من هذا الكتاب أن الدعوة وعلومها بلغت ذروتها على يد المؤيد ، ويعد هذا الكتاب من أقوم الكتب عند طائفة البهرة ولا يقربه إلا من بلغ مرتبة خاصة من مراتب دعوتهم . وقد رتب حاتم بن إبراهيم الحامدي الداعي النبي هذا الكتاب وقسمه إلى أبواب حسب موضوعاته ، وسمى الكتاب « جامع الحقائق » ، وإذا نظرنا في كتب الدعوة لدعاة النبي ، نرى أن جميع الدعاة كانوا يتمنون من المجالس المؤيدية ويستشهدون بها . ونرجو أن نوفق إلى نشر هذا الكتاب القيم ، فهو موسوعة في علوم الدعوة الفاطمية ، وفي هذه المجالس نرى مناظرات المؤيد وردة على المخالفين .

٢ - ديوان المؤيد في الدين : كان المؤيد شاعراً كما كان أدبياً وعالمًا وقد وصل إلينا ديوانه فإذا به مجموعة من قصائده التي أنشدها في مدح الأئمة ، وفي هذا الديوان نرى تطور حياة المؤيد ووصف أحواله وإشارات إلى جهوده ، كما ملأ قصائده بالعقائد الفاطمية ومصطلحاتها ، وطبع هذا الديوان بشركة الكتاب المصري في سلسلة مخطوطات الفاطميين .

٣ - السيرة المؤيدية ، وأهل هذا الكتاب أقوم كتاب تاريخي يفصل لنا الحياة السياسية والاجتماعية في فارس والعراق ومصر في المدة من سنة ٤٢٩ حتى سنة ٤٥٠

(١) أنظر الرسالة الثانية من الرسائل التي دارت بين المؤيد في الدين وأبي العلاء المعري في معجم الأدباء ج ٣ ص ٢٠٢ طبعة دار المأمون .

كما يند سجلا الوثائق التي تبودلت بين المؤيد وأمرام العرب ، وبينه وبين الوزراء المصريين إبان الثورة التي عرفت في التاريخ باسم ثورة البساسيري، وكذلك لم أجد كتابا من كتب التاريخ تحدث عن هذه الثورة كما تحدث عنها المؤيد ، ولا غرو في ذلك إذ كان المؤيد سبب هذه الثورة ومدبرها والمشرف عليها . وقد طبع هذا الكتاب بشركة الكانب المصرى في سلسلة مخطوطات الفاطميين .

وللمؤيد غير هذه الكتب كتاب شرح المعاد ، وكتاب الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير ، وكتاب الابتداء والانتها وكتاب تأويل الأرواح وكتاب نهج العبادة وكتاب المسألة والجواب ، وترجم إلى اللغة الفارسية كتاب أساس التأويل للقاضى النعمان وهو في تأويل قصص الأنبياء .

ويعتبر المؤيد أستاذ الدعوة في اليمن والهند. فعنه أخذ القاضى ملك بن مالك علوم الدعوة وعاد إلى اليمن يلقي على المستجيبين ما تلقاه عن المؤيد . كما يعد أستاذ ناصرى خسرو الشاعر الفارسمى المعروف ، فقد ذكره ناصر فى أشعاره ووصف مجالسه . وهكذا كان للمؤيد أثر فى الحياة السياسية والعقلية والأدبية .

## الباب الثاني

### في الحياة العلمية

بعد عصر الفاطميين من أزهى عصور مصر الإسلامية من الناحية العلمية ، فقد بلغت الحياة العلمية في مصر الفاطمية درجة كبيرة من النور والازدهار لكثرة العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا عليها ، وكثرة المؤلفات في كل فن من فنون العلم . وقد ذكرنا أن أئمة الدعوة الفاطمية كانوا يقربون العلماء ويشجعون الطلاب ، وأنهم أوقفوا أرزاقاً ثابتة للشتغلين بالعلم حتى يتبرأ لهم النفرغ لما أهلوا أنفسهم له ، فكان الفاطميون على هذا النحو من الاهتمام بشئون العلماء أسبق مما عليه كثير من الدول التي لم تعرف للعلماء قدرهم ولم توفهم حقهم ، فشغل العلماء بأمر أرزاقهم أولاً ، فركدت الحركة العلمية عند هذه الدول . وقد رأينا كيف اهتم الفاطميون بإنشاء خزائن الكتب في القصر وفي دار العلم حتى يتسنى للعلماء أن يطلعوا ويستفيدوا مما تركه السابقون ، وبلغ من تشجيع الفاطميين لطلاب العلم أن القاضي النعمان سمع إمامه المعز يقول : ولنا لنسر بمن نراه من أولياتنا بطلب العلم والحكمة ويرغب في الخير كما نسر بذلك في الولد ،<sup>(١)</sup> ففي ظل هؤلاء الأئمة ، وعلى ضوء ما ذكره الإمام المعز ، وجد العلماء ملاذاً يؤويهم من العوز ، ويحميهم من الغافة ، بل وجدوا ما يشجعهم على مواصلة البحث والدرس والتأليف .

ويذكر المؤرخون عدداً من العلماء الذين وفدوا على مصر الفاطمية ووجدوا من التشجيع ما جعلهم يذكرون مصر والأئمة بالخير . فيحدثنا ابن أبي أصيبعة أنه لما وصل المهذب بن النقاش - وكان فاضلاً في صناعة الطب - إلى الشام من بغداد أقام بدمشق مدة ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته وسمع بالديار المصرية وإنعام الخلفاء فيها وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ولا سيما من أرباب العلم والفضل ، فترجعه إلى مصر واتصل بالقاضي الأجل السيد أبي المنصور عبد الله بن الشيخ السيد

(١) المجالس والمسائرات ( ورقة ٤٦ )



أبي الحسن على فوهب له الأموال وأقام في مصر مكرماً (٢). ونردد ما ذكره المؤرخون عن القاضي عبد الوهاب بن علي أحد فقهاء المالكية المجتهدين في المذهب حتى قال عنه صاحب تاريخ بغداد: ولم أر في المالكية أفتقه منه، إذ وفد على مصر لضيق حاله ببغداد، وأكرمه المصريون بالرغم من تمذهبه بمذهب يخالف ما هم عليه، حتى تمول وحسنت حاله جداً، ولكن أدركه المرض، وكان يقول وهو في مرضه: لا إله إلا الله عندما عشنا متناً، وتوفي بمصر سنة ٤٢٢ هـ. وسنذكر غير هذين العالمين في الفصول التالية.

فالقاهرة المعزية أصبحت مطمع أنظار العلماء ومحط رجال الطلاب. وفي العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية، وأن تبسط آراءها وتعاليمها على البلدان الأخرى، حتى نرى بعض العلماء الذين كانوا ينتمون على الشيعة عامة والفاطميين خاصة يقدون على مصر ويتأثرون ببعض الآراء التي كانت سائدة فيها. وأقرب مثل تقدمه لذلك هو الإمام الغزالي، فقد هاجم الفاطميين في كتبه القسطاس والمنقذ من الضلال والمستظهرى أو الرد على الباطنية وغيرها من كتبه، ولكنه في مصر في أواخر حياته ووضع كتابه مشكاة الأنوار متأثراً ببعض العقائد الفاطمية، ولا سيما نظريتهم في ترتيب العقول.

ويخيل إلى أن السبب الذي من أجله شجع أئمة الفاطميين العلم والعلماء أن المذهب الفاطمي نفسه يقوم على العلم والعقل قبل كل شيء، ومن طريق العلم وبالجدل والمناظرات استطاعت الدعوة الفاطمية أن تنتشر في العالم الإسلامي. واستطاع الفاطميون أن يكونوا دولتهم العقيدة، فعقيدة الفاطميين كانت تقوم على العمل والعلم. فالعمل هو الظاهر والعلم هو الباطن، وعلم الباطن يقوم على استخدام العقل ومطابقة المحسوس للمعقول، فلا غرو أن رأينا الفاطميين يشجعون العلم الذي هو دعامة من دعائم العقيدة الفاطمية. وقد أثرت الفلسفة اليونانية والمذاهب الدينية القديمة في أرباب هذه الدعوة وعلمائها على نحو ما رأيناه في الباب السابق من هذا الكتاب، فسكان الفاطميون يهتمون بهذه الألوان من الدراسة الفلسفية والمذهبية، إما لإدخال بعض عناصر منها في عقيدتهم وآرائهم أو للرد عليها وتهجين

(٢) ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٠٩ (طبعة مصر سنة ١٨٨٢).

هذه الآراء القديمة ، فعل ذلك الفاطميون في الوقت الذي كان فيه أهل السنة في البلاد الأخرى يرمون من يشتغل بالفلسفة بالزندقة والإلحاد ، فالفكر اليوناني وجد ترحيبا من الفاطميين وتوسعوا في دراسته ، وقد لاحظ المستشرق أوليري ذلك فقال : وإن الحركة الفاطمية بأكلها أخذت مكاتها في جو مشبع بالفكر أهليني ، وإحياء دراسة المواد اليونانية هو الإلهام المباشر لطائفة الإسماعيلية (١) . وسرى في الفصل التالي مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الفلسفية واصطناعهم لكل من عرف بالاشتغال بفرع من فروع الفلسفة . فقد قيل إن العزيز بالله كاتب جبرائيل بن بختيشوع واستدعاه إلى مصر فاعتذر (٢) . وأرسل الحاكم بأمر الله إلى ابن الهيثم يستدعيه فأجاب ، وكتب الوزير الفلاحى إلى والى حلب وأعمالها بحمل أبى العلاء المعرى إلى مصر ليبنى له دار علم يكون متقدما فيها ، وسمح بخراج معرفة النعمان له في حياته وبعده ، وإن والى حلب سار إلى معرفة النعمان واجتمع بأبى العلاء وقرأ السجل عليه فاستمعه ، وكتب إلى الوزير الفلاحى يستعفيه من ذلك فأعفاه . وتساح الفاطميون مع العلماء الذين لم يعتنقوا مذهبهم ، بل كانوا متسامحين مع أصحاب الأديان غير الإسلامية ، فأبو الفتح منصور بن مقشور كان طبيبا للعزيز والحاكم بأمر الله ومن المقربين إليهما ، وبعد وفاته استطب الحاكم إسحق بن إبراهيم بن نسطاس وهما من أهل الذمة ، ولكن الفاطميين أغدقوا عليهما وعلى غيرهما من أصحاب الفلسفة الأموال والخانع والألقاب ، وحفظ لنا التاريخ أسماء عدد كبير منهم .

وقد ذكرنا أن الفاطميين كان لهم دعاة في جميع أرجاء البلاد الإسلامية يناقشون ويجادلون أصحاب المذاهب الأخرى ، ورأينا كيف اتف عدد كبير من المسلمين حول هؤلاء الدعاة وأخذوا عنهم علوم الدعوة ، فنستطيع إذن أن ندرك في سهولة ويسر أن هذه الدعوة الفاطمية لم تؤثر في مصر فحسب بل أثرت في جميع البلاد الإسلامية ، وتبع ذلك أن الآراء اليونانية وغيرها من المذاهب القديمة من إسرائيلية ومسيحية وزرادشتية ووثنية وهى التى صبغها الفاطميون بالصبغة الإسلامية قد انتشرت في العالم الإسلامى على أيدى دعاة الفاطميين . وإذا درسنا الحياة العقائدية في العالم الإسلامى في القرن الرابع وما بعده رأينا أكثر العلماء كانوا متأثرين بهذه

(١) O'Leary : Hist. of the Fatimid Khalife P. 140 (London 1923)

(٢) أخبار الحكماء لقفلى ص ١٠٥ .

الآراء التي بثها دعاة الفاطميين ، ونرى بعض الفلاسفة الذين نبغوا في القرن الرابع وما بعده كانوا على صلة قريبة أو بعيدة من العقائد الفاطمية أو العقائد الشيعية عامة ، فابن حوقل كان متشيعا لهم حتى قيل إنه من دعاةهم ، والفارابي مثلا في حديثه عن القلم والروح يكاد يتحدث بلسان دعاة الفاطميين ، ويكاد يشاركهم في حديثه عن التوحيد (١) ، وابن رينا قيل إنه لإسماعيلي المذهب وأن أباه كان أحد دعاةهم فنشأ متأثرا بعقائدهم ، وجماعة إخوان الصفاء الذين يرجح أنهم ازدهروا في ظل البويهيين الذين كانوا يميلون إلى التشيع ومنهم من اعتنق الدعوة الفاطمية وكان يرسل الخليفة الفاطمي ، وظهرت في رسائل إخوان الصفاء إسماعيليتهم . وابن الهيثم كان متصلا بالحاكم بأمر الله الفاطمي وعاش في كنفه ، وأبو العلاء المعري حكيم المعرة كان متأثرا تأثرا تاما بهذه الآراء التي كانت تحيط به ، فقد امتد ظل الحكم الفاطمي إلى بلاد الشام وانتشرت فيها آراء الفاطميين كما انتشرت في كل البقاع التي خضعت أو لم تخضع لهم ، فترى في أشعار أبي العلاء وكتابه كثيرا من الآراء الفاطمية التي كانت تسود ذلك العصر ، ونذكر أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى فيلسوف الدعوة وحجتها في العراق وكرمان وصاحب الكتب الفلسفية الفاطمية مثل كتاب راحة العقل وكتاب المصاييح وكتاب الهادي والمستهدى وكتاب الأقوال الذهبية وغيرها التي تدل على أن الكرمانى فيلسوف ناضج التفكير ، وأنه متأثر بما أخذه من فلسفة اليونان وغيرها (٢) ، ونذكر الماؤيدى الدين فهو من شيوخ الدعوة وفلاسفتها . وهكذا نستطيع أن نتبع كثيرا من فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وصبغوها بالصبغة الإسلامية ، وكان لهم فضل تقريب هذه الدراسات إلى جمهور المسلمين ، فإن هؤلاء الفلاسفة تأثروا بالعقائد الشيعية عامة والفاطمية خاصة .

ولم ينس الفاطميون العلوم العربية الخالصة ، بل وجروا إليها اهتماما ملحوظا وعناية خاصة ، وقد رأينا كيف كان الحاكم يجمع علماء اللغة والأدب للنظر بين يديه ، ورأينا أثر يعقوب بن كلس في نشاط الحركة العلمية والأدبية ، ويحدثنا عمارة النخعي أن مجالس الوزير الصالح بن رزيق لم تكن تنقطع إلا بالمذاكرة في أنواع العلوم

(١) راجع ما ذكرناه في كتاب راحة العقل في المقارنة بين رأى الكرمانى ورأى الفارابى

(٢) راجع كتاب راحة العقل (من مطبوعات الجمعية الإسماعيلية بالهند)

الشرعية والأدبية وفي مذاكرة وقائع الحرب مع أمراء دولته (١) . فكانت هذه العناية الخاصة التي وجهها الأئمة ووزراؤهم وأمراء دولتهم للعلوم سببا في قيام هذه النهضة العلمية الرائعة التي ظهرت في مصر الفاطمية ، وفي أن يكثر علماء مصر من التأليف وإنتاج الكتب في مختلف الفنون والعلوم .

حقيقة كان علماء مصر في ذلك العصر يشرحون أو يتقدون ما خلفه علماء المسلمين قبلهم في هذه العلوم العربية ، ولا نكاد نجد في مؤلفات المصريين في هذا العصر آراء أصيلة يتميزون بها عن الذين سبقوهم ، ولكن ليس ذلك بغريب فالنارخ يجدنا أن العلوم إذ اتهم تكويشها ووضعت قواعدها تمر على العلماء فترة بعد ذلك طويلا أو قصيرة لشرح هذه القواعد أو نقدها ، ويكثر من التأليف حول هذه القواعد دون أن يحاولوا وضع قواعد جديدة ، بل يفرعون على هذه الأصول القديمة دون مساس بالقديم . هذا ما كان عند اليونان بعد عصر الفلاسفة ، وهذا ما حدث أيضا للمسلمين في جميع الأقطار الإسلامية بعد أن وضعت قواعد اللغة ودون الأدب العربي بألوانه وفنونه ، وبعد أن صيغت القواعد الفقهية على اختلاف المذاهب ، فهذه الفترة فترة ركود ذهن العلماء عن وضع أصول جديدة وقواعد متباينة عن القديم مرت بها مصر الفاطمية بل مرت بها جميع الأقطار الإسلامية ، بل أستطيع أن أقول إننا لا نزال نعيش على هذه الأصول القديمة ، ولم نستطع أن نتحرر منها إلى الآن ، فقواعد اللغة التي دونها سيبويه وأصول الصرف كما تركها ابن جني وعروض الخليل بن أحمد وأصول الفقه كما دونه الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل هي التي تسيطر على حياتنا العلمية العربية إلى الآن ، بالرغم من أن عددا كبيرا من دعاة حرية الفكر ينادون بضرورة التحرر من القديم وتعديل هذه العلوم تعديلا يلائم حياتنا الحديثة ، ولكن لا نزال السيطرة للقديم ، ولم يستطع المصلحون إلى الآن أن يجدوا وسيلة للخلاص منه .

فبالرغم من تشجيع الفاطميين للعلماء حتى ألفوا هذه المؤلفات الكثيرة التي تحتاج إلى مجلد ضخيم لسرد أسمائها . وأن هذه المؤلفات كانت التراث العلمي للعصور التي تلت عصر الفاطميين ، فإن هذه الكتب الكثيرة ولا سيما ما كان منها

في العلوم العربية لا تظهر فيها شخصية مصر ولا أثر مصر ، إلا إذا استثنينا كتب التاريخ التي تحدثت عن مصر . ففي هذه الكتب استطاع مؤرخو مصر أن يتأثروا بما حولهم وأن يظهروا شيئاً مصرياً لا يستطيع غير المصريين أن يأنوا به .

وهناك سبب آخر لعدم ظهور شخصية مصر في كتب العلماء المصريين في العلوم العربية ، ذلك هو رحلات العلماء في الأقطار الإسلامية طلباً للعلم ، فصر بموقعها الجغرافي الممتاز الذي جعل منها مركزاً وسطاً بين الشرق والغرب وطريق الغرب إلى الأراضي المقدسة ، هذا الموقع الجغرافي جعل مصر مركزاً هاماً لتبادل الآراء العلمية بين الأقطار الإسلامية ، فعلماء الأندلس والمغرب وصقلية كانوا مضطرين إلى التعرّيج على مصر في رحيلهم لتأدية فريضة الحج . أو في رحيلهم لطلب العلم في العراق وفارس ، وتطول مدة إقامتهم في مصر أو تقصر يأخذون عن علماء مصر أو يلقون على المصريين ما عندهم من علم فتتلاقح الآراء وتتزوج وتصبح متشابهة لا فرق بين أندلسي ومصري ومغربي وصقلّي ، ولا تظهر الشخصية الإقليمية في هذا النحو من العلم ، وكذلك نقول عن علماء مصر الذين رحلوا في طلب العلم من الأقطار الأخرى وعلماء الأقطار الأخرى الذين رحلوا في طلب العلم أو للتعليم في مصر ، فهذه الرحلات الكثيرة كانت سبباً في الألتماز العلوم العربية بتماز الأقطار ، حتى أصبحنا لا نفرق بين كتب المشاركة وكتب المغاربة إلا عن طريق التأريخ المؤاذين أنفسهم . أما من الناحية الموضوعية للكتب فمن الصعب العسير أن نصل إلى نتيجة يطمئن إليها الباحث ، والأقطار العربية التي كانت تتنازع فيما بينها في السياسة والمذهب الديني ، وتتمسب فيها الحروب المختلفة ، كانت تربطها وتوحدتها هذه الحياة العلمية ، لجعلتها كتلة واحدة تدرس علومها واحدة لا فرق بين قطر وقطر ، ولا تزال هذه الظاهرة إلى الآن في العلوم العربية الخالصة والعلوم الإسلامية ، وأملنا عظيم اليوم وقد توحدت البلاد العربية في آرائها السياسية أن تتم وحدتها في مختلف ألوان الثقافة حتى يعود للعرب مجددهم القديم بهذا الوحدة التي لن تنفصم بعون الله وبفضل يقظة البلاد العربية .

# الفصل الأول

## العلوم الفلسفية

إذا قلت العلوم الفلسفية فإنما أقصد بها جميع العلوم التي كانت تشتمل عليها الفلسفة في القرون الوسطى ، والتي تضمنها رسائل إخوان الصفاء من رياضيات وموسيقى وطب وتنجيم وطبيعيات وإلهيات ومنطق إلى غير ذلك من هذه العلوم التي كان يحذقها فلاسفة هذه العصور ، والتي لا يستحق طالب الفلسفة هذا اللقب إلا إذا ألم بها جميعا ، وقد رأينا كيف كانت العقائد الفاطمية تعتمد قبل كل شيء على العلم وتمييز الإلهيات من الطبيعيات ، فلا غرو أن نرى هذه العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها تزدهر في العصر الفاطمي وبرعاها الفاطميون ، بل كان من الخلقاء الفاطميين من أتقن هذه العلوم وبرز فيها ولا سيما رصد الكواكب ، فالمؤرخون يذكرون أن المعز لدين الله والعزير والحاكم بأمر الله والحافظ كانوا يرصدون النجوم لاستقراء ما وراها من أحداث ، ويذكر المؤرخون أن اهتمام الأئمة بهذه العلوم كان وسيلة لدعائهم معرفة الغيب ، ويروي المؤرخون بعض روايات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ، كما يروون بعض الأشعار كان يتكلم بها المصريون على ادعاء الفاطميين معرفة الغيب ، من ذلك ما روى أن العزير بالله صعد المنبر ذات يوم فرأى رقعة كتب فيها :

بالظلم والجور قد رضينا      وليس بالكفر والحماقة  
إن كنت أعطيت علم غيب      فقل لنا كاتب البطاقة

وتضيف الرواية أن العزير بالله أفلح عن ادعائه الغيب بعد ذلك ، ويروي ابن ميسر في تاريخه أن الثعلبي زاد وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة ، فلما بلغ الحافظ ذلك أظهر الحزن والانقطاع ، فدخل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتابا فإذا فيه : إذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد ، ثم قال : هذا الكتاب الذي نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي

بعدها (١) فإن صحت هذه الرواية فهي تؤيد ما أذاعه الناس وتناقله الرواة عن ادعاء الفاطميين الغيب وأن الأئمة يعرفون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . وبين يدي الآن كتاب ، الفترات والقرانات ، المنسوب إلى جعفر بن منصور العين من علماء الدعوة في القرن الرابع الهجري — ولكنني أشك في نسبة هذا الكتاب إليه — يتحدث في هذا الكتاب عن أثر الكواكب في عالم الكون والفساد ويقتبأ بما سيحدث في الأيام المقبلة . وذهب مؤلفه إلى أن علم القرانات أو علم الجفر علم خص الله سبحانه به آدم عليه السلام وورثه آدم وصيه شيث ، وتداوله الأنبياء والأوصياء والأئمة إلى الخلفاء الراشدين والنجباء المتوحدين بالتأييد (٢) ، ويروي علماء الدعوة أن علي بن أبي طالب كان يقول : لو ثبت لي وسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل النوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بالانجيلوم وبين أهل الفرقان بفرقاتهم ، ولولا أن يقال إن ابن أبي طالب ساحر لأخبرتكم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة مما علمني رسول الله صلعم (٣) ، فهذا كله يؤيد ما قيل عن الفاطميين أنهم كانوا يدعون علم الغيب وأنهم كانوا يستغلون معرفتهم بحركات الأفلاك لادعاء الغيب . ولكن بجانب هذه النصوص التي تثبت ذلك نجد نصوصاً أخرى تثبت عكسها ، فالفاضل النعمان يحدثنا في كتابه المجالس والمسائرات : ذكر الإمام المعز لدين الله يوماً وأنا بين يديه النجامة والمنجمين . فقال : من نظر في النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره وما في ذلك من الدلائل على توحيده لا شريك له ، فقد أحسن وأصاب . ومن تعاطى بذلك علم غيب الله وانقضاه بما يكون فقد أساء وأخطأ . ولقد كان المنصور بالله من أعلم الناس بها ، ولقد قال لي غير مرة : والله ما نظرت فيها إلا طلباً لعلم توحيد الله وتأثير قدرته وبجائز خلقه ، ولقد عانيت ما عانيت من الحروب وغيرها فما عملت في شيء من ذلك باختبار مني دلائل النجوم ولا النفث إليه ، ثم قال المعز : أتاني بعض المنجمين بكتاب الله يذكر فيه خلق آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله عز وجل ، وما دلت عليه بما آل أمره وأمر ذريته إليه ، ورأى أنه أتى

(١) أخبار مصر لابن ميسر حوادث سنة ٥٤٣ هـ والنقري ج ١ ص ٩٧ .

(٢) كتاب الفترات والقرانات ورقة ٢ نسخة خطية بمكتبتي الخاصة .

(٣) المجالس المؤيدية والفترات والقرانات ص ٥٧ والسيرة المؤيدية في الفصيحة المسطحة .

في ذلك إلى بفائدة وعلم سبق إليه ، فلما وقفت على كتابه سألته : هل كان قبل آدم  
شيء ؟ قال : نعم قد كان قبله ، قلت : فما كان قبله ؟ ومن كان ؟ وكيف كانت هذه  
الكواكب قبل ذلك وما دلت عليه قبل خلق آدم ؟ فلم يجز جوابا ، وقال : هذا  
شيء ما ظننت أني أسأل عنه ، قلت : وهذا الذي تكلفته وجئت به ما سألت عنه  
أيضا فكيف تكلفته ، فمجيبت من قوم يذتهون فيما لا يعملون ويتعاطون ما لا يدرون (١)  
فهذا يدل على أن المنصور بالله والمعز لدين الله لم يدعيا الغيب ، ولم يدرسا الكواكب  
وحركاتها لعلمها كان وما سيكون ، ويقول جعفر بن منصور الجيني في كتابه الكشف :  
« قال الله تعالى : قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم  
إني ملك ، وهذا قول نوح عليه السلام الذي ذكر الله في كتابه عنه ، وكل هذا دليل على  
أن الأئمة والرسل لا يعملون إلا ما أعلمهم الله بوحيه وتأيدده ونوره وتثبته عن الله  
جل ذكره (٢) ، فهذا دليل آخر تقدمه في دفع تهمة ادعاء الفاطميين للغيب .  
وقال القاضي النعمان في كتابه الهمة : « فإننا لا نقول ما قاله الغلاة الضالون  
المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون لإمامتهم الزاعمون أنهم يعملون غيب الله  
وما تخفى صدور عباده ، تعالى الله الذي تفرد بعلم ذلك دون خلقه ، ولم يطلع ما شاء  
منه إلا من ارتضى من رسله ، وإننا أراذ هؤلاء الفسقة . بما نسبوه إلى الأئمة صلوات  
الله عليهم من ذلك دفع إمامتهم لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعملون الغيب والناس  
يروهنم لا يعملون من أمور الناس إلا ما ظهر منها لهم لم يكونوا أئمة عند أولئك  
الفسقة ولا عند من قبل منهم ، إذ لم تكن تلك الصفة التي وصفهم بها منهم (٣) . ولعل  
سبب هذا الادعاء هو تطرف بعض الدعاة في إسباغ جميع الفضائل على الأئمة حتى  
جعلوا أئمتهم يعملون الغيب ، وكان اختلاف الناس في هذا الأمر مصدر جدل بين  
المصريين ، وصور لنا الأمير تميم في إحدى قصائده ذلك كله بقوله يخاطب أخاه  
الإمام العزيز بالله :

ولما اختلفنا في النجوم وعليها      وفي أنها بالنفع والضر قد تجرى  
فن مؤمن منها بها ومكذب      ومن مكثر فيها الجردال ولا يدري

(١) المجالس والمساربات ورقة ٩٢ ب .

(٢) كتاب الكشف لجعفر بن منصور الجيني ( نسخة خطية بمكتبتي ) .

(٣) كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة ( طبع دار الفكر العربي ) ص ٥٤



ومن قائل تجزى بسعد وأنحس  
فعلمتنا تأويل ذلك كله  
عن الطاهر المنصور جدك ناقلنا  
فأخبرتنا أن المنجم كاهن  
وأن جميع الكافرين مصيرهم  
لجمعتنا بعد اختلاف ومرية  
وأوضحت فيها قول حق مبرهن  
فعدنا إلى أن الكواكب زينة  
مسخرة مضطرة في بروجها  
وأن جميع الغيب لله وحده  
وما علمت منه الآتية إنما  
وتعلم ما يأتي من الخير والشر  
بما فيه من سر وما فيه من جبر  
وكان بها دون البرية ذا خبر  
بما قال، والسكان من شيعة الكفر  
إلى النار في يوم القيامة والحشر  
وأفتنا بعد التنافر والزجر  
يجلي ظلام الشك عن كل ذي فكر  
وفيها رجوم للشياطين إذ تسرى  
تسير بتدبير الإله على قدر  
تبارك من رب ومن حمد وتر  
رووه عن المختار جدهم الطهر (١)

وإذن نستطيع أن نخالف المؤرخين الذين رموا الفاطميين بادعاء الغيب، فإن هؤلاء المؤرخين استقوا أخبارهم من إشاعات العامة وأقوال بعض الغلاة ولم يحققوا الأمر تحقيقاً علياً، فقصيدة الأمير تميم وأقوال علماء الدعوة تنفي ما جاء به المؤرخون وتبريء الفاطميين من ادعاء الغيب.

حقيقة أهتم الفاطميون بالنجوم ورصدها، واستدعى الفاطميون إلى مصر عدداً كبيراً من المنجمين، فعندما دخل المعز لدين الله مصر قدم معه منجمه محمد بن عبد الله بن محمد العتقي (٢)، ورفع العزيز بالله منزلة المنجم أبي عبد الله بن القلانسي إلى أن توفي سنة ٣٨٦ (٣)، وأنشأ الحاكم بالمقطم منزلاً يرصد فيه النجوم وعمل

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز ورقة ٩٣ ب نسخة خطية بمكتبي الخاصة.

(٢) أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن محمد العتقي المنجم كان منفتحاً في عدة علوم والغالب عليه علم النجوم، ولما وفد بمصر قر به الفاطميون ولم يزل مقرباً إلى أيام العزيز بالله ولكن حدث أن صنف كتاباً في التاريخ ذكر فيه بني أمية وبني العباس وأشاد ببعض عمالتهم وجبل أمثالهم، وأطلع عليه الوزير يعقوب بن كاس فأشبهه إلى العزيز فوخ العتقي على ذلك وجمع الوزير العلماء إلى داره وضم العتقي أمامهم، فاضطر العتقي إلى أن يلزم داره كما صودرت أملاكه وتوفي سنة ٣٨٥ هـ وله عدة تصانيف منها كتب في النجوم وأحكامها وكتاب التاريخ الجامع صنفه إلى بعض أيام العزيز، وكتاب في النحو سماه السبيل لم العرب [راجع أخبار الحكماء لقفطي ص ١٨٧]

(٣) القفطي ص ٢٦٧.

له منجمه أبو الحسن علي بن يونس الزيج الحاكي في أربعة مجلدات، ويقول ابن خلكان عنه إنه لم ير في الأزياج علي كثرتها أطول منه (١)، ويقول الففطلي إن ابن يونس كان يقصد تحرير زيج جامع كبير يدل على أن صاحبه كان أعلم الناس بالحساب (٢) وهذا الزيج هو الذي سار عليه منجمو مصر بعده. ويذهب المقرئزي إلى أنه عمل للأفضل بن بدر الجمالي مائة تقويم لاستقبال سنة خمسمائة من الهجرة، وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى في كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم في كل سنة، فإذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير، فأنكر ذلك، فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند إحضار التقويم على العادة جمع المنجمين والحساب وأهل العلم وسألهم عن السبب في الاختلاف بين التقويم فقالوا: الشامي يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأموني، ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكي لقرب عهده، وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف، ثم أشاروا عليه بعمل رصد مستجد، وأشار عليه أبو الحسن بن أبي أسامة أن يتولى ذلك القاضي ابن أبي العيش الطرابلسي المهندس العالم. ولكن الأفضل غضب على ابن أبي العيش وولى بدله أبا سعيد بن فرقة الطيب، فنشط في إقامة المرصد وساعده جميع المهندسين وعلماء الحساب والتنجيم إلى أن قتل الأفضل سنة ٥١٥ هـ وولى الوزارة المأمون البطائحي فأحب أن يتم هذا الرصد على أن يعرف بالرصد المأموني المصحح، واستمر العمل إلى أن قتل الوزير البطائحي سنة ٥١٨ هـ فوقف العمل به، وكان من المهندسين الذين اشتركوا في إقامة هذا الرصد أبو جعفر بن حسنداى والقاضي ابن أبي العيش، وأبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب، وأبو النجاشي بن سنده الساعاتى الاسكندراني المهندس، وأبو محمد عبد الكريم الصقلى وغيرهم، ومن الحساب والمنجمين ابن الحلبي وابن الهيثمي وأبو النصر تليذ سهلون وابن دياب والقلمى وغيرهم (٣). وكان الخليفة الحافظ مغرما بعلم النجوم وله عدة من المنجمين (٤). وما يدل على

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٥ . (٢) الففطلي ص ١٥٥

(٣) المقرئزي ج ١ ص ٢٠٦ . (٤) المقرئزي ج ٢ ص ٢٤٩ .

شدة عناية الفاطميين بحركات الكواكب ما يرويه ابن السنيدي وكان من أهل الخبرة بعمل الاضطراب والحركات أن الوزير الجرجاني تقدم سنة ٤٣٥ فأمر بعمل فهرست لخزانة الكتب وبرم. ما أخلق من جلودها وأنفذ القاضي القضاعي وابن خلف الوراق ليتوليا ذلك ، وحضر ابن السنيدي ليشاهد ما يتعاقب بصناعته قل : فرأيت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء وكرة نحاس من عمل بطليموس وكرة أخرى من عمل أبي الحسين الصوفي للملك عضد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم قد اشترت بثلاثة آلاف دينار ، (١) من هذا كله نستطيع أن ندرك مدى عناية الفاطميين بهذا اللون من العلم ، ولكر الفاطميين لم يكونوا بدعا في ذلك كله، فهم ليسوا بأول من رصدوا النجوم ، وجعلوا رابطة بين الكواكب العلوية والعالم السفلي وتأثير حركات الكواكب في الأرض ، فهذا كله قديم معروف قبل ظهور الإسلام وبعد الإسلام ، ففي أوائل قيام الدولة العباسية عنى أبو جعفر المنصور بالتنجيم والنجوم ، وترجم له السندهند ، وجاء خلفاء العباسيين واقتدوا به حتى أصبح للتنجيم شأن كبير عندهم وجعلوا للتنجيم رواتب واستشارهم الخلفاء في أحوالهم الإدارية والسياسية ، وليس ببعيد عن أذهاننا قصة فتوح عمورية وقصيدة أبي تمام التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ويقول أستاذنا المرحوم كارلو نالينو إن التنجيم كان له شأن في قصور الخلفاء والسلاطين وبين العامة ، وظل كذلك الى القرن الماضي فكان في دخول الحضارة الغربية عامة ومذهب كوبرنيقوس خاصة القضاء المبرم على التنجيم ، بيد أنه لا يزال موجوداً في البلاد التي لم تصب من الحضارة الغربية الا قليلاً (٢) . فالفاطميون شاركوا غيرهم من المسلمين في التنجيم والفلك . وقد يكون من أهم الأسباب التي أدت الى اهتمامهم بالفلك مسألة ابتداء شهر رمضان ، فقد ذكرنا أن الفاطميين جعلوا شهر رمضان ثلاثين يوماً دائماً ، ولم يبدأوا صومهم برؤية الهلال رؤية بصر بل رؤية استبصار . فرصدوا حركات الأجرام السماوية ليعرفوا مبدأ الشهر على حساب أن

(١) الففطلى ص ٢٨٦ .

(٢) مادة تنجيم في دائرة المعارف الاسلامية .

السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم ، وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وأن كل ناقص منها يتلوه تام ، ولشدة الدقة في هذا التقويم اضطروا الى استخدام عدد كبير من علماء الفلك والتنجيم والحساب والمهندسين وغيرهم من الفلاسفة الذين أقاموا المراصد والزيجات .

### ابن الهيثم

ولعل أشهر عالم رياضى شهدته مصر الفاطمية هو الفيلسوف أبو على محمد بن الحسن بن الهيثم وقيل : إنه أبو على الحسن بن الحسن بن الهيثم ، اتفق المؤرخون على أنه بصرى المولد والنشأة ، وإن كانوا لم يذكروا شيئا عن حياته في شبابه ، فإن هذه العترة من عمره غامضة أشد الغموض ، والذي ذكره المؤرخون أنه رحل إلى الشام وعاش في كنف أمير من أمراءها ، وأن الأمير أهدى عليه نعمة وعطاياها ، ولكن ابن الهيثم كان يقول للأمير : « يكفيني قوت يومي ، وتسكفني جارية وعادم ، فما زاد على قوت يومي إن أمسكته كنت خازنك . وإن أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك ، وإذا اشتغلت بهذين الأمرين فمن الذى يشتغل بأمرى وعلى ؟ فما قبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها ولباسا متوسطا (١) ، فإن صححت هذه الرواية فهى تدلنا على ما كان عليه ابن الهيثم من انصراف الى العلم ورغبة عن المال خوفا من أن يشغله المال عن العلم ، وكان حريصا أن يتمسك بما يجب أن يكون عليه العالم الفاضل من خلق وترفع عن طلب الماديات ، وأين هم العلماء الآن الذين لا يسمعون وراء المال وإن كان ذلك بطرح العلم ؟ وأين العلماء الآن الذين يرفضون من مناع الدنيا ما بفيض عن حاجتهم الضرورية ، فإن علماء عصرنا مع شديد الأسف يتسكلبون على جمع المال بشتى الطرق والوسائل ، والحقد يملأ قلب أحدهم إذا أثرى له زميل ، أو ارتفع قدره . ولعلنا نشاهد الآن ما عليه بعض من نطابق عليه لقب عالم يترك العلم والبحث للجرى وراء اقتناء الدرر والآراضى ويكهن الآموال وهو فى غنى عن ذلك كله إن كان عالما حقا قانعا فناعة ابن الهيثم وما تحلى به من خلق .

(١) تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ٥١ مخطوط بدار الكتب المصرية .

ويروى البيهقي قصة نذكرها الآن لعلها تجدد عند ساداتنا علماء عصرنا رادعا لهم  
عما هم عليه ، فهي تدل على أن ابن الهيثم لم يأبه بالمادة ولم يطلب سوى العلم للعلم ،  
تقول القصة إن أمير أجهاد يطلب العلم عليه ، فقال له ابن الهيثم : أطلب منك للتعليم أجرة  
وهي مائة دينار في كل شهر ؛ فبذل ذلك الأمير ما طلبه ابن الهيثم ، وما قصر فيه ، وأقام  
عند ابن الهيثم ثلاث سنوات يأخذ عن أستاذه العلم ، فلما عزم الأمير على الانصراف  
إلى دياره قال له ابن الهيثم : خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها وأنت أحوج  
إليها مني عند عودتك إلى مقر ملكك ، ومسقط رأسك . وإني قد جربتك بهذه  
الأجرة ، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم بذلت مجهودي  
في تعليمك وإرشادك . واعلم أن لأجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير ، ثم  
ودعه وانصرف (١) . وهكذا كان ابن الهيثم يتصف بصفات العالم بما في هذه الكلمة  
من معان وأوصاف . وظل ابن الهيثم بالشام حتى سمع به الإمام الحاكم بأمر الله  
الفاطمي ، وقيل إنه نقل إلى الحاكم أن ابن الهيثم قال : لو كنت بمصر لعملت في  
نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالته من زيادة ونقص ، فقد بلغني أنه  
ينحدر من موضع عال وهو في طرف الإقليم المصري (٢) ، فزاد الحاكم شوقا  
إلى ابن الهيثم للاستفادة من علمه ، وأرسل إليه برغبته في الوفود إليه ، فاستجاب  
ابن الهيثم إلى رغبته وخرج الحاكم نفسه للقائه والترحيب به وقربه إليه وأكرمه ،  
ثم طلب إليه الحاكم أن ينظر في أصول النيل عناه بنفذ ما خطر له وهو بالشام ،  
فرحل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ موضع الشلال الأول قبل أسوان ، ورأى في  
طريقه آثار قدماء المصريين فعلم أنه لا يستطيع أن يأتي من الأعمال الهندسية ما لم  
يبلغ القدماء معرفته ، فإظهر ابن الهيثم بحجته وعاد إلى القاهرة معذرا إلى الحاكم (٣)  
وهذه خصلة أخرى نسجلها لهذا العالم العظيم الخلق الذي خطر له رأى فلما  
كلف بتنفيذه أبي عليه تواضعه العلمي إلا أن يعترف بهجزه أمام ما وجده من فن  
القدماء ، ولولم يكن ابن الهيثم على هذا الخطر من الخلق العظيم لتمادى في مشروعه  
ولسلك الدولة آلاف الدنانير ولا استفاد هو أيضا إن كان على نمط علماء عصرنا ،

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ٥١ وما بعدها نسخة خطية بدار السكتب المصرية

(٢) الفقهى ص ١١٤

(٣) الفقهى ص ١١٥

فأحرانا وقد مضى نحو ألف عام على وفاة ابن الهيثم أن تتمثل به في قناعته وتواضعه وعلمه . وكان من المتوقع أن يفضب الحاكم بأمر الله على ابن الهيثم ، ولكن الإمام الحاكم حفظ له مكانته وعرف قدر خلقه وعلمه ، ففلا بعض الدواوين ، وقبل ابن الهيثم العمل رهبة لارغبة . ثم خاف بطش الحاكم بعالمه وتقلباته مع من حوله ، فزوات الحاكم وتسرعه في إرافة الدماء أو التعذيب أمر عرف به هذا الإمام ، فاضطر ابن الهيثم إلى أن يتصنع الجنون والخبال ، فتركه الحاكم في منزله وجعل له من يخدمه ويقوم بمصالحه (١) فاعتكف ابن الهيثم حتى بلغه وفاة الحاكم سنة ٤١١ هـ مطمأن من نزواته على نفسه ، فأظهر العقل وعاد إلى ما كان عليه ، واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر ، وأقام بها متنسكا ، واشتغل بالتصنيف والتعليم ونسخ الكتب القديمة ، فكان يتعشى من نسخ ثلاثة كتب كل سنة هي لإقليدس والمتوسطات والمجسطي ، وبيعمها بمائة وخمسين ديناراً هي مؤنته لسنة (٢) ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة .

اتفق المؤرخون الذين ترجموا لابن الهيثم على أنه كان عالماً متقناً لعلوم كثيرة فيقول الففطى عنه : « ابن الهيثم صاحب التصانيف والآليف المذكورة في علم الهندسة ، كان عالماً بهذا الشأن متقناً له متفنتاً فيه قياً بغوامضه ومعانيه مشاركاً في علوم الأرائل ، أخذ عنه الناس واستفادوا منه ، (٣) . ويقول البيهقي : « الحكيم بطليموس الثاني أبو علي بن الهيثم ، كان تلو بطليموس في العلوم الرياضية والمعقولات ، وتصانيفه أكثر من أن تحصى (٤) ، ويذهب ابن أبي أصيبعة إلى أن ابن الهيثم كان متفنتاً في العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه (٥) . ويقول المستشرق دي بور : نجد في القاهرة في أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ( الخامس من الهجرة ) رجلاً من أعظم الرياضيين والطبيعيين في العصور الوسطى هو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم (٦) . وسرد الففطى أسماء سبعة وستين كتاباً من تأليف ابن الهيثم ، أما ابن أبي أصيبعة فذكر

(١) الففطى ص ١١٥ وابن أبي أصيبعة ص ٢٠ ص ٩٠

(٢) الففطى ص ١١٥ وابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٠ (٣) الففطى ص ١١٤ (٤) تاريخ

حكمة الاسلام ص ٥١ (٥) ابن أبي أصيبعة ص ٢٠ ص ٩٠ (٦) تاريخ الفلسفة في الاسلام

ص ١٩٠ ترجمة الدكتور أبو ريدة .

له ما يقرب من مائتي كتاب ، خلا رسائل كثيرة ، فقد ألف ابن الهيثم في الهندسة والطبيعية والفلك والحساب والجبر وفي الطب والمنطق والأخلاق ، فلا غرو إذا رأينا الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية تحتفل بذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاة ابن الهيثم ، وقد أظهر أعضاء هذه الجمعية الثروة العلمية التي خلفها ابن الهيثم ، ونوهوا بمكانته في هذه الفنون التي نبغ فيها وعرض لها في مصنفاته ، فالاستاذ مصطفى نظيف بك قال : « إن ابن الهيثم قلب الأوضاع القديمة ، وأنشأ علما جديدا ، هو قد أبطل علم المناظر الذي وضعه اليونان ، وأنشأ علم الضوء الحديث بالمعنى وبالحدود وبالاصول التي تراها الآن ، وإن عد نيوتن بحق رائد علم الميكانيكا في القرن السابع عشر ، فإن الهيثم خليق بأن يعد بحق رائد علم الضوء في مستهل القرن الحادي عشر للميلاد ، (١) .

وقال الاستاذ محمد رضا مدور بك : « إذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فلا أكون مغاليا إذا اعتبرت ابن الهيثم في مرتبة تضاهي مرتبة العلامة أنيشتين في عصرنا هذا (٢) .

ويقول الاستاذ الدكتور مشرفة باشا : « المطلع على كتاب ابن الهيثم في حل شكوك إقليدس يلبس فيه دقة المؤلف في التفكير وتعمقه في البحث واستقلاله في الحكم ، كما يتضح له صحة إدراك ابن الهيثم لمكان الهندسة الإقليدية من العلوم الرياضية على أنها دراسة منظمة للعلاقات والمقادير المكانية من ناحية كونها علاقات أو مقادير ، وبغير نظر إلى ما يمكن أن تدل عليه من موجودات . فإن الهيثم في هذا الكتاب رياضي بحث بأدق ما يدل عليه هذا الوصف من معنى وأبلغ ما يصل إليه من حدود (٣) ، فهذا كله قول مختصين يستطيعون الحكم على مكانة ابن الهيثم في العلوم الرياضية والطبيعية ، ولكن ابن الهيثم كان في مصر الفاطمية فوجدت تعاليمه وآراؤه ما وجدت مصر الفاطمية كلها بسبب تعصب من أتى بعد الفاطميين ، وقد لاحظ الاستاذ ديبور إهمال العلماء له فقال : لأنه لم يكن لدعوة ابن الهيثم ثمرة كبيرة في الشرق ، ولا يعرف من تلاميذه غير واحد بعد من العلاسفة هو أبو الوفاء

(١) الاجتماع التخليدي لذكرى ابن الهيثم - ٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٣١

(٣) المصدر السابق ص ٤

مبشر بن فانك القائد (١) ولكنى أرى خلاف ما رآه ديبور فقد كان لابن الهيثم تلاميذ كثيرون ، وأنهم حافظوا على تعاليمه ودعوته ، ولكن كما قلت كان التعصب الدينى عند الأيوبيين والعباسيين قويا حتى لأنهم لم يفرقوا بين عقيدة الفاطميين أعدائهم وبين العلوم الرياضية ، فكل من اتصل بالفاطميين فهو من زميرهم وكل عالم من علماء مصر الفاطمية منهم بالخروج عن الدين ويجب أن تحرق كتبه ولا تبيع تعاليمه . وهذا ما حدث لابن الهيثم وغير ابن الهيثم من العلماء .

أما مبشر بن فانك الذى ذكر أنه تلميذ ابن الهيثم فهو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فانك وكان من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها ، دائم الاشتغال حياً للفضائل والاجتماع بأهلها ومباحثاتهم والانتفاع بما يقتبسه من جهتهم ، وكان ممن اجتمع به منهم ، وأخذ عنه كثيرا من علوم الهيئة والعلوم الرياضية أبو على محمد ابن الهيثم (٢) . ويقول أمية بن أبي الصلت إنه أدرك أبا الوفاء وأخذ عنه شيئا من المنطق وتخصص به وتميز عن أضرابه ، وأن أبا الوفاء أدرك أبا كثير بن الزقان تلميذ أبي الحسن على بن رضوان وقرأ عليه بعض كتب جالينوس ، ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية وشرح بزعمه وفسر ولخص (٣) ، وكان أبو الوفاء أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ ، وكان فى أيام الظاهر والمستنصر وله كتاب سيرة المستنصر فى ثلاثة مجلدات ، وله تواليف فى علوم الأرائل كما كان حريصا على اقتناء الكتب لجمع منها ما لا يحصى عدده كثرة (٤) . ويقول القفطى إنه قرأ على المبشر فضلا زمانه فسادوا (٥) ، ويذكر من تلاميذه الطبيب سلامة بن رحمون اليهودى الذى ناظر أمية بن أبي الصلت (٦) .

ومن الرياضيين الذين كانوا فى هذا العصر رزق الله المنجم النحاس الذى وصفه أمية بقوله : « وله فى فروع النجامة بعض دربة وتجرباتها بعض خبرة ، وهو شيخ أكثر المنجمين بمصر وكبيرهم الذى علمهم السحر ، فجميعهم إليه منسوب

(١) تاريخ الفلسفة من ١٩٤

(٢) ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٩٨

(٣) الرسالة المصرية من ٧٧ نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

(٤) معجم الأدياء ج ١٧ ص ٧٧ (طبعة رفاعة) (٥) القفطى من ١٧٦ .

(٦) القفطى من ١٤٢ وابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ١٠٦ .



وفي جريدته مكتوب وبفضله معترف ، (١) . وأبو علي المهندس المصري الذي كان قديما بعلم الهندسة ، وكان يعيش في أوائل القرن السادس الهجري ، وكان مع ذلك أدبيا شاعرا ، ويظهر من شعره أنه متأثر بدراسته الهندسية فهو يقول مثلا :

نقسم قلبي في محبة معشر بكل فتى منهم هوأى منوط  
كأن فؤادي مركز وهم له يحيط وأهوائى لديه خطوط (٢)

وقوله أيضا :

إقليدس العلم الذي يحوى به ما في السماء معا وفي الآفاق  
تركو فوائده على إنفاقه يا حبذا زاك على الإنفاق  
هو سلم وكأنما أشكاله درج إلى العلياء للطراق  
ترقى به النفس الشريفة مرتقى أكرم بذاك المرتقى والراقي (٣)

وظهر في مصر في هذا العصر عدد كبير من الأطباء ، والطب كما نعلم كان في ذلك العصر من علوم الفلسفة ، وكثرت في مصر الفاطمية مناظرات الأطباء ومجادلاتهم ، فكان ذلك من أسباب ازدهار هذا النوع من العلم واتساع أفقه وكثرة التأليف حوله ، وقرب الفاطميون الأطباء وأغدقوا عليهم من نعمهم وعظاياهم خلاف ما أوقفوه لهم من مرتبات شهرية ، فن ذلك ما يروى أن منصور ابن مقشر النصراني طبيب العزيز بالله اعتل سنة ٣٨٥ هـ وتأخر عن الركوب مع الإمام ، فلما تأمل من علته كتب إليه العزيز رقعة بخطه نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم .  
طبيبنا سلمه الله .

سلم الله الطبيب وأتم النعمة عليه ، وصلت إلينا البشارة بما وهبنا الله من عافية الطبيب وبرئه ، والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقنا نحن من الصحة في جسمنا ، فتمم الله عليك النعمة ، وكل لنا صحتك وعجل بها ، ولا أشمت بنا فيك عدوا ولا حاسدا ، ورد كيد من يريد السكيد في بحره ، وابتلاه بما لا طاقة له ، بعد انكفاية فيك ، وإفالتك العثرة ، ورجوعك إلى أفضل ما عودك ، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليما (٤) .

(١) الفقهى من ١٢٧ . (٢) الفقهى من ٢٦٧ (٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق من ٢١٩

فثل هذه الرسالة لا تصدر إلا من صديق حميم يخلص لصاحبه ويحب له الخير ،  
فيا بالك اذا صدرت من إمام مسلم إلى طبيبه المسيحي ، فالإمام عرف لطيبه قدرته  
في فنه وعلو كعبه في صناعته ، فقربه واتخذة صديقا ، وكذلك يقال : إن المعز  
لدين الله اصطنع لنفسه الطبيب موسى بن العيزار ، وكان طبيبا عالما بتركيب الادوية  
وطبائع المفردات ، وهو الذي ألف شراب الأصول (١) .

ووقد على مصر في عهد المعز والعزير الطبيب محمد بن أحمد بن سعيد التميمي وهو  
من بيت المقدس ، واشتهر بخواص العقاقير وتركيب الادوية ، ولقي الأطباء بمصر  
وحاضرهم وناظرهم ، واختلط بأطباء الخاصة القادمين من المغرب في صحبة المعز  
والمقيمين بمصر من أهلها . ويقول القفطي : إنه كان منصفا في مذكراته ، غير راد على  
أحد إلا بطريق الحفيظة ، وصنف للوزير يعقوب بن كلس كتابا كبيرا في عدة  
مجلدات سماه : مادة البقاء ، بإصلاح فساد الهواء ، والتحرز من ضرر الأوباء ،  
وتوفي التميمي بمصر في حدود سنة ٣٧٠ هـ (٢) .

ومن أشهر الأطباء في هذا العصر سلامة بن رحمون أبو الخير اليهودي المصري  
الذي قال عنه أمية بن أبي الصلت : « وأبيه من رأته من أطباء مصر وأدخلهم في  
عداد الأطباء رجل من اليهود يدعى أبا الخير سلامة بن رحمون فإنه لقي أبا الوفاء  
المبشر بن فانك وأخذ عنه شيئا من صناعة المنطق تخصص به وتميز عن أضرابه  
وأدرك الكثير الرقاني تلميذاً أبي الحسن بن رضوان وقرأ عليه بعض كتب جالينوس ،  
ثم نصب نفسه لتدريس كتب المنطق جميعا وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية ،  
وشرح بزعمه وفسر ولخص ، ولم يكن هنالك في تحصيله وتحقيقه ، بل كان يكشر  
كلامه فيفضل ، ويسرع جوابه فيزل (٣) ، وناظره أمية ، ولكن إجابات سلامة لم  
تجد منه قبولا ، فرماه بسوء التصور والفهم (٤) .

ولعل من أشهر أطباء هذا العصر هو أبو الحسن علي بن رضوان ، ولد بالجيزة  
وكان أبوه فرانا ، ولما بلغ السادسة من عمره أسلم نفسه للبعدين وانتقل إلى مدينة  
مصر وهو في العاشرة لطلب العلم . وبدأ في دراسة الطب وغيره من علوم الفلسفة  
وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ولفقره وحاجته إلى ما يستعين به في الحياة اضطرت  
إلى أن يتكسب بالطب مرة وبالتمجيم مرة أخرى وبالتعليم كذلك ، وفي الوقت نفسه

(٢) القفطي ص ٧٤ و ٧٥ .

(٤) المصدر السابق .

(١) القفطي ص ٢١٠ .

(٣) القفطي ص ١٤٢ .

كان يواظب على طلب العلم ويجتهد في التحصيل حتى بلغ الثانية والثلاثين من سني حياته، إذ بدأ يشتهر بالطب، وكفاه ما كان يكسبه عن طريقه، بل تفوق على غيره من الأطباء المعاصرين، وصار له ذكر حسن في البلاد. وسمع به الحاكم بأمره فاستخدمه وجعله رئيساً على سائر المتطبين، فأتسعت حاله، واقتنى الأملاك في المدينة، كما ذاع صيته في البلاد الإسلامية، حتى إن الأطباء فيها كانوا يناظرونه مراسلة، وبطلبون ما عنده من علم الطب، فمن راسله الطبيب أبو الفرج جرجس بن يوحنا المعروف بالبرودي الدمشقي الذي راسل ابن رضوان وغيره من الأطباء المصريين. ويقول ابن أبي أصيبعة عنه: وله مسائل عدة إليهم طبية ومباحثات دقيقة، وكتب بخطه شيئاً كثيراً جداً من كتب الطب، ولا سيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها<sup>(١)</sup>. ويفهم من إحدى رسائل ابن رضوان أن البرودي زار مصر، وكان كثير الاختلاط به للمناظرة والمناقشة في المسائل الطبية<sup>(٢)</sup>. كذلك ناظره الطبيب أبو الحسن المختار بن الحسن المعروف بابن بطلان النصراني البغدادي، فكان بين الطبيب المصري والطبيب البغدادي مراسلات عجيبة، ولم يكن أحدهما يولف كتاباً ولا يتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه. ثم رأى ابن بطلان البغدادي أن يفد على القاهرة لمشاهدة زميله ومناظره ابن رضوان، فدخل مصر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وأقام بها ثلاث سنين، وكان وجوده بالقاهرة المعزية من أسباب شدة المناقشات والمناظرات العلمية بين الطبيين، وخرج ابن بطلان من مصر ووضع كتاباً تضمن الوقائع التي كانت بينه وبين منافسه ابن رضوان ورد ابن رضوان عليه<sup>(٣)</sup>. ويقول ابن أبي أصيبعة في الموازنة بين الطبيين ابن رضوان المصري وابن بطلان البغدادي: كان ابن بطلان أعذب لفظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الأدب وما يتعلق به، وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكيمة وما يتعلق بها<sup>(٤)</sup>. وحفظ لنا خمس رسائل لهذين الطبيين في المناظرة بينهما وطبعت هذه الرسائل بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

(١) عيون الأنباء ج ٢ ص ١٤١.

(٢) خمس رسائل لابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري ص ٤٣ (مطبوعات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول).

(٣) عيون الأنباء ج ٢ ص ١٠١ (٤) عيون الأنباء ج ١ ص ٢٤٢.

وكان ابن رضوان معترزا بعلمه ومهارته في فنه فكان يرد على جميع أطباء عصره وغيرهم ، فكان كثير الرد على آراء من سبقه من الأطباء ، وكانت عنده سفاهة في بحته وتشنيع على من يريد مناقشته ، وأكثر ذلك عند ما كان يرد على حنين بن إسحاق وعلى أبي الفرج بن الطيب أستاذ ابن بطلان ، وعلى أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (١) وكان ابن رضوان دميم الخلق مشوه الصورة أسود اللون . ومن تأليفه مقالة في من غيره بقبح الخلق ، وبين في هذه الرسالة أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون جميل الوجه ، وكثيرا ما كان ابن بطلان البغدادي يتحدث عن قبح شكل ابن رضوان المصرى حتى إنه قال في الرسالة التي سماها بوقعة الأطباء ، يصف ابن رضوان :

فلما تبسدى للقوايل وجهه نكصن على أعقابهن من الندم  
وقلن وأخفين الكلام تسترا ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

وكان يلقيه بتمساح الجن لشدة قبح منظره وسفاهة لسانه (٢) .  
وتغير عقل ابن رضوان في أواخر أيام حياته ، وقيل إن السبب في ذلك أنه في إبان المحنة العظمى التي حلت بمصر أيام حكم المستنصر انقأطى والتي اشتدت وعظمت من سنة سبع وأربعين وأربعمائة كان ابن رضوان قد أخذ يتيمة رباها وكبرت عنده ، فلما كان في بعض الأيام خلاها المنزل ، وكان قد ادخر أشياء نفيسة ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار ، فأخذت الجميع وهربت ولم يظفر منها على خبر ، فتغيرت أحواله منذ ذلك الوقت ، وتوفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وترك من مؤلفاته وتصانيفه أكثر من مائة كتاب .

كان لابن رضوان أثر كبير في الحياة العقلية بمصر ، فهذه المناظرات السكثيرة التي كانت بينه وبين غيره من الأطباء ، وهذه الردود المختلفة التي كتبها في الرد على الأطباء السابقين كان لها أثرها في تنبيه الأطباء والفلاسفة إلى آراء ابن رضوان وآراء خصومه ، وكان لابن رضوان تلاميذ أخذوا عنه علمه وطبه ، فمن هؤلاء التلاميذ الطبيب الإسرائيلي افرائيم بن الزفان وأبو كثير بن الحسن بن إسحاق ، وكان من الأطباء المشهورين بمصر ، واستخدمه الأئمة ، وكان كثير الاهتمام بجمع الكتب ونسخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها ، وكان عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفائتهم منه ، ومن جملة هؤلاء النساخ

(١) عيون الأنباء ج ٢ ص ١٠١ (٢) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٤٢ .

محمد بن سعيد بن هشام الحجري المعروف بابن مسافة ، وقيل إن أحد وراقى العراق  
أراد شرا. كتب من افرائيم ، فسمع الأفضل بن بدر الجمالي بذلك ، فأمر بفسح هذه  
الصفحة وأن تبقى الكتب في مصر ولا تنتقل إلى بلاد أخرى ، وأمر بشرائها  
وإضافتها إلى خزانة الأفضل ، وكتب عليها ألقابه ، ويقال إن افرائيم خلف ما يزيد  
على عشرين ألف مجلد (١) .

وصنف الطيب أبو جعفر يوسف بن حسداى شرحا لكتاب الإيمان من  
كتب أبقراط ، سماه الشرح المأمونى ، نسبة إلى الوزير المأمون بن البطائحي .  
من هذه الأمثلة التي ذكرناها عن حركة العلوم الطبية في مصر ندرك مقدار  
نشاط هذه العلوم وازدهارها إبان حكم الفاطميين ، وأن مصر استطاعت في هذا  
العصر أن تنافس غيرها من الأقطار الإسلامية في مضمار هذا العلم ، فوفد عليها عدد  
من الفلاسفة نذكر منهم على سبيل المثال لالحصر أمية بن أبي الصلت الأندلسي جاء  
مصر سنة ٤٨٩ هـ وظل بها إلى أن نفاه الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٥٠٩ هـ ، وكان  
أمية عالما في فنون مختلفة شاعرا فحلا ، وأديبا ممتازا بجانب علومه الفلسفية ، سجنه  
الوزير الأفضل فصنف وهو بالسجن رسالة العمل بالاصطراب وكتاب الوجيز  
في علم الهيئة وكتاب الأدوية المفردة ، وكتايبا في المنطق ، وآخر سماه الانتصار في  
الرد على ابن رضوان في رده على حنين بن إسحق ، وكان له تلاميذ بمصر نذكر  
منهم أبا عبد الله الشامي وسليمان بن الفياض الإسكندراني ، وروى عنه ظافر الحداد  
وغيرهم ، وستحدث عن أمية في باب الشعر من هذا الكتاب .

ومن أشهر الفلاسفة الذين تحدثوا في الإلهيات في هذا العصر أحمد حميد الدين  
ابن عبد الله بن محمد الكرمانى ، ويعرف في الدعوة الاسماعيلية بحجة العراقيين ، وفد  
على مصر في عهد الحاكم بأمر الله . فهو يقول في رسالته : « مباسم البشارات بالإمام  
الحاكم ، : « فإني لما وردت الحضرة النبوية مهاجرا ، وللسدة العلوية زائرا ، ورأيت  
السماء قد أظلت بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاء عظيم . . . » (٢) ويخيل إلى أنه  
وفد على مصر عقب ثورة الدرزي ، وظل بمصر نحو من عشر سنوات ، وصنف بها  
عدة رسائل منها : الرسالة الكافية ، في الرد على الشريف الهاروني الحسنى ،  
والرسالة الواعظة في الرد على الفرغاني ابن الأخرم أحد دعاة الدرزية ، ورسالة

(١) عيون الأنباء ، ٢ ، ص ١٠٥ (طبعة مصر ١٨٩٢) .

(٢) رسائل الكرمانى (نسخة خطية بمكتبتى)

مباسم البشارات بالإمام الحاكم ، ورسالة الصوم ، وغيرها . وإذا قرأنا رسائل  
الكرماني وكتبه نجدته يتحدث في الفلسفة الطبيعية والإلهية كما في راحة العقل ، وفي  
الفلسفة الإلهية كما في الرسالة الدرية ، ورسالة النظم في مقابلة العوالم ، ورسالة الرضية في  
جواب من يقول بقدوم الجوهر وحدوث الصورة ، والرسالة الحاوية وهي في البحث  
عن أيهما أسبق الليل أم النهار . وهكذا ، نجد الكرماني تحدث في جميع أقسام الفلسفة  
ولا سيما في كتابه راحة العقل الذي يعد من أقوم كتب الفلسفة في العصر الفاطمي ،  
فهو في هذا الكتاب تلميذ من تلاميذ الفلسفة اليونانية المصطبغة بالصبغة الإسلامية  
على المذهب الفاطمي ، وحديثه عن إبداع العقل السكلي وصفاته وخصائصه وانبعث  
النفس السكلية وصفاتها وعن العالم الروحاني وعالم السكون والفساد يدل على أن  
الكرماني كان من أكبر الباحثين في هذه الموضوعات الفلسفية ، ولا غرو أن كان لهذا  
الداعي أثره في تاريخ المذهب الإسماعيلي إلى اليوم ، فكل من جاء بعده أخذ عنه  
واقتبس من رسائله وكتبه .

مما سبق نستطيع أن نكرر ما قلناه من أن العلوم الفلسفية ازدهرت في العصر  
الفاطمي ازدهارا لا نجد له مثيلا في الأقطار الإسلامية الأخرى ، بل نجد غير  
الفاطميين كانوا يمتحنون إلى اعتبار الدراسات الفلسفية دراسة إلحادية ، وأن القائمين  
بها من العلماء زنادقة ، ولكن الفاطميين كانوا أوسع أفقا في تفكيرهم ، وكان  
مذهبهم يقوم على الفلسفة لجمعوا إليهم علماءها ، وعقدوا مجالس المناظرات  
بينهم ، فازدهرت بذلك الحركة العلمية ، وقوى البحث للوصول إلى معرفة الحقيقة ،  
مستعينين بالمنطق وآراء الفلاسفة الأقدمين .

## الفصل الثاني

### علوم اللغة العربية والفقه

١ - علوم اللغة والنحو :

بجانب هذه الدراسات الفلسفية التي ازدهرت بمصر الفاطمية ، كان هناك دراسات عربية في علوم اللغة والنحو ، ورواية الأدب القديم وشرحه ونقده ، وكانت هذه العلوم تسيّر جنباً إلى جنب مع غيرها من الدراسات التي أقبل عليها العلماء والمتعلمون في مصر ، وكان هؤلاء العلماء كعبة يفتد عليها طلاب العلم من البلدان الإسلامية الأخرى للاستفادة من علماء مصر والرواية عنهم .

لم تكن هذه الدراسات العربية جديدة على مصر ، فقد ذكرت في كتاب « أدب مصر الإسلامية » أن هذه العلوم وجدت في مصر منذ بدأ المسلمون في مصر يقرءون القرآن الكريم عن الصحابة والتابعين ، ويهتمون بإتقانه على نحو ما فعله أبو الأسود الدؤلي وعبد الله بن أبي سحق ، حتى إذا دون علم النحو وظهر كتاب سيديويه ونحاة الكوفة والبصرة ، أقبل المصريون على الأخذ عنهم ، واطرد نمو هذا اللون من الدراسة حتى غمرت مصر وفأضت على غيرها من بلدان المغرب والأندلس . وقد استمر تيار هذه الدراسات بمصر في العصر الفاطمي والعصور التي تلتها ، وكثر العلماء الذين انقطعوا إلى هذا العلم وعرفوا به . وقد ذكرنا كيف كان الخلفاء الفاطميون يشجعون هذه الدراسات ويحبسون المرتبات للعلماء ، وكيف حرصوا على اقتناء الكتب اللغوية والنحوية وجعلوها مع غيرها من الكتب بين يدي العلماء والمتعلمين ، فلا غرو أن رأينا عدداً كبيراً يفتنون في هذه العلوم ، ويصنفون كتباً كثيرة في هذه الفنون ، ويكفي أن نلقي نظرة على كتب التراجم لنندرك كيف أقبل الناس على هذه الدراسات ، وكيف تضاعف عدد الكتب التي ألفت فيها .

وكا كان الفلاسفة يجتمعون للباحثة والمذاكرة في فنونهم ، كذلك فعل علماء النحو واللغة ، فقد قيل إن جنادة الهروي والحافظ عبد الغنى بن سعيد ، وأبا إسحق علي بن سليمان المعري النحوي ، كانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة ، وتقوم بينهم مباحثات ومذاكرات (١) . وبلغ من اهتمام الفاطميين بعلوم اللغة والنحو أنهم جعلوا في ديوان الإنشاء لغويين ونحويين يراجعون ما كان يصدر عن الكتاب من رسائل ، حتى لا يظهر في كتابات الكتاب لحن في اللغة أو خطأ في النحو . وسنتحدث عن ذلك في باب الكتابة الفنية .

ومن أشهر العلماء الذين ظهروا في هذا العصر ، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المعروف بالقزاز النحوي ، كان في خدمة العزيز بالله الفاطمي ، ويقال إن العزيز تقدم إليه أن يؤلف كتابا يجمع فيه سائر الحروف التي أشار اليها النحويون في قولهم إن الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، وأن يقصد في تأليفه إلى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى ، وأن يجرى ما ألفه من ذلك على حروف المعجم ، وهو لون جديد لم يسبق إليه أحد من النحاة ، فقام القزاز يجمع مواد هذا الكتاب ، فبلغ جملة ما جمعه ألف ورقة . ويروي ابن خلكان عن أبي علي الحسن بن رشيق في كتاب النموذج أن القزاز فضح المتقدمين ، وقطع السنة المتأخرين ، وكان مهيبا عند الملوك والعلماء وخاصة الناس ، محبوبا عند العامة ، قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا ، يملك لسانه ملكا شديدا (٢) . ولأبي عبد الله القزاز كتاب الجامع في اللغة ، وهو من الكتب المختارة المشهورة ، ونوفى سنة اثنى عشرة وأربعمائة بالقاهرة .

ومن العلماء الذين شاهدتهم مصر في العصر الفاطمي : علي بن أحمد المهلبى ، فقد كان إماما في النحو واللغة ، ورواية الأخبار وتفسير الأشعار ، وكان من جلساء المعز والعزيز المقريين إليهما ، وكان المهلبى قبل ذلك مقربا إلى كافور الأخرس يروى وعن عاصر المتنبي في مصر ، وكانت بينه وبين المتنبي بعض محاورات علمية . يروى بأقوت أن المهلبى قال : وقع بيني وبين المتنبي في قول العدواني :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

(١) بغية الوعاة للسيوطى ص ٢١٣ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٥١٤ .



وذلك أن المتنبي قال : إن الناس يغلطون في هذا البيت ، والصواب اشقوفى من شقات الرأس بالمشقة وهو المشط . فقلت له : أخطأت في وجوه : أحدها أنه لم يرو كذلك ، والآخر أنه يقال شقات بالهمزة ، وأيضا فإنى أظنك لا تعرف الخبر فيه ، وما كانت العرب تقول في الهامة ، إنها إذا لم ينأر بصاحبها لا تزال تقول : اشقوفى ، فإذا نأروا به سكن كأنه شرب ذلك الدم (١) .

وللمهلبى كتاب فى الرد على كتاب المقصور والممدود لابن ولاد المصرى (٢) ، وقيل : إن المهلبى أخذ مادة هذا الكتاب عن المتنبي ونسبها إلى نفسه . وروى كثير من المصرين عن المهلبى ، ومن أشهر تلاميذه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرى وابنه بهزاد وعبد الرحمن بن إسماعيل العروضى نزيل مصر وغيرهم . وتوفى المهلبى سنة ٣٨٥ هـ (٣) .

ومن أشهر علماء مصر فى ذلك العصر أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ الذى عد إمام عصره فى النحو ، وهو أحد الذين عهد لإيهم تصحيح رسائل الكتاب فى ديوان الإنشاء ، يروى ابن خلكان أن الخطيب التبريزى دخل مصر فى عنفوان شبابه وقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن بن بابشاذ النحوى وغيره علوم اللغة ، ثم عاد إلى بغداد (٤) . ألف من الكتب كتاب المقدمة المحسنة فى فن العربية ويوجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ خطية بدار الكتب المصرية ، وله شرح على هذه المقدمة ، وشرح الجمل للزجاجى ، وشرح كتاب الأصول لابن السراج ، وله فى النحو كتاب بلغ خمس عشرة مجلدة سماها النجاة بعده ، وتعالىق العرقة ، ذلك أن تلاميذه من بعده احتفظوا بهذا الكتاب عند من تصدر موضع ابن بابشاذ فى حلقة بجامع عمرو ، فقد انتقلت إلى تلميذه عبد الله محمد بن بركات السعدى النحوى القوى ، ثم انتقلت بعده إلى صاحبه أبى محمد عبد الله بن برى النحوى ، ثم بعده إلى أبى الحسين النحوى المنبوز بثلث القليل ، فكان كل واحد من هؤلاء العلماء يهبها إلى أخص تلاميذه ويعهد إليه بحفظها . ولقد اجتهد جماعة من الطلاب فى نسخها فلم يتمكنوا من ذلك . وهكذا انتفع

(١) معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٢٤ ( طبعة رفاعى ) .

(٢) راجع كتاب أدب مصر الإسلامية ص ٦٩ وما بعدها .

(٣) راجع بقية الوعاة ص ٣٢٨ ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٢٤ ، وأبناء الرواة ج ٤

(٤) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٣ .

الناس يعلم ابن بابشاذ بتصانيفه ، وقد تزهد في أواخر أيامه ، واستقال من عمله بديوان الانشاء ، وانقطع في غرفة بجامع عمرو ، فخرج ذات ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع فزلت قدمه فسقط وأصبح ميتا في اليوم الثالث من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة (١) .

ومن لهم أثر يذكر من علماء النحو واللغة ، على بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي ، لم يكن مصريا ، ولكنه من صقلية ، فيها شب وقرأ على علمائها كابن البر أبي بكر الصقلي اللغوي وأمثاله ، ثم رحل عن صقلية لما أشرف الفريخ على تملكها في حدود سنة خمسائة ، فوفد على مصر متخذها وطن له ، ولقيه المصريون بالحفاوة وبالغوا في إكرامه وخصه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بالرعاية وجعله مؤدبا لولده في علوم العربية وفنون الأدب ، وقد روى ابن القطاع عن أبي بكر الصقلي كتاب الصحاح للجوهري ، وعن طريق ابن القطاع اشترت رواية هذا الكتاب في الآفاق ، وله حواش على كتاب الصحاح اعتمد عليها محمد بن ربي النحوي المصري فيما تكلم عليه من حواشي الصحاح ، ولابن القطاع عدة تصانيف أخرى منها كتاب الدرر الخطيرة في شعراء الجزيرة - أي جزيرة صقلية - اشتمل على مائة وسبعين شاعرا وعشرين ألف بيت شعر ، وكتاب الاسماء في اللغة ، جمع فيه أبنية الاسماء كلها ، وكتاب الأفعال هذب فيه أفعال ابن القوطية وأفعال ابن طريف وغيرهما في ثلاث مجلدات . وله تاريخ صقلية ، وتوفي في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة ودفن بقرب ضريح الشافعي (٢) .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن جميع النحاة واللغويين الذين نبغوا في مصر في العصر الفاطمي أمثال محمد بن أحمد البازودي ، ومحمد بن أحمد العميدي ، ومحمد بن أحمد الجرجاني ، ومحمد بن الحسين بن عمير النبي صاحب أخبار النحويين ومضاهاة أمثال كلية ودمثة ، وهو أستاذ القاضي القضاعي ، وأمثال محمد بن حميد بن حيدرة ومحمد بن علي بن محمد أبوسهل الهروي الذي لإليه كانت رئاسة المؤذنين بجامع عمرو

(١) راجع النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٠٥ وابن خلكان ج ١ ص ٢٣٥ وبقية الوعاة ص ٢٧٢

(٢) راجع بقية الوعاة ص ٢٣١ وابن خلكان ج ١ ص ٣٢٩ ، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٧٩ (طبعة رفاعي) .

وأحمد بن مطرف المتوفى سنة ١١٣ هـ الذي ولى قضاء دمياط . وله تصانيف أدبية ولغوية . كما كان شاعرا له ديوان شعر ، وهو الذى أجاز لابن عبد الله الصورى الحافظ .

وبجانب هؤلاء العلماء المصريين أو الذين استوطنوا مصر من البلاد الأخرى ، نرى عددا كبيرا من العلماء الذين كانوا يرحلون إلى الأقطار العربية في طلب العلم أو الكسب به ، وقدوا على مصر وأقاموا بها ردحا من الزمان ثم تركوها إلى بلادهم أو إلى غيرها من البلدان ، ولكنهم تركوا في مصر تلاميذ أخذوا عنهم علومهم ، كما استفادوا هم من علماء مصر ، نذكر من هؤلاء العلماء محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المسكى ، ولد بمكة وقدم مصر في صباه ورحل عنها إلى إفريقية وأقام بالمهدية مدة طويلة ، انتقل بعدها إلى صقلية ومنها إلى مصر ، ثم وفد على حلب وشاهد هناك الفتنة الكبرى بين الشيعة والسنة ، وفي هذه الفتنة نهبت كتبه فقصد حماة وأقام بها إلى أن مات سنة ٥٦٥ هـ ، وكان لغويا أكثر منه نحويا ، وله من الكتب ينبوع الحياة في التفسير ، التفسير الكبير ، الاشتراك اللغوى ، الاستنباط المعنوى ، القواعد والبيان في النحو ، الرد على الحريرى في درة الغواص ، المطول في شرح المقامات ، وغيرها من الكتب (١) .

ومحمد بن أبي الفرج السكتانى الصقلى المعروف بالدكى النحوى ، كان من صقلية وطاف العالم الإسلامى حتى وصل إلى الهند ، وكان من أئمة النحو ، وتوفى بأصبهان سنة ٥١٦ هـ (٢) .

ومحمد بن يحيى مزاحم أبو بكر الخزرجى تلميذ القاضى القضاعى وراويته ، وكان نهاية في علوم العربية ، وألف كتاب الناهج للقراءات بأشهر الروايات . وأصله من لشبونة ، ورحل إلى مصر حيث أنام بها ردحا من الزمن ، ثم عاد إلى مدينة بطليوس يحدث فيها بما رواه عن المصريين ، وتوفى بها سنة ٥٠١ هـ (٣) .  
وإبراهيم بن محمد بن أحمد الهاشمى ، وهو كوفى رحل إلى الشام ومصر ثم عاد إلى موطنه وبه توفى في شوال سنة ٤٦٦ هـ ، وكان له حظ من الشعر وتفوق في النحو

(٢) البقية ص ٩٠ .

(١) راجع بنية الوعاة ص ٥٩

(٣) البقية ص ١١٥ .

واللغة ، وهو صاحب القصيدة التي أنشدها وهو في مصر ، ومنها .  
فإن تسأليني كيف أنت فإنني تشكرت دهرى والمعاهد والقربى  
وأصبحت في مصر كما لا يسرنى بعيدا عن الأوطان منتزحا غربا  
وإني فيها كأمرى\* القيس مرة وصاحبه لما بكى ورأى الدربا  
فإن أنج من بابي زوبله فتوبة إلى الله ألامس خفي لها تربا  
ومن الطريف أن هذا العالم الشاعر حدثنا بأنه قال هذه الآيات وكان حصل  
له من المستنصر بالله خمسة آلاف دينار مصرية<sup>(١)</sup> ومع ذلك فإنه كان يشعر بشدة  
الغربة عن بلاده

ونذكر من هؤلاء العلماء الرحالة عبد الله بن أبي سعيد الأندلسي النحوى الذى  
كانت له حلقة في جامع عمرو الإفراء وتوفى سنة ٥٢٠ هـ<sup>(٢)</sup> . وعبد الجبار بن  
محمد بن على المعافى اللغوى الذى قدم مصر وأقرأ بها العربية ، ورحل إلى بغداد  
حيث أتى بها علومه وهو شيخ ابن برى المصرى<sup>(٣)</sup> . ومنهم الحسن بن الوليد  
الفرطى المعروف بابن العريف النحوى . فقد خرج إلى مصر ورأس فيها ومات  
سنة سبع وستين وثلاثمائة<sup>(٤)</sup> ، كذلك نذكر نصر بن صدقة القابسى النحوى ، قدم  
مصر وأخذ عن علمائها ثم توجه إلى معرة النعمان ، ولازم أبا العلا المعرى وأخذ  
عنه ديوان سقط الزند وكتب منه نسخة جيدة لنفسه ، وعاد إلى مصر فقدمها  
للحاكم بأمر الله الفاطمى ، وقرأه عليه فأعجبه نظم المعرى حتى قيل إن الحاكم  
أرسل إلى عزيز الدولة الرالى بحلب أن يحمل المعرى إلى مصر فاعتذر المعرى<sup>(٥)</sup> .  
إذن نستطيع أن نلمس هذا النشاط في درس علوم اللغة بمصر في هذا العصر ،  
وكيف كثر عدد العلماء ، وكثر إلتااجهم ، كما تعددت أما كن هذا الدرس ، ففي  
الجامع الأزهر كانت تقام حلقات الدرس ، وفي دار العلم كان يجتمع العلماء والطلاب  
وفي جامع عمرو بالفسطاط استمرت حلقات التدريس التي تحدثنا عن نشاطها في  
كتابنا ، أدب مصر الإسلامية ، ولم تكن القاهرة والفسطاط مراكر الدرس  
في مصر تحسب ، بل كانت الإسكندرية أيضا تزخر بالعلماء والطلاب ، وقد نقلت

(٣) البقية ص ٢٩٥ .

(٢) البقية ص ٢٨٢

(١) البقية ص ١٨٨

(٥) البقية ص ٤٠٣

(٤) البقية ص ٢٣٠

كتب التراجم عن الحافظ السلفي تراجم عدد كبير من العلماء والمتعلمين الذين شهدتهم الإسكندرية في هذا العصر ، والعلماء الذين وفدوا على الإسكندرية . كما يحدثنا السيوطي أن محمد بن حميد بن الأرقط الحسيني النحوي قرأ على القاضي الأديب بأسوان الأدب ، وظل بأسوان تؤخذ عنه علوم القرآن الكريم والأدب ، وانتقل الى قوص وتوفي سنة ٥٤١ هـ (١) . وكانت قوص من مراكز العلم في مصر ، وستحدث عن ذلك كله فيما بعد . ومعنى هذا كله أنه كان بمصر مراكز كثيرة للعلم والثقافة بجانب القسطنطينية والقاهرة .

### القراءات وعلوم القرآن :

من المعروف أن العلوم العربية والإسلامية إنما نشأت بسبب القرآن الكريم وما يدور حول دراسة القرآن من ضبط حروفه وتفسير غريبه ومعرفة أسرار إعجازه ، وتفهم معانيه ، فعلم النحو وعلوم اللغة لم تنشأ إلا بسبب القرآن ، فلا غرو أن رأينا هذه العلوم التي كانت تدور حول دراسة القرآن موضع اهتمام المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية ومنها مصر ، فقد عرفت مصر هذه العلوم منذ دخلها المسلمون على نحو ما ذكرناه من قبل في كتاب « أدب مصر الإسلامية » ، واستمرت هذه الدراسات تنمو وتزدهر حتى جاء الفاطميون فأولوا هذه الدراسات عنايتهم ورعايتهم ، ففي كل الحفلات التي كان يقيمها الفاطميون كان القراء في مقدمة الحاضرين يقرأون بين يدي الإمام ، وكان كل مقرئ يحاول أن ينال القربى من الإمام ليفوز بأكثر قسط من العطاء ، وكذلك كانت تختتم الحفلات بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ، فكان هناك قراء الحضرة الإمامية وهم أشبه شئ بموظفين رسميين في الدولة ، ولهم جاريهم الشهري سوى الهبات والخلع ، وكان عدد العلماء الذين اهتموا بهذه الدراسات كبيرا جدا ، كما كثرت كتبهم التي وضعوها في علوم القرآن الكريم ، نذكر من هؤلاء العلماء أبا الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحرفي ، فقد كان عالما بالعربية وتفسير القرآن ، أخذ عن أبي جعفر النحاس وأبي بكر الأدفري ، ولقي جماعة من علماء المغرب وأخذ عنهم ، وتصدر للإفادة في العربية وإعراب القرآن وتفسيره ، وأخذ عنه خلق كثير ، وله تفسير اسمه البرهان

(١) البنية ص ٤٠ .

في تفسير القرآن في ثلاثين مجلدا ، وله في إعراب القرآن كتاب علوم القرآن في عشر مجلدات ، وصنف في النحو كتاب الموضح في النحو ، وهو أستاذ إسماعيل بن خلف الصقلي المقرئ صاحب كتاب إعراب القراءات في تسع مجلدات ، توفي الحوفي سنة ٤٣٠ هـ (١) .

ونذكر كذلك عبد العزيز بن علي بن محمد بن إسحق أبا عدى المصرى المعروف بابن الإمام مسند القراء في زمانه ، قرأ على أبي بكر بن عبد الله بن مالك وقرأ عليه عدد من العلماء المعروفين أمثال طاهر بن غلبون ومسكى بن أبي طالب وابن نفيس وغيرهم ، وتوفي سنة ٣٨١ هـ (٢) .

ويقول صاحب الشذرات . إن ابن الإمام كان محققا ضابطا لقراءة ورش وأنه حدث عن محمد بن زبان وابن قديد وقرأ على أبي بكر بن سيف صاحب أبي يعقوب الأزرق (٣) . وكان أبو بكر الأدهوى محمد بن علي بن أحمد المصرى المقرئ النحوى المفسر شيخ مصر وعالمها في عصره ، كان أصله خشابا ثم أخذ العلم عن أبي جعفر النحاس النحوى ، وقرأ برواية ورش على أبي غانم المظفر ابن أحمد ، وبرع في علوم القرآن حتى ساد أهل عصره في مصر ، وانفرد بالإمامة في وقته في قراءة نافع ، وكانت حلقاته من أكبر الحلقات العلمية ، وله كتاب في التفسير في مائة وعشرين مجلدا سماه كتاب الاستفتاء في علوم القرآن . وتوفي في ربيع الأول سنة ٣٨٧ هـ (٤) ويقول السيوطى بل في سنة ٣٨٨ هـ (٥) .

ومن العلماء أيضا عبد الجبار بن أحمد الطرسوسى ، وكان شيخ القراء بمصر في زمانه ، ومن أساتذة أبي الظاهر إسماعيل بن خلف الصقلي ، وله كتاب المجتبى في القراءات . وتوفي سنة ٤٢٠ هـ (٦) . وكذلك نذكر فارس بن أحمد بن موسى بن عمران الضير مؤلف كتاب المنشأ في القراءات الثمان ، وهو المذكور في باب التكبير في الشاطبية وتوفي سنة ٤٠١ هـ (٧) . ويروى بإقوت عن الحافظ السلفى : أن عثمان

(١) راجع ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٢ ، والبقية ص ٣٢٥ وإقوت ج ٦ ص ١٦٥ .

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠١ (طبع مصر سنة ١٣٥٠ هـ) .

(٤) شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠١ (٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٠ .

(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨١ (٧) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٢ .

ابن علي بن عمر السرقوسي الصقلي كان من العلم بمكان نحواً ولغة وقرأ القرآن على ابن الفحام وغيره ، وله تواليف في القراءات والنحو والعروض ، وصارت له في جامع مصر حلقة للإقراء ، وقرأ على كثيرها وعلي من كنت أقرأ عليه كأبي صادق وابن بركات القراء الموصلي وآخرين (١) .

وهكذا كان لعلوم القرآن في مصر مكانة خاصة ، وكثرت فيها المؤلفات بجانب غيرها من العلوم والفنون بما كان له أثره في الحياة العقلية المصرية . ونستطيع من هذه اللوحة التي أسلفناها أن نتبين أن الفاطميين الذين كانوا لا يتفقون في تفسير القرآن مع باقي المسلمين ، مدعين أن للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً يخالف ما يقول به المفسرون ، قد أفسحوا صدورهم لتفسير هؤلاء العلماء الذين كانوا بمصر ، وسمحوا لهم بالتحلق في المساجد وإلقاء دروس التفسير على طلاب العلم ، فهذا يدل على أن الفاطميين كانوا متسامحين مع غيرهم من أصحاب الفرق والنحل الأخرى . وسنوضح ذلك فيما بعد .

### رواية الحديث :

تسطت رواية الحديث في مصر كما كان عليه الأمر في البلاد الإسلامية الأخرى ، وكثرت الرحلة في طلبه ، وكانت مصر من أهم مراكز الرواية منذ دخول الإسلام ، ومن أشهر المحدثين الذين كانوا في مصر الفاطمية : أبو بكر محمد بن علي ابن حسن المصري نزيل تديس ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين وسمع النسائي وأبا علي وروى عنه الدارقطني وغيره وتوفي سنة تسع وستين وثلثمائة (٢) . ومعاصره الحسن بن رشيق ، أبو بكر محمد العسكري المصري ، روى عن النسائي أيضاً ، وعنه أخذ الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ، وفيه يقول ابن الطحان في تاريخه الذي جمعه ذيلاً لتاريخ ابن يونس المصري : « ما رأيت عالماً أكثر حديثاً منه ، ولد في صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وتوفي في جمادى الأخرى سنة سبعين وثلثمائة (٣) » .

والمحدث الجوال أبو الفتح عبد الواحد بن محمد المعروف بابن مسرور البلخي روى عن ابن سعيد بن يونس ، وروى عنه عبد الغني بن سعيد ، وأقام بمصر وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة (٤) .

(١) ياقوت معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٣٠ .

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٩ (٣) المصدر السابق (٤) المصدر السابق .

ومن أشهر الحفاظ في هذا العصر أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وتوفي والده بعد خمس سنوات من ولادته ، ونشأ عبد الغنى محبا للحديث ، فروى عن حمزة بن محمد المعروف بأبي القاسم الكشاني المصري<sup>(١)</sup> وأبي بكر محمد بن علي وابن مسرور البلخي ، ثم اتصل بالدارقطني ولازمه وروى عنه ، وقيل إن الدارقطني سئل : هل رأيت في الحديث أحدا يرجي عليه ؟ فقال : نعم ، رأيت شابا نصر كأنه شعلة نار يقال له عبد الغنى . ولما خرج الدارقطني من مصر جاءه المودعون ، وتحزنوا على مفارقتهم وبكوا ، فقال لهم : لقد تركت عندكم خلفا ، يعني عبد الغنى ، وقيل أيضا : إن عبد الغنى لما صنف كتابه المؤلف والمختلف عرضه على الدارقطني ، فقال له : اقرأه ، فقال : كيف أقرؤه لك ومعظمه أخذته عنك ؟ فقال : نعم أخذته عن متفرقا والآن قد جمعتها<sup>(٢)</sup> وروى عن الدارقطني أيضا أنه كان يقول عنه : ما رأيت في طريقي مثله ، ما اجتمعت به وانفصلت عنه إلا بفائدة<sup>(٣)</sup>

وكان بين عبد الغنى بن سعيد وبين أبي أسامة جنادة اللغوي وأبي علي المقرئ الانطاكي مودة أكيدة واجتماع في دار العلم ومذاكرات ومحادثات ، فلما أمر الحاكم بأمر الله بقتل جنادة وأبي علي الانطاكي استتر عبد الغنى خوفا من أن يلحق بهما لصدافته لهما ، وأقام مستخفيا مدة حتى حصل له على الأمر فظهر وتوفي في صفر سنة ٤٠٩ هـ ، وقيل سنة ٤١٠ هـ ، ولما أراد الحاكم بأمر الله بناء جامع جعل الحفاظ عبد الغنى بن سعيد على بنائه ونظره<sup>(٤)</sup> . وقد طبع كتابه المؤلف والمختلف بالهند سنة ١٣٢٦ هـ

ولعل أشهر المحدثين الذي شهدتهم مصر في أواخر الدولة الفاطمية هو الحفاظ الساني وكان متقنا ناقدنا ثبتا دينا خيرا ، انتهى إليه علو الاسناد ، وكان أوجد زمانه في علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية<sup>(٥)</sup> ، ويقول صاحب النجوم : وكان طاف الدنيا ولقى المشايخ ، وكان يمشي حافيا لطلب العلم والحديث<sup>(٦)</sup> . ورد بغداد فأخذ عن أبي الحسن الحراسي علوم الفقه وعن الخطيب التبريزي علوم اللغة ، كما روى عن

(١) النجوم الزاهرة (٢) ابن خلدون ج ١ ص ٣٠٥

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٤ (٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٩

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٠ (٦) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٧



أبي محمد جعفر بن السراج وغيره ، ثم دخل دمشق وأخذ عن علمائها ودخل  
الاسكندرية سنة ٥٢١ هـ واستوطنها فقصده الناس وسمعوا عليه ، وبني له العادل  
ابن الحسن علي بن السلار وزير الظاهر الفاطمي مدرسة بالاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ  
وفوض أمرها إليه (١) ، وصار إليه الهجرة في الحديث حتى لم يكن في آخر أيامه  
مثله ، ومن أشهر تلاميذه جمال الدين عبد الرحمن بن حفص الصغراوي الاسكندري  
والحافظ أبو الحسن علي بن فاضل الصوري والحافظ شرف الدين السكندري  
 وغيرهم من حفاظ الحديث الذين ظهروا في العصر الذي يلي هذا العصر الذي تؤرخه  
ولما وفد أبو حامد الغزالي على الاسكندرية لقي الحافظ السلفي وتباحثا في بعض  
المسائل ، أما كتبه وأماله فهي كثيرة ، وكذلك كان له بعض مقطعات من  
الشعر ، فمن قوله في كبر سنه :

أنا إن بان شباني ومضى فلربني الحمد ، ذهني حاضر  
ولئن خفت وجفت أعظمي كبراً ، غصن علومي ناضر (٢)

ذلك أن السن تقدمت به حتى قيل إنه جاوز المائة بخمس سنين ، إذ توفي سنة  
ست وسبعين وخمسة . ومن الرجال الذين وفدوا على مصر في هذا العصر  
في طلب الحديث ، الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الأندلسي ،  
ولقي بمصر والاسكندرية جماعة من المحدثين روى عنهم ، كما استفاد بعض المصريين  
منه ، وعاد إلى الأندلس سنة ٤٩٣ هـ (٣) . وأبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي  
المعروف بابن القيسراني ، وكان أحد الرجال في طلب العلم والحديث بوجه خاص ،  
روى بالحجاز والشام ومصر والنفور والجزيرة والعراق وفارس ، وتوفي ببغداد  
سنة ٥٠٧ هـ (٤) .

### دراسة مذاهب أهل السنة :

وهنا نعرض لموضوع أكثر فيه اختلاف الكتاب منذ العصر الفاطمي إلى  
الآن ، فقد ذهب أكثر المؤرخين إلى أن الفاطميين كانوا شديدي التعصب

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣١ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٧ . (٣) ابن خلكان ج ١ ص ٤٨٩ .

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٤٨١ .

لمذهبهم الديني . وتطرفوا في عصبيتهم حتى إنهم أكرهوا الناس على اعتناق عقيدتهم رهبة لارغبة ، وإنهم في سبيل ذلك اضطهدوا علماء مذاهب أهل السنة بل أقنومهم تقيلاً ، ويقول السيوطي : إن الفاطميين أفنوا من كان بمصر من أئمة المذاهب الثلاثة — أي الشافعية والمالكية والحنفية — قتلاً ونفيًا وتشريدًا وأقاموا مذهب الرافض والشيعة<sup>(١)</sup> ، وذهب قليل من المؤرخين المحدثين إلى أن الفاطميين كانوا أهل تسامح ورفق بالرعية ، وأن جوهر الصقلي أعطى الأمان للبربريين بأن يختاروا المذهب الديني الذي يرضونه ولا إكراه في الدين ، وبلغ تسامح الفاطميين إلى أن استخدموا في أكبر وظائف الدولة من لم يكن مسلمًا ، فكان من الوزراء والنواب في الأقاليم وكتاب دار الإنشاء من كان مسيحيًا أو يهوديًا . أما الاضطهاد الذي حاق بأهل السنة فقد كان في أيام الحاكم بأمر الله الذي عرف بالتقلب في سياسته وأحكامه .

### فقهاء الشافعية :

وإذا نظرنا في كتب الطبقات والتاريخ رأينا عددًا كبيراً من علماء مذاهب أهل السنة كانوا يعيشون في مصر الفاطمية ، ويلقبون تعاليمهم على جمهور المستمعين تحت بصر رجال الدولة الفاطمية ودعاة دعوتهم دون أن يمسهم سوء . فمن علماء مذهب الشافعي القاضي أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى البغدادي نزيل مصر فقد أملى بها وأفاد حتى توفي سنة ٤٤١ هـ<sup>(٢)</sup> ، وأبو القاسم نصر بن بشر بن علي فقد كان فقيهاً محققاً ومناظراً مبرزاً وتوفي سنة ٤٧٧ هـ<sup>(٣)</sup> . والقاضي أبو الحسن علي بن الحسين الموصل الخلعى المولود بمصر سنة ٤٠٥ هـ وكان فقيهاً مشهوراً له تصانيف وروايات متسعة وكان أعلى أهل مصر إسناداً ، وجمع له أبو نصر أحمد ابن الحسن الشيرازي عشرين جزءاً وأخرجها عنه وسماها « الخلعيات » وبالرغم من أنه كان شافعي المذهب فقد ولاه الفاطميون القضاء سنة ٤٥٠ هـ ولكنه استقال بعد يوم واحد ومات بمصر سنة ٤٩٢ هـ وينسب إليه مسجد الخلعى بالقراقة ، وكان والده أيضاً من فقهاء الشافعية ، توفي بمصر سنة ٤٤٨ هـ<sup>(٤)</sup> .

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٧٤ .

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٧ وتاريخ بغداد .

(٣) المصدران السابقان .

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ وابن ميسر ص ٣٩ .

ومن فقهاء الشافعية أيضاً في ذلك العصر أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسي ، الذي قال عنه الحافظ السلفي : كان من أئمة الفقهاء بمصر ، وعليه قرأ أكثرهم ، ولد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ وتفقه على الشيخ نصر المقدسي ثم دخل مصر فظل بها إلى أن توفي سنة ٥١٨ هـ (١) .

وكذلك نقول عن أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي الميورقي الذي اتخذ الإسكندرية موطن له وصنف تعليقه في الخلاف بين الفقهاء ، وهو أحد الذين روى عنهم الحافظ السلفي ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٢٣ هـ (٢) ومجلى ابن جميع بن نجا المخرومي المصري صاحب كتاب الذخائر ، تفقه على سلطان المقدسي وبرع في فقه الشافعي حتى صار من كبار الأئمة . وتفقه عليه جماعة منهم العراقي شارح المذهب ، وبالرغم من تميزه بمذهب يخالف مذهب أولى الأمر في البلاد فقد ولي القضاء سنة ٥٤٧ هـ ومكث في القضاء عامين ، ومات سنة ٥٥٠ هـ ومن تصانيفه كتاب أدب القضاء وكتاب الجهر بالبسملة (٣) .

وأبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي المصري الذي ولي قضاء الجيزة فقد كان فقيها ماهرا في الفرائض ، أخذ عن الحلعي ولازمه مدة طويلة ، وهو آخر من حدث عنه ، ثم ترك القضاء واعتزل في القرافة متعبداً إلى أن توفي سنة ٥٦١ هـ (٤) وستحدث في فصل التاريخ عن القاضي القضاعي الشافعي وكيف ولي القضاء ، وولي ديوان الإنشاء بالرغم من شافعيته ، وأنه صنف كتابا في مناقب الإمام الشافعي وأخباره ، وكتاب الشهاب في فقه الشافعية (٥) .

وهكذا نرى عددا كبيرا من فقهاء الشافعية كانوا يعيشون في العصر الفاطمي ، ومنهم من ولي القضاء أو غيره من مراتب الدولة الفاطمية ، دون أن يكون لظاهر مخالفتهم لمذهب الدولة أثر في حياتهم العلمية أو العملية .

### فقهاء المالكية :

وكذلك نقول عن فقهاء المالكية ، فقد وجد في مصر الفاطمية عدد كبير منهم ، أمثال محمد بن سليمان المعروف بأبي بكر النعمال الذي كانت إليه إمامة

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) المصدر السابق وابن ميسر ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٤٦٢ .

(٥) المصدر السابق .

المالكية في وقته وإليه كانت الرحلة بمصر ، وكانت حلقة في الجامع تدور على سبعة عشر عمودا ، لكثرة الطلاب الذين كانوا يقصدونه للأخذ عنه ، وتوفي سنة ٣٨٠ هـ (١) .

وأبو القاسم الجوهري عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي المصري صاحب مسند الموطأ المتوفى في شهر رمضان سنة ٣٨٠ هـ (٢) .

ونحن جميعا نعلم قصة الفقيه المالكي عبد الوهاب بن علي ، أحد الأئمة المجتهدين في المذهب حتى وصفه الخطيب في تاريخ بغداد بأنه لم ير في المالكية أفقه منه ، ونعلم كيف وفد إلى مصر لضيق حاله في بغداد ، وكيف أكرمه المصريون حتى تمول وحسنت حاله ، ولما أدركه المرض كان يقول : لا إله إلا الله ، عندما عشنا متنا ، وتوفي بمصر ٤٢٢ هـ .

ونسمع في هذا العصر عن عبد الجليل بن مخلوف الصقلي الذي قال ابن ميسر عنه : إنه أفتى بمصر أربعين سنة ومات بها سنة ٤٥٩ هـ . وعن علي بن الحسن بن محمد ابن العباس الفهري صاحب كتاب فضائل مالك وشارح الموطأ . وعن أبي بكر الطرطوشي محمد بن الوليد الأندلسي نزير الإسكندرية ، وكان كثير الرحلة في طلب العلم فسافر إلى العراق وسمع ببغداد ثم استوطن الإسكندرية واتصل بالوزير المأمون البطائحي الذي أكرمه فصنف له الطرطوشي كتاب « سراج الملوك » . وكان له عدة من التلاميذ أمثال سند بن عقان بن إبراهيم الأزدي الذي خلفه في حلقة ، والذي شرح المدونة . وتوفي الطرطوشي سنة ٥٢٥ هـ وتوفي تلميذه سنة ٥٤١ هـ . إذن تستطيع أن تظمن إلى أن دراسة مذهب مالك استمرت في مصر في العصر الفاطمي بجانب مذهب الشافعي بالرغم من أن الفاطميين كانوا يوجهون النقد اللاذع إلى هذين المذهبين ، وأن دعاة المذهب الفاطمي كثيرا ما كانوا يتناولون بالتجريح هذه المذاهب السنية في مجالس حكمتهم وفي أشعارهم ، وها هو ذا الداعي المؤيد في الدين يقول :

فا أبو حنيفة والشافعي حيثهم قد نفعوا بنافع (٣)

ويقول مرة أخرى :

وتزير لبس الشافعي ومالك بيان زين العابدين وجعفر

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٦ . (٢) المصدر السابق .

(٣) القصيدة الأولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة (من مطبوعات دار الكتاب المصري)

وقياس قيثاس غدا متبرجا بالإعزاز وترهات المجر (١)  
يبد أن الفاطميين تركوا لفقهاء هذه المذاهب حريتهم العقلية ، وسمحوا لهم  
بالتحلق في المسجد وإلقاء تعاليم المذاهب السنية على من يشاء من الطلاب ، وقد  
ذكرنا أن الحاكم بأمر الله لما أمر بعمارة دار العلم ونقل إليها الكتب من القصر ،  
أسكنها من شيوخ السنة شيخين أحدهما أبو بكر الانطاكي وخلع عليهما وقربهما  
وسمح لهما بحضور مجالسه وملازمته . وأنه جمع الفقهاء والمحدثين إلى دار العلم .  
ويحدثنا عمارة اليمنى أن الملك الصالح طلائع بن رزك كان يلقى في ولايته فقهاء السنة  
ويسمع كلامهم (٢) ، مع ما كان عليه الملك الصالح من إفراط في التعصب لمذهبه (٣).

### تعصب الفاطميين لمذهبهم ١١

أما هذه المسألة التي أثارها المؤرخون حول تعصب الفاطميين أو تسامحهم .  
فيخيل إلى أن الفاطميين كانوا يميلون إلى صبغ البلاد كلها بصبغة مذهبهم ، أحيانا  
بالتريغيب وأحيانا بالترهيب ، فكان الدعاة يؤدون واجبهم في تشكيك المسلمين  
في مذاهبهم السنية ويحببون إليهم المذهب الفاطمي ، فمن المصريين من استجاب  
لهذه الدعوة عن رغبة بعد أن اقتنع بأقوال الدعاة ، ومنهم من استجاب لغرض  
التقرب إلى الحاكم عساه يجد حظوة لديهم وينال مآربه ، وهذا اللون من الناس  
كثير في كل البيئات والأقاليم ، ومن المصريين من امتنع عن التحول عن مذهبه  
الديني ، واستمر يحافظ على عقيدته التي دان بها والتي نشأ عليها أبواه ولو أدى  
ذلك إلى تعسف الحاكمين معه ، وإذا كان الفاطميون استعملوا السيف في سبيل  
نشر عقيدتهم وإخضاع الخارجين على مذهبهم ، فهذا أمر طبيعي نجد مثيلا له في  
ظل كل الحكومات التي لها نزعة خاصة حتى في عصرنا الحاضر ، فقد رأينا اليوم  
ألوانا مختلفة من الحكومات الفاشية والشيوعية والنازية وكلها تحاول فرض سلطانها  
ومبادئها في بلادها وأن تصبغ هذه البلاد بصبغتها الخاصة ، وأن تحكم بالقوانين  
التي سنتها نظما ، ولو أدى ذلك إلى القتل والنفي والتشريد لكل من حاول مخالفة  
تلك النظم والقوانين ، رأينا ذلك كله ولمسناه في هذا العصر الحديث ، فلانستطيع  
أن ننكر أن الفاطميين الذين حكموا مصر منذ ألف عام تقريبا كانوا يستعملون  
وسائل الارهاب لمخالف عقيدتهم ، ولا سيما أن الشيعة عامة ذاقت من العذاب  
والتنكيل على أيدي خصومهم ما يتحدث به كتب التاريخ .

(١) من القصيدة السابعة من ديوان المؤيد في الدين .

(٢) التكت المصرية من ٤٥ . (٣) التكت من ٤٨ .

كان الفاطميون منذ أوائل حكمهم بمصر الى آخر عهد الظاهر يحكمون بأنفسهم ولم يكن الوزراء قد بلغوا من القوة والاستبداد بالأمر هذا المبلغ الذي نراه في عهد المستنصر ومن بعده من خلفاء الفاطميين، في هذا العصر الأول كان اضطهاد أهل السنة أمرًا طبيعيًا لتثبيت أركان الدولة وحمايتها من أعدائها أموي الأندلس في الغرب، ومن العباسيين في الشرق، فكانت السياسة تقضى على الفاطميين أن يكونوا على حذر من كل مخالف لعقيدتهم، وأن يشحذوا السيف لكل من تحدته نفسه بالخروج على سلطتهم، ولا سيما أن العباسيين وأموي الأندلس أخذوا يسيئون إلى الفاطميين في نسبهم وفي عقائدهم، وحاربوا الفاطميين بالسيف طوراً وبالديانة طوراً آخر، فكتبوا المحاضر في نسب الفاطميين، وطلبوا من العلماء والكتاب الطعن في عقائد الفاطميين مثل ما نراه في كتب الغزالي وغيره فاضطر الفاطميون إلى أن يكونوا على يقظة من أمرهم إذا جدد الجدد، وأن يعتبروا كل من لم يعتقد عقيدتهم عدوهم، وبهذا نستطيع أن نفسر تطورات الحاكم بأمر الله في سياسته، فكان حيناً يقرب أهل السنة ويفدق عليهم أمواله وطوراً يشتت شملهم ويعمن فيهم بالقتل والسجن، وهو في كلا الأمرين مضطر إلى اتخاذ هذه السياسة أو تلك على حسب مقتضى الحال مع خصومه وأعدائه، فالحاكم بأمر الله لم يكن مجنوناً كما يصور في كتب التاريخ، وإنما كان سياسياً حازماً في سياسته، يعفو في وقت العفو ويقتل حين يشتد به الأمر، وهكذا كان الحال في سياسة الفاطميين نحو أهل السنة.

فحيناً ترى الفاطميين لا يفرقون بين أصحاب الفرق الإسلامية أو الذميمة فهم يستخدمونهم في وظائف الدولة، ولا يتعرضون لهم بمقت ولا أذى، وقد قال القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسائرات (١) : « لما قلدني القضاء بالمنصورية رأيت قوما لم يصلوا إلى الدعوة ورأيت فيهم مقاربة ورجوت أن يهديهم الله إن فتح في ذلك لعباده، فلما جاء الله من ذلك بما هياه خلقه من فتح باب رحمته لعباده تخلقوا، ورجوت أن يحاسبوا أنفسهم، ورمزت لهم وطارحتهم فلم أرهم يقبلون على شيء، فواجهتهم وكلمتهم واحتججت عليهم وناظرتهم حتى قطعتم فلم يردم ذلك إلا تمادياً في الغي وإصراراً على الجهل، فنقل على أمرهم وكرهت جانهم وأبغضت رؤيتهم وسممت صحبتهم، فأردت الاستبدال بهم، فرفعت ذلك إلى

(١) المجالس والمسائرات ورقة ٧٣ ب ( نسخة خطية بمكتبي ) .

المعز ، فوقع إلى فيهم : « أبقهم على خدمتك فان بقي الله بهم فسعادة ساقها الله إليهم وثواب يصير اليك بما بذلته من النصيحة لهم ، وإلا فلا يمنعك جهل امر المستنفر من الانتفاع بها في بعض مصالحك ، ويكونون بعد كما قال الله عز وجل : « عاملة ناصبة تصلي نارا حامية »

وحينا آخر كان الفاطميون يضطرون اضطرابا إلى أخذ أهل هذه المذاهب بالشدّة والعنف . حتى ولي المستنصر بالله سنة ٣٧٧ هـ فأخذ الوزراء ورجال الدولة كل سلطة من الخلفاء ، واستطاع الوزراء أن يكونوا هم أصحاب السلطة الفعلية في البلاد ، وأصبح الخليفة الفاطمي ألعوبة في أيدي وزرائه وليس له من الأمر إلا الخطبة . وظهر بين الوزراء من كان على مذهب يخالف المذهب الفاطمي <sup>(١)</sup> ، هنا ترى حدة العصبية الأولى تخف ، وتعود إلى الناس حرية العقيدة أكثر مما كانت من قبل ؛ بل ذهب الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي إلى أن يعين للبلاد أربعة قضاة ، اثنين من الشيعة واثنين من أهل السنة ، فالشيعيان أحدهما فاطمي المذهب والآخر إمامي المذهب ؛ والسنين أحدهما شافعي والآخر مالكي . وأعطى لكل واحد السلطة المطلقة في إصدار أحكامه على وفق مذهبه <sup>(٢)</sup> . وقد ذكرنا أن الوزير أبا الحسن علي بن السلار وزير الظافر كان ظاهر التنسّن شافعي المذهب وهو الذي أنشأ مدرسة للشافعية بالإسكندرية وفوض أمرها إلى الحافظ السلفي <sup>(٣)</sup> ، وهكذا بدأ الضعف يدب في الدولة الفاطمية والمذهب الفاطمي نفسه ، حتى هم بعض الوزراء في مصر إلى تسيير الدعوة لابن صاحب عدن . ويقول عمارة اليمنى في ذلك : إن الداعي ابن عبد القوي والأجل الفاضل ، وشاور ، والكامل ، عزموا على أن يتبرعوا ابتداء بتسيير الدعوة لولدي صاحب عدن بعد موته ، ثم قال شاور : أحضروا فلانا (يعني عمارة) وخذوا ما عنده ، ولم يبق في النوبة إلا صرهما ، فلما حضرت وأعلموني منعتمهم وقلت : إن أهل اليمن إنما يبعثون لكم الهدايا والتحف والنجاوى ويتولونكم لأجل الدعوة ، فإذا تبرعتم بها فقد هويتم حرمتها ، فرجع الجميع عما كانوا عليه <sup>(٤)</sup>

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك في مقدمة كتاب المجالس المستنصرية .

(٢) أخبار مصر لابن ميسر ص ٧٥ (٣) ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٠ .

(٤) التكت ص ٩٢ .

وقصة أخرى رواها عمارة أيضا تدلنا على ما بلغ اليه التهاون في عقيدة الفاطميين ، ذلك أن سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح بن رزيق توشا ومسح رجله ولم يغسلها - على حسب عقيدة الفاطميين - فتناول عمارة الأبريق وسكب الماء على رجله ، لجذبتها وهو يضحك ، فقال عمارة : إن كان الحق معكم في مسح الرجلين يوم القيامة فما نعطي ولا نعاقب على غسلها . وإن كان الحق معنا في غسل الرجلين خرجتم من الدنيا بلا صلاة لأنكم تركون غسل الرجلين وهو فرض . فكان سيف الدين يقول له بعد ذلك : والله لقد أدخلت على قلبي الشك والسواس بكلامك في مسألة الوضوء (١)

ولعل قصة محاولة إدخال عمارة النبي في الدعوة من القصص التي ترىنا أن القائم بأمر الدولة الفاطمية في أواخر عهدها لم يأبها بأمر المذهب وأنهم كانوا يتسامحون مع مخالفهم إلى حد بعيد ، فبالرغم من أن الملك الصالح طلائع بن رزيق كان شديد التعصب لمذهبه الفاطمي ، وأنه أدخل عددا من المسلمين في مذهبه فإنه لم يستطع أن ينجح في محاولته مع عمارة . يقول عمارة : وكانت تجرى بحضرته مسائل ومذاكرات ويأمر في الخوض مع الجماعة فيها وأنا بمعزل عن ذلك لأنطق بحرف واحد . حتى جرى من بعض الأمراء الحاضرين في مجلس السمر من ذكر السلف ما اعتمدت عند ذكره وسماعه قول الله عز وجل : « فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره » ونهضت فخرجت فأدركني الغلمان ، فقلت : حصة يعتادني وجعها . فتركوني وانقطعت في منزلي أياما ثلاثة ورسوله يأتي في كل يوم والطبيب معه ، ثم ركبته بالنهار فوجدته في البستان المعروف بالختص في خلوة من الجلساء ، فاستوحش من غيبتي ، فقلت : إني لم يكن بي وجع وإنما كرهت ما جرى في حق السلف وأنا حاضر ، فإن أمر السلطان بقطع ذلك حضرت ، وإلا فلا ، وكان لي في الأرض سعة وفي الملوك كثرة . فعجب من هذا وقال : سألتك بالله ما الذي تعتقده في أبي بكر وعمر ؟ قلت : أعتقد أنه لولاهما لم يبق الإسلام علينا ولا عليكم ، وأنه ما من مسلم إلا ومحبتها واجبة عليه ، فضحك . وبعد أيام جاءت عمارة رقعة فيها أبيات بخط الملك الصالح ، ومعها ثلاثة أكياس ذهب ، وفي الرقعة :



قل للفقيه عمارة يا خير من  
أضحى يؤلف خطبة وخطابا  
اقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى  
قل ( حطة ) وادخل إلينا البابا  
تلق الأئمة شافعين ، ولا تجد  
إلا لدينا سنة وكتابا  
وعلى أن يعلو علك في أورى  
وإذا شفعت إلى كنت مجابا  
وقبضت آلافا وهم ثلاثة  
صلة وحقك لا تعد ثوابا  
فأجابه عمارة مع الرسول بهذه الآيات :

حاشاك من هذا الخطاب خطابا  
يا خير أملاك الزمان نصابا  
لكن إذا ما أفسدت عساؤكم  
معمور معتقدى وصار خرابا  
ودعوتهم ففكرى إلى أقوالكم  
من بعد ذاك أطاعكم وأجابا  
فاشدد يدك على صفاء محبتي  
وأمنن على وسد هذا البابا (١)

ولا أدرى كيف سكت الملك الصالح بعد أن طعن عمارة مذهب الفاطميين بالبيت الثانى من هذه المقطوعة ، ولكن الأمر لم يكن أمر تعصب من الملك الصالح بن رزىك ، بل هو أمر تهاون بالمذهب شمل الأمراء وغير الأمراء ، ولعل هذا الضعف الذى حل بالعقيدة الفاطمية هو الذى سهل الأمر لصلاح الدين الأيوبي فى أن يقوض أركان الدولة المتداعية وأن يعيد إلى الناس عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقبل الناس منه ذلك ، فتحولت مصر بعد عشية وضحها من شيعية إلى سنية ، لأن الدعوة الشيعية لم تكن متغلغلة فى نفوس المصريين ، وأن الذين اعتنقوا هذه الدعوة تهاونوا بها ، فسهل على الأيوبيين أن ينتزعوها منهم .

(١) النكت من ٤٣ وما بعدها .

## الفصل الثالث

### التاريخ والسير

رأينا في عصر الولاية بمصر<sup>(١)</sup> كيف أسهم المصريون في تدوين التاريخ منذ القرن الثاني للهجرة ، و عرفنا بعض المؤرخين الذين نبغوا في العصر الذي سبق العصر الفاطمي ، أمثال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، وعمار بن وسيمة المصري ، وابن يونس والكندي وابن الداية وغيرهم ، وقد استمر تيار هذا اللون من العلم طوال العصر الفاطمي ، فظهر عدد كبير من المؤرخين ، وحفظت لنا أسماء مؤلفاتهم ، وبعض مقتطفات من كتبهم متفرقة في كتب التواريخ ، ففي كتب المقرئى وأبي المحاسن بن تغرى بردى والسيوطى وابن فضل الله العمري والنويرى والقلقشندي مقتبسات كثيرة من الكتب التي وضعها مؤرخو مصر الفاطمية ، وهذه المقتطفات تدلنا على أن مؤرخي مصر في العصر الفاطمي كانوا يهتمون اهتماما خاصا بمصر ، فأكثر كتبهم كانت تدور حول مصر ، وإن كان منها ما كتب في التاريخ العام .

فمن المؤرخين الذين شاهدوا هذا العصر ، أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني ، ولد بمصر في ذى الحجة سنة ٣٢٧ هـ ، وكان أبوه مؤرخا صاحب ابن جرير الطبري وروى عنه تصانيفه ، وأخذ أحمد بن عبد الله عن أبيه كتبه وكتب الطبري وصنف عدة كتب منها كتاب التاريخ وصل به تاريخ أبيه ، وكتاب سيرة كافور الأخشيدى ، وسيرة العزيز بالله الفاطمي ، وكان مقامه بمصر إلى أن توفي في ربيع الأول سنة ٣٩٨ هـ (٢) .

#### ابن زولاق :

وشهد هذا العصر المؤرخ المصري الكبير الذى أخذ عنه كل من جاء بعده من المؤرخين الذين تحدثوا عن مصر ، ذلك المؤرخ هو الحسن بن إبراهيم الليثي المصري المعروف بابن زولاق ، فقد كان من أعيان علماء مصر ولد سنة ست

(١) راجع كتاب أدب مصر الإسلامية ( من مطبوعات دار الفكر العربي ) .

(٢) معجم الأدباء، لياقوت ج ٣ ص ١٠٥

وثلاثمائة ، وروى الحديث ، وأخذ عنه بعض المحدثين أمثال عبد الله بن دهبان وغيره ، وأولع بالتاريخ فروى عن الكندي وابن قديد وابن الداية ، يقول ابن زولاق : كان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب ( أى ابن الداية ) قد عمل سيرة أحمد بن طولون أمير مصر ، وسيرة ابنه أبي الجيش ، وانتشرا في الناس ، وقرأتهما عليه ، وحدثت بهما عنه مع غيرهما من مصنفاته ، ثم عملت أنا ما فاتهما (١) .

وكان ابن زولاق من فرط حبه لرواية التاريخ كثيراً ما ينشد :

مازلت تكتب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً (٢)

وصنف ابن زولاق عدة كتب منها سيرة محمد بن طهيج الأخشيد ، وكتاب أخبار سيديو المصري ، وكتاب سيرة المادرائين — وقد طبعت هذه الكتب كلها . وكتاب فضائل مصر ( منه نسخة خطية بمكتبة الأزهر وأخرى بدار الكتب المصرية وثالثة بالمكتبة الأهلية بباريس ) وكتاب سيرة كافور ، وكتاب سيرة جوهر ، وكتاب سيرة المعز ، وكتاب سيرة العزيز ، وكتاب التاريخ الكبير على السنين ، وله تذييل على كتاب الولاة للكندي وآخر على كتاب القضاة للكندي أيضا ، وكتاب خطط مصر ، وأكثر هذه الكتب فقدت ولم يبق منها إلا شذرات متفرقة في الكتب . وإذا نظرنا إلى الكتب التي حفظت إلى الآن ترى ابن زولاق يدون ما سمعه من الثقات العدول من معاصريه أو ما شاهده بنفسه من أحداث ، فهي سجلات حوادث يتلو بعضها بعضاً دون أن يكون هناك رابطة بين الحادثة والأخرى ، فالكتب ليست بكتب تاريخ على النحو الذي نفهمه الآن من كتب التاريخ ، بل هي أشبه شيء بحرائد الأخبار في عصرنا الحديث ، وإن كان الكتاب الواحد يجمع الحوادث التي حدثت في عصر ملك من الملوك ، ولم تقسم الكتب إلى أبواب وفصول ، بل هي كما قلت مجرد سرد للحوادث ، كما أن أكثرها ليس مرتباً على السنين أو على حسب وقوع الأحداث التي ذكرها ، فقد تجد حادثة في أول الكتاب وتاريخ حدودها بعد الحوادث التي جاءت بعدها ، ومهما يكن من شيء فقد كان تأليف كتب السير في ذلك العصر على هذا النحو الذي نراه في كتب ابن زولاق ، وبالرغم من ذلك فقد كانت كتب ابن زولاق مصدراً هاماً من المصادر

(١) المغرب في حلى المغرب ص ٤ .

(٢) هذا البيت من قصيدة أنشدها أحد شعراء مصر في رثاء أبي سعيد عبد الرحمن بن

أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المؤرخ المصري المتوفى سنة ٥٣٤٧ هـ .

التي اعتمد عليها المؤرخون الذين تحدثوا عن مصر بعده . فابن خلكان ، والنويري ،  
وابن حجر العسقلاني ، والسيوطي ، وابن دقاق ، وأبو المحاسن ، وياقوت ،  
والقلقشندي ، والعمري وغيرهم نقلوا كثيرا من مادة كتبهم عن كتب ابن زولاق ،  
وكانوا يطلقون عليه « مؤرخ مصر » ، مما يدل على قيمة كتبه وأخباره ، ولا غرو  
في ذلك فقد كان محدثا ، والمفروض في المحدث أن يكون صدوقا فيما يروي به ، وقد  
تكون مينة ابن زولاق الكبرى هي صدق أخباره ، حتى عرف بذلك بين معاصريه  
أنفسهم ، فاستطاع أن يكتسب مكانة رفيعة في نفوسهم ، وقد ذكرنا قصته مع  
الوزير يعقوب بن كلثوم . وتوفي ابن زولاق في عهد الحاكم سنة سبع وثمانين  
وثلاثمائة من الهجرة (١) .

### المسيحي :

ومن مؤرخي هذا العصر الذين كثر نقل المتأخرين عنهم ، المؤرخ الأمير  
المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عميد الله بن أحمد المعروف بالمسيحي ، الحراشي  
الأصل ، المصري المولد والنشأة ، ولد في رجب سنة ست وستين وثلاثمائة ، واتصل  
في صباه بخدمة الحاكم بأمر الله في زمرة جنده ، وما زال يرقى في مراتب الجندية  
حتى صار أميرا على إقليم البهنسا والقيس من أعمال صعيد مصر ، ثم ولي ديوان  
الترتيب ، وينقل عنه أنه كان له مع الحاكم بأمر الله مجالس ومذاكرات أودعها  
كتابه « التاريخ الكبير » الذي وصفه بقوله : التاريخ الجليل قدره ، الذي يستغنى  
بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه ، وهو أخبار مصر ، ومن حلها  
من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية ، واختلاف  
أصناف الأطمعة ، وذكر نيلها ، وأحوال من حل بها ، وأشعار الشعراء ،  
وأخبار المغنين ، ومجالس القضاء والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين  
 وغيرهم . وهو في ثلاثة عشر ألف ورقة . ويدلنا هذا النص على أن المسيحي لم  
يتم بالتاريخ السياسي حسب ، بل أراد أن يجعل من كتابه مرسوعة عامة عن مصر  
من ناحيتها السياسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية ، ومن المؤلم حتما أن يضيع  
مثل هذا الكتاب القيم ، ولم يبق منه إلا هذه الفقرات القليلة المتفرقة في كتب  
التاريخ ، وهذا الجزء الصغير المخطوط بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا .  
لم يكن الأمير المسيحي مؤرخا حسب . بل كان أديبا له ذوق فني واطلاع

(١) ابن خلكان ج ١ ص ١٣٤ ومجمع الأدباء ج ٧ ص ٢٢٥ .

واسع في ميدان الأدب ، وألف في ذلك الميدان كتباً كثيرة منها ، كتاب التلويح والتصريح ، في معاني الشعر ، وكتاب « الشجن والسكن » في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه ، وكتاب « جونة الماشطة » يتضمن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع ، وكتاب « الراح والارتياح » في وصف الشراب وآلاته والندام عليه ، واختيار أوقاته ، وذكر الزهور والرياح والثمار والأشجار . وكتاب الغرق والشرق ، وكتاب مختار الأغاني ومعانيها وكتاب المفاتيح والمناجحة في أصناف الجماع ، وكتاب الطعام والإدام في صفة ألوان الطعام وما يقدم على الخوان ، وكتاب درك البغية في وصف الأديان والعبادات وذكر الملك والأنبياء والمنبئين وذكر الفرائض والآداب ، وكتاب الجوعان والعريان ، وكتاب القران والتمام . وكتاب الأمثلة للدول المقبلة ، إلى غير ذلك من الكتب . كما كان شاعراً رقيق العاطفة دقيق الحس ، فمن شعره في رثاء أم ولده :

ألا في سبيل الله قلب تقطعا      وفادحة لم تبق للعين مدمعا  
أصبراً وقد حلل الثرى من أوده      فله هم ما أشد وأوجعا  
فيا ليتني للبوت قد مت قبلها      وإلا فليت الموت أذهبنا معا  
وانظر إليه وهو يرثي والده سنة . . . ٤٤ هـ :

خطب ألم من الزمان عظيم      فالدمع سح للصاب سجوم  
خطب يقل له البكاء وينطوى      عنه العزاء ويظهر المكثوم  
خطب يميت من الصدور قلوبها      أسفا ، ويقعد نأره ويقيم  
يادهر : قد أنشبت في مخالبا      بالأسودين لوقعهن كلوم  
يادهر : قد ألبستني حلال الأسي      مذ حل شخصن في التراب كريم  
لو كنت تقبل فدية لفديت من      رضى عظامي فيه وهو رميم  
يا من يلوم إذا رآني جازعا      من طارق الحدثنان . فيم تلوم  
بأبي جئمت فأنى ثكل مثله      ثكل الأبوة في الشباب أليم  
قد كنت أجزع أن يل به الأذى      أو يعتربه من الزمان هموم

وبجانب هذه النفحة الأدبية كان المسيحي يلم بالنجامة . وله في ذلك كتاب القضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم . من هذا كله نستطيع أن ندرك أن المسيحي كان من أركان الحركة العلمية والأدبية في مصر الفاطمية . وقد استفاد

منه المؤرخون الذين جاءوا بعده . فاقبسوا من مؤلفاته ولقبوه بمؤرخ الفاطميين  
وتوفى المسيحي سنة عشرين وأربعمائة . وراثه جماعة من شعراء عصره ؛ ذكرهم  
ولده في تاريخه وذكر مرآتهم<sup>(١)</sup>

### القضاعي :

ومن المؤرخين الناهين في هذا العصر ؛ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر  
القضاعي ، تفقه على مذهب الشافعي ، ومع ذلك فقد ولاه الفاطميون القضاء  
ثم اتصل بالوزير الجرجاني فجعله الوزير كاتب علامته ؛ ثم عمل في ديوان  
الإنشاء . وأوفده أولو الأمر بمصر إلى القسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ رسولا من قبلهم  
إلى الامبراطورة ثيودورا لإصلاح ما فسد من العلاقات بين المصريين والبيزنطيين  
ولكن البيزنطيين لم يرحبوا بصداقة المصريين إذ ذاك وفضلوا أن يتحالفوا  
مع طغرل بك التركاني<sup>(٢)</sup> . ولما عاد القاضي القضاعي من هذه السفارة اتخذه الوزير  
اليازوري كاتباً لإنشائه وعلامته . وهكذا كان مقدما عند الفاطميين بالرغم من  
تمذهبه بمذهب يخالف عقيدتهم . ألف القضاعي كتبا كثيرة نذكر منها كتابه  
في مناقب الإمام الشافعي وأخباره ، وكتاب الشهاب ، وكتاب الأنبا . عن الأنبا .  
وتواريخ الخلفاء . وكتاب خطط مصر ؛ وقدمه المقرئ حين قال<sup>(٣)</sup> : إن أول  
من رتب خطط مصر وآثارها ، وذكر أسبابها في ديوان جمعه ، هو أبو عمر محمد  
ابن يوسف الكندي ، ثم كتب بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي  
كتابه المنعوت بالمختار في ذكر الخطط والآثار . ومات في سنة سبع وخمسين  
وأربعمائة قبل سني الشدة ، فدثر أكثر ما ذكر ، فإن أول من تحدث من مؤرخي  
مصر عن الخطط هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم في كتابه فتوح مصر<sup>(٤)</sup>  
وتبعه المؤرخون بعده .

والقاضي القضاعي كان أستاذاً مدرسة في رواية التاريخ أخذ عنه عدد كبير  
من المؤرخين أمثال محمد بن بركات بن هلال السعدي النحوي المولود سنة ٤٢٠ هـ

(١) راجع ابن خلكان ج ١ ص ٥١٥ - النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١ - المغرب  
ص ٩٦ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) راجع ذلك بالتفصيل في البيرة المؤيدية ونجد شيئا من ذلك في أخبار مصر لابن بصر

(٣) الخطط ج ١ ص ٦ (٤) راجع كتاب « في أدب مصر الإسلامية » .

صاحب كتاب تخطيط مصر<sup>(١)</sup> . وكان ابن بركات نحويا لغويا وله في هذه العلوم كتاب الإيجاز في معرفة ما في القرآن من ناسخ ومنسوخ ألفه للأفضل بن بدر الجمالي ، وله تصانيف في النحو حتى قيل إنه بحر العلوم . وعنه روى الحافظ السلفي والبوصيري صاحب البردة وأبو الميمون عبد الوهاب المالكي وهبة الله ابن صدقة المعروف بأبي الرداد وغيرهم ، وتوفي ابن بركات سنة ٥٢٠ هـ .  
ومن روى عن القضاعي أبو عبد الله الحميدي والخطيب أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، فقد قابل القضاعي في الحج سنة ٤٤٥ هـ . وروى عنه . وهكذا كان أثر القضاعي في معاصريه ، كما أن الذين جاءوا بعده نقلوا كثيراً من رواياته ، واقتبسوا من أقواله ، وتوفي القضاعي سنة ٤٥٧ هـ<sup>(٢)</sup> .  
ومن المؤرخين في أواخر العصر الفاطمي ابن المأمون البطائحي ، وكان والده وزيراً للأمير بأحكام الله ، ونحن لا نعرف شيئاً عن هذا المؤرخ ولا عن كتبه ، ولكن المقرئ الميرزي اقتبس كثيراً من كتاباته في مواضع متفرقة .

### فن السير :

أما فن السير وهو ذلك الفن الذي يعد من فنون التاريخ ، فقد كان له شأن كبير في الحياة الفكرية في مصر الإسلامية ، ذلك أن كتاب مصر وعلماءها وجهوا عنايتهم إلى كتابة سير عظامهم وأبطالهم ومجتهديهم ، وقد وصل إلينا بعض هذه الكتب مثل سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن عبد الحكم رئيس المدرسة المالكية في مصر في القرن الثاني للهجرة<sup>(٣)</sup> وقد ذكرنا أن ابن الداية كتب سيرة أحمد بن طولون وسيرة ابنه أبي الجيش ، وكتب ابن زولاق سيرة الإخشيد وسيرة ابنه وسيرة كافور وسيرة المعز لدين الله وسيرة العزيز وسيرة سيديويه المصري ، وكتب القاضي النعمان سيرة المعز لدين الله ، وكتب محمد بن محمد اليماني سيرة جعفر الحاجب ، ويطول بنا الأمر لو أحصينا كل ما وصل إلينا في فن السير مما كتبه المصريون مما يدل على كلفهم بهذا الفن . ويحيل إلى أن مصر منذ أقدم عصورها اهتمت بهذا الفن اهتماماً خاصاً . نراه مثلاً فيما تركته مصر

(١) بقية الوعاة ص ٢٤ .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤١٣ وابن ميسر ص ١٤ وحنن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٧

وطبقات الشافعية ج ٣ ص ٦٣ .

(٣) راجع كتاب « في أدب مصر الإسلامية » .

الفرعونية من سيرملوكها وأمرائها منقوشا على جذران المعابد والمقابر أو مسطراً على ورق البردي ، ونراه في مصر القبطية فيما تركه الآباء البطارقة من سير من سبقوهم من الآباء والقديسين . وفي مصر الإسلامية ظهرت هذه الحلقات المتابعة في فن السير ، ولعل أولها ما قيل من أن ابن إسحق صاحب السيرة النبوية وفد على مصر وروى بها السيرة ، ووفد ابن هشام على مصر وروى بعض أجزاء السيرة عن المصريين .

وبلغت عناية المصريين بالسير وكلفهم بهذا الفن أنهم وضعوا للشعب سيراً عن أبطال أجهم المصريون وردد الشعب هذه السيرة في اجتماعاته ومفانيه ، مثل سيرة عنتر بن شداد وسيرة الهلالية . وستحدث عن ذلك فيما بعد .  
وقد حصلنا أخيراً على مخطوطين في فن السير ، الأول «سيرة الأستاذ جوذرة» والثاني «سيرة المؤيد في الدين» .

### سيرة الأستاذ جوذرة<sup>(١)</sup>

يتحدث هذا الكتاب عن حياة رجل من رجال الدولة الفاطمية الذين أغفل المؤرخون ذكرهم ، وهو الأستاذ جوذرة الصقلي ، ومع ما كان له من مكانة رفيعة في الدولة الفاطمية بالمغرب قبل انتقال المعز لدين الله إلى مصر ، ومع ما كان للأستاذ من منزلة قريبة عند الأئمة الفاطميين ، يحدثنا هذا الكتاب عن دخول جوذرة في خدمة المهدي بالله الفاطمي ، وأن المهدي أهدى هذا الغلام إلى ولي العهد القائم بأمر الله ، وكيف اشتمت الصلة بين العبد وسيده ، حتى إن القائم — وكان لا يزال ولي العهد — عند ما خرج لغزو بلاد المغرب سنة ٣٠٠ هـ استخلف جوذرة على قصره وجميع من فيه من حرمه وأهله ، ولما توفي المهدي بالله سنة ٣٢٢ هـ خسر القائم عبده جوذرة دون سائر أهله ورجال الدعوة بمرتبة الاستبداد لولي عهده المنصور بن القائم ، فظل هذا السر سبع سنين حتى أعلن القائم ولاية العهد على الملأ ، وفي خلافة القائم أصبح جوذرة صاحب بيت المال ووكيل بخزائن الكساء كما كان سفيراً بين الخليفة وسائر الناس .

وهكذا ارتفعت منزلة جوذرة وأصبح له نفوذ قوى في هذه الدولة الناشئة فباه الناس ، وحببه للخير وعظفه على الشعب أحبه الناس . وتوفي القائم بعد ذلك

(١) هو الذي نسب إليه عطية وعارة وشارح الجوزدريه بضم الدرب الأحرر بالقاهرة.



ولكن المنصور بالله لم يعلن وفاة أبيه فلم يعلم أحد الخبر إلا جوذر ، وخرج  
لحرب الخارجين عليه مستخلفاً جوذر على دار الملك وسائر البلاد وسله مفااتيح  
خزائن الأموال ، ولما عاد من حروبه أعلن موت القائم وكافأ جوذر على خدماته  
فأعتقه ولقبه « مولى أمير المؤمنين » وأمره ألا يكتب في رسائله أحداً ولا يقدم  
على اسمه اسماً إلا الخليفة وولي العهد ، وأن يرقم اسمه بالذهب على ملابس  
الخليفة وولي عهده ، وأن يثبت اسمه على الحصر والبسط ، كل ذلك إمعاناً في  
تشيده ، وفي خلافة المعز كان جوذر موضع سر مولاه ، إلى أن فتحت مصر  
وأراد المعز أن يسير إليها ، فأرجف الناس بأن أمر المغرب سيؤول إلى جوذر  
ولكن جوذر أبى أن يفارق إمامه فسار معه إلى مصر ولكنه توفى بالقرب من  
مدينة برقة في مكان يعرف بمياسر سنة ٦٣٢ هـ .

لم تقف أهمية سيرة جوذر على هذه الناحية التاريخية من ترجمة أحد رجال الدولة  
الفاطمية الذين كان لهم أثر قوى في هذه الدولة منذ نشأتها ، وإنما يوضح هذا  
الكتاب بعض نواح تاريخية هامة أغفلها المؤرخون القدماء أو مروا بها مرا  
سريعا ، ففي الكتاب حديث عن تلك الثورات العنيفة التي نشبت بالمغرب عقب  
قيام الدولة الفاطمية وكادت تقوض أركان تلك الدولة . كما يطلعنا على العلاقة  
بين الفاطميين وصقلية ، وعلى ما كان يعاينه الفاطميون من رجال هذه الجزيرة  
ومن قرصان البحر ، ويظهر سبب الجفاء الذي كان بين المنصور وبين بني عمومته  
من أولاد المهدي ، وكيف طلب إلى جوذر أن يشتد في تأديبهم ورصد حركاتهم .  
أضف إلى ذلك كله أننا نستطيع أن نعتبر كتاب سيرة جوذر من الوثائق الأدبية  
فقد جمع مصنفه جميع التوقيعات التي خرجت من المنصور والمعز إلى جوذر  
ورسائله إليهما ، وقد بلغ عددها في هذا الكتاب نحو المائة ، فالكتاب أشبه  
بديوان توقيعات للفاطميين ، ولأأكد أعرف كتابا جامع توقيعات الفاطميين سوى  
هذا الكتاب وكتاب المجالس والمسائرات للقاضي النعمان الذي جمع فيه مصنفه  
بعض توقيعات المعز إليه ، وكتاب السجلات المستنصرية الذي جمع فيه رسائل  
المستنصر إلى الصليحيين باليمن ، وأجد في سيرة جوذر بعض قطع من شعر المنصور  
بالله ، وخطبة المنصور في نصي القائم ، وخطبة المعز في نصي المنصور ، وهكذا  
نستطيع أن نستفيد من هذا الكتاب الصغير من الناحية الأدبية والتاريخية  
والاجتماعية في العصر الفاطمي بالمغرب .

أما مصنف هذه السيرة فهو رجل ممنور لا نكاد نعرف عنه إلا أنه منصور الجوذري العزبي ، وأنه دخل في خدمة الأستاذ جوذر كاتباً له سنة ٣٥٠ هـ وأصبح موضع سره ، وظل في عمله إلى أن توفى جوذر فاتصل بالمعز فالعزبي ، ويتضح من كلامه أن العزبي جعله في مرتبة رفيعة هي نفس المرتبة التي كان فيها جوذر ، ويضيف المقرئ أن أبا علي منصوراً الجوذري زادت مكاتبه في عهد الحاكم بأمر الله ، فأضيفت إليه مع الأحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك (١) .

هذا كل ما نعرفه عن واضع هذه السيرة ، ونستدل من هذه السيرة أنها صفت في عهد العزبي بالله الذي ولى سنة ٣٦٥ هـ وتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، ولكننا لانستطيع أن نحدد السنة التي ألفت فيها (٢) ونرجو أن نوفق إلى نشر هذا الكتاب قريباً .

#### السيرة المؤيدة :

لا أكاد أعرف كاتباً من كتاب المسلمين ، سبق المؤيد في الديرة بآله العثميرازي داعي الدعوة — الذي تحدثنا عنه من قبل — في تصنيف كتاب خاص لسيرته ، فقد ترجم لنفسه في هذا الكتاب ، بفصل من تاريخ حياته ، أي من سنة ٤٢٩ هـ إلى سنة ٤٥٠ هـ ، وأودع هذا الكتاب بعض رسائله ومناظراته العلمية المذهبية ، ولما كان المؤيد ممن أسهم في الحياة السياسية في هذه الفترة فهو يوضح جهوده وحركاته وسكناته منذ كان في بلاط أبي كاليجار البويهسي بفارس ، فوصف المؤيد حياته في هذه البلاد ، كما وصف هذه الحياة التي كان يحياها السلطان مع الندماء وصلة السلطان بالعباسيين ، وكان المؤيد متصلاً برجال المستنصر الفاطمي من وزراء وكتاب ودعاة ، فاضطر إلى أن يتحدث عن شيء من أسرار هذا العصر الغامض المضطرب ، وأسرار وزراء مصر في ذلك العصر ، وذهب المؤيد لمؤازرة البساسيري في العراق واجتمع بعدد كبير من أمراء العرب والأتراك والأكراد فتحدث عن هذه الحركة السياسية التي كادت تقوض أركان العباسيين ، فالكتاب على هذا النحو ليس ترجمة للمؤيد فحسب ، بل هو مصدر هام للحياة السياسية والاجتماعية في القرن

(١) خطط المقرئ ج ٣ ص ٦٠ .

(٢) راجع ما كتبه عن هذا الكتاب في مجلة الكاتب المصري المجلد الثامن عدد ٣١ (أبريل سنة ١٩٤٨) .

الخامس الهجرى، لأن المؤيد ترجم لنفسه من حيث علاقته بالمجتمع الذى عاش فيه. والكتاب قيم جدا فى دراسة هذه السنوات الإحدى والعشرين التى كان بها أحداث وخطوب، وكان لها أثر قوى فى مجرى الحياة الإسلامية عامة، ولقيمة هذا الكتاب نشرناه<sup>(١)</sup> فهو فى متناول القراء الآن.

وهكذا كانت حركة التاريخ والسير قوية فى مصر الفاطمية كما كانت قوية قبل عصر الفاطميين، وكما كانت قوية بعد عصر الفاطميين، ففن التاريخ وروايته من الفنون التى ازدهرت فى مصر فى عصورها المختلفة، شغف به المصريون فأكثروا من روايته وتدوينه.

### خاتمة القول فى الحياة العقلية

قلنا إن العقائد الفاطمية كانت ميدانا فسيحا للعقل. وإن الفاطميين أفسحوا صدورهم للدراسات الفلسفية فى وقت كانت فيه هذه الدراسات موضع هجمات عنيفة فى الأقطار الإسلامية الأخرى، بل رأينا الفاطميين يأخذون من النظريات والآراء الفلسفية والدينية القديمة ويصبغون هذه الآراء والديانات بالصبغة الإسلامية بما يتفق مع العقائد التى بشرها بها، فأعطوا لأنفسهم من حرية التفكير وفى الأخذ عن القديم، والاجتهاد فى المذهب، ما لا نراه عند غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، ولكن هذا الاجتهاد وهذه الحرية الواسعة فى الفكر كانت مقيدة بموضوع الإمامة، فكل مؤلفات الدعوة الفاطمية، ومجالس حكمتهم، كانت تدور قبل كل شيء حول صاحب النص المعصوم وتثبيت إقامته وإظهار الإمام ظهر الجلال والقدسية، فكان الفاطميين فى مصر قد أعادوا إليها شيئا من الحياة الفكرية التى كانت بالاسكندرية منذ عهد بطليموس، إذ كان أهم الدراسات بالاسكندرية استرضاء الحكام وإشباع غرورهم بإسناد الفضائل كلها اليهم وإلى أجدادهم، بيد أن دعاة الفاطميين اتخذوا التعاليم الدينية ذريعة للوصول إلى غرضهم فأدخلوا فى الدين ما وصلت إليه الفلسفة الهلينية والأفلاطونية الحديثة، وبعض الإسرائيليات والمسيحيات وآراء هرمس الخرافى وغيرها من الآراء القديمة، وذلك كله لإشباع الفضائل كلها على الأئمة من أهل البيت، فكانهم قالوا بجرية

(١) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعوة (من مطبوعات دار الكاتب المصرى).

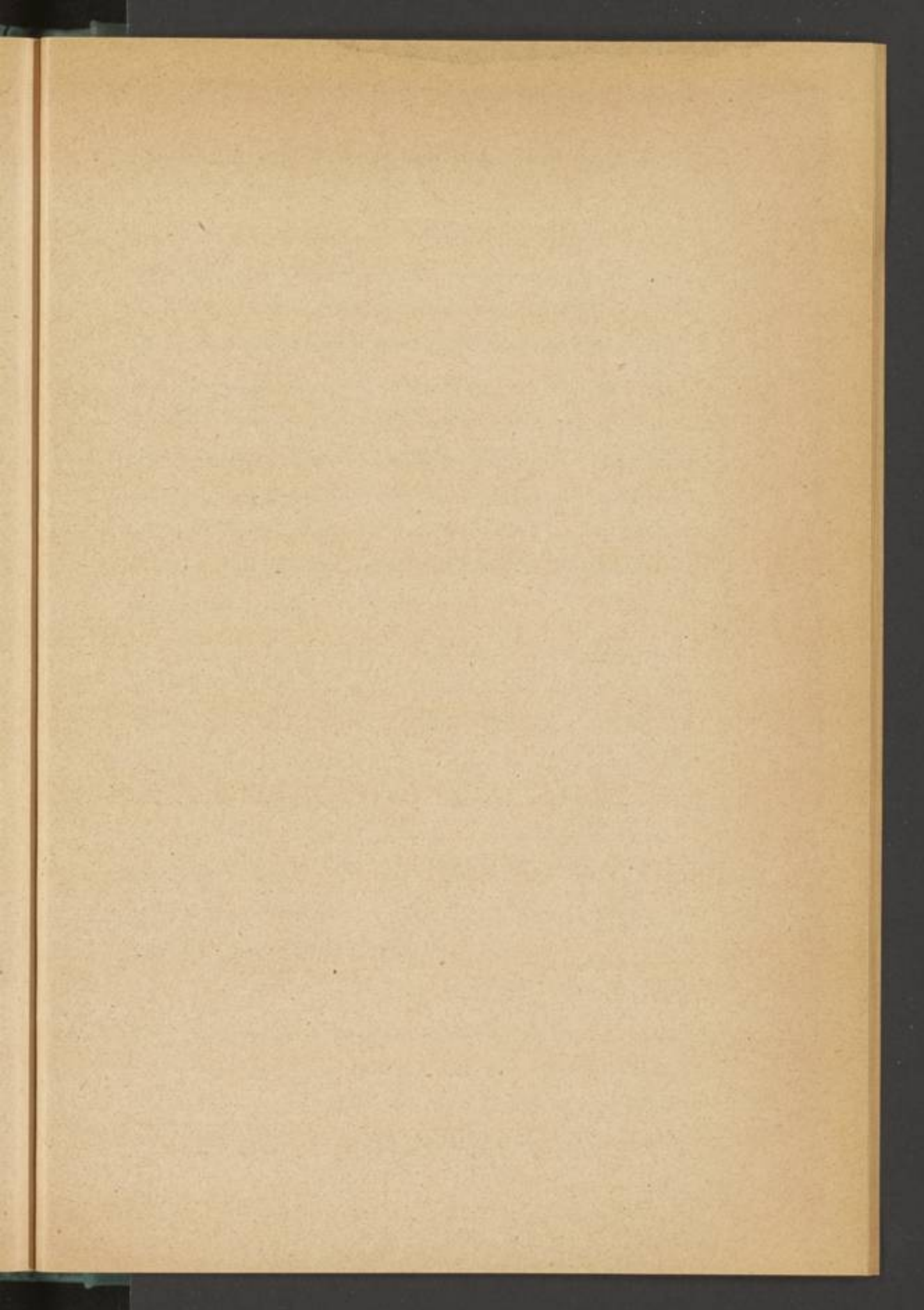
الفكر الى ابعدي هذه الحرية ، ولكنهم مع ذلك قيدوا هذه الحرية بالإمامة . وكانت هذه الحرية الفكرية سببا في ازدهار الحركة الفلسفية في مصر وظهور عدد كبير من الفلاسفة على نحو ما ذكرنا من قبل ، ولكن هذه الدراسات الفلسفية كانت في أغلبها تتبع عقائد الفاطميين ، فدراسة الأفلاك والنجوم وإنشاء الرصد مثلا كانت كلها بسبب معرفة ابتداء شهر رمضان ، ويغلب على ظني أن الفاطميين لو لم يدينوا برؤية الهلال رؤية استبصار وعلم لما ازدهرت هذه الألوان من الدراسات .

وربما أن مصر الفاطمية شاهدت دراسات أدبية عربية ، ولكننا نلاحظ أن هذه الدراسات كانت مقصورة على دراسة النصوص القديمة وشرحها والتعليق عليها دون أن تنتج مصر شيئا جديدا ، وهذا ما كان أيضا في مصر إبان ازدهار مدرسة لاسكندرية حين كانت الدراسات الأدبية تقوم على دراسة شعر هو ميروس ووضع المعجمات لمفردات هذه الأشعار وغيرها من الشعر القديم ، دون أن يكون للدراسات الوجدانية أثر قوى في هذه الدراسات التي قوى فيها عمل العقل والآراء العلمية أكثر مما يظهر تأثير العاطفة التي تستوحى من نفسية الشعب ، ولذلك تتفق الدراسات الأدبية في العصر الاسكندري مع العصر الفاطمي في أن هذه الدراسات لا تظهر فيها شخصية مصر ، وكذلك في المزاوجة بين الدراسات الأدبية الخالصة والآراء الفلسفية بمصطلحاتها وتعبيراتها ، ومن هنا نرى سبب هذا التعقيد في أسلوب الدعاة والعلماء ، حتى يخيل إلينا أن هؤلاء العلماء بعدوا عن التعبيرات الأدبية التي تتمثل فيها البساطة والذوق الموسيقي والعاطفي في اللفظ والمعنى ، ولكن الدعاة والعلماء في العصر الفاطمي حشوا كتاباتهم بالتعبيرات الفلسفية ، واستعملوا مصطلحات اضطروا أن ينحتوها من ألفاظ عربية ، وأن يتلاعبوا بقواعد الصرف المعروفة فجاءت كتاباتهم غريبة عن الأسلوب العربي . حقيقة حاول بعض الدعاة والعلماء أن يستعيدوا الأسلوب الأدبي وأن يتبعوا عن تعقيدات الفلاسفة ، ولكنهم وجدوا مشقة في تعبيرهم ، وصعوبة في صناعتهم ، فاضطروا إلى استخدام المحسنات البديعية والإغراق فيها ليفتنوا الجماهير بالزينة اللفظية ، فكانت نتيجة ذلك أنهم تجنبوا تعقيدا ليقعوا في تعقيد آخر ، وهذه الشروح والحاشيات التي وضعت حول النصوص القديمة احتاجت هي نفسها فيما بعد إلى شروح وحواش أخرى لتوضيحها وتقريبها إلى المتعلمين ، وهكذا

كانت جناية الدراسات الفلسفية والمصطلحات العلية على الأساليب العربية .  
على أن هذه الظاهرة لم تكن في مصر لحسب ، بل كانت في جميع الأقطار  
الإسلامية منذ عرفت هذه الأقطار هذه العلوم التي عرفت بالعلوم الدخيلة ، ومنذ  
أخذ أصحاب الفرق المختلفة الصياغات المنطقية والفلسفية للتعبير عن آرائهم ودحض  
رأى خصومهم ، ومن يدري لعل هؤلاء العلماء تعمدوا تعقيد أسلوبهم حتى يقال  
عندهم إنهم علماء ، وهاهو ذا الجاحظ يحدثنا عن هؤلاء الذين تعمدوا التعقيد فيقول :  
« قلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة  
كلها ، وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك تقدم بعض العويص  
وتؤخر بعض المفهوم ؟ فأجاب : أنا رجل لم أصنع كتب هذه الله ، وليست هي من  
كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلت حاجات الناس إلى  
فيها ، وإنما كانت غايتي المنالة ، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم  
حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير ، إذ  
كنت إلى التكبس ذهبت ، (١) .

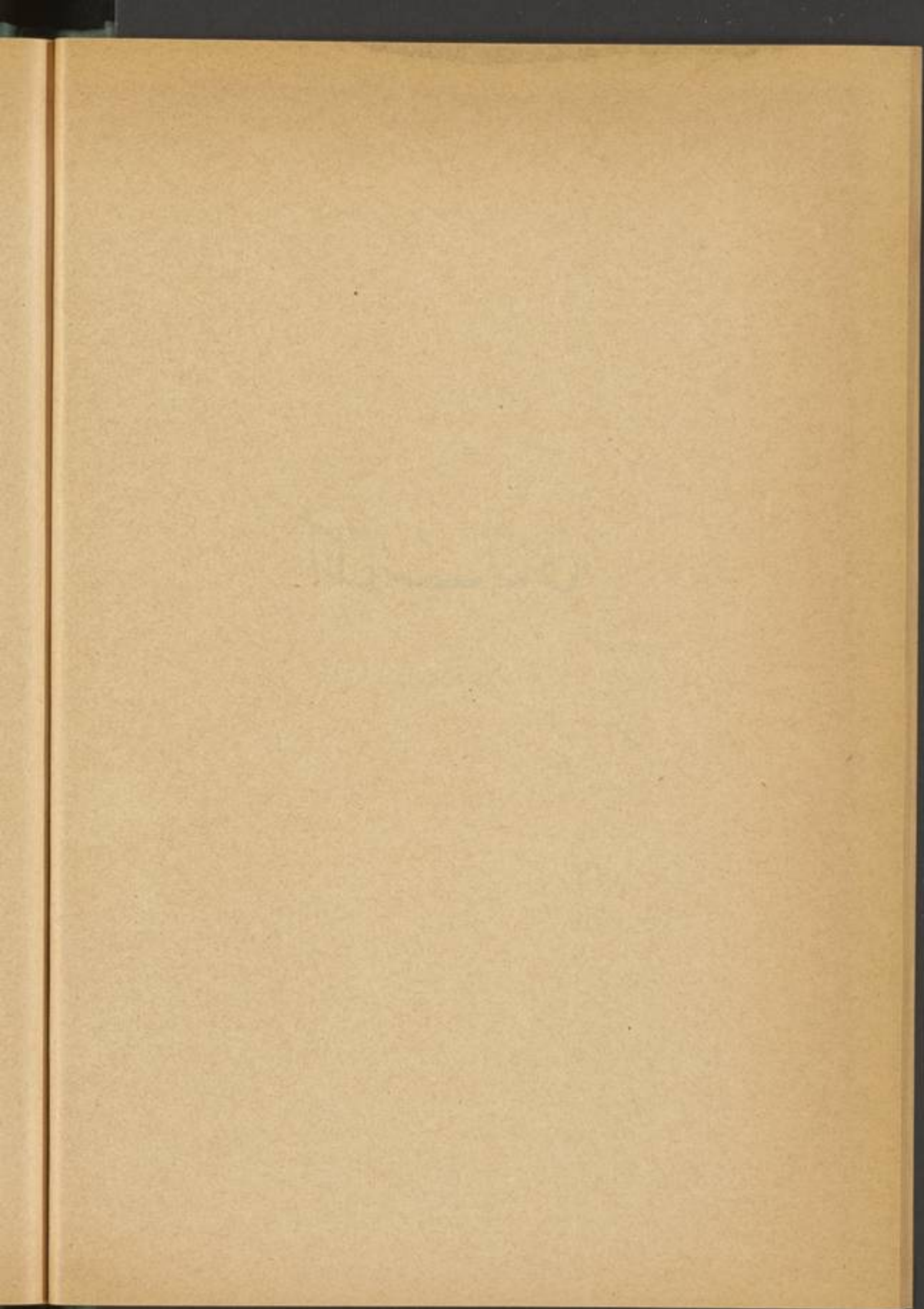
ومهما يكن من شيء فقد كانت هذه الحركة العقلية في مصر الفاطمية في نمو  
مطرد في كل نواحيها وألوانها وفنونها ، وتعددت مراكزها في مصر ، وكانت  
حلقات الدرس في المساجد أو الدور في القاهرة والفسطاط وفي الإسكندرية  
وتنيس في الشمال وفي أسوان وقوص وقفط في الجنوب ، كما كان أمراء الأقاليم  
يجمعون حولهم العلماء والشعراء ، وهاهو ذا عمارة التمني يحدثنا في « النكت » عن  
بعض هؤلاء الأمراء وعن مجالسهم وشعرائهم ، فالجياة العلية كانت مزدهرة ،  
في مصر الفاطمية ، وعن مصر أخذ كثير من العلماء في الغرب والشرق ، فلا غرو  
إن قلنا إن مصر الفاطمية كانت بدءاً للزعامة المصرية للأقطار الإسلامية ، تلك  
الزعامة التي لا تزال مصر تحمل لواها إلى الآن .

(١) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٥ ؛ ( طبعة لاسي ) .



# الكتابُ الثاني

في الحياة الأدبية





# الباب الأول

في الشعر

## الفصل الأول

ازدهار الشعر

عرف الفاطميون ببراء دولتهم ، وبذخهم الذي لا مثيل له بين ملوك الدول الأخرى ، وأكثروا من استحداث الأعياد والمواسم ، وافتنوا في إقامة حفلاتهم ومواسمهم ، حتى يخيل إلى من يقرأ تاريخهم أن حياة مصر في ذلك العصر الزاهر كانت كلها أعيادا ومواسم ، وكلها لهوا ومرحا . بالرغم مما كان في هذا العصر من سنى شدة وقحط ضرب بها المثل ، ولكن هذه الأيام العجاف لم تمنع الفاطميين من الاحتفال بأيامهم التي اتخذوها لأنفسهم أعيادا بجانب تلك الأعياد التي يتخذها باقي المسلمين ، والأعياد التي يجيها مسيحيو مصر ويشترك معهم فيها إخوانهم المسلمون . فكان الشعب في عصرهم يتظاهر بما يجلب السرور إلى نفسه ، حتى لو كان ذلك عن طريق المحون وارتكاب المعاصي ، وكانت الدولة تحتفل بهذه الأيام احتفالا يتناسب مع عظم ملكهم واتساع سلطانهم ووفرة خيراتهم وأموالهم . وقد تكون هذه المبالغة منهم في حياتهم لونا من ألوان التنافس السياسي بينهم وبين أعدائهم ، فيقف أعداؤهم على هذه الحياة البهيجة الفرحة ، والنفقات الطائلة ، فيعلمون أنهم أمام دولة قوية غنية ، فتضعف هممتهم عن مهاجمتها ، أما هذه الأعياد التي استحدثوها في مصر فقد روى المقرئ عن ابن الطوير المؤرخ أن الفاطميين كانوا يحتفلون بستة موالد : مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب ، ومولد فاطمة بنت الرسول ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين ، ومولد الخليفة الحاضر (١)

وفي فصل آخر من خطط المقرئ يتحدث المؤلف عن الأيام التي كان الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم ، فقال : وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم ، وهي : موسم رأس السنة ، وموسم أول العام ، ويوم عاشوراء ومولد

التي (ص) ومولد علي بن أبي طالب ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد فاطمة الزهراء ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم النطاص ويوم الميلاد وخميس العدس<sup>(١)</sup> وأضاف إلى ذلك أيام حفلات صلاة الجمعة فقد كان الخلفاء يركبون في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مرة وفي جامع الحاكم مرة وفي جامع عمرو بن العاص مرة، وينال الناس من الخليفة في هذه الجمع الثلاث رسوما وهبات وصدقات<sup>(٢)</sup>. وأضاف أيضا أيام الركوبات التي كان فيها الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء إلى متزهاته بالبساتين والمناظر التي بنوها لتزهايمهم<sup>(٣)</sup> ويوم سفر الحاج<sup>(٤)</sup> وركوب الخليفة في أول شهر رمضان<sup>(٥)</sup> وتحدث المقرئ كذلك في مكان آخر عن ليالي الجمع من شهرى رجب وشعبان وليلى النصف منهما<sup>(٦)</sup> فكل هذه الأيام التي كان يحتفل بها الفاطميون، سواء أكانت أيام حزن مثل عاشوراء أو أيام فرح تمد فيها السمط الفاخرة، وينفق فيها عن بذخ وإسراف ويصيب رجال الدولة وكل من يتصل بالقصر من النعم والخلع، كل بما يتناسب مع مكانته، وينال الشعب الذي يشارك أمرؤه في أفراحهم وأحزانهم حظا بما كان يفدقه الخلفاء والأمراء عليه، فإذا مصر كلها تحتفل بهذه الأيام التي استنها الفاطميون، وقد يطول في الحديث لو توخيت وصف هذه الحفلات الكثيرة، وأكتفي هنا بأن أعطى صورة ليوم واحد من أيام أعيادهم نقلا عن المقرئ عن المؤرخ المعاصر ابن المأمون في وصف موسم أول العام:

وأسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة، وبادر المستخدمون في الخزائن وصناديق الإنفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة، ورسم جميع من يختص به من إخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات، وجميع الأستاذين العوال والأدوان، وثموا بحمل ما يختص بالأجل المأمون وأولاده وإخوته، واستاذنوا على تفرقة ما يختص

(١) الخطط ج ٢ ص ٣٨٤ وما بعدها .  
 (٢) الخطط ج ٢ ص ٣٩٢ .  
 (٣) المصدر السابق  
 (٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٨٨ .  
 (٥) ج ٢ ص ٣٨٦ .  
 (٦) ج ٢ ص ٣٤٥ .

بالأجل المأمون وأولاده وأخوته وأستاذوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون وأولاده والأصحاب والحواشي والأمراء والضيوف والأجناد ، فأمروا بتفرقة ، والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها ، وجلس المأمون باكراً على السباط بداره ، وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع أصنافه على ما تضمنته الأوراق ، وحضرت التعاشير والتشريفات وزى الموكب إلى الدار المأمونية ، وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجة ومصفات العساكر ، وترتيب الأسمطة ، وأحمد كل منهم إلى شغله ، وتوجه لخدمته ، ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ، ثم خرج من باب الذهب ، وقد نشرت مظلته وخدمت الرهجة ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهرين والسيارف والصاغة والبرازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعايشه لطلب البركة بنظر الخليفة ، وخرج من باب الفتوح ، والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزينها ، وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور ، ودخل من باب النصر ، والصدقات تعم المساكين ، والرسوم تفرق على المستقرين ، إلى أن دخل من باب الذهب ، فلقبه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز إلى أن دخل خزنة الكسوة الخاص ، وغير ثياب الموكب بغيرها . وتوجه إلى تربة آبائه للترحم على عادته ، وبعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة ، وعبيت الأسمطة وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر . وتوجه الأجل المأمون إلى داره فوجد الحال في الأسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها أكثر مما تقدمها ، وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور ، وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء ، وبعدهم الشعراء على طبقاتهم ، وعادت الأمور في أيام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود ، وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما يحتاج إليه الدولة في طول السنة وينضم به ويتصدق ، ويحمل إلى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين ، ويحمل إلى الثغور ، ويخزن من سائر الأصناف ما يستعمل ويبيع في الثغور والبلاد .. الخ (١)

هذه صورة ما نقله المقرئ عن المؤرخين المعاصرين عما كان يجري تحت  
بصرهم وسمعمهم في يوم من أيام هذه الأعياد الكثيرة التي استحدثها الفاطميون ،  
ومن هذه الصورة نقبين أن هذه الأعياد لم تبين أعياد الخلفاء والأمراء ورجال  
القصر فحسب ، بل كانت أعياد الشعب أيضا بما كان يقدم فيها من الصدقات  
والسمط ، فإذا الشعب يشارك الحاكمين ، ويناله شيء من بذخ الفاطميين ، فإذا  
هو في فرح وبشر ، ولا يكاد يمضي عيد حتى يلحقه آخر .

في هذه الحفلات كان الشعراء يتبارون في إنشاد قصائدهم ، ويتنافسون في  
الإجادة والإتقان ، وينعمون بأخذ جاريهم وصلاتهم بما لم ينعم به الشعراء في  
الدول الأخرى ، فلا غرابة إن قلنا إن هذه الأعياد والمواسم كانت من دوافع  
ازدهار الشعر في العصر الفاطمي ، وموضوعا من موضوعاته ، حتى إن عمارة النيني  
في قصيدته التي رثا بها دولة الفاطميين لم يستطع إلا أن يذكر هذه الأعياد  
والمواسم فقال :

أبكي على ما تراءت من مكارمكم	حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وأفدكم	واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم	تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست	ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان في يوم الخليج لكم	يأتي يحملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكم	فيهن من وبلى جو دليس بالوشل
والأرض تهتز في يوم الغدير كما	يهتز ما بين قصرهكم من الأسل
والخيل تعرض في وشى وفي شية	مثل العرائس في حل وفي حل (١)

ولعل هذه الصورة التي صورها الشاعر عمارة النيني لحفلات وأعياد الفاطميين  
تدل على ما كانت عليه مصر في ذلك العصر المترف الغني .

وليست الأعياد والمواسم التي استحدثها الفاطميون هي فقط أظهر ما كان في  
الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية ، ولسكننا نرى الفاطميين يكثرون من المباني  
والمنشآت التي أقاموها في البلاد ، ولعل عنايتهم بالمتنزهات والمناظر والإكثار

(١) خصط المقرئ ج ٢ ص ٣٩٢ .

منها من الأدلة التي نستطيع أن نقدمها على حب الفاطميين للفنون المختلفة ، فبهذه البساتين التي جملوا بها مدينتهم القاهرة وضواحيها ، لم تتخذ منزها لهم فقطدون غيرهم من الرعية ، بل أباحوا للناس دخولها وتمتع بمنظرها وجوها ، فأوجد ذلك عند المصريين لونا من ألوان الحياة الناضرة البهيجة ، وسمت النفوس إلى حب الطبيعة وحب الجمال معا . ولقد كان خروج المصريين في ذلك العصر إلى المتنزحات جزءا هاما من مقومات حياتهم ، وهناك كانوا يقصفون ويطربون ، وينعمون بجمال الرياض وأريج الزهور ، وكان الشعراء يقصدون هذه الرياض جماعات يتطارحون الشعر ويتبارزون في الإنشاد ، يستوحون من جمال الزهر والطبيعة وحي شعرهم ، فإذا صح مارواه الندماء أن شعراء الجاهلية كانوا يخرجون إلى الصحراء لاستلهاام الشعر ، فكذلك خرج شعراء مصر إلى البساتين يتغنون ببدائع الطبيعة ، فكانت هذه المتنزحات والبساتين التي أكثر منها الفاطميون مصدرا خصبا لكثير من الشعر المصري في العصر الفاطمي .

كانت الحياة المصرية إذن حياة ترف ، وكان سكان مصر على حظ من الثراء والغنى يحسداهم عليه العباسيون في أوج مجدهم وسعة سلطانهم ، وكان الخلفاء الفاطميون يسرفون في الإغداق على الشعب مما يملكون من مال ومتاع وورقيت ، مما كان يحمله إليهم الدعاة من مال الخنس<sup>(١)</sup> وأموال النجوى ، ومن هدايا الأمراء في المشرق ، وكان الوزراء يتشبهون بالأئمة في الظهور بمظهر الملك فأنفقوا عن سعة وافتن الشعب في التشبه بأمرائهم وحكامهم ، فظهروا بمظهر صاحب الثروة واتخذوا من الحياة أهبجها ومن الزينة واللباس أزهاها ، وأكثروا من اقتناء الرقيت والقبان ، وإقامة الآداب واستدعاء الخلان لمجالس اللهو والشراب ، حتى خيل إلينا أن حياة المصريين كانت حياة لهو وقصف وسماع غناء وألحان ، فكان ذلك كله وحيا للشعراء بالقرين .

ومن عوامل ازدهار الشعر في هذا العصر الفاطمي أن القائميين على شؤون البلاد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية على نحو ما تتخذ الأحزاب السياسية اليوم بعض الصحف لتعبر عن اتجاه هذه الأحزاب وآرائها . وقد ذكرنا أن الفاطميين عرفوا قدر الدعاية فاهتموا بها أيما اهتمام ، واصطنعوا

(١) راجع كتاب الغمة في آداب اتباع الأئمة ( من مطبوعات دار الفكر العربي ) .

كل ما يفيدهم في دعوتهم من علماء وأدباء وشعراء ، وكان الفاطميون على قدرة  
وكياسة في فن السياسة ، فعرفوا أن الشعر العربي منذ العصر الجاهلي كان من أهم  
وسائل الدعاية للقبيلة في العصر الجاهلي وللأحزاب السياسية والفرق الإسلامية  
بعد ظهور الإسلام ، وأن بعض الشعراء في العصر العباسي أمثال مروان بن أبي  
حفصة وأبان بن عبد الحميد اللاتحي وغيرهما أدخلوا في شعرهم بعض الآراء  
الفقهيّة في الدفاع عن الخلافة العباسية ضد الطامعين من العلويين فلم يشأ الفاطميون  
أن يتركوا سلاح الشعر دون أن يشهروه على خصومهم ، أو أن يستخدموه في  
الدفاع عنهم والمباهاة بفضائلهم والإشادة بدولتهم ، فلاغرو أن وجدنا الفاطميين  
يبدلون العطاء الضخم الجسم لشعراء دولتهم ، ويجعلون لبعض الشعراء مراتب  
شهرية ، وينقل المقرئ عن ابن الطور أنه كان للشعراء رواتب جارية من عشرين  
ديناراً إلى عشرة دنانير<sup>(١)</sup> ويروي أيضاً أنه في يوم عاشوراء كان يخرج الرسم  
المطلق للتصدرين والقراء والوعاظ والشعراء وغيرهم على ماجرت به عادتهم<sup>(٢)</sup>  
ومعنى هذا أن الفاطميين كانوا يعطون الشعراء في أيام المواسم والأعياد رواتب  
خاصة غير ما كان يعطى لهم شهرياً . ومحدثنا المقرئ مرة أخرى في كلامه عن  
بركة الحبش أنه كان بها طاقات . وعليها صور الشعراء ، كل شاعر واسمه وبلده  
وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش كتب عليها قطعة من شعر  
الشاعر في المدح ، وعلى الجانب الآخر لطيف مذهب ، وأن الخليفة الأمر  
بأحكام الله لما دخل هناك وقرأ الأشعار أمر أن توضع على كل رف صرة محتومة  
فيها خمسون ديناراً ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده<sup>(٣)</sup> .

فلا أكاد أعرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد بأن  
يضعوا صورة كل شاعر مع اسمه وبلده في طاقات في متزهات عامة ، بما يدل دلالة قاطعة  
على تمجيد لفن الشعر والشعراء . فأين نحن الآن من مصر في العصر الفاطمي ؟ !  
ويذكر العماد في الحريدة أن الفاطميين جعلوا من وظائف الدولة وظيفة  
مقدم الشعراء ، ويذكر أن مقدم الشعراء في عهد الأفضل بن بدر الجمالي هو

(٢) المخطوط ج ٢ ص ٢٩٠ .

(١) مخطوط المقرئ ج ٢ ص ٢٤٣

(٣) المخطوط ج ١ ص ٤٨٦

الملقب بمسعود الدولة المعروف بابن حريز<sup>(١)</sup>. وكانت سيدات قصر الإمامة الفاطمية يقدرن الأموال على الشعراء كلما سمعن منهم شعرا جيدا في مدح الأئمة ، ويحدثنا عمارة النيني أنه بعد أن أنشد قصيدته الأولى في مصر أخرجت له السيدة الشريفة بنت الإمام الحافظ خمسمائة دينار<sup>(٢)</sup> ، وهكذا نرى الفاطميين يولون الشعر والشعراء عنايتهم لأن الشعراء لسان من ألسن تمجيدهم والذود عنهم أمام أعداء كثيرين أقوياء ، فإغداق النعم الفاطمية على الشعراء كان من أشد الأسباب التي جعلت الشعراء يحرصون على إيقان الشعر مع الاكثار من الإنشاد ، فكثرت الشعراء وكثرت إنتاجهم ، واستغل الفاطميون هؤلاء الشعراء في رفع شأن دولتهم وخلفائهم حتى في القسم الأخير من العصر الفاطمي الذي ضعف فيه الأئمة واستبد الوزراء بالملك فقد طلب إلى الشاعر أبي عبدالله مسلم أن ينظم « السيرة المصرية » وجعلوا له خمسة دنانير كل شهر على ذلك ، فسأل أن يجري له شيء على الشعر مثل غيره من الشعراء ، فزيد نصف دينار ، فهجاه الشاعر بجير بن محمد الصقلي المتوفى حوالي سنة ٥٤٠ هـ بقوله :

جری الحديث فقالوا كل ذی أدب      أضحت له خمسة تجرى بمقدار  
بأى فضل حواه ابن المسلم من      دون الجماعة حتى زيد في الجارى  
أجروا له خمسة عن حق سيرته      فقال : لا تنقصونى حق أشعارى  
نادوا عليه وسوق الشعر نافقة      فلم يزد قدرها عن نصف دينار<sup>(٣)</sup>  
وهكذا كان الفاطميون يستغلون شعر الشعراء في تثبيت أركان دولتهم حتى في وقت ضعف سلطانهم .

### شعر الأئمة :

بجانب ذلك كله كان الفاطميون يقدرون الشعر ويتذوقونه من حيث هو فن من الفنون التي تجب العناية بها ويقدرها كل من نال حظا من الثقافة ورقة الشعور ودقة الإحساس ، بل يذكر المؤرخون أن من بين الأئمة الفاطميين من

(٢) النكت س ٣٤

(١) الحريرة ورقة ١٠٢

(٣) الحريرة ورقة ١٠٢

كان ينشد الشعر ، وقد رأينا كيف خاطب القائم بأمر الله المصريين بالشعر إبان غزواته ، ويذكر صاحب سيرة جوذر عدة آيات للمنصور بالله ، منها :

تبدلت بعد الزعفران وطيبه      صدا الدرع من مستحكات السوامر  
ألم ترني بعثت المقامة بالسرى      ولين الحشايا بالخيول الضوامر  
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم      يشورون ثورات الأسود الخوادر  
أروني قتي يغني غنائى ومشهدى      إذا رهج الوادى لوقع الحوافر  
أنا الظاهر المنصور من نسل أحمد      بسيتى أقدم الهام تحت المغافر (١)

ومن شعر المنصور بالله أيضاً مخاطب ابنه وولى عهده المعز لدين الله :

كتابى إليك من أقصى الغروب      وشوقى شديد عريض طويل  
أجوب القفار وأطوى الرمال      وأحمل نفسى على كل هول  
أريد بذاك رضا الإله      وإعزاز دولة آل الرسول  
إلى أن برى السير أجسامنا      وكلّ الركاب وتاه الدليل  
فواغربتاه وواوحشتاه      وفى الله هذا قليل قليل  
وما ضقت ذرعاً ولكنى      نهضت بقلب صبور حول  
وقد آمن ذو العرش من فضله      بفتح مبين وعز جليل  
وفى كل يوم من الله لى      عطاء جديد وصنع جميل  
فإنه حمد على ما قضى      وحسى ربى ونعم الوكيل (٢)

ولعلك تلاحظ معى أن المقطوعة الأولى أقوى وأجزل شعراً من المقطوعة الثانية التى هى أقرب إلى الكلام العادى منها إلى فن الشعر ، فالمقطوعة الأولى من شعر المنصور تدل على أن صاحبها شاعر حماسى ملك ناصية الفن فى اللفظ والمعنى ، فهو يختار اللفظ الذى يتلاءم فى موسيقاه مع المعنى الذى يقصده الشاعر فيلذ الأذن والعقل معاً ، ولكن القطعة الثانية فلا أستطيع أن أقول إلا أن ناظمها يعبث حين يدعى أنه يقول شعراً .

ويذكر ابن خلكان أن المعز لدين الله كان أديباً شاعراً ، وينسب إليه هذه الآيات :

(١) سيرة الأستاذ جوذر ( نسخة خطية بمكتبتي ) .

(٢) المصدر السابق .



الله ماصنعت بنا تلك المهاجر في المعاجر  
أمضى وأقضى في النفوس من الخناجر في الخناجر  
ولقد تعبت بينكم تعب المهاجر في الهواجر (١)

فهذه الأبيات إن دلت على شيء فهي تدل قبل كل شيء على أن الشاعر كان من شعراء الزينة البديعية، فقد فتن بهذه الملازمة اللفظية بين «المهاجر» و«المعاجر» وبين «أمضى» و«أقضى» وبين «الخناجر» و«المهاجر» و«الهواجر» ومع ظهور هذه الصنعة البديعية في هذه الأبيات فإن خيال الشاعر كان قويا في تعبيره عما تفعله العيون التي تختفي تحت المهاجر ولكنها تصيب هدفها، وتعمل في النفوس أكثر مما تفعله الخناجر في الخناجر.

وكذلك ينسب القدماء إلى المعز لدين الله هذه الأبيات :

أطلع الحسن من جبينك شمسا فوق ورد في وجنتيك أطلا  
وكان الجمال خاف على الور د جفافا قد بالشعير ظلا (٢)

هنا صورة جميلة من شاعر بلغ درجة لا بأس بها من الفن، فهو يصف جمال المحبوب بصورة من صور الطبيعة المحببة إلى النفس فهي كالورد المتفتح قد غمرته الشمس، ولكن الشاعر كان دقيق الحس رقيق الشعور، نحشى أن يذبل الورد من حرارة الشمس فظله بخصلة من شعر الحبيب، فالصورة هنا لا شك جميلة، ولا غرو أن رأينا القدماء قد فتنوا بها حتى قال ابن خلكان: «إن هذا معنى غريب بديع» (٣). ولكن هل أستطيع أن أنسب هذه الأبيات إلى المعز لدين الله كما روى ابن خلكان، أم أنسبها إلى ظافر الحداد الشاعر الفاطمي الفحل إذ ورد في الحريرة أن ظافراً قال :

أطلع الشمس من جبينك بدر فوق ورد من وجنتيك أطلا  
فكان العذار خاف على الور د جفافا قد بالشعير ظلا (٤)

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٠٣

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٠٣ (٣) نفس المصدر السابق

(٤) الحريرة ورقة (٨٧ ب)

لست أدري لمن أنسب البيتين ، فربما حاكى ظافر الإمام المعز فأخذهما عنه بعد أن غير بعض الألفاظ ، أو ربما نسب أتباع المذهب البيتين إلى المعز عندما أرادوا إثبات شاعريته . ومهما يكن من شيء فإن المؤرخ ابن إياس تحدث أيضا عن شعر المعز فقال : « كان المعز عاقلا حازما ليبيبا فصيحاً شاعرا ، وله شعر جيد من ذلك قوله :

ما بان عذرى فيه حتى عذرا      وبدا البنفسج فوق ورد أحمر  
همت بقبلته عقارب صدغه      فاستل ناظره عليها خنجرا (١)

وهكذا كان المعز لدين الله ينشد الشعر ، وعرف به ، وكذلك كان ابنه العزيز بالله نزار ، وابنه المعروف بالأمير تميم ، يقول أبو المحاسن عن العزيز : « كانت لديه فضيلة ، وله شعر جيد (٢) » . وروى الثعالبي في يتيمة قول العزيز ، وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المآتم عليه :

نحن بنو المصطفى ذوو محن      يجرعها في الحياة كاطمنا  
بعجيلة في الأنام محنتنا      أولنا مبتلى وخاتمنا  
يفرح هذا الورى بعيدهم      طرا ، وأعيادنا مآتمنا (٣)

فالشاعر في هذه الأبيات صادق العاطفة يعبر عن ألم دفين وحزن كمين ، فهو لم يحزن لفقد ولده فحسب بل هو يألم لما أصاب أهل البيت من محن وكوارث حتى أصبحت أعيادهم مآتم ، ويخيل إلى أن هذه العاطفة الصادقة هي التي دفعت العزيز لأن يقول :

ولما رأيت الدين رمت حباله      وأصبح محو الضيا والمعالم  
وأصبحت الأغنام من كل أمة      تسوم عباد الله خوزم المخاطم  
وتحكم في أموالها ودمانها      بغير كتاب الله عند التحاكم  
غضبت لدين الله غضبة نائر      غيور عليها مانع للحارم  
وسيرت نحو الشرق بجر كئائب      تموج بأبطال رجال ققام

(١) تاريخ ابن إياس ج ١ ص ٤٨ (٢) النجوم ج ٤ ص ١٢١ .

(٣) البتمة ج ١ ص ٢٢٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٣ .

يقودون جرد الخيل تخطر بالقنا  
أنا ابن رسول الله غير مدافع  
لى الشرف العالى الذى خضعت له  
بنا فتحت أبواب كل هداية  
فقل لبني العباس مع ضعف ملكهم  
غصبتم بني مروان ما غصبوه من  
ولم تحفظوا فينا وصايا محمد  
سنسقيكم كأسا كما قد سقيتم  
وبالمشرفيات الرقاق الصوارم  
تنقلت فى الأنوار من قبل آدم  
رقاب بنى حواء من كل عالم  
ومنا بحمد الله (خير الخواتم)  
بأنهم أسرى بأيدى الأعاجم  
موارثنا ، سحقا لظالم ظالم  
ولا ما ادعيتم من مناسب هاشم  
أوائلنا والله أعدل حاكم (١)

ففى هذه الآيات نحن أمام رجل غيور على عقيدته ودينه ، شديد العداة لمن خالفه من العباسيين ، يتوعدهم بالانتقام لما أصاب آباءه وأجداده من محن على أيديهم ، شديد الفخر بنسبته الى الرسول الكريم ، وهو فى ذلك كله لا ينسى عقائده المذهبية التى كان إمامها ، فأشار إلى أنه تنقل فى الأنوار من قبل آدم . فهذا المعنى لا يقوله إلا من اعتقد مذهب الفاطميين ، وذلك أن الفاطميين ذهبوا إلى أن الله سبحانه خلق نور محمد (ص) قبل أن يخلق السموات والأرض ، وأن هذا النور تنقل فى الأصلاب الطاهرة والأرحام الزكية حتى بلغ عبد المطلب ، فقسم الله هذا النور قسمين قال لاحدهما : كن يا هذا محمدا ويا هذا كنى عليا ، وأن هذا النور يجمع مرة أخرى بزواج على من فاطمة بنت الرسول وتنقل فى الأئمة من ذريتهما حتى كان العزيز بالله ، فكان العزيز وجد قبل آدم لأن النور الذى حل به وجد قبل آدم (٢) .

وكلن الحاكم بأمر الله شاعرا أيضا وينسب إليه صاحب النجوم الزاهرة :  
دع اللوم عنى لست منى بموثق فلا بد لى من صدمة المتحنق  
وأسقى جياذى من فرات ودجلة وأجمع شمل الدين بعد التفرق (٣)

(١) ورقة ١٦٣ من مجموعة أشعار اسماعيلية ، نسخة خطية بمكتبتى .  
(٢) راجع المجالس المؤيدية فى مواضع شتى وما كتبناه عن ذلك فى مقدمة ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة .

(٣) النجوم ج ٤ ص ١٩٦

ولكن هذين البيتين يعود صاحب النجوم مرة أخرى فينسبهما إلى الأمر وكذلك المقرئ (١). وعندى في المجموعة الخطية عدة أبيات للحاكم ، ولكن هذه الأبيات ضعيفة في صياغتها وفي معناها ، ويظهر فيها الانتحال ، ويخيل إلى أن قائلها هو أحد أتباع المذهب الذين لا يحسنون صناعة الشعر ، والأبيات هي :

إذا ما انقضى لبس السواد أتيتكم بأبيض من فوق الدماء يفور  
على أشقر يغلى إذا ماركبته ولا صحبت رجلى بعد حمير  
وأجلس عاداتي كما كنت قبل ذا ويختال بي من بعد ذلك وزير (٢)

ويحدثنا ابن بسام في الذخيرة أن الشاعر الواساني هجا يوسف بن علي المشرف على دمشق أيام الحاكم ، وسمع الحاكم بأمر هذا الهجاء فقال يوما : أريد سماع هذه القصيدة من رجل حسن النشيد (٣). فهذا يدل على أن الحاكم كان يلذ له سماع الشعر ممن يحسنون النشيد .

وتكاد تجمع المصادر على أن المستنصر بالله كان شاعرا مبدعا ، وأنه كان متمكنا من إنشاد الشعر يرتجله في مناسبات ، ويحجب عن بعض الرسائل التي كانت ترد عليه بالشعر . يروى صاحب النجوم أن ناظر الدولة جاء بالأتراك سنة ٤٦٠ هـ إلى الوزير ابن كدينة ، وطالبوا الوزير بالمال ، فقال لهم الوزير : وأى مال بقى عندى بعد أخذكم الأموال واقتسامكم الإقطاعات ، فطلبوا من الوزير أن يرفع الأمر إلى المستنصر ، فكتب الوزير رقعة بما جرى وأرسلها إلى الإمام ، فأجاب المستنصر على الرقعة نفسها بخطه :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى إلا إلهي وله الفضل  
جدي نبي وإمامي أبي وقولي التوحيد والعدل (٤)

ففي هذين البيتين يظهر الألم الشديد الذي كن في نفس الإمام لما حل به وحق بالبلاد إبان الشدة العظمى المعروفة في التاريخ ، والبيت الثاني يذكرنا بما نسمعه

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) ورقة ١٦٦ من المجموعة الخطية لأشعار الاسماعيلية .

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ص ٦٩ من القسم الرابع ( المجلد الأول ) .

(٤) النجوم ج ٤ ص ٨١ . وينسبها ابن منجب الصيرفي في كتابه الاشارة ص ٢٩ إلى

الحاكم بأمر الله . أما ابن خلدون فينسبهما في تاريخه ج ٤ ص ٧١ إلى الأمر بأحكام الله .

عند دفن الموتى بما يعرف بتلقين الأموات ، فلعل المستنصر أراد أن يتهمك بمن جاء يطالبه بالأموال فأجاب بما يلقن به الموتى . فهو يسخر هؤلاء الناس وهو في أشد حالات الألم والحزن فالعقدة النفسية التي كانت عند المستنصر هي التي جعلته يسخر ويتهمك على هذا النحو .

ومما يروى عن المستنصر أيضا أن المؤيد في الدين هبة الله الشيرازى بعد أن عاد سنة ٤٥٠ هـ إلى القاهرة منعه الوزير ابن المغربي من لقاء المستنصر ، فأخذ المؤيد يرسل إليه الكتب والرسائل وينشد فيه الشعر حتى بلغ المستنصر قول المؤيد :

أقسم لو أنك نوجتني      بتاج كسرى ملك المشرق  
ونلتني كل أمور الورى      من قد مضى منهم ومن قد بقى  
وقلت أن لا نلتقى ساعة      أجبت يامولاي أن نلتقى  
لأن إبعادك لى ساعة      شيب فودى مع المفرق .

فلما بلغت الرقعة التي فيها هذا الشعر إلى المستنصر أجاب عليها بخطه :

ياحجة مشهورة فى الورى      وطود علم أعجز المرتقى  
ما غلقت دونك أبوابنا      إلا لأمر مؤلم مقلق  
خفنا على قلبك من سمعه      فصدنا صد أب مشفق  
شيعتنا قد عدموا رشدهم      فى الغرب بإصاح وفى المشرق  
فأنشر لهم ماشئت من علنا      وكن لهم كالوالد المشفق  
إن كنت فى دعوتنا آخرا      فقد تجاوزت مدى السبق  
ملك لا يوجد فىمن مضى      من سائر الناس ولا من بقى (١)

وتنسب إليه قصيدة وردت فى مجموعة أشعار الاسماعيلية مطلعها :

كفى ملامك يا ابنة الغمر      ما بال وقر أليك من وفر (٢)

ولكنى أرى هذه القصيدة موضوعة ونسبت إلى المستنصر ، فأكتفى الآن بالإشارة إليها .

وينسب طائفة البهرة إلى المستنصر بمجموعة رسائل قيل إنه كتبها لإبي على بن محمد

(١) انظر ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة .

(٢) ورقة ٦٣ ب .

الصليحي باليمن ، ولكن من يطلع على هذه الرسائل يدرك أن مثل هذه الرسائل لا تصدر عن الإمام ، إنما تصدر عن كتابه ، وقل أن نجد خليفة من خلفاء المسلمين أرسل مثل هذه الرسائل لأحد عماله ، إنما كان ذلك عمل كتاب ديوان الإنشاء ، ونحن نشك في نسبة هذه الرسائل إلى المستنصر ، ونرجح أنها كتبت بعد انتقال مركز الدعوة المستعلية إلى اليمن ، وأن كاتبها أحد الدعاة في اليمن ، وسنعود إلى هذه الرسائل في بحث آخر (١) .

ويقول صاحب النجوم عن الأمر بأحكام الله ، كان للأمر نظم ونظر في الأدب (٢) ، وروى له عدة أبيات منها الأبيات التي نسبها حيناً إلى الحاكم وحيناً آخر إلى الأمر ، كما ذكرنا من قبل . وينسب ابن ميسر إلى الأمر قوله :

أما والذي حجت إلى ركن بيته جرائم ركبنا مفلعة شها  
لأقبح من الحرب حتى يقال لي ملكك زمام الحرب فاعتزل الحربا  
وينزل روح الله عيسى بن مريم فيرضى بنا سحبا ونرضى به سحبا (٣)

وينسب طائفة البهرة إلى الأمر بأحكام الله رسالة تعرف بالهداية الآمرية في إبطال الدعوة النزارية ، وقد نشر هذه الرسالة صديقنا الأستاذ آصف فيظي وذكر في مقدمته لهذه الرسالة أنها ليست للأمر في الحقيقة وربما كانت لأحد كتابه ، فإن هذه الرسالة من السجلات التي يكتبها رجال ديوان الإنشاء ، وربما كان الأمر هو الذي أوصى بها (٤) .

وهكذا كان بعض الأئمة الفاطميين ينشد الشعر ، فلاغرو أن رأيناهم يقربون الشعراء ويجزلون لهم العطاء ويلتف الشعراء حولهم ويتنافسون بين أيدي أمرائهم في الإنشاد ، مما دعا إلى كثرة الشعر وازدهاره .

وكا كان الأئمة في عهد سلطانهم وقوتهم — أي في القسم الأول من العصر الفاطمي — ينشدون الشعر ويقربون الشعراء ، كان بعض الوزراء في عهد غلبة الوزراء في مصر — ينشد الشعر ويثيب عليه ، ولا سيما أن الوزراء أصبحوا

(١) السجلات المستنصرية نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن .

(٢) ج ٤ من ١٨٣ .

(٣) تاريخ مصر لابن ميسر من ٧٣ .

(٤) الهداية الآمرية تحقيق الأستاذ آصف على أصغر فيظي من مطبوعات (جمعية الدراسات

الإسلامية بالهند)

كل شيء في الدولة . فأصبحوا مقصد الشعراء ووجهتهم ، حتى إن الشعراء عندما كانوا يريدون مدح الخليفة الفاطمي كانوا يذكرون بجانبه الوزير ، ويطلبون في مدح الوزير أكثر مما يقولون في مدح الإمام ، ويروي المقرئ أن جميع الشعراء لم يكن لهم في الأيام الأفضلية ولا فيما قبلها على الشعر جار ، وإنما كان لهم إذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ما يسهله الله على حكم الجائزة ، فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف (١) ، إذ كان الأفضل يجلس بدار الملك التي أنشأها في مجلس العطايا وقد أمر بتفصيل ثمانية ظروف ديباج أطلس ، من كل لون اثنين ، وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار في كل ظرف خمسة آلاف ، فمن هذه الظروف كان يعقد عطايا على الشعراء الذين كانوا يقصدونه . ولعل أكثر الوزراء في العصر الفاطمي إنشادا للشعر وتحببا إلى الشعراء هو الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيق ، فقد جمع شعره في مجلدين كبيرين ، وجمع شعر الشعراء فيه فكان شيئا كثيرا ، ولكن هذه الأشعار كلها فقدت ، ولم يبق منها إلا شذرات . وكذلك كان الوزير الناصر العادل رزيق بن الصالح الذي وصفه عمارة النبي بقوله : وأما فهمه فكان يعرف جيد الشعر ويستحسنه ويثيب عليه (٢) . فسوق الشعر قد ازدهر في عهد الوزراء كما كان مزدهراً في عهد الأئمة على ما سنوضحه فيما بعد .

### ضياح الشعر الفاطمي :

كانت الحياة في مصر الفاطمية كما رأينا جانباً منها — تدعو إلى ازدهار الشعر وإلى كثرة ما أنتجه الشعراء في كل فن من فنون الشعر وكل موضوع من موضوعاته ، ولكن هذه الموجة الفنية التي طغت على مصر سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية ، فضاء الشعر ولم يبق منه إلا النزر اليسير ، أو قل لم يبق إلا اسم الشاعر أحيانا إن قدر لاسمه البقاء ، ونحن لا نتردد في اتهام الأيوبيين بجنايتهم على تاريخ الأدب المصري بتعمدهم أن يحوا كل أثر أدبي للأفاطميين بصلاة ، فقد حرقوا كتبهم بما فيها من دواوين الشعر خوفاً من أن يكون إبالشعر مدح للأئمة ، وهو كفر

(١) الخطط ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٢) النكت ص ٥٥ .

بزعمهم . وهاهو ذا كاتب الأيوبيين العماد الأصفهاني عندما أراد أن يجمع في خريدته شعر شعراء المائة الخامسة قال عن ابن الضيف داعي الأمر وشاعره : وكنت عازما لفرط غلوه على حظه ، لأنه أساء شرعا وإن أحسن شعراً ، بل أظهر فيه كفرأ ، ولكنتي لم أر أن أترك كتابي منه صفراً لأن البحر الزاخر يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البر والفاجر ، ويحمل الغناء كما يحمل الدر (١) ، وقال عن ظافر الحداد : أقول ظافر يحظ من الفضل ظاهر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ، وما أكله لولا أنه من مداح المصري والله له غافر (٢) . ومع ذلك لم يرو العماد لها شيئاً في مدح الأئمة ، فقد تعتمد العماد الأصفهاني أن يستبعد أكثر شعر مدح الأئمة من خريدته ، وتبعه في ذلك غيره من الأدباء والمؤرخين ، فضع أكثر شعر مصر الفاطمية بسبب هذا التعصب المذهبي . أضف إلى ذلك أن الأحداث التي كانت في مصر ، ولا سيما في عهد المستنصر بالله ، إبان المحنة الكبرى ، وفي الصراع الذي كان بين شاور وضرغام في أواخر العصر الفاطمي ، كانت من أهم أسباب ضياع شعر الشعراء وكتب العلماء ، حتى إن الشاعر عمارة اليمنى عندما أراد أن يذكر لنا شيئاً من شعره في مدح طي بن شاور قال : فإن جميع ما قلته فيه نهب من دار الخليج (٣) ولم يتذكر منه شيئاً يرويه ، فكانت هذه الأحداث والاضطرابات مأساة للعصر الفاطمي نفسه إذ سببت زوال دولة الفاطميين ، ومأساة للحياة الأدبية والفكرية أيضاً ، وإلا لحدثني عن شعر الشعراء المائة الذين رثوا ابن كلثوم . وأين ديوان ابن حيدرة العقيلي (٤) وأين ديوان أبي الحسن علي بن المؤمل بن غسان الكاتب المصري وكان ديوانه في مجلدين (٥) ، وأين ديوان أبي الحسن بن مطير (٦) ، وديوان ابن الشخباء أستاذ القاضي الفاضل (٧) وديوان الملك الصالح بن رزيك (٨) ، وديوان القاضي الرشيد ابن الزبير (٩) وديوان أخيه المهذب بن الزبير (١٠) ، وديوان ابن الضيف ، وديوان ظافر الحداد الذي وصفه أحد معاصريه وهو الفقيه نصر بن عبد الرحمن

- |                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| (١) الحريرة ورقة ٥٣ ب . | (٢) الحريرة ورقة ٥٠ .  |
| (٣) التكت س ١٢٧         | (٤) المغرب س ٥٢ .      |
| (٥) الحريرة ورقة ١٩     | (٦) الحريرة ورقة ١١٤   |
| (٧) الحريرة ورقة ١١٤    | (٨) الحريرة ورقة ٣٢ ب  |
| (٩) الحريرة ورقة ٣٦     | (١٠) الحريرة ورقة ٣٦ ب |



الفزارى بقوله : وله ديوان شعر مشهور وبالجمود له مشهود<sup>(١)</sup> وأين ديوان  
الفقيه الصوفي ابن الكيزاني ، وأين شعر بنى عرام شعراء الصعيد ، وأين مقطوعات  
ابن الصياد فى أنف ابن الحباب ، فقد قيل إن ابن الحباب كان كبير الأنف وكان  
ابن الصياد مولعا بأنفه وهجاء بأكثر من ألف مقطوعة<sup>(٢)</sup> ، وأين شعر أولاد  
الكنز بأسوان<sup>(٣)</sup> ، وأين المجموعة التى جمعها عثمان بن عبد الرحيم المعروف  
بابن بشرون التى صنفها سنة ٥٦١ وسماها « المختار فى النظم والنثر لأفاضل أهل  
العصر » وأين مجموع شعراء ابن رزيك<sup>(٤)</sup> . وأين كتاب جنان الجنان للمهذب  
ابن الزبير الذى صنفه سنة ٥٥٨ وجمع فيه أشعار شعراء مصر وذيل به اليتيمة ،  
وأين ديوان القاضى المفضل كافى الكنفأة أبى الفتح محمود بن القاضى الموفق  
اسماعيل بن احمد الدمياطى المعروف بابن قادوس وكان من أمائل المصريين  
وكتابهم مقدما عند ملوكهم<sup>(٥)</sup> ؟

ويطول بنا الأمر لو طالبنا بكل شعر الشعراء الذين كانت تزخر بهم مصر  
الفاطمية ، إنما ذكرنا هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر ، لنعرف مدى هذه  
الخسارة التى لحقت بتاريخ الأدب المصرى لضياع هذه الثروة الأدبية المصرية  
ولندل على أن مصر الفاطمية كانت غنية بشعرائها ، خصبة فى شعرها .

هناك جناية أخرى ارتكبتها الثعالبي والباخرزى والعماد وابن سعيد المغربى  
 وغيرهم من المؤلفين الذين أرادوا أن يحفظوا فى كتبهم شيئا من الشعر ، فعمدوا  
 إلى عدة أبيات من قصيدة ، ولم يدونوا كل القصيدة ، فقد اكتفوا بمقطوعة من  
 بيتين أو أكثر لكل شاعر ، وقل أن نجد قصيدة كاملة فى هذه الكتب ، مما  
 جعلنا لا نستطيع أن نكون حكا محيجا على فن الشاعر من هذه المقطوعات التى  
 رويت له ، لأن الناقد المدقق مهما بلغت مقدرته الفنية ، واتسعت ثقافته الأدبية  
 وارتقى ذوقه الأدبى لا يستطيع أن يحكم على شاعر بمقطوعة من قصيدة ، أو  
 بقصيدة واحدة من ديوان ، وإلا كنا كالقدماء الذين كانوا يفضلون شاعرا على

(٢) الحريدة ورقة ٦٨

(٤) الحريدة (٦٨ ب)

(١) الحريدة ورقة ٥٩ ب

(٣) المخطوط ج ١ ص ٣٢٠

(٥) أين ميسر ص ٩٧ .

شاعر بيت شعر قاله . فهؤلاء الكتاب الرواة كانوا من عوامل ضياع الشعر القديم ، كما هم في الوقت نفسه من عوامل حفظ بعضه .  
ومهما يكن من شيء . فإن بين أيدينا الآن بعض آثار حياة الشعر في العصر الفاطمي ، وهي إن دلت على شيء . فإنما تدل على أن العصر الفاطمي كان خصبا في إنتاج الشعر بحيث استطاع شعراء مصر الفاطمية أن يقف بجوار غيره من الشعر في الأقطار الإسلامية في أرقى عصوره وصوره ، فالعوامل التي تحدث عنها ، والآثار التي وصلتنا ، وما قاله الرواة عن شعر مصر ، كل ذلك يجعلنا نقول إن شعر مصر الفاطمية كان يحتل هذه المكانة الممتازة في الحياة الأدبية ويتطور هذا التطور الذي نلسه في العصر الفاطمي .

## الفصل الثاني

### الشعر والأئمة

ذكرنا أن الفاطميين جاءوا بمصر يحملون مذهباً دينياً خاصاً يختلف عن العقائد التي كان يدين بها المصريون ، وأن للمذهب الفاطمي مصطلحات خاصة لا يعرفها غير المنتسبين لفرقتهم ، ولا يفهمها غيرهم ، فكان لهذه العقائد الفاطمية تأثير قوى في شعر مصر الفاطمية ، ذلك أن الشعراء الذين اتصلوا بالأئمة كانوا يمدحون هؤلاء الأئمة بالصفات التي صبغها المذهب على الأئمة ، ويعتمد الشاعر أن يستعمل في شعره المصطلحات التي اصطلاح عليها علماء المذهب ودعاته ، وكلما أمعن الشاعر في استخدام هذه المصطلحات ، وإدخال هذه الصفات في شعره ، ازدادت قيمة الشاعر عند الأئمة وكبار رجال الدعوة ، وكثر عطاؤه وزاد جاريه ، فكان الشعراء على هذا النحو دعاة للأئمة والعقائد دون أن يكون لهم في مراتب الدعوة شأن . وفي الوقت نفسه كان الشعراء سبب اتهام المذهب الفاطمي بالغلو والميل إلى الخروج عن تعاليم الإسلام ، ذلك أن الشعر أسرع في الانتقال على أفواه الناس من كتب العلماء ، فإذا كانت كتب الدعوة لا يقربها إلا أتباع مذهبهم ، وأن مجالس حكمتهم لا يحضرها إلا من استجاب لهم ، فالشعر يختلف عن ذلك كله ، فإنه يسير بين الناس ويرويه الرواة ، فإذا سمع مستمع إلى تلك الأبيات التي زخرت بعقائد الفاطميين دون أن يكون له إلمام بعقائد المذهب وما فيها من تأويلات باطنية فهو لا يستطيع أن يدرك معنى ما جاء في هذا الشعر ، وما قصد إليه الشاعر في مدائحه ، ومن هنا يتهم الشاعر ويتهم المذهب نفسه ، وقد رأينا كيف وصف العباد الأصفهاني شعر بعض شعراء الدولة الفاطمية ، وقرأ الآن أقوال النقاد والمؤرخين عن ابن هاني الأندلسي ، وما وصف به من شدة الغلو في مدح الأئمة حتى رماه بعضهم بالخروج عن الدين جملة ، فلو كان

هؤلاء النقاد يعرفون التأويل الباطني لأقوال ابن هاني ، أو أنهم حاولوا معرفة ما أراد الشاعر وقصد إليه ، لرأيهم يرجعون عن كثير مما اتهم به الشاعر ، وذكرنا أن هذا من الأسباب التي أدت إلى ضياع شعر مصر الفاطمية ، ولا سيما هذا اللون من الشعر الذي ملئ بالعقائد والذي قيل في مدح الأئمة . ولكن من حسن الحظ أننا عثرنا على ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة ، وديوان الأمير تميم بن المعز وقصيدة في مدح العزيز ، وكانت هذه النصوص في مكاتبات رجال البهرة بالهند .

في مجموعة أشعار الإسماعيلية قصيدة تكاد تكون فريدة في نوعها في الشعر العربي كله ، وهي لشاعر مجهول من شعراء العزيز بالله ، وتنسب هذه القصيدة أحيانا إلى المؤيد في الدين<sup>(١)</sup> . وتنسب مرة أخرى إلى شاعر يلقب بالاسكندراني<sup>(٢)</sup> ، ولكنني أرفض نسبة هذه القصيدة إلى المؤيد لأن العزيز بالله أقدم عهدا من المؤيد في الدين ، وأن المؤيد لم يمدح العزيز مطلقا إنما مدح الظاهر والمستنصر وهما الإمامان اللذان عاصرهما المؤيد ، ولم يمدح غيرهما من الأئمة ، أضف إلى ذلك كله أن هذه القصيدة تختلف عن شعر المؤيد من ناحية فن الشعر عند المؤيد .

أما الاسكندراني الذي تنسب إليه هذه القصيدة فلا نعرف عنه شيئا ، ولم تذكره المصادر التي بين أيدينا ، وكل ما ورد عنه في المجموعة الخطية هو : هذه قصيدة الاسكندراني رحمه الله في مدح الإمام العزيز بالله قدس الله روحه ، وهي الموسومة بذات الدوحة<sup>(٣)</sup> .

قلت : إن هذه القصيدة فريدة في بابها في الشعر العربي ، ذلك أن الشاعر روى الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم « أهل بيتي شجرة أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، وقول النبي أيضا « أنا شجرة وفاطمة حملها وعلى لقاحها والحسن والحسين ثمرتها ومحبونا أهل البيت ورقها حقا حقا أن يكونوا معنا

A Guide to Ismaili Literature. P. 49. (١)

(٢) نسخة ديوان المؤيد الخطية المرموز إليها (ق) راجع ديوان المؤيد

(٣) ورقة ٦٦ ب .

في الجنة<sup>(١)</sup> ، وأمثال هذين الحديثين . فشاء له خياله أن يمدح إمامه العزيز بالله بقصيدة جعل لها جذعا وفروعا على مثال الشجرة ، وسمى قصيدته ذات الدوحة ، وأودعها كثيرا من المصطلحات والعقائد الفاطمية ، والقصيدة هي :

سُمت من البين الذي ليس يصدق  
أمدهح رهطا غير رهط محمد  
ولا فضل لي في ذاك بل الفضل فضل من  
أئمة دين الله مذ قام دينه  
محبتهم فرض على الناس واجب  
هم العروة الوثقى ، هم منهج الهدى  
ولولا هم لم يخلق الله خلقه  
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى  
تجبر من الأيام من يستظلها  
سقاها غمام الوحي علما فأينعت  
جرت في تخوم المحكمات عروقها  
هم الأصل منها والأئمة فرعها  
إلى أن تسامت بالعزير ولم تكن  
فباهت على الأيام أيامه التي  
سحائب جود لا يغيب غمامها  
لئن فقدت الناس المعز لدينه  
تجددت الدنيا علينا يمينه  
ولا الجود ممنوع ولا المجد حامل  
تضوع نشر العدل في كل بلدة  
ملأت قلوب العارفين عجة  
فلا صامت إلا بحبك ناطق  
فضائل مولانا العزيز جليلة

فلست بغير الحق والصدق أنطق  
وفي الجيد عهد للإمام موثق  
بهم يحرم الله الأنام ويرزق  
وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق  
وعصيانهم كفر إلى النار موبق  
هم الغاية القصوى التي ليس تلحق  
ولم يك في الدنيا ضياء وروثق  
وباليمين والتقوى تظل وتسبق  
وتحجي من الموت الجهول وتطلق  
بمكنون علم الله فالدين موثق  
وفوق الثريا فرعها متعلق  
ففي كل عصر نورها يتألق  
بغير أن المنصور لو كان يلق  
تكاد لها صم الجنادل تورق  
وبحر سماح بالنسدى يتدفق  
لقد قام بالدين العزيز الموفق  
فلا العيش مذموم ولا الدهر أخرق  
ولا العرف مقطوع ولا النكر مطلق  
ونشر الثناء الطيب للطيب يعبق  
فكل على مقداره يتشوق  
ولا مضمهر إلا بشكرك ينطق  
إذا عد فضل فهو بالفضل يسبق

(١) يروى الشيعة هذه الأحاديث ونجدها في المجلس الخامس والستين من المائة الثانية من المجالس المؤيدية وفي كتاب بحار الأنوار وغيرها .



يهدى إلى إمامه مثالا من الشعر للشجرة التي ذكر في القرآن أن أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وشاء الشاعر إلا أن يهدى لإمامه هذه الدوحة وجعل أبيات الفروع والأغصان سبعة عن يمين وسبعة عن شمال تمثيلا لرأى الفاطميين في الأدوار السبعة إذا انتهى دور سبعة من أئمة الدين تلاه دور آخر لسبعة آخرين ، وقد يكون ذلك أيضا لأن المعز كان سابع الأسبوع الثاني من دعوة النبي محمد ، وأن العزيز هو أول الأئمة في دور الأسبوع الثالث ، وهكذا كان هذا الشاعر في تلاعبه في شكل القصيدة باطنيا ، وهو باطنيا أيضا في المعاني التي قصد إليها ، ففي مدحه لإمامه أملت عليه عقيدته الفاطمية هذه المعاني ، ففي البيت الثاني يتحدث الشاعر عن العبد أو الميثاق الذي يأخذه الإمام على شيعته والمستجيبين لدعوته . وفي البيت الثالث يشير إلى أن الأئمة مثل للعقل الأول ، وبما أن الله سبحانه وتعالى قال للعقل (وهو القلم أيضا) «بك أثيب وبك أعاقب»<sup>(١)</sup> فهذه الصفات تنطبق أيضا على مثل للعقل وهم الأئمة<sup>(٢)</sup> فيثيب الله من أطاع الأئمة ويعاقب من خالفهم . وفي البيت الرابع يتحدث الشاعر عن تنقل نور الله منذ بدأ خلقه إلى أن حل هذا النور في إمام العصر<sup>(٣)</sup> ، وفي البيت الخامس ذكر طاعة الأئمة وأن طاعتهم فرض فرضه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» وفي البيت الثامن وما بعده يتحدث الشاعر عن العلم الباطن الذي خص به الأئمة دون غيرهم ، وأن هذا العلم هو الذي يحيي موتى النفوس ويجلو غياهب الشك ، ثم يتحدث الشاعر بذلك عن عقيدة الفاطميين التي شاركهم فيها غيرهم من المسلمين وهي العقيدة التي تقول : إن الله لم يخلق هذا الخلق سدى ، بل لعبادته وتوحيده . ولكن الفاطميين خالفوا المسلمين في الوسيلة التي تؤدي بهم إلى العبادة والتوحيد ذلك أن العبادة عندهم لا تقبل إلا بموالاتة الأئمة من أهل البيت ، فكأن العالم لم يخلق إلا من أجل الأئمة الذين بهم يصل الإنسان إلى عبادة الله وتوحيد الله . فالشاعر في هذه القصيدة شاعر عقائد قبل كل شيء .

(١) ذكرنا أنه ورد في صحيح البخاري قول النبي (س) « أول ما خلق الله القلم فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال : عزق وجلال ما خلقت خلقا هو أعز علي منك ، بك أثيب وبك أعاقب ... »

(٢) راجع « نظرية المثل والمثول » (٣) راجع قصيدة الإمام العزيز في الفصل السابق .

عرف عقائده فاتخذ هذه العقائد وسيلة لمدح الإمام ، فالشاعر متأثر بهذه العقائد  
فظهرت في شعره .

وها هو ذا الأمير تميم بن المعز لدين الله ، الذي نعرف عنه أنه ابن إمام من الأئمة ،  
وأخ لإمام من أئمتهم ، كان شاعراً من أكبر شعراء عصره ، مدح أباه وأخاه الإمام  
بعدة قصائد حفظت في ديوانه ، وقد استطعنا الحصول على نسخة خطية من  
هذا الديوان ، فرأينا الشاعر يصف الإمام بالمصطلحات الفاطمية ، ويلم في شعره  
بعقائد أسرته ، فهو يقول مرة للعزير بالله :

جئت الخلافة لما أن دعتك كما	وإني لميقاته موسى على قدر
كالأرض جاد عليها الغيث منهملا	فزانها بضروب الروض والزهر
ما أنت دون ملوك العالمين سوى	روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره	تناهيا جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت	خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر
فأنت بالله دون الخلق متصل	وأنت لله فيهم خير مؤتمر
وأنت آيته من نسل مرسله	وأنت خيرته الغراء من مضر
لوشئت لم ترض بالدنيا وساكنها	مثوى ، وكنت مليك الأنجم الزهر
ولو تقاطنت الأبواب فيك دوت	بأنها عنك في عجز وفي حصر (١)

ففي هذه الآيات ترى الشاعر بمدح إمامه بأنه ليس كغيره من الملوك ، لأن  
نفس الإمام الشريفة اللطيفة هي روح قدسية حلت في جسم كثيف ترابي ، وأن هذه  
النفس اللطيفة تناسب العقل — الذي سماه هنا بالعلة الأولى على حسب الاصطلاحات  
الفلسفية والفاطمية أيضا — وبما أن العقل هو أول ما خلق الله فهو سابق لخلق  
الهيولى ، ولما كان العقل الأول هو أقرب مبدعات الله إليه سبحانه ، فكذلك  
الإمام الذي هو مثل العقل أقرب المخلوقات إلى الله على هذه النسبة ، وهو  
متصل بالله تعالى لأن ممثوله العقل الأول متصل بالله تعالى ، وأن الإمام آية الله تعالى  
من نسل النبي محمد ، لأن ممثوله العقل هو آية الله الكبرى ، وهكذا يستمر الأمير  
تميم في استغلال هذه الآراء والعقائد الفاطمية في مدح شقيقه الإمام العزيز بالله

(١) ديوان الأمير تميم ورقة ١٥٨ ( نسخة خطية بمكتبتي ) .



بحيث لا نستطيع أن نصل إلى فهم أشعاره في هذا المدح دون التوسل إلى ذلك بتطبيق نظرية المثل والمثول . انظر إليه وهو يمدح الإمام :

فيابن الوصي ويابن البتول      ويابن نبي الهدى المصطفى  
ويابن المشاعر والمروتين      ويابن الخطيم ويابن الصفا (١)

فهو يصف الإمام بمعان باطنية ، فناسك الحج في التأويل الباطن هي محمد (ص) وبما أن الوصي والأئمة يقومون مقام النبي بعد موته فهم يوصفون بصفاته ، ويكرر هذا المعنى في أكثر قصائده كقوله :

وابن الصفا والحجر وابن الهدى      وابن نبي الهدى وابن الكتاب (٢)  
فبجانب هذه الصفات التي وصف بها الإمام بأنه ابن الصفا وابن الحجر نراه يصف إمامه بأنه ابن الكتاب ، والكتاب هو القرآن ، وفي التأويل الباطن أن القرآن والزبور والتوراة والانجيل هي مثل ، والمثول هو الوصي . يقول في ذلك صاحب المجالس المستنصرية : « فالقرآن العظيم هو هذا الكتاب الكريم ، وقرينه في التأويل الحكيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والتسليم لأنه في زمانه قرين القرآن ، والقرآن قرينه ، وإنما يسمى الكتاب قرآنا لاقترانه بالعترة ، يبين ذلك قول رسول الله (ص) (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فينهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ) فالقرآن قرين كل واحد من الأئمة الطاهرين ، (٣) .

ومرة أخرى يمدح الأمير تميم إمامه بصفات باطنية فيقول :

يا حجة الرحمن عند عباده      وشهابه في كل أمر مشكل  
من لم يكن في صومه متقربا      بك ، فصومه لم يقبل (٤)

فهو هنا يصف إمامه بأنه حجة الله في الأرض وهو معنى من المعاني الباطنية وصفة من صفات الأئمة (٥) ، ويقول أيضا: إن الإمام هو النور الذي يبين للناس ما غمض عليهم ويوضح ما أشكل ، وفي البيت الثاني يشير إلى عقيدة الفاطميين التي تقول إن فرائض الدين الإسلامي لا تقبل إلا باتباع المنصوص عليه من أهل

(١) ديوان الأمير تميم ورقة ١٥ (٢) ديوان تميم ورقة ١٨ ب

(٣) كتاب المجالس المستنصرية ص ٢٩ (٤) ديوان تميم ورقة ١٣١ ب

(٥) راجع ما كتبه عن ذلك في كتاب ديوان المؤيد داعي الدعاة .

البيت ، فلا صيام لصائم ما لم يعتقد ولاية الأئمة لأن الولاية كما قلنا هي محور عقيدة الفاطميين ، ويكرر هذا المعنى الأخير في قوله :

وأنت المصطفى الملك الذي بطاعته من ربنا نتقرب  
ولولاك كان الملك في غير أهله وكان على أفق الشريعة غيب  
عليك صلاة الله ما طلع الضحى وما حن للأوطان من يتغرب (١)

وهكذا نستطيع أن نستخرج من ديوان الأمير تميم أثر العقائد الفاطمية في شعره ، ونستطيع أن نفهم ما قصد إليه الشاعر من معان إذا طبقنا ( نظرية المثل والممثل ) .

ولعل الشاعر المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي هو أول شاعر في هذا العصر وصل إلينا ديوان شعره ، فإذا بشعره كله متأثر بالعقيدة الفاطمية ، فالشاعر جعل كل قصائده التي في هذا الديوان في مدح الأئمة ، ولم يتناول موضوعاً آخر من موضوعات الشعر ، وملاً قصائده كلها بالمصطلحات الفاطمية حتى لا أكاد أعرف لهذا الديوان مثيلاً في الأدب الفاطمي بل في الأدب العربي كله ، فنحن نستطيع أن نتخذ هذا الديوان الشعري من كتب العقائد الفاطمية ، ولاغرو في ذلك فالمؤيد لم يكن شاعراً متكسباً بشعره مثل غيره من الشعراء ، ولم يكن شاعراً من الشعراء الذين تستهويهم حياة المجون والقصف واللهو ، إنما كان عالماً من علماء الدعوة ، بل كانت إليه مرتبة داعي الدعوة ، ولقبه إمامه المستنصر بالحجة نزوعاً إلى رفع شأنه ، فليس غريباً أن ينقطع مثل هذا العالم الكبير إلى العلم وأن يتفرغ إلى كل ما يتصل بنشر الدعوة بين الناس ، فإذا أنشد شعراً فتغلب على هذا الشعر عقل العالم لا عاطفته .

ولذلك ترى هذه الأشعار الكثيرة التي ضمنها ديوانه ملئت علماً وتأويلاً ، أنظر إليه يقول في إحدى منظوماته التي وضعها لمكاسرة ، بخالني مذهبه :

ما النون يا صاح ترى والكاف فالخلق در وهما أصداف  
إن الذي ظنهما حرفي هجا مستوجب من ذى الحجى كل هجا  
هل كافل بالأرض والسماء يا عمى حرفان من الهجاء

تفهموا يا قوم ما الحرفان إن نجاة المرء بالعرفان  
ما فاعل العالم كالمفعول كلا ، ولا الحامل كالمحمول  
والكاف والنون اللذان انتظما صنع الإله منهما والتحما  
وعنهما يأتلف الوجود لمن هو المشاهد الموجود  
أنى يكونان من الموات وعنهما متابع الحياة (١)

فقارىء مثل هذه الآيات من نظم المؤيد يدرك لأول وهلة مقدار تأثيرها بالمصطلحات الفاطمية التي لا يعرفها إلا من تعمق في دراسة المذهب الفاطمي ، فإن قضية الإبداع ، أو الحدود الروحانية والجسمانية عند الفاطميين تكاد أن تكون أدق موضوع عاجله جميع الدعاة والكتّاب ، فأفردوا لهذا الموضوع كتابا خاصة ، وفصولا من كل كتاب من كتب الدعوة ، والمؤيد في الدين في هذه الآيات يشير إلى « الكاف » و « النون » وهما الحرفان اللذان تأتلف منهما لفظ « كن » . من قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ، غير أن الفاطميين قالوا إن « كن » هي الكلمة التي قامت بها السموات والأرض وما فيهما من خلق ، وإن « الكاف » و « النون » ليسا بحر فيهما كما يتوهم العامة بل هما ملكان روحانيان جليلا القدر عظيم الشأن ، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بهما في قوله « نون والقلم » ، والله تعالى لا يقسم إلا بأعز مخلوقاته ، « الكاف » رمز من الله « بالقلم » ، و « النون » رمز إلى « اللوح المحفوظ » ، ويسمى « القلم » عندهم بالسابق وهو العقل الكلي عند الفلاسفة ، وله كل صفات وخصائص ذلك العقل كما تحدث عنه الفلاسفة ، وهو أول ما أبدعه الله سبحانه وتعالى من الحدود الروحانية ، ومن علماء المذهب من قال : بأن وجود عالم الإبداع ظهر دفعة واحدة عن المبدع الحق تعالى لا من شيء ، أى لا من مادة تقدمت عليه ، ولا بشيء ، أى لا بألة استعان بها عليه ، ولا في شيء ، أى لا مع غيره يشاكله ويساويه ، ولا مثل شيء . أى لا مثل معلوم كان له نظير فيه ، ولا لشيء أى لا حاجة في زيادة ولا نقصان في ملكه تعالى ومشيتته ، فكان وجود الكل كما رمز به الحسباء ولوح به

(١) القصيدة الثانية من ديوان المؤيد داعي الدعاة .

العلماء عنه تعالى بحرف « الكاف » و « النون » فكان ما كان (١) ، ولكن أغلب العلماء على أن « القلم » كان أسبق في الوجود من اللوح ولذلك سمي « القلم » بالسابق و « اللوح » بالتالي ، و « اللوح » هو ما يسمى عند الفلاسفة بالنفس ، وجعل الفاطميون لهذا الحد جميع الصفات التي وصف بها الفلاسفة النفس الكلية ومن « القلم » و « اللوح » وبواسطتهما أوجد الله تعالى جميع المخلوقات في السموات والأرض ، فهما كافلا العالم (٢) ، فحدثهم في الإبداع هو صورة لمراتب الفيوضات في الافلاطونية الحديثة ، وإن كان الفاطميون صبغوها بالصبغة الإسلامية ، وبتطبيق نظرية المثل والممثل ، يكون النبي مثلا « للقلم » والوصي مثلا « للوح » وبعد وفاة النبي يصبح الإمام مثلا للقلم والحجة مثلا للوح ، وللمثل جميع صفات وخصائص الممثل ، فكان الفاطميون لم يبحثوا مسألة الإبداع إلا لإثبات مكانة الأئمة بين الحدود الجسمانية ومماثلتهم للحدود الروحانية في العالم العلوي وإسباغ ألوان التقديس على الأئمة بهذه المماثلة ، وعن هذه العقيدة اشتق الفاطميون عقائدهم في صفات الإمام ، وظهر أثرها في الشعر الفاطمي ، من ذلك ما أنشده المؤيد في الدين في مدح إمامه المستنصر :

قد خلقتم من طينة وخلقنا نحن منها لكن بدا ترتيب  
إن أجسامكم لناشئة الطين الذي منه شق منا القلوب (٣)

فهو يمدح إمامه بأن جسم الإمام عقل كله ، ذلك أن جسم الإمام خلق من الطينة التي خلقت منها قلوب البشر ، أي أن الطينة التي خلق منها جسم الإمام هي نفس الطينة التي خلق منها عقل البشر ، فما هو كشيء عند الإمام هو لطيف عند غيره من عامة الناس . وتأويل ذلك أن عقل الإمام شريف ويجب أن يكون ما يحل فيه هذا العقل شريفا أيضا ، ولكن بما أن الإمام من البشر وجسمه ترابي كغيره من الآدميين ، لجسمه خلق من تراب ولكنه التراب الذي خلق منه قلب البشر الذي يحلّه عقول البشر . وفي هذا المعنى يقول المؤيد أيضا :

(١) كتاب كنز الولد ( نسخة خطية بمكتبي ) .  
(٢) راجع كتاب راحة العقل والمجالس المؤيدية في مواضع متعددة .  
(٣) القصيدة الثالثة

نعم قد أفاضها في البرايا فتخلت عن شكرها أنعام  
هم نهايات كل من برأ الله وغايات خلقه والسلام  
فإليهم تنمى النفوس إذ را حث إلى الأرض تنمى الأجسام (١)  
وقوله أيضا :

مولى مواليه الأعز ز كما معاديه الأذل  
ذو نسبة بالمصطفى والمرضى يسمو ويعلو  
بكتيفه ولطيفه فأساسه نفس وعقل (٢)  
وهذا المعنى كثير جدا في شعر المؤيد نراه في أكثر قصائده التي في الديوان.  
هناك عقيدة أخرى ردها المؤيد في شعره ، فهو يقول مثلا :

سلام على العترة الطاهرة وأهلا بأنوارها الزاهرة  
سلام بديا على آدم أنى الخلق باديه والحاضرة  
سلام على من بطوفانه أديرت على من بغى الدائرة  
سلام على من أتاه السلام غداة أحفمت به النائرة  
سلام على قاهر بالعصا عصاة فراعنة جائره  
سلام على الروح عيسى الذى بمبعثه شرفت ناصره  
سلام على المصطفى أحمد ولى الشفاعة فى الآخرة  
سلام على المرتضى حيدر وأبنائه الأنجم الزاهرة  
سلام عليك ، فحصولهم لديك أيا صاحب القاهره  
بنفسى مستنصرا بالإله جنود السماء له ناصره  
شهدت بأنك وجه الإله وجوه الموالى به ناصره  
وأنت صاحب عين الحياة وعين خصومهم غائره  
بحار الندى كفه والعلوم مدى الدهر فى قرن زاخره  
لإحياء أرواحنا الباقيات وإنشاء أجسامنا البائره (٣)  
فالشاعر هنا يسلّم على جميع الأنبياء ، وعلى الوصى على بن أبى طالب والأئمة  
من ذريته ، ولكنه ذهب إلى أبعد من التسليم فقال : فحصولهم لديك

(١) القصيدة الثانية عشرة .

(٢) القصيدة السادسة عشرة .

(٣) القصيدة الحادية والأربعون .

أيا صاحب القاهرة ، وصاحب القاهرة في عصره هو الإمام المستنصر بالله ، فهل معنى ذلك أنه جعل الأئمة في منزلة الأنبياء ؟ تقول عقيدة الفاطميين إن النبي محمدا جمع أدوار كل الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا قبله ، أي أنه في دوره مثل آدم في دوره فهو آدم على هذا النحو ، وهو إبراهيم في دوره وهكذا ، فكأنه بذلك جمع أدوار جميع الأنبياء ، بل قال الفاطميون إن دور النبي محمد يشبه أدوار الأنبياء السابقين ، وما حدث للأنبياء وأوصيائهم وأئمة دورهم يحدث أيضا لمحمد ووصيه وأئمة دوره ، فالأدوار واحدة ولكنها تتخذ أشكالا مختلفة . ولما كان الإمام يقوم مقام النبي فهو يجمع الأدوار أيضا على هذه الصورة ، فالمستنصر هو آدم وهو إبراهيم وهو نوح إلى آخر الأنبياء ، فالنور الذي تنقل بين الأنبياء حل في إمام الزمان ، ليس معنى ذلك أن الأئمة كانوا بمنزلة الأنبياء . فقد ذكرنا أن لهم نفس صفات الأنبياء إلا صفة النبوة والرسالة ، وهكذا نستطيع أن نفرس قصيدة المؤيد السابقة . ومن الطريف أن المؤيد نفسه في قصيدة أخرى قارن بين الإمام وبين بعض الأنبياء فقال في مقارنة المستنصر بنبي الله عيسى بر مريم :

و صديق مثل العدو مداح	لا أراه إلا عدوا مضلا
جاءني حائرا ، فقال بجهل	ما أرى المسيح في الناس شكلا
إن عيسى قد كلم الله في المهد	صيا وكلم الناس كهلا
قلت : هذا مولى الأنام معد	قد حوى الملك والإمامة طفلا
قال : عيسى أحيى الموات جهارا	قلت : مهلا يا ناقص الفهم مهلا
إن هذا مولى الأنام معد	هو يحيى بالعلم من مات جهلا
قال : عيسى أبرأ العمى قلت : مولا	ي معد يجلو العمى إن تجلى
قال : حسبي أجبتني بجواب	باطني بينت لي فيه عقلا
ثم ولي عني مقسراً بفضل	لإمام الهدى ورحمت مدلا (١)

وقر على ذلك مقارناته لباقي الأنبياء ، فهو يتحايل على المعاني حتى يأتي منها بما يلائم مقابلة أدوار الأئمة بأدوار الأنبياء ، وتكاد قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم أن تؤول على هذا النحو الذي رأيناه في هذه القصيدة . ويستمر

(١) القصيدة التاسعة والخمسون .

المؤيد في كل قصائده يمدح الإمام بمعان باطنية هي من تأثير العقيدة في نفسه وفي شعره .

ويخيل إلى أن العقائد أثرت أيضا في جميع الشعراء الذين ظهر وافي بلاط الأئمة في عهد ضعف الأئمة ووسطوة الوزراء ، وفي عهد انتقال مركز الدعوة إلى اليمن ودخول الأئمة في دور الستر الثاني . وقد ذكرنا أن الحافظ والظافر والفائز والعاقد آخر ملوك الفاطميين كانوا يحكمون نيابة عن الإمام المستر ولم يكونوا أئمة ، ولكن شعراء مصر أبوا إلا أن يقدوا صفات الأئمة على هؤلاء النواب ، بل من الشعراء من لقب هؤلاء الملوك بالأئمة ، فالشاعر الشريف أبو الحسن علي بن محمد الاخفش شاعر الأمر والحافظ مدح الحافظ بقوله :

صرف جريال يرى تحويلها من يرى الحافظ فردا صمدا  
بشر في العين إلا أنه من طريق العقل نور وهدى  
جل أن تدركه أعيننا وتعالى أن نراه جسدا  
فهو في التسبيح زلني راعع سمع الله به من حمدا  
تدرك الأفكار فيه بانبا كاد من إجلاله أن يعبدا<sup>(١)</sup>

فالشاعر هنا مدح الحافظ بهذه الصفات الباطنية التي هي من صفات الأئمة . ولكن الحافظ كان ينوب عن الإمام المستر فطبق الشاعر صفات الإمام على نائبه ، فالإمام عن طريق العقل ، أي عن طريق علم الباطن ، هو نور أي أنه عقل كله ، والعقل الأول لا يدرك بالآبصار ، فهو يتعالى أن يحده بحدود ذلك الجسد ، أما قوله « فهو في التسبيح زلني راعع » فتأويل الركوع — كما يحدثنا القاضي النعمان في كتابه تأويل دعائم الإسلام — هو طاعة الإمام ، والإقرار بحدود الدين الروحانيين والجسمانيين ، والتسبيح في الركوع تأويله البراءة والتزويه لله تعالى أن يقاس أو يشبهه به أحد من حدوده أو من خلقه<sup>(٢)</sup> ، وتأويل « سمع الله به من حمدا » أن كل من صار إلى الدعوة وجب عليه حمد الله على ما أصاره من فضله إليه وأطلعته من أمر أوليائه عليه فيأمر الداعي بذلك من دعاه ويخبرهم أن

(١) الخريدة ورقة ١٤٢ ب .

(٢) المجلس الرابع من الجزء الخامس من تأويل دعائم الإسلام — نسخة خطية بمكتبي .

الله تعالى يسمع حمدهم، ويطلع على اعتقادهم في ذلك ، فإن كانوا قبلوه حتى القبول  
واغتبطوا به كما يجب وحمدوا الله على ما هداهم إليه منه فيحمد الله كما أمرهم (١) .  
أما البيت الأخير فالشاعر يشير إلى أن الإنسان إذا فكر في أمر الإمام ، وأن  
الإمام مثل للعقل الأول وما يوصف به هذا العقل ، فيكاد المنسك من إجلاله  
للعقل أن يعبدته وأن يعبد مثله . وهذا البيت الأخير يشبه قول المؤيد في  
مدح المستنصر :

لست دون المسيح سماه ربا أهل شرك ولا نسيمك ربا  
وهو مثل قول الشريف ابن أنس الدولة في مدح الحافظ ، وقد صعد  
المنبر يوم العيد :

خشوعا فإن الله هذا مقامه وهمسا فهذا وجهه وكلامه  
وهذا الذي في كل وقت بروزه تحياته من ربنا وسلامه (٢)  
فهذا المعنى الذي ورد في جميع هذه الآيات هو من المعاني الباطنية ، وكلها  
تخضع في التفسير لنظرية المثل والمثول أيضا . فالإمام مثل العقل الأول فهو  
أشرف من جميع المخلوقات ، وأنه هو المقصود بوجه الله ويد الله وجنب الله  
التي وردت في القرآن الكريم . ثم انظر إلى قول الشاعر :

هذا أمير المؤمنين بمجلس أبصرت فيه الوحي والتنزيلا  
وإذا تمثل راكبا في موكب عاينت تحت ركابه جبريلا (٣)

« فجلس الوحي والتنزيل ، هو مجلس النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقوم  
الإمام مقامه ، أما قوله : « عاينت تحت ركابه جبريل ، فتأويل الملائكة في عقيدة  
الفاطميين هم الدعاة ، فكأن الشاعر يقول : إن الإمام إذا سار في موكبه سار  
تحت ركابه الدعاة الذين يدعون له ولمذهبه .

وكان الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيق من الشعراء الذين اتخذوا الشعر  
وسيلة لنشر عقائد مذهبه ولتهجين مذاهب أضراده ، فن ذلك قوله :

يا أمة سلكت ضلالا بينا حتى استوى إقرارها وجودها

(١) المجلس الخامس من الجزء الخامس من تأويل دعائم الإسلام نسخة خطية مكتبتني .

(٢) خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٠ (٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٧



علمت إلى أن المعاصي لم يكن إلا بتقدير الإله وجودها  
لو صح ذا كان الإله بزعمكم منع الشريعة أن تقام حدودها  
حاشا وكلا أن يكون إلھنا ينهى عن الفحشاء ثم يريدها (١)

فهو هنا يشير إلى تلك المسألة التي شغلت أذهان المسلمين وأثارها المعتزلة  
ردحا طويلا من الزمان ، وأثارت مجادلات بين علماء المسلمين ، وهي مسألة  
الجبر والاختيار . فجمهور أهل السنة على أن الإنسان مجبر ، والمعتزلة تذهب  
إلى أن الإنسان مخير ، ولكن الفاطميين كانوا يذهبون مذهبا وسطا ، فالإنسان  
مجبر في أمور ، ومخير في أمور ، فهو ولد من غير اختيار بل هو مجبر ، وتصيبه  
بعض الأحداث في حياته قضاء وقدرًا ويموت بغير اختيار ، أما أفعاله فهو  
مخير فيها .

ولم يكن شعراء مصر الذين مدحوا الأئمة والوزراء هم الذين ألما في أشعارهم  
بعقائد الفاطميين وتأثروا بها هذا التأثير الذي رأينا بعض نماذجه ، إذ المفروض  
أن جميع الشعراء الذين اتصلوا ببلاط الفاطميين كانوا يمتدحون بمذهب الأئمة ،  
ولكننا نرى الشعراء الوافدين على مصر في ذلك العصر كانوا يحاولون أن  
يتخذوا العقائد الفاطمية وسيلة للوصول إلى مدح الأئمة ، وأن يزينوا شعرهم  
بهذه العقائد للتقرب إلى الأمراء والوزراء والأئمة ، وأكثر الشعراء الذين  
وفدوا على مصر لم يكونوا فاطمي المذهب ولكنهم اضطروا إلى أن يمدحوا الأئمة  
بالمعاني الباطنية على نحو ما كان يفعله شعراء مصر ، ويحدثنا ياقوت أن الحسين  
ابن عبد الله الشاعر المعروف بأبي حصينة المعري المتوفى سنة ٤٥٧ هـ أوفد إلى  
المستنصر بالله ، وأنه مدح المستنصر بقصيدة منها :

ظهر الهدى وتجمل الإسلام وابن الرسول خليفة وإمام  
مستنصر بالله ليس يفوته طلب ولا يعتاص عنه مرام  
حاط العباد وبات يسهر عينه وعيون سكان البلاد تنام  
قصر الإمام أبي تميم كعبة ويمينه ركن لها ومقام  
لولا بنو الزهراء ما عرف التقى فينا ولا تبع الهدى الأقدام

يا آل أحمد ثبتت أقدامكم وترزلت بعداكم الأقدام  
لستم وغيركم سواء ، أتم للدين أرواح وهم أجسام  
يا آل طه جبكم وولاؤكم فرض وإن عدل للحاة ولا مواء (١)

فالشاعر بالرغم من أنه من معرة النعمان يمدح إمام مصر الفاطمي بهذه الصفات الباطنية التي تجد حظا من القبول إذا مدح بها الإمام ، فقصر الإمام كعبة والركن والمقام في التأويل الباطن مثل على الإمام ، ولولا الأئمة ما عرفت حقيقة الدين ، والأئمة عقول والناس أجسام والولاء للأئمة فرض من الله ، فهذه كلها من عقائد الفاطميين ، واضطر الشاعر أن يزوج بها في مدحه للإمام الفاطمي ، ولهذا الشاعر قصيدة أخرى في مدح المستنصر أيضا منها قوله :

أما الإمام فقد وفي بمقالة صلى الإله على الإمام وآله  
لذنا بجانبه فعم بفضله ويبدله وبصفوه وجماله  
لا خلق أكرم من معد شيمة محمودة في قوله وفعاله  
فاقصد أمير المؤمنين فما ترى بؤسا وأنت مظلل بظلاله  
زاد الإمام على البحور بفضله وعلى البدور بحسنه وجماله  
وعلى سرير الملك من آل الهدى من لا تمر الفاحشات بباله  
النصر والتأييد في أعلامه ومكارم الأخلاق في سرباله  
مستنصر بالله ضاق زمانه عن شبهه ونظيره ومثاله (٢)

فالشاعر في هذه القصيدة مدح الإمام بالمعاني التي اعتاد الشعراء أن يمدحوا بها الملوك ، ولكنه ألم فيها أيضا بالمعاني الباطنية التي تميز مصر الفاطمية عن غيرها من الدول ، وتميز شعر مصر الفاطمية عن باقي الشعر العربي ، فالصلة على الإمام وآله وأن الإمام من نسل الرسول ، وأن لا شبيه للإمام ولا مثل . كل هذه من العقائد التي كان يبثها الدعاة بين الناس .

ولعل الشاعر عمارة اليمنى أصدق مثال لهؤلاء الشعراء السنيين الوافدين على مصر ، والذين ألموا في شعرهم بالعقائد الفاطمية ، ففي أول قصيدة أنشدها

(١) ياقوت - معجم الادباء ج ١٠ ص ٩٠ ( طبعة زفامى ) .

(٢) ياقوت ج ١٠ ص ٩٢

في مصر . قال في مدح الخليفة الفائز ، ووزيره الملك الصالح بن رزيك تلك القصيدة التي مطلعها :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم      حمدا يقوم بما أولت من النعم  
وفيها يقول :

لا أجد الحق عندي للركاب يد      تمت اللجم فيها رتبة الخطم  
قرين بعد مزار العز من نظري      حتى رأيت إمام العصر من أمم  
ورحن من كعبة البطحاء والحرم      وفدا إلى كعبة المعروف والكرم  
فهل درى البيت أنى بعد فرقته      ما سرت من حرم إلا إلى حرم  
حيث الخلافة مضروب سراقها      بين النقيضين من عفو ومن نقم  
والإمامة أنوار مقدسة      تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم  
وللنبوة آيات تنص لنا      على الخفيين من حكم ومن حكم<sup>(١)</sup>

ويستمر عمارة في مدح الفائز ثم ينتقل إلى مدح وزيره الملك الصالح بن رزيك ، ولكن الشاعر كان بعيداً عن مركز الخلافة فلم يستطع أن يعرف شيئاً كثيراً من عقائد الفاطميين ، ولذلك لم يتحدث عن المعاني الباطنية إلا بقدر يسير ، ولا سيما في البيت الأخير من هذه المقطوعة ، على أن الشاعر بعد أن استقر بمصر واتصل بالبيئة المصرية حوله وسمع جدل العلماء ومناقشاتهم في مجالس الملك الصالح ، وعرف شطرا من العقائد الفاطمية ، تأثر بهذه العقائد في شعره ، وإن كان لم يعتنق دعوتهم ، بل ظل على عقيدة الشافعية ، فهو يقول في مدح العاضد :

وعليك من شيم النبي وحيدر      للناظرين أدلة وشهود  
والوحي ينطق عن لسانك بالذي      من دونه يصدع الجلمود  
شخصت إليك نواظر الأمم التي      ملكتهم لك بيعة وعهود  
يوم جلت فيه الإمامة عزها      ولها الملائكة الكرام جنود<sup>(٢)</sup>

في هذه الأبيات يظهر تأثير البيئة الفاطمية في شعر عمارة ، فالشاعر هنا متأثر بالعقائد ، حتى يخيل إلينا أنه أصبح على دينهم وعقيدتهم ، فالوحي — وهو في التأويل داعي الدعوة — ينطق عن لسان الإمام بالحجج الدامغة والبراهين

(١) النكت ص ٣٢ (٢) ص ١٩٨ .

القوية التي لا تقف أمامها حجج أو براهين ، والبيعة في عنق جميع الذين عاهدوا الإمام ، والملائكة وهم الدعاء جنود الإمامة . ومرة أخرى يمدح العاضد بقوله :

لا يبلغ البلغاء وصف مناقب أننى على إحسانها التنزيل  
شيم لكم غر أقى بمدحها الفرقان والتوراة والإنجيل  
سير نسختها من السور التي ما شأنها نسخ ولا تبديل  
قامت خواطرننا بخدمة نظمها فيكم ، وقام بنثرها جبريل  
شرف تبيت به قريش كلها عولا لكم وعليكم التعويل  
إن الرسول أبوكم من دونها فمن الذي منها أبوه رسول  
ولقد ورثت مقام قوم يستوى منهم شباب في العلى وكهول  
وجمعت شمل خلافة لم يختلف في فضلها المعقول والمنقول  
لما برزت إلى المصلى معلنا وشعارك التكبير والتهيل  
وخطبت فيه المؤمنين خطابة ذابت عيون عندها وعقول  
وسلت غرب فصاحة نبوية شهدت بأذك للنبي سليل (١)

فهو هنا يمدح العاضد بأن في سور القرآن والتوراة والإنجيل آيات في شأن الأئمة ، وهذا من أقوال الفاطميين في أئمتهم حتى قال شاعرهم المؤيد في الدين :

لهم معاني الزبر وفضل آى الزمر (٢)

وقال عمارة أيضا في هذا المعنى نفسه :

يا خير من نظم المدح لمجده وتنزلت سور الكتاب بحمده (٣)  
وانظر إليه وهو يقول في مدح العاضد أيضا :

ولاؤك كدين في الرقاب ودين وودك حصن في المعاد حصين  
وحبك مفروض على كل مسلم يقول بحب المصطفى ويدين (٤)

ولعل الآيات التي أنشدتها في رثاء الملك الصالح بن رزيك تدل دلالة واضحة

على مدى تأثير عمارة بالعقائد وبتأويل الفاطميين ، فهو يقول مثلا :

لا تصعبن لقدار ناقة صالح فلـ كل عصر صالح وقدار  
أحلت دار كرامة لا تنقضي أبدا وحل بقاتليك بوار (٥)

(٢) القصيدة الخامسة والعشرون من ديوان المؤيد.

(٥) ص ٦٩

(٤) ص ٣٦٢

(١) النكت ص ٣٠٦

(٣) النكت ص ٢٠١

فتافة صالح التي ذكرت في القرآن تؤول على حجة صالح ، وكذلك كان الوزير ابن رزيك حجة الخليفة الفائر ، ويتحدث عمارة عن الأدوار ، فلكل عصر وصالح من نبي أو إمام ، واكل عصره ، وناقة صالح ، أي حجة للإمام ، فهذا المعنى لا يأتي به إلا من عرف دقائق الدعوة وأسرارها ، وكان عمارة كان يجالس الدعاة والعلماء فعرف الكثير من أسرارهم فجرى لسانه به ، وفي البيت الثاني يتحدث الشاعر أيضا عن عقيدة الفاطميين في خلود النفس بعد الموت وعودتها إلى العالم الروحاني ، فإن كانت نفساً شريفة بأن كانت نفس حد من حدود الدين الجسمانية عادت إلى عالم الحدود الروحانية وتأخذ مرتبتها بين الحدود الروحانية كما كانت مرتبتها بين الحدود الجسمانية .

وفي مديحه للصالح قال :

كاف هو الباب الذي من لم يصل منه فليس له إليك وصول  
إشارة إلى أن داعي الدعوة هو باب الأبواب وهو الذي بشيرفيه إلى الحديث النبوي : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » فالإمام في عصره يمثل النبي في عصره وداعي الدعوة هو الباب أيضا . وقد ذكرنا أن الملك الصالح بن رزيك أنشد يدعو عمارة إلى دخول المذهب واستعمل الصالح هذا المصطلح أيضا :

قل للفقيه عمارة يا خير من أضحي يؤلف خطبة وخطابا  
اقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى قل وحطة ، وادخل إلينا والبابا  
تلق الأئمة شافعين ولا تجد إلا لدينا سنة وكتابا (١)

وفي قضية أول رمضان ، حدث أن غم الهلال ولم يظهر بين الضباب فلم يره الناس رؤية بصر ، ولكن المصريين صاموا على حسب رؤية الاستبصار والعلم بدورة الفلك ، وظهر العاضد ووزيره شاور بين الناس ، فقال عمارة في ذلك :

ولما تراءت الهلال بصائر يغطي الهوى أبصارها بضباب  
وقفنا فهنا الصيام بعاضد سناه مدى الأيام ليس بخاب (٢)  
فروية رمضان التي نحتفل بها اليوم هي من فكرة ظهور الإمام الفاطمي معلنا صوم رمضان .

وبعد القضاء على الدولة الفاطمية وموت العاضد اتفق أن اجتمع الشاعر  
يحيى أبو سالم بن الأحذب بن أبي حصينة والشاعر عمارة اليميني في قصر اللؤلؤة  
فأنشد أبو سالم في نجم الدين أيوب :

يامالك الأرض لا أرضى له طرفا  
قد عجل الله هذى الدار تسكنها  
تشرفت بك عن كان يسكنها  
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة  
فأجابه عمارة :

أثمت يامن يحيا السادات والخلفا  
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة  
وإنما هي دار حل جوهرهم  
فقال لؤلؤة عجبا بهجتها  
فهم بسكنهم الآيات إذ سكنوا  
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه  
لولا تجسمهم فيه لكان على  
فالكلب ياكلب أسنى منك مكرمة  
وقلت ما قلته في ثلبهم سخفا  
والعرف ما زال سكني اللؤلؤة الصدفا  
فيها ، وشف فأسناها الذي وصفا  
وكونها حوت الأشراف والشرفا  
فيها ، ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا  
من البرية إلا كل من عرفا  
ضعف البصائر للأبصار محتظفا  
لأن فيه حفاظا دائما ووفاء<sup>(١)</sup>

فانظر إلى قول عمارة إن جوهرهم هو الذي حل بهذه الدار ، وأن الآيات  
سكنتها وكانت تسكن الصحف ، وحديثه عن الجوهر الفرد الذي هو نور تجسم  
في الأئمة .

أليس ذلك كله من الأدلة التي نسوقها على تأثر عمارة بالعقائد الفاطمية بالرغم  
من تمسكه بمذهبه السني الشافعي ؟

من ذلك كله نستطيع أن ندرك كيف استطاع الفاطميون أن يتخذوا من  
الشعراء ألسنة لهم في نشر عقائدهم التي أذاعوها بين هؤلاء الشعراء ، وكيف  
استغل الشعراء علم الباطن وخاصة ما خلعه علماء المذهب على الأئمة من صفات  
باطنية ، وكيف كان الشعراء يمدحون الأئمة والدعاة بهذه الصفات حتى يتقربوا  
إليهم وينالوا من هباتهم وعطاياهم ، ويقول القلقشندي : « كان الشعراء جماعة

كثيرة من أهل ديوان الانشاء وغيره ، وكان منهم أهل سنة لا يغفلون في المديح ، وشيعة يغفلون فيه . (١) فكان القلقشندي كان يرى أن جميع الشعراء الذين مدحوا الأئمة قد ألموا في شعرهم باعقائد الفاطمية ، ولكن بعضهم كان يسرف في ذلك ، وبعضهم كان يقتصد .

وها هو ذا الكاتب ولي الدولة أحمد بن علي بن خيران صاحب ديوان الإنشاء في عهد الظاهر والمستنصر يفتد شعراً يدل على أنه كان يتشيع ، ولكنه كان يعارض الفاطميين في أمور ، فهو يقول :

أنا شيعي لآل المصطفى غير أني لا أرى سب السلف  
أقصد الإجماع في الدين ومن قصد الإجماع لم يخش التلف  
لي بنفسى شغل عن كل من للهوى قرظ قوما أو قذف (٢)

ومهما يكن من شيء فقد كان تأثير العقائد في الشعر الفاطمي ولا سيما شعر المدح الذي قيل في الأئمة واضحا جليا نراه في هذه النماذج من الشعر التي قدمناها ، كما كان الشعراء من ألسنة الدعوة الدينية ، فقد سار شعرهم في البلاد ورواه الناس واستغله الدعاة في نشر المذهب ، وفي عصرنا الحديث لا تزال بعض قصائد المؤيد في الدين تردد في المساجد ، فطائفة الهرة في الهند تردد إلى الآن قصيدة المؤيد التي مطلعها :

سلام على العترة الطاهرة وأهلا بأنوارها الزاهرة (٣)  
عقب صلاة الفجر كل يوم . ويرتلون قول المؤيد :

أبا حسن يا نظير النذير ولولا وجودك فات النظير (٤)  
عقب صلاة التهجد كل يوم ، وينشدون قصيدته التي مطلعها :

إلهي دعوتك سرأ وجهراً أيا مالك الملك خلقاً وأمرأ (٥)  
عقب صلاة النوافل في رمضان ، ولا سيما في ذكرى مقتل علي . ويرددون قول المؤيد أيضا :

هلال بدا من خلال الدجته إمام زمان من النار جنه (٦)

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٧ (٢) معجم الأدياء ج ٤ ص ١٠ (طبعة رقاع)

(٣) القصيدة الحادية والأربعون من ديوان المؤيد .

(٤) القصيدة الخامسة والأربعون .

(٥) القصيدة السادسة والعشرون (٦) القصيدة الثامنة والعشرون .

في أول كل شهر عربي . وهكذا يترنم طائفة البهرة بأشعار المؤيد شاعر  
المستنصر الفاطمي وداعى دعائه على نحو ما يفعله الصوفية في ترتيل الأوراد .  
على أن الشعر الذى يلم بالعقائد هو في أكثره شعر صنعة ، والشاعر كان  
يجهد نفسه في أن يأتي في شعره ببعض العقائد ، وأن يلائم بين هذه العقائد  
والألفاظ التى يختارها لشعره . ثم يوفق بين هذا كله وبين ضرورات الشعر .  
ذلك كله يدلنا على أن الشاعر كان يصنع شعره وكان ينفق جهدا كبيرا في إنشاد  
الشعر ، ولذلك نرى شعر العقائد أقرب إلى النظم منه إلى الشعر الجيد الجزل .  
ولا غرابة إذا رأينا في القصيدة الواحدة للشاعر الواحد لونين من الشعر . فالمقدمة التى  
كان يجعلها الشاعر لقصيدته لون ، والآيات التى بها العقائد لون آخر . يظهر في  
المقدمة فن الشاعر وطبيعته ، وتظهر في الآيات التى بها العقائد صناعة الشاعر  
وتلاعبه . وقل أن نجد شاعرا استطاع أن يوفق بين طبيعته وعقله . أو بين فنه  
وعلمه . ومع ذلك كله فإن هذا اللون من الشعر الذى كثر في العصر الفاطمي ظهر  
مرة أخرى في شيء من القوة في شعر الصوفية . وهو الشعر الذى كاد يكون  
الشعر الرمزي في الأدب العربي - وسنرى ذلك في حديثنا عن شعر الصوفية في  
العصور التى تلت عصر الفاطميين - ويكفى أن أقول الآن : إن شعر الصوفية  
هو تطور شعر العقائد الفاطمية ، وكذلك تأويلات الصوفية هى تطور لتأويل  
الباطن عند الإسماعيلية .

وأكثر الشعر الذى يتأثر بالعقائد كان في مدح الأئمة الفاطميين . على أن  
هناك شعراء مدحوا الأئمة ولم يقربوا العقائد من قريب أو من بعيد . بل كان  
شعرهم في المدح صورة أخرى للمدح عند غيرهم من الشعراء . ولغير الفاطميين من  
الأمراء ، فوصف بالجمال والكرم والشجاعة والسؤدد إلى غير ذلك من الصفات  
التي جعلها الشعراء للبهودجين . فمن ذلك قول الشاعر أبي الرقعمق في العزير :

حى الخيام فإني	مغرى بأهل الخيام
بالراميات فؤادى	بصائبات السهام
لا عذب الله قلبى	إلا بطول الغرام
سقى لدهر تولى	بشرقى وعرامى
كأنما ذلك العيد	ش كان فى الأحلام



لم يبق من ترنجه      سبه لحادث الأيام  
إلا ابن أحمد ذو الطول      ل والأيادي الجسام  
كفاه أغدق جودا      من واكفات الغمام  
يلقى العفاة بوجد      سه مستبشر بسام  
معظما      ترنجه      للناثبات العظام  
يرى الخطوب برأى      أمضى من الصمصام  
قرم له عزمات      تفل حد الحسام<sup>(١)</sup>

ففي هذه الأبيات لا تجدد معنى باطنيا في حاجة إلى تأويل ، ولا تجد مدحا في الإمام الفاطمي يختلف عن المدائح التي تقال لغير الفاطميين ، فكل الممدوحين عند الشعراء يوصفون بالجود والشجاعة وأصالة الرأي إلى غير ذلك من الصفات التي اعتاد الشعراء أن يذكروها ، وأن يصفوا بها الرجل اليوم وغدا يصفون عدوه بالصفات نفسها .

وفي قصيدة أخرى مدح أبو الرقعمق الإمام العزيز ، ولم يذكر شيئا في حاجة إلى تأويل باطنى ، فقد قال :

سيد شادت علاه له      فى العلا آباؤه النجب  
وله بيت يمد له      فوق مجرى الأنجم الطنب  
حسبه بالمصطفى شرفا      وعلى حين ينتسب  
رتبة فى العز شائخة      قصرت عن مثلها الرتب<sup>(٢)</sup>

فكل هذه المعاني ليست باطنية ، والشاعر قد ثبت نسب الإمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ، وهذه المعاني تصلح أن يمدح بها كل شريف علوى . ومن الغريب أن نرى أكثر مدائح الأمير تميم فى أخيه الإمام العزيز بالله هى هذه المدائح المكررة المألوفة ، فهو يقول مثلا يهنئه بالعيد :

للعيد فى كل عام      يوم يعيد سنه  
وأنت فى كل يوم      عيد يلوح علاه  
ونعمة وسعود      للعتقين وجاه  
يا من تصلى المعالى      إليه حين تراه

(١) بيمة الدر ج ١ ص ٢٤٠

(٢) نهاية الأرب ج ٣ ص ١٩٤ .

ومن يبر اليتامى      من كل خلق سواه  
لو كان للفضل يوما      منى لكنت مناه  
لأن منك استعار الز      مان حسن حلاه  
فأنت شمس ضحاه      وأنت بدر دجاه  
كفناك في كل سلم      سحاب صوب نداه  
وحسن رأيك في الحر      ب سيفه وقناه  
فأنت يميني يديه      وأنت أمضى ظباه  
فاسلم لسعدك يا من      يديم نحس عداه (١)

فالأمير تميم يهني أخاه بيوم من أيام الأعياد الدينية ، ولكنه مع ذلك كالم  
يأت بمعنى واحد من المعاني الدينية التي كان الشعراء يقصدون إليها في مدح  
الفاطميين ، ولو شاء الأمير تميم أن يأتي بالمعاني الباطنية في شعره لآتى بما يعجز  
عنه غيره من الشعراء لأنه أقدر على معرفة أسرار العقائد الفاطمية فهو ابن إمام  
وأخو إمام ، بل كانت الإمامة ستؤول إليه بعد أبيه ، ومع ذلك كله فالشاعر  
هنا كان شاعراً تحسب ، أراد أن يمدح الإمام فمدحه بهذه المعاني المألوفة وفي  
قصيدة أخرى يقول تميم في مدح العزيز :

رايت معداً كالحسين وإنما      تطول على المولود إن أنجب الجد  
تعرب فهما مثلاً ذاب رقة      وظرفاً فمافي وصف كنه له حد  
به يشتقى السمع الأصم بلفظه      وتشفى برؤيا وجه الأعين الرمد  
كأن ضياء الشمس رده نوره      وأهدى إليه قلبه الأسد الورد  
وليس يبالي أن يروح ويغتدى      من المال صفرا حين يصبوله المجد  
كأنك لا ترضى لنفسك نخلة      إذالم يكن في كل كف لها رقد  
ولست تبالي أن تروح بعيشة      تضيق إذا كانت علاك هي الرغد  
ولولا احتمال النفس كل مشقة      إذن لتساوى في العلا الحر والعبد  
حجبت سنى شعري زمانا ولم يزل      لدى مصونا لا بين ولا يبدو  
ونزهته دهرها فلما هزرتني      هزرت حساما ليس ينبو له حد

(١) ديوان تميم « نسخة خطية بمكتبتي » .

كذا السيف لا تستخبر العين عنقه إذا لم تفارقه الحماثل والغمد  
فسار بمدحى فيك كل مهجر وغنى به في السهل والوعر من يحدو  
وصاغت له عليك حسنا وزينة وصيغ لها من حلى ألفاظه برد  
وليس اكل الناس يستحسن الثنا كما ليس في كل الطلى يحسن العقد  
وكم لك عندي من يد وصنيعة أقربها منى لك اللحم والجلد  
فلا يعجب الحساد لى أن وددتى فحق لمثلى من مثالك ذا الود  
رأيتك يفنى العذر حقدك كله فترضى ولا يفنى مواهبك القصد  
ولا تواعد الجاني إذا زل بل له إذا اعتذر المعروف عندك والوعد  
وتجحد ما تولى يداك من الندى وإن كان عند المجتدى للندى جحد  
ولو كفر العافون نعامك لم يكن لطبعك منك الآن عن كرم رد  
وتهتز للمدح اهتزاز مهند تناوله يوم الوغى بطل نجد  
عليك صلاة الله ما لاح بارق وما حن مشتاق تداوله الفقد (١)

وهكذا يمضى الأمير تميم في مديحه للإمام ، فقل أن نجد الشاعر يصف أخاه  
بمصطلحات الفاطميين حتى يخيل إلى أن الشاعر المؤيد في الدين الذي جاء بعد تميم  
بزهاء قرن من الزمان لم يعجبه أن تكون مدائح تميم مثل مدائح غيره من الشعراء ،  
فوضع المؤيد قصيدته التي مطلعها :

هلال بدا من خلال الدجنه إمام زمان من النار جنه  
وجعل هذه القصيدة جوابا لقصيدة تميم بن المعز التي مطلعها :

أسرب مها عن أم سرب جنه حكيتهن ولستن هنه

وفي قصيدة المؤيد يعرض بتميم بقوله :

سينعت فضلك منى اللسان إذا نعت الغير توريد وجنه

وغير مديحك لهو الحديث ومدحك دين وفضل وفضنه

نخذها جوابا لنجل المعز وأسرب مها عن أم سرب جنه

فكأن المؤيد ذهب إلى أن مديح تميم لا يليق بالإمام ، لأن الأمير تيميا مدح  
إمامه بالطريقة التي كان يمدح بها القدماء في الابتداء بالغزل ، ونعت الممدوح

(١) ديوان تميم ، السابق ذكره .

بالجمال وورد وجنتيه إلى غير ذلك من الصفات ، على حين أن المديح عند المؤيد هو من صميم الدين .

وأنشد على بن منصور المعروف بابن القارح قصيدة على وزن منهوكة  
أبي نواس يمدح فيها الحاكم بأمر الله ، منها قوله :

إن الزمان قد نضر	بالحاكم الملك الأعسر
في كفه غضب ذكر	فقد عدا على القصر
من غره على الغرر	يمضي كما يمضي القدر
في سرعة الطرف نظر	أو السحاب المنهمر
بأدر إنفاق البدر	بدر إذا لاح بهر <sup>(١)</sup>

وقال محمد بن القاسم عاصم المعروف بصناعة الدوح في مدح الحاكم ، وقد حدثت زلزلة في مصر :

بالحاكم العدل أضحي الدين معتليا      نجل العلي وسليل السادة الصلحا  
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها      وإنما رقصت من عدله فرحا<sup>(٢)</sup>  
فأنت تقرأ هذه القصائد فلا تجد معنى من المعاني الباطنية ، ولا تجد أثرا  
لصفات العقل الأول التي اعتاد شعراء الفاطميين أن يمدحوا بها أئمتهم .  
إذن نحن أمام لونين من المديح الذي قيل في الأئمة ، اللون الأول هو ذلك  
الشعر الذي مدح فيه الشعراء الأئمة بصفات هي من خصائص الفاطميين ، وفي هذا  
الشعر يظهر أثر الفاطميين . أما اللون الثاني من المديح فهو ذلك المديح الذي اعتاد  
الشعراء أن ينشدوه في الملوك والأمراء ، وهذا اللون لا يظهر فيه إلا فن الشاعر  
فقط ، وقل أن نجد فيه أثرا للبيئة التي تحيط بالشاعر إلا من ناحية واحدة ، وهي  
الظروف التي أنشد فيها هذا الشعر ، ولذلك نرى الشعراء الذين وفدوا على مصر  
 ومدحوا الأئمة الفاطميين ينشدون شعرهم في مصر كما كانوا ينشدونه في أي بلد  
آخر من البلاد الإسلامية .

وكان الشعراء ينشدون الأئمة مدائحهم في المواسم والأعياد التي كثرت  
في العصر الفاطمي ، وكثيرا ما كانت هذه الأيام ، وكثيرا ما كانت المناسبات

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٥ (طبعة رفاعي) .

(٢) المغرب ص ٨٥ ويقال إن الشاعر أنشدتها في كافور .

التي ينشد فيها الشعراء مدائحهم . ففي يوم فتح الخليج مثلا كان صاحب الباب يستأذن على حضور الشعراء للخدمة ، فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ، وكان لهم منازل على مقدار أقدارهم ، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الإنشاد<sup>(١)</sup> ، ومما أنشد في هذه المناسبة قول ابن جبر :

فتح الخليج فسال منه الماء      وعلت عليه الراية البيضاء  
فصفت موارده لنا فكأنه      كف الإمام ففرقها الإعطاء<sup>(٢)</sup>

ومن الطريف أن المؤرخين يذكرون أن المصريين بلغوا في ذلك الوقت درجة كبيرة من دقة الحس وتذوق الشعر ونقده ، فإني لما سمعوا هذه الأبيات انتقدوه في قوله : « فسال منه الماء » وقالوا : أى شيء يخرج من البحر غير الماء ؟ وأن الشاعر أضعاف ما قاله بعد ذلك المطلع .

وفي هذه المناسبة أيضا أنشد مسعود الدولة وكان مقدم الشعراء في عصره :

ما زال هذا السد ينظر فتحه      إذن الخليفة بالنوال المرسل  
حتى إذا برز الإمام بوجهه      وسطا عليه كل حامل معول  
لجرى كأن قد ديف فيه عنبر      يعلوه كافور بطيب المنديل

ولكن هذه القصيدة أيضا لم تعجب السامعين إذ انتقدوا عليه أيضا قوله في البيت الثاني وقالوا : « أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه !! »<sup>(٣)</sup> . وأنشد الشاعر أبو العباس أحمد بن مناسبة فتح الخليج قوله :

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد      للنيل أم لك يا بن بنت محمد  
أم لاجتماعكما معا في موطن      وافيتما فيه لأصدق موعد  
ليس اجتماع الخلق إلا للذي      حاز الفضيلة منك في المولد  
شكروا لكل منك لو فاته      بالسعى لكن ميلهم للأجود  
ولمن إذا اعتمد الوفاء ففعله      بالقصد ليس له كمن لم يقصد  
هذا يبقى ويعود ينقص تارة      وتسد أنت النقص ان لم يزد

(١) المقرئى ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

وقواه إن بلغ النهاية قصرت  
فألآن قد ضاقت مسالك سعيه  
فإذا أردت صلاحه فافتح له  
وأمر بفصد العرق منه فاشكا  
واسلم إلى أمثال يومك هكذا  
وإذا بلغت إلى النهاية تبتدى  
بالسد فهو به بحال مقيد  
ليرى جنابا مخصبا وثرى ندى  
جسم فصح الجسم إن لم يفصد  
في عيش مغبوط وعز مخلد<sup>(١)</sup>

فشعر المناسبات كثير جدا في العصر الفاطمي ، حتى إن الخليفة الحافظ مل  
طول الشعر وكثرته فأمر أن يختصر الشعراء مدائحهم ، فلم يعجب ذلك الشعراء  
فقال أبو العباس أحمد بن مفرج الشاعر يخاطب الخليفة ويمدحه :

أمرت أن نصوغ المدح مختصرا لم لا أمرت ندى كفيك مختصر  
والله لا بد أن تجرى سوابقنا حتى يبين لها في مدحك الأثر<sup>(٢)</sup>  
فكان الشعر ينشد في مواسمهم وأعيادهم وحفلاتهم التي كانت تقام لأى حادثة  
صغرت أم كبرت ، فإذا تم عمل شمسية للبيت الحرام مثلا أنشد الشعراء ، من  
ذلك قول الأمير تميم وقد تم عمل هذه الشمسية في عهد المعز لدين الله :

إليك مدت رقابها العرب والمملك ماء عليك منسكب  
وأنت في دوحة النبوة لا تألف إلا عداتك الريب  
ألسنت من يرهب الإله ولا يصدده عن حدوده سبب  
وكلما قال بدء عزيمته بمذهب لم يخالف العقب  
فهكذا يصدع الملوك إذا صالت، وتتفي الضلالة الشهب  
ويزدهى الدين بالمعز لدين الله والمرهفات واليب  
وكل رحاحة عزائم دلا صها ، والرماح والقضب  
وهذه الدولة التي ذخرت فلم يسعها الزمان والحقب  
يا حبذا دهرك الزلال إذا أمر دهر ، وعصرك الشنب  
وحبذا الشمسة التي نصبت يقصر عنها المدح والخطب  
قايست العيد وهي حلته وأخفت اليوم وهو منتصب  
ينهب ياقوتها العيون فما يكمل الأمر حيث ينتهب

(١) المصدر السابق .

(٢) الحريرة ورقة ١٠٩ ب وابن ميسر ص ٨٥ .

دوائر احدثت بغرتها أهلة لا تحفها السحب  
كأنما درها وجوهرها نجوم ليل سماؤها ذهب  
نظمتها للهدى ولبته وإن سخطن الكواعب العرب  
في كبد المسجد الحرام بها شوق، وللبيت نحوها طرب  
فلا تسمى بأهله زمن إلا بما تشتهى وترتقب  
عليك صلى الإله ما طلعت شمس، وما انهل عارض لجب (١)

فبالرغم من أن المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة هي مناسبة دينية ، وأن الممدوح لإمام المذهب لم يشأ الأمير تميم أن يلم بشيء من العقائد الفاطمية في هذه القصيدة ولكنه أنشد الشعر للمناسبة فقط ، فإذا تصفحنا ديوان الأمير تميم نجد هذا الشاعر أنشد أكثر قصائده في مدح أبيه المعز أو أخيه العزيز لمناسبات مختلفة فإذا فسد الإمام مدحه الشاعر ، وإذا شكى من مرض مدحه ، وإذا سافر ، مدحه ، وإذا أهداه شيئا مدحه ، وذلك كله بجانب القصائد التي قيلت بمناسبة الأعياد .

على أن من المصريين من كان ينظر إلى الأئمة الفاطميين بعين الريبة ، فلم يستجيب لدعوتهم وانتسابهم إلى الرسول الكريم ، وظل محافظا على مذهبه معترفا بخلافة العباسيين ، وظهر هذا في الشعر المصري ، فقد قيل إن العزيز بالله وجد بطاقة على المنبر فيها :

إننا سمعنا نسبا منكرا يتلى على المنبر في الجامع  
إن كنت فيما تدعى صادقا فاذكر أبا بعد الأب الرابع  
وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع  
أودع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع  
فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع (٢)

وقول الآخر في الحاكم ، وقيل بل في العزيز :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والخمافة

(١) ديوان الأمير تميم ورقة ١٢٢ ( نسخة خطية بمكتبتي ) .

(٢) ابن خلكان ج ٣ ص ٥٤ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٦ .

إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة  
وقد رأينا الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي ، وقد هجا رجال القصر وعرض  
بالعز بن بالله ، وسرى كيف كان المصريون يهجون النصارى واليهود ممن كان إليهم  
بعض الدواوين في العصر الفاطمي ، فالفاطيون بالرغم من اتخاذهم الدين وسيلة  
لتوطيد سلطانهم ونفوذهم وادعائهم العصمة للأئمة . فإن بعض الشعراء لم يأبه  
بذلك ، وعرض بهذه العقائد وسخر بهؤلاء الأئمة .

### الأمير تميم بن المعز :

والآن نتحدث عن الأمير تميم الشاعر الذي ذكرناه مرارا وسنذكره مرارا  
فهو الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي وهو الشاعر الذي يقرن دائما  
بالشاعر ابن المعتز العباسي ، لما بينهما من تشابه ، فكلا الشاعرين من بيت خلافة .  
وكلا الشاعرين من شعراء البديع . وكلاهما ممن أكثر من الوصف والمجون  
وكلاهما دافع عن عقيدته وحق ذويه في الخلافة ، فهما متشابهان في أمور كثيرة  
جعلت مؤرخي الأدب العربي يقرنون بينهما دائما .

ولد الأمير تميم بالمغرب وفيها نشأ مع إخوته عبد الله ونزار وعقيل ، وكان  
تميم أكبرهم سناً ، فلم يشك الناس في أن ولاية العهد ستكون له ، ولكن المعز  
لدين الله صرفها عنه إلى أخيه عبد الله ، ولعل السبب الذي من أجله صرف تميم  
عن إمامة الفاطميين هو ما عرف عن تميم من مجون وجور ، فكان يشاع عنه  
وعن سيرته السيئة ما حدا بأمر صقلية أحمد بن الحسن الكلبي أن يستأذن  
المعز في أن يقتل أحد أبنائه لأنه كان يساير الأمير تميماً ويشاركه في لهوه وفسقه  
ويحدثنا صاحب سيرة الأستاذ جوذر أن المعز أرسل إلى أمير صقلية رد خطابه  
وفي هذا الخطاب ألم المعز وغضبه لما عرف عن تميم من فسق وجور (١) . ولما

(١) نص ما ورد في سيرة جوذر ص ١٧٥ وما بعدها ( نسخة خطية بمكتبتي ) .

ولما وصل أحمد بن الحسن من صقلية . وكان واجدا على ولده طاهر لصحبته مع الأمير تميم  
وما شنع من القول عنهما فأراد قتل ولده طاهراً هذا إلا أنه استأمر الأستاذ ( أي جوذر )  
على ذلك وشاوره فيه ، فلم يجد الأستاذ بدا من أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ( أي المعز )  
فصرف إليه الجواب وهو :

« يا جوذر كثر الله من أوليائنا مثل أحمد فوالله ما كان يشينه عندنا ويصوره بغير صورته ،  
لإبعض أتباعه الذين زبنوا لهذا الصبي الشقي ولده صحبة من كان سبب شقوته . ووالله إن توجعنا =



فتحت مصر انتقل الأمير تميم إليها مع أبيه وباقي أسرته ، وفي مصر توفي عبد الله  
( ولى العهد ) لجعل المعز ولاية عهده إلى ابنه الثالث نزار الذى لقب بالعزيز ،  
ولعل هذا هو السر فيما نراه من حزن دفين ظهر فى شعر الأمير تميم إذ كان يمدح  
أخاه الصغير العزيز بالله ، ولمكسبه لم يستطع أن يخفى ما فى نفسه من آلام وشعور  
بِحقيق وغيظ ، كان يحاول إظهار تجلده وصبره ، ولكن عاطفته فى الشعر هى عاطفة  
القائظ الحاقد ، فهو يقول مثلا من قصيدة فى مدح العزيز :

تهون على صغار الأمور      ويصغر عني جميع الورى  
أنا ابن المعز سليل العلى      وصنو العزيز إمام الهدى  
وما احتجت قط إلى ناصر      ولا رحت يوما ضعيف القوى  
ولم أستشر فى مالم يشوب      مشيرا أرى منه ما لا أرى  
ولست بوان إذا ما أمر      زمان ، ولا فرح إن حلا (١)

فهذه الأبيات تظهر فيها قوة الفخر بنفسه وبنسبته للأئمة الفاطميين وعدم  
مبالاة بصروف الدهر ، ولكن يستشف منها دخيلة نفس الشاعر تلك النفس  
الناقمة الحاقدة ، ويقول يفتخر أيضا :

ليس من ساد عن وراثة جد      أو لحظ من الحظوظ مباح  
يستحق الثنا ويستوجب الشكر      ويحوى مدائح المداح  
إنما السيد المعلى المفسدى      من علا للعلى صدور الرماح  
ورى ليل كل خطب بهم      بذكاء أضوا من المصباح

تنبه كتنوحنا بمن لنا ، لكن ابن أحمد رضى فيها يستقل من الزمان ، ومدبرنا نحن لا يرضى  
إذ كان الخطبة التى يرفع الله عز وجل بها أولادنا هى خطبة الطهارة . ومن عدوها كان كلاء على مولاها .  
والحمد لله على ما ساء وسر ، فأما ما أراد أن يفعله أحمد بولده فأنعه وتشفع له عنده ، وعرفه  
أن الصواب إصلاح كل فاسد من غير ظاهر شناعة بل حقه طارها وبيتى ذكرها مع الأيام فما يخفى عليه  
أن ذلك يبقى فى الأعقاب فليسك ويميل ما يصلح فيها يستقبله فكونه بين أيدنا يصلح فساد كل فاسد  
كان يسعى به بينهما ونحن ندأوى عليهم ، فن أطاعنا لم يشق ، والله لقد تكس الله رءوس كل  
من كان انتصب للشمانة بهم ، لما رأوه من فضلنا عليهم وانفاقه ، وكذا نحب أن يكونوا ما  
بقوا فى نمو وزيادة ، لافى النفس ورجوع القهقري فعرفه ذلك ليعمل به ، ولا يحدث فى  
الصبى شيئا من المسكروه إن شاء الله .

(١) ديوان الأمير تميم نسخة خطية بمكتبتى .

واقنتى العز بالظبا والعوالى واشترى الحمد بالثنا والسباح  
فكذا تنمى المكارم والمجد ويستبعد العدو الملاحي  
لا كمن قد جرى برجل سواه وسما طائرا بغير جناح  
لا ألفت العلى ولا ألفتى إن توسمت دونها بوشاح  
أو ترففت أو تشاغللت عنها بأباطيل قينة أو براح  
لا ولا ايض لى سنى المجد إن لم أستجد غسله بنزف الجراح  
والأقى العداة عنه بعزم علوى يفل حد الصفاح  
ويبطش يفرى الجمجم والأعناق فرى المدى لحوم الأضاحى  
نا فرد النهى ورب المعالى وحسام الكفاح يوم الكفاح  
نا مفتاح قفل كل نوال يوم يغدو الندى بلا مفتاح  
أنا كالجد فى الأمور إذا ما كان عيشى فيهن مثل المزاح  
لا كراض من العلا بادعاء وبعرض مجرح مستباح  
فلس المجد عن صباحى ولىلى ومقيلى وغدوقى ورواحى  
هل يسر العلا مقاتلى وفعلى وارتياحى لكسبها واقتراحى  
ها كها كالصهيل فى حلبة الفخر إذا كان غيرها كالنباح (١)

ويخيل إلى أن بعض الوشاة سعوا بينه وبين أخيه العزيز مما جعل العزيز  
يغضب على الشاعر ، وجعل الشاعر يتنصل من وشاية الواشين ، فأخذ الشاعر  
يتلس الأعذار ، ويقدم الاعتذار ، ويذكر الإمام بأنهما شقيقان . وأن على  
الإمام ألا يستمع إلى أمثال هؤلاء الوشاة . فأكثر قصائد المدح التى فى الديوان  
تحدثت عن هؤلاء الذين يسعون بالفساد بين الملك الصغير وأخيه الأمير الكبير .  
ومن شعر الديوان نستطيع أن نعرف أن الأمير نفي مرة إلى عين شمس ، ونفي  
مرة أخرى إلى الرملة بفلسطين ، فكان يرسل إلى إخوانه وأصدقائه مقطوعات  
من الشعر يبثهم فيها شوقه إليهم ، ويشكو غربته التى اضطر إليها اضطرارا . فقد  
أنشد فى عين شمس :

أما كنى الحب شوق موجع وأسى مبرح يقطع الأحشاء والكبداء

(١) ديوان الأمير تميم .

حتى رمى البين بالتفريق ألفتنا  
فآه من لوعة مشبوبة وجوى  
قالت وعبرتها مخلوطة بدم  
لا تطلب النطق منى بالسلام فما  
فظلت ملتثما من سخن وجنتها  
وطاويبا في الحشى منها رسيس هوى

وأشد وهو في الرملة وأرسل بها إلى بعض أهله في القاهرة :

أنتم في المنام حلبي وأنتم  
كل عضو منى إليكم مشوق  
لم أفارقكم ولكن جسمي  
فهنيئا لكم وفانى عليكم  
كلما حشنى اشتياقي إليكم  
قلت لبيك أنت نعم المنادى

وكان الأمير تميم في مصر يشارك المصريين لهوهم ويخرج إلى متنزهاتها ،  
ويعبث في أديرتها ، وأنشد في ذلك كله شعرا — سنتحدث عنه في فصل آخر من  
هذا الكتاب — وشعره إن دل على شيء ، فانما يدل على رقة شعوره ، ورقة  
العاطفة وصدقها . وتوفى هذا الشاعر سنة ٣٧٤ هـ .

## الفصل الثالث

### الشعر والوزراء

كان العزيز بالله أول خليفة فاطمي اتخذ له وزيراً ، وكان الوزير يعقوب ابن كلس أول وزير في الدولة الفاطمية ففي رمضان سنة ثمان وستين وثلاثمائة لقبه العزيز بالوزير الأجل ، وأمر ألا يخاطبه أحد ولا يكاتبه إلا بهذا اللقب ، فعظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطرز وفي الكتب (١) ، فكان هذا المركز الخطير الذي شغله ابن كلس في هذه الدولة الفتية إذ ذلك من الأسباب التي جعلت الشعراء يسعون إليه وينشدون الشعر في مدحه ، وقد رأينا من قبل كيف كان ابن كلس أحد العلماء المبرزين ، وكيف كان يلقى علوم الدعوة وغيرها على الناس ، وكيف كان يؤم مجلسه عدد من القضاة والفقهاء والشعراء ورجال الدولة يستمعون إلى دروسه ، ويتناقشون بين يديه ، أضف إلى ذلك كله أنه كان كريم اليد ، يعطي ويحزل العطاء ، فلا غرو أن كان الشعراء يلتفون حوله ويكثر من مدحه . مدحه أبو الرقعمق وعبد الله بن محمد بن أبي الجوع ، والأمير تميم بن المعز وكثير غيرهم من شعراء عصره الذين فقد شعرهم وضاعت أسماءهم مع ما ضاع من الأدب الفاطمي ، وقد ذكرنا أن الشعراء الذين رثوه بلغوا مائة شاعر ، فمن هم هؤلاء الشعراء ؟ وأين شعرهم ؟ الجواب عن ذلك أولاً : عند رجال الدولة الأيوبية الذين عملوا على محو كل أثر علمي أو أدبي للفاطميين لخلاف مذهب الدولتين ، وثانياً : عند المؤرخين والكتّاب من أهل المشرق الذين كانوا يدينون بالطاعة للعباسيين فأبوا أن يرووا شيئاً من شعراء مصر الفاطمية ، وثالثاً : عند الأتراك الذين دان لهم العالم الإسلامي مدة طويلة فأطاحوا بحضارتين من أرق الحضارات التي شاهدها العالم وشاهدها تاريخ الفكر البشري وهما الحضارة البيزنطية والحضارة الإسلامية ولم يستطع الأتراك أن يقيموا حضارة أخرى تقوم مقام

(١) خطط المغربي ج ٣ ص ٨ وصبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٣ .

هاتين الحضارتين ، وكان الأتراك شديدي التعصب المذهب السني فأنزلوا نعمتهم على كل ما هو شيعي ، أضف إلى ذلك كله المجاعات الكثيرة والاضطرابات العديدة التي سببت محنا عديدة لمصر ووصفها المقرئ في كتابه وإغاثة الأمة بكشف الغمة ، فقد كانت من أشد العوامل في ضياع كتب كثيرة من كتب علماء الفاطميين ودواوين شعر شعرائهم ، وهكذا تضاعفت قوى عديدة لإبادة العلوم والآداب في العصر الفاطمي ، حتى إن الذي بقي من هذا كله أصبح ضئيلا نافها بالنسبة لما كان في عهدهم الزاهر . فقد بقي لنا جزء من قصيدة لأنبي الرقعمق في مدح ابن كلس وهي :

لم يدع للعزير في سائر الأرز	ض عدوا إلا وأخذ ناره
فلهدا اجتباه دون سواه	واصفاه لنفسه واختاره
لم تشيد له الوزارة مجدا	لا ولا قيل رفعت مقداره
بل كساها وقد تخرمها الدهر	جلالا وبهجة ونضاره
كل يوم له على نوب الدهر	وكر الخطوب بالبذل غارة
ذو يد شأنها الفرار من البخ	ل وفي حومة الوغى كزاره
هي فلت عن العزيز عداه	بالعطايا وكثرت أنصاره
هكذا كل فاضل يده تسمى	وتضحى نفاعه ضاراه
فاستجره فليس يأمن إلا	من تقيا بظله واستجاره
فاذا ما رأته مطرقا يع	مل فيما يريد أفكاره
لم يدع بالذكاء والذهن شيئا	في ضمير الغيوب إلامارة
لا ولا موضعا من الأرض إلا	كان بالرأى مدركا أقطاره
زاده الله بسطة وكفاه	خوفه من زمانه وحذاره (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يمدح الوزير ، ولكنه كان يذكر الإمام الفاطمي كلما وسعه فنه ومواهبه في الشعر فهو لم يستطيع أن يغفل الإمام من قصائده ، وذلك لقوة الإمام والخلافة الفاطمية إذ ذلك والوزير نفسه لم يكن ليصدر أمرا قبل أن يطالع الإمام به ويستأذنه فيه . وعرف الشعراء ذلك فكانوا يتقربون

(١) بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٣٩

لوزير حتى يتقربوا به للإمام ، فمدح الوزير كان وسيلة لغايتهم وهي الاتصال بالإمام ، هكذا كان أمر الشعراء مع جميع الوزراء في القسم الأول من العصر الفاطمي ، وهو القسم الذي كان الأئمة فيه يسيرون مرافق البلاد ، ويختارون الوزراء لمساعدتهم في تنفيذ ما كانوا يصدرونه من أحكام وقوانين ، وكان أكثر وزراء ذلك العهد من رجال القلم أمثال الجرجاني واليازوري وابن المغربي والبايلي وغيرهم من الكتاب . ليس معنى ذلك أن الشعراء أفنوا أنفسهم في الوزراء وفي مدحهم فمن الشعراء من هجا الوزراء كالذي رأيناه من هجاء ابن كلثوم وهجاء أبو محمد القاسم الرسي بقوله .

توق معز الدين شؤم ابن كلثوم ولا تقبلن منه مقال مدلس

فإننا أردناه لكافور شربة فزاد على تقريرنا ألف مجلس (١)

وكذلك روى أن الشاعر جاسوس الفلك هجا الوزير علي بن أحمد الجرجاني وزير الظاهر لاعزاز دين الله ، وكان هذا الوزير أقطع الديدن بسبب خيانة ظهرت عليه أيام الحاكم ، فلما ولي الوزارة استعمل العفاف والأمانة ولكن ذلك لم يمنع الشاعر من أن يقول فيه :

يا أحقما لسمع وقل ودع الرفاعة والتحامق

أأقت نفسك في الثقات ، وهبك فيما قلت صادق

فمن الأمانة والتقى قطعت يداك من المرافق (٢)

وقال الشاعر الحسن بن خاقان في هجاء الوزير الفلاحى وزير المستنصر .

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومد يد نحو العلا متكلف

فلو كان هذا من وراء كفاية عذرنا ولكن من وراء تخلف (٣)

ونحن نعلم أن الفلاحى كان يهوديا وأسلم ، وأن أبا سعد التستري مدبر

الدور إذ ذاك كان يهوديا ولذلك قال أحد الشعراء :

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالمهم وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

بأهل مصر إني نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك (٤)

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣٦٧ .

(١) البتية ج ١ ص ٣٣٠

(٣) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٣ . (٤) المصدر نفسه

ولكن بعد أن ضعفت الخلافة الفاطمية في عهد المستنصر ، وحلت بالبلاد نكبة الشدة العظمى ، اضطر المستنصر إلى أن يستعين برجال السيف وأن يتخذ منهم وزراء له ، وأول هؤلاء الوزراء السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو نجم بدر الجمالى ، تولى هذه المراتب سنة ٤٦٦ هـ ولكنه لم يلبس خلعة الوزارة إلا سنة ٤٦٨ هـ . وصار صاحب الكلمة النافذة في البلاد التي كانت خاضعة للفاطميين ، وأصبح الإمام الفاطمى شبه أسير في يدى الوزير ، وظل بدر الجمالى في منصبه إلى أن توفى سنة ٤٨٧ هـ قبل المستنصر الفاطمى بأشهر ، فتولى الوزارة بعده ابنه القاسم شاهنشاه الأفضل . وفى عهده بلغت قوة الوزارة وسلطانها أعلى الذرى حتى إنه بعد وفاة المستنصر سنة ٤٨٧ هـ لم يعبأ بعقيدة من أهم عقائد الفاطميين في الإمامة ؛ وهى النص على من يلى الإمامة ، إذ الإمام لا بد أن ينص قبل وفاته على خليفته ، وأن يبلغ ذلك إلى حجته وحجج الجزائر ، ولكن الأفضل بن بدر الجمالى أتى أن يجعل الإمامة إلى صاحب النص وهو نزار بن المستنصر وجعلها إلى المستعلى بالله وهو ابن أخته وكان صغير السن ، وبذلك انقسمت الدعوة إلى فرعيها النزارية والمستعلية ، وكان هذا الانقسام من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة الفاطمية ، والخلافة الفاطمية ، وأضعفت هيبة الإمام بين الناس وشك في إمامته بعض الأتباع والأشباع ، ومهما يكن من شيء فقد أصبحت الوزارة هى القوة المحركة للبلاد كلها فاتجه الشعراء إلى الوزراء يمدحونهم ويأخذون هباتهم وصلاتهم ، وتشبه الوزراء فى بذخهم بالأئمة فأسرفوا فى كل ما يجلب لهم الشهرة والسرور معا ، وأحاطوا أنفسهم بهالة من أبهة الملك وألقابه ، واتخذوا لأنفسهم حاشية هى أشبه شئ بحاشية الملوك والسلاطين ، وعقدوا مجالس للشعراء على نحو ما كان يفعله خلفاء بنى العباس والأئمة الفاطميون إبان قوتهم وسلطانهم ، فانتقل أكثر الشعراء من مدح الأئمة إلى مدح الوزراء . وكان من الوزراء من ينشد الشعر ، فالأفضل بن بدر الجمالى كان شاعرا ، ومن شعره قوله فى غلامه تاج المعالى :

أفضيب يميس أم هو قد      وشقيق يلوح أم هو خد  
أنا مثل الهلال سقما عليه      وهو كالهدر حين وافاه سعد (١)

(١) أخبار مصر لابن ميسر ص ٦٠ .

ومن قوله أيضا في جارية له أمر بضرب عنقها لأنه رآها تتطلع إلى الطريق ،  
وكان شديد الغيرة على نسائه ، فلما جرى له برأسها قال :

نظرت إليها وهي تنظر ظلها      فنزعت نفسي عن شريك مقارب  
أغار على أعطافها من ثيابها      حذاراً ومن مسك لها في الذوائب  
ولى غيرة لو كان للبدر مثلها      لما كان يرضى باجتماع الكواكب (١)

فهذه الآيات التي بقيت لنا من شعر الأفضل تدل على رقة شعور وقدرة  
على التعبير عما يخالج النفس من عاطفة شديدة .

وكان الملك الصالح طلائع بن رزك جيد الشعر ، وكان يثيب على شعر الشعراء (٢)  
وكان شاور وولده الكامل وضرغام يمن ينشدون الشعر - وسنتحدث عنهم  
جميعاً بعد قليل - فهؤلاء الوزراء الشعراء استطاعوا أن يكونوا لأنفسهم حاشية  
من الشعراء هي أشبه بحاشية الأئمة الفاطميين إبان سلطنتهم الفعلية ، فكل الشعراء  
من مصريين ووافدين اتصلوا بهم ومدحهم .

فمن وفد على مصر الشاعر علقمة بن عبد الرزاق العليمي ، وفد على بدر  
الجمالي ، ويقول علقمة : قصدت بدر الجمالي فرأيت أشراف الناس وكبراهم  
وشعراءهم على بابها قد طال مقامهم ، فلم يصلوا إليه ، فبينما أنا كذلك إذ خرج بدر  
يريد الصيد فخرجت في أثره وأقمت معه حتى رجع من صيده ، فلما قاربني وقفت  
على تل من الرمل ، وأومأت برقعة في يدي ، وأنشدت :

نحن التجار وهذه أعلقتنا      در ، وجود يمينك المبتاع  
قلت فتشها بسمعك إنها      هي جوهر تختاره الأسماع  
كسدت علينا بالشمم وكلنا      قل التفاق تعطل الصناع  
فأتاك يحملها إليك تجارها      ومطيا الآمال والأطعام  
حتى أناخوها ببابك والرجا      من دونك الثار والبياع  
فوهبت ما لم يعطه في دهره      هرم ولا كعب ولا القعقاع  
وسبقت هذا الناس في طلب العلا      والناس بعدك كلهم أتباع  
يابدر أقسم لو بك اعتصم الورى      ولجو إليك جميعهم ما ضاعوا (٣)

(١) ابن ميسر من ٦٠ (٢) التكت من ٥٥ (٣) ابن ميسر من ٣٠



## الأفضل وشعراؤه

ويعد عهد الأفضل بن بدر الجمالي من أزهى العصور الأدبية التي شاهدها مصر الإسلامية ، فقد اتصل به عدد كبير من الشعراء ، نذكر منهم مسعود الدولة وأبا علي حسن بن زيد ، والقاضي ابن النضر المعروف بالأديب ، والناجي المصري ، وسالم بن مفرج بن أبي حصينة ، ومحمود بن ناصر الإسكندراني ، ومروان بن عثمان اللسكي ، وابن البرقي ، وظافر الحداد ، وأميه بن أبي الصلت ، وغيرهم من شعراء الخريفة . ومن الشعراء الذين ذكرهم أميه في رسالته الموسومة «بالرسالة المصرية» . وقد ذكرنا كيف كان الأفضل يجزل العطاء للشعراء ، ويجلس إليهم يستمع إلى أشعارهم وروايتهم للشعر ، ولعل «الرسالة المصرية» من أقوم الكتب التي تعطينا صورة صحيحة عن تلك الحياة الأدبية التي كانت بمصر في عهد الأفضل ، ومؤلف هذه الرسالة هو أميه بن أبي الصلت .

### أميه بن أبي الصلت ورسالته المصرية :

لم يكن أميه بن عبد العزيز بن أبي الصلت مصريا ، إنما هو أندلسي وفد على مصر في عهد الأمر بأحكام الله ، وأستطاع أميه أن يتصل بالأفضل ، وكان سبب هذه الصلة هو الأمير مختار تاج المعالي - وكان في منزلة قريبة جداً من الوزير - فاتصل به أميه مادحا وقربه الأمير مختار وكان أميه يخدمه أيضا بصناعتي الطب والنجوم ، فأنس به تاج المعالي كما آنس منه العلم والفضل ، وكان جمهور المثقفين من المصريين قد التفوا حول أميه يأخذون عنه العلم والآداب ، فقدمه تاج المعالي إلى الوزير وأثنى عليه ، وذكر للوزير ما سمعه من أعيان العلماء وإجماعهم على تقدمه وتميزه عن كتاب وقته ، واشتدت صلة أميه بالوزير ، ولكن الحساد من الكتاب المقربين للوزير أبوا أن تستمر علاقة أميه بالأفضل ، فأخذوا يتحينون الفرص للإيقاع بأميه حتى واطتهم الفرصة ، ذلك أن الوزير قلب ظهر المجن لتاج المعالي واعتقله ، فوجد الكتاب السبيل للنيل من أميه فوشوا به لدى الأفضل فحبسه بالإسكندرية مدة ثلاث سنين وشهر ، إلى أن شفّع فيه بعض وجوه المصريين ، فأطلق سراحه وسار إلى المغرب واتصل بالمرتضى أبي طاهر يحيى بن تميم

صاحب القيروان وحظي عنده وحسن حاله إلى أن توفي بالمهيدية سنة ٥٣٩هـ (١). استطاع أمية أثناء إقامته بمصر أن يدرس مصر والمصريين ، وأن يعرف أحوالهم وطبقاتهم وطبائعهم ، وأن يتحدث عن ذلك كله في الرسالة التي عرفت « بالرسالة المصرية » ، وصف فيها مصر جغرافيا ، وعرض لبعض المدن المصرية ، وتحدث عن النيل ومنابعه وزيادته ونقصانه ، وروى شيئا مما قيل في النيل من شعر ، وما أنشد في مهرجان الخليج مما قاله القدماء ومعاصروه ، فنستطيع أن نعد هذه الرسالة القيمة من الكتب القليلة الممتعة التي وصلتنا عن هذه العصر ، كما أنها مجموعة لأشعار بعض من اتصل بهم أمية في مصر أو من حفظ لهم شيئا من الشعر من المصريين . أضف إلى ذلك كله أن أمية ذكر في هذه الرسالة بعض علماء أهل مصر في ذلك الوقت ، ولا سيما من كانوا يتعاطون صناعتي الطب والتنجيم ، يقول أمية عن المصريين : والمصريون أكثر الناس استعمالا لأحكام النجوم وتصديقا لها وتعويلا عليها وشغفا بها وسكونا إليها ، حتى إنه بلغ من زيادة أمرهم في ذلك إلى أنه لا يتحرك حركة من حركاتهم الجزئية التي لا تحصر فنونها ولا تحصل أجزاءها وأحواؤها ولا تضبط جهاتها ولا تقيد غاياتها ولا تعدد ضرورها إلا في طوابع مختارونها (٢) . ويقول عن أطباء مصر في ذلك العصر : « وأكثر أطباؤها المزبرقين نصارى أو يهود » ، وفي ذلك يقول بعضهم :

أقول للسلمين طرا تبغون في طبها اشتهارا  
هيات حاولتم محالا كونوا إذن هودا، اونصارى (٣)

ونحدثنا عن بعض الشعراء الذين كانوا يعيدون عن الحضرة فقال عن القاضي على أبي الحسن بن النضر : المعروف بين أهالي الصعيد الأعلى بالأديب ، ذو الأدب الجم ، والعلم الواسع ، والفضل البارع ، وله في سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولى ، وقد كان ورد الفسطاط يلتمس من وزيرها الأفضل تصرفا وخدمة ، تخاب فيه أمله ، وضاع رجأؤه ، فقال يعاتب الزمان :

(١) راجع ترجمته في عيون الأنباء ج ٢ ص ٥٢ ومجمع الأدباء ج ٢ ص ٣٦١ وابن خلدون

ج ١ ص ٨٠ .

(٢) الرسالة المصرية نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية (٣) المصدر السابق .

بين التعزز والتذلل مسلك  
فاسلكه في كل المواطن واجتنب  
ولقد جلبت من البضائع خيرها  
ورجوت خفض العيش تحت ظلاله  
ظنا شيئا باليقين ولم أقل  
ولعائبي بالحرص قول بين  
ما ارتدت إلا خير مرتاد ولم  
وإذا أتى الرزق القضاء على امرئ  
ولعمرو عادية الخطوب وإن رمت  
بادى المنار لعين كل موفق  
كبر الآنى وذلة الممتلق  
لأجل مختار وأكرم متقى  
لا بد أن نفقت وإن لم تنفق  
إن الزمان بما سقاني مشرق  
لو كنت شمت سحابة لم تطرق  
أصل الرجاء بجبل غير الأوثق  
لم نغن فيه حيلة المسترزق  
حظي بسهم تشتت وتفرق (١)

ويذكر شعراء آخرين من أهل الصعيد مثل أبي شرف الدر جرجاوى المنسوب  
إلى قرية دجرجا بالصعيد ، والشاعر أبي الحسن علي بن البرقي من أهل قوص  
وغيرهما ، فالسيرة المصرية مرآة صادقة للحياة الأدبية في مصر في أوائل القرن  
السادس للهجرة .

كان أمية أستاذاً لبعض المصريين ، وذكر ياقوت أن من تلاميذ أمية الذين  
تلقوا عنه العلم ورووا شعره أبو عبد الله الشامي الذي ظل مخلصاً لأستاذه ، وكان  
يتردد عليه إبان تكبته وسجنه ، وينقل ياقوت عن أبي عبد الله الشامي : وكنت  
أختلف إليه إذ ذاك فدخلت إليه يوماً فصادفته مطرقاً . فلم يرفع رأسه إليّ على  
العادة ، فسألته فلم يرد الجواب ، ثم قال بعد ساعة : اكتب . وأنشدني :

وكان لي سبب قد كنت أحسبني      أحظي به ، فإذا داني هو السبب  
فما مقل أظفاري سوى قلبى      ولا كتاب أعدائي سوى كتبى

فكُتبت عنه رسالته فقال : إن فلانا تليدنى قد طعن فيّ عند الأمير  
الأفضل (٢) . ويروى ياقوت أيضاً أن الشيخ سليمان بن الفياض الإسكندراني كان ممن  
أخذ العلم عن أمية وروى عنه (٣) ، وكان لأمية عدد من الأصدقاء في طليعتهم ظافر الحداد  
الشاعر الذي صادقه بالإسكندرية وحزن لسفره وبعده عن مصر ، فأرسل إليه  
قصيدة يشكو فراق الصديقين ويذكر أمية بالأيام التي قضياها معا ، والقصيدة هي :

(١) الرسالة المصرية (٢) ياقوت ج ٢ ص ٣٦١ (٣) ياقوت ج ٢ ص ٣٦٥

ألا هل لداني من فراقك إفراق  
فياشمس فضل غربت ، ولضوئها  
سقى العهد عهدا منك عمر عهده  
يجدده ذكر يطيب كما شددت  
لك الخلق الجزل الرفيع طرازه  
لقد ضاء لثني يا أبا الصلت مذنات  
إذا عزني إطفأؤها بمدامعي  
سحائب يحدوها زفير يحمره  
وقد كان لي كثر من الصبر واسع  
وسيف إذا جردت بعض غراره  
إلى أن أبان البين أن غراره  
أخى ، سيدي ، مولاي . دعوة من صفا  
لئن بعدت ما بيننا شقة النوى  
وييد إذا كلفتها العيس قصرت  
فعندي لك الود الملازم مثل ما  
ألا هل لأبامى بك الغر عودة  
ليالى يدنيننا جواب أعادنا  
وما بيننا من حسن لمظك روضة  
حديث ، حديث كما طال ، موجز  
يزجيه بحر من علومك زاهر  
معان كأطواد الشواخ جزلة  
به حكم مستنبطات غرائب  
فلو عاش رسطا ليس كان له بها  
فيا واحد الفضل الذي العلم قوته  
لئن قصرت كتيبي فلا غرو إنه  
كنتت وآفات البحار تردها  
بحار بأحكام الرياح فإنها

هو السم لكن في لقائك تريق  
على كل قطر بالمشارك إشراق  
بقلبي عهد لا يضيع وميثاق  
وربما كنتها من الأيك أوراق  
وأكثر أخلاق الخليفة إخلق  
ديارك عن داري هموم وأشواق  
جرت ولها ما بين جفني إحراق  
خلال التراق والزائب تشهاق  
فلي منه في صعب النوائب إنفاق  
لجيش خطوب صدها منه إرهاق  
غرور ، وأن الكنز فقر وإملاق  
وليس له من رق ودك إعناق  
ومطر د طامى الغوارب خفاق  
طلأخ أنضاهها زميل وإعناق  
يلازم أعناق الخائم أطواق  
كهمدي ، وثغر الثغر أشنب براق  
من القرب كالصنوين ضمهما ساق  
بها حسدت منا المسامع أحداق  
مفيد إلى قلب المحدث سباق  
له كل بحر فائز اللج رقرق  
تضمنها عذب من اللفظ غيداق  
لأبكارها الغر الفلاسف عشاق  
غرام وقلب دائم الفكر تواق  
وأهلوه مشتاق يشم وذواق  
لعائق عذر والمقادير أوهاق  
فإن لم يكن رد على فإغراق  
مفاتيح في أبوابهن وأغلاق

ومن لى ان أحظى إليك بنظرة فيسكن مقلق ويرقا مهراق<sup>(١)</sup>  
فهذه القصيدة التي بعث بها ظافر الحداد إلى صديقه أمية بن أبي الصلت إن  
دلت على شيء فانما تدل على مبلغ ما كان يكنه ظافر لصديقه من وفاء وإخلاص  
وود ، وما كان عليه أمية من علم وفضل ، وما كان عليه الصديقان من  
صفاء ووفاء .

أما علاقة أمية بالوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، فيقول القفطى : « ودخل  
مصر في أيام أفضلها فلم ينل منها إفضالا ، وقصده للنيل فلم يجد لديه منوالا<sup>(٢)</sup> ؛  
ولكنني أشك في قول القفطى . وأزعم أن الأفضل قرب أمية إليه . وأجزل له  
العطاء . فأشعار أمية في الأفضل أكبر دليل على أن الشاعر كان يميل إلى الأفضل ،  
وكان الأفضل يجزل له النوال . فمن شعر أمية في الأفضل قصيدته التي أنشدها  
يذكر تجريده العساكر إلى الشام لمحاربة الصليبيين بعد انهزام عسكره في الموضوع  
المعروف بالبصرة ، وكان قد اتفق في أثناء ذلك أن قوما من الأجناد وغيرهم  
أرادوا الفتك بالأفضل ، فوقع على خبرهم ، وقبض عليهم وقتلهم ، والقصيدة هي :

هي العزائم من أنصارها القدر	وهي الكتائب من أشياها الظفر
جردت للدين والأسياف مغمدة	سيفا تفل به الأحداث والغير
وقمت إذ قعد الأملاك كلهم	تذب عنه وتحميه وتنتصر
بالبيض تسقط فوق البيض أنجمها	والسمر تحت ظلال النقع تشجر
بيض إذا خطبت بالنصر السنها	فمن منابرها الأكياد والقصر
وذبل من رماح الخط مشرعة	في طولهن لأعمار العدى قصر
يغشى بها غمرات الموت أسدشرى	من الكاة إذا ما استنجدوا بتدروا
مستلثمين إذا سلوا سيوفهم	شبهتها خليجا مرت بها غدر
قوم تطول ببيض الهند أذرعهم	فما يضر ظباها أنها بتر
إذا انتضوها وذبل النقع فوقهم	كالشمس طالعة والليل معتكر
ترتاح أنفسهم نحو الوغى طربا	كأنما الدم راح والظبا زهر
وإن هم نكصوا يوما فلا عجب	قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر

(١) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٥٤ (طبعة مصر ١٨٨٢ م) .

(٢) أخبار المسكاه ص ٥٧ (الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٦ هـ) .

عقبى النجاح ووعده الله ينتظر  
بما يسرك ساعات لها آخر  
لك الحجول من الأيام والغرر  
والخيل تردى ونار الحرب تستعر  
هى الدخان وأطراف القنا شرر  
كصفحة البكر أدى خدها الخفر  
ولا يصدك لا جن ولا خور  
سيان عندك قل القوم أو كثروا  
هى الشجاعة إلا أنها غرر  
سواك كهف ولا ركن ولا وزر  
أن المنى خطرات بعضها خطر  
لو كان سدد منه الفسك والنظر  
وسط العرين ظباء الرب العفر  
كوقفة العير لاورد ولا صدر  
إن السيوف لأهل البغي تدخر  
عن الجرائر تعفو حين تقدر  
وفى الذنوب ذنوب ليس تغتفر  
وما لمن سوى هام العدى ثمر  
إلا بحيث ترى الهامات تنتثر  
وأنت أدرى بما تأتى وما تذر  
كل البلاد إلى سقياه تقفر  
والواهب الألف إلا أنها بدر  
فكيف تطمع فى غاياته البشر  
كالدهر يوجد فيه النفع والضرر  
من قبله يهب الدنيا ويعتذر  
إذا تجلى سناها أعندق المطر  
به الليالى وقر البدو والحضر

العود أحمد والأيام ضامنة  
وربما ساءت الأقدار ثم جرت  
الله زان بك الأيام من ملك  
لله بأسك والألباب طائشة  
وللعجاج على صم القنا ظلل  
إذ يرجع السيف يبدى خده علما  
وإذ تسد مسد السيف منفردا  
أما هولك ما لا قيت من عدد  
هى السباحة إلا أنها سرف  
الله فى الدين والدنيا فالهما  
ورام كبدك أقوام وما علموا  
هيات أين من العيوق طالبه  
إن الأسود لتأبى أن يروعا  
أمر نوره ولو هموا به وقفوا  
فاضرب بسيفك من ناواك منتقا  
ما كل حين ترى الأملاك صاحبة  
ومن ذوى البغي من لا يستهان به  
إن الرماح غصون يستظل بها  
وليس يصبح شمل الملك منتظما  
والرأى رأيك فى أنت فاعله  
أضحى شهنشا غيتا للندى غدقا  
الطاعن الألف إلا أنها نسق  
ملك تبوأ فوق النجم مقعده  
يرجى نداءه ويخشى عند سطوته  
ولا سمعت ولا حدثت عن أحد  
ولا بصرت بشمس قبل غرته  
يا أيها الملك السامى ابتهجت

جاءتك من كلم الخاكي مبهرة      تطوى ليهجتها الأبراد والحبر  
هي الآلىء إلا أن ناظمها      طى الضمير ومن غواصها الفكر  
تبقى وتذهب أشعار ملفقة      أولى بقائلها من قولها الحصر  
ولم أطلها لأنى جد معترف      بأن كل مطيل فيه مختصر  
بقيت للدين والدنيا ولا عدمت      أجياد تلك المعالى هذه الدرر<sup>(١)</sup>  
ويذكر المؤرخون أن أمية أرسل وهو فى سجنه بقصيدتين إلى الأفضل  
يمدحه بهما . الأولى لامية مطلعها :

الشمس دونك فى المحل      والطيب ذكرك بل أجل  
والثانية بائية مطلعها :

نسخت غرائب مدحك التشيبيا      وكفى بها غزلا لنا ونسبيا<sup>(٢)</sup>  
وفى هاتين القصيدتين يتحدث الشاعر عن أيامه مع الأفضل ، وأيادى الأفضل  
عليه ، ومدائح أمية فيه ، ويعتذر إليه من أقوال الوشاة والحاسدين الذين أغروا  
الوزير به حتى سجنه من غير جرم ارتكبه ، فمثل هذه الأبيات التى أنشدها أمية  
فى الاعتذار عن وشاية الواشين ، تدل على أن صلة الوزير بالشاعر كانت صلة  
قوية ، وأن الشاعر كان مقربا للوزير تحسده الناس ، وأن الشاعر مدح الوزير  
فأعطاه الوزير صلوات ، ومع ذلك نرى القفطى يدعى أن الوزير لم يعط الشاعر  
شيئا ، ويخيل إلى أن القفطى اتهم الأفضل بذلك لأنه حبس الشاعر مدة طويلة .  
ومهما يكن من شئ فقد مكث أمية عدة سنوات فى مصر ، اتصل فيها بالحياة  
المصرية . وشارك المصريين فى أعيادهم وحفلاتهم . وأنشد فى ذلك شعرا  
حفظ بعضه وضاع أكثره . فما حفظ من ذلك قوله فى النيل من قصيدة كتبها  
إلى الأفضل ليلة المهرجان :

أبدعت للناس منظرا عجيبا      لازلت تحي السرور والطربا  
ألفت بين الضدين مقتدرا      فن رأى الماء خالط اللهبيا !!  
كأنما النيل والشموع به      أفق سماء تألفت شهبيا  
قد كان من فضة فصار سما      وتحسب النار فوقه ذهبيا<sup>(٣)</sup>

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) الرسالة المصرية .

(٣) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٥٢ .

وخرج إلى المنتزهات المصرية كما كان يفعل غيره من أهل مصر عامة والشعراء خاصة، ووصف بعضها بالثر والشعر، فن ذلك قوله في بركة الحبش :  
 واتفق أن خرجنا في مثل هذا الزمان إلى بركة الحبش ، فافترشنا من زهرها  
 أحسن بساط ، واستظلنا من دوحها بأوفى رواق ، وطلعت علينا من زجاجات  
 الأقداح شمس في خلع البدور ، ونجوم بالصفاء تنور ، إلى أن جرى ذهب  
 الأصيل على لجين الماء ، ونشبت نار الشفق بفحمة الظباء ، فقال في ذلك بعضنا  
 (ويقصد نفسه) :

والأفق بين الضياء والغيش	لله يومى ببركة الحبش
كصارم في يمين مرتعش	والليل تحت الرياح مضطرب
فنحن من نسجها على فرش	قد نسجتها يد الغمام لنا
ديج بالنور عطفها ووشى	ونحن في روضة مفوفة
من سورة الهم غير منتعش	فعاطى الراح إن تاركها
فهن أشقى لشدة العطش	واسقنى بالكبار مترعة
دعاه داعى الصبا فلم يطش (١)	فأنقل الناس كلهم رجل

وبالرغم من هذه الآيات التي تدل على أن أمية نعم في مصر بطبيعتها وهوها،  
 وقدره المصريون لعلمه وأدبه ، فخطى بصداقة عدد كبير منهم ، فإنه خرج من  
 مصر غاضبا يهجو مصر والمصريين، شأنه في ذلك شأن دعبل الخزاعي ، وأبي تمام  
 والمتنبي وغيرهم من ذوى الأطماع التي لا تقف عند حد ، فهؤلاء الشعراء وفدوا  
 على مصر لقصد النوال والعطاء من أمراء مصر، فأعرق هؤلاء عليهم ما وسعهم ،  
 ولكن هؤلاء الشعراء لا يعرفون إلا العطاء السخي ، وويل لمصر والمصريين  
 إذا لم يصلوا إلى مطامعهم ، فها هو ذا أمية يهجو المصريين جميعا بقوله :

وكم تمنيت أن ألقى بها أحدا يسلى من الهم أو يعدى على النوب  
 فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا كانت مواعيدهم كالآل في الكذب (٢)  
 نعم هكذا زعم أمية ، كما زعم دعبل وأبو تمام والمتنبي من قبل ، فصر  
 التي أكرمت هؤلاء الشعراء فدحوها هي مصر التي هجوها بعد أن رحلوا عنها .

(١) الرسالة المصرية ، وخطاط المقرئ ج ٢ ص ١٥٥ ومعجم الأدباء .

(٢) الفقهى ص ٥٧



أبو علي الأنصاري :

قلنا إن عددا كبيرا من شعراء مصر اتصل بالافضل بن بدر الجمالي ، وأنشدت القصائد الكثيرة في مدحه في الأعياد والمواسم ، فمن هؤلاء الشعراء أبو علي حسن ابن زيد الأنصاري الذي أثنى عليه القاضي الفاضل بقوله : « إنه في فنه لم يسمح الدهر بمثله <sup>(١)</sup> » ، ويقول عنه صاحب الخريدة : وله قصيدة في مدح أفضلهم يصف خيمة الفرع ، يدل إحسانه فيها على أن بجره طامى اللجج ، ودره ناي البهج ، واقتبس منها قوله :

مجدد فقد قصرت عن شأوك الأمم	وأبدت العجز منها هذه المهعم
أخيمة ما نصبت الآن أم فلك	ويقظة ما تراه منك أم حلم ؟
ما كان يخطر في الأفكار قبلك أن	تسمو علوا على أفق السها الخيم
حتى أتيت بها شماء شاهقة	في مارن الدهر من تيه بها شيم
إن الدليل على تكوينها فلدا	أن احتوتك وأنت الناس كلهم
يد من في بلاد الصين ناظره	حتى ليبصر علما أنها علم
ترى الكناس وأرام الأطباء بها	أضحت تجاورها الآساد والأجم
والطير قد لزمت فيها مواضعها	لما تحققن منها أنها حرم
لديك جيش ، وجيش في جوانبها	مصور ، وكلا الجيشين مزدحم
إذا الصبا حركتها ماج موكبها	فقدم منهم فيها ومنهزم
أخيلها خيلك اللاتي تغير بها	فليس تنزع عنها الحزم واللحم
علت أبطالها أن يقدموا أبدا	فكلهم لغمار الحرب مقتحم
آمنتهم أن يخافوا سطوة لردى	فقد تسامت الأسياف والقمم
كأنها جنة ، فالقاطنون بها	لا يستطيل على أعمارهم هرم
علت نخلنا لها سرا تحذته	للفرقدين وفي سمعهم صمم
إن أنبت أرضها زهرا فلا عجب	وقد همت فوقها من كفك الديم
يا خيمة الفرع الميمون طائرها	أصبحت فألا به تستبشر الأمم
ومنها يقول في مدح الأفضل :	
ما قال لاقط مذشدت تمامه	وكم له نعم في طيبها نعم

(١) الخريدة ص ١١١ .

لو كنت شاهد شعري حين أنظمه      إذن رأيت المعالي فيك تختصم  
أزرتك اليوم من فكري بحبرة      في ناظر الشمس من لآلائها سقم  
تري النجوم للفظي فيك حاسدة      تود لو أنها في المدح تنتظم  
ولكن هذا الشاعر النابه ، والكاتب المتقدم في ديوان المكاتبات ، لقي حتفه بسبب حسد الشعراء له ، ذلك أن ابن قادوس الشاعر أنشد بيتين في هجاء حسن ابن الحافظ ونسبهما إلى ابن زبيد الأنصاري ودسهما في رقاعه ثم سمى به إلى ابن الحافظ ، فلما وجد حسن بن الحافظ البيتين بين رقاع الأنصاري أمر بقتله ، ولم يشفع له جودة شعره التي بلغ بها درجة رفيعة بين الشعراء ، ولا طول خدمته في ديوان المكاتبات ، فإن هذه الآيات التي رويناها له في وصف الخيمة ومدح الأفضل إن دلت على شيء. وإنما تدل على أن للشاعر خيالا مخلصا ومقدرة مطاوعة للقرين مع حسن ديباجة .

كان الشعراء في ذلك الوقت يتجهون بمدائحهم إلى الوزراء ، والويل كل الويل للشاعر الذي لا يجعل شعر مدحه لهم ، فهو يبعد ولا يلتفت إليه ، مهما ارتفع شعره وأجاد الشاعر ، وهذا ما حدث مع الشاعر المعروف بابن مكنسة أبي طاهر إسماعيل بن محمد ، فقد انقطع هذا الشاعر إلى مدح عامل من النصارى يعرف بأبي ملبح ، وأكثر أشعاره فيه ، ولما توفي هذا العامل رثاه الشاعر بقوله :

طويت سماء المسكرات      وكورت شمس المديح  
ماذا أرجى في حياتي      بعد موت أبي ملبح  
ما كان بالنكس الدني      من الرجال ولا الشحيح  
كفر النصارى بعد ما      عقدوا به دين المسيح

فلسا ولي الأفضل الوزارة أراد هذا الشاعر أن يتقرب إليه ويتصل به ، ولكن الأفضل لم ينس شعر ابن مكنسة في أبي ملبح ، فلم يقبل مدائحهم ، حتى ينس الشاعر فأرسل إلى الوزير يقول :

مثلي بمصر وانت ملك      يقال ذا شاعر فقير  
عطاؤك الشمس ليس يخفي      وإنما حظي الضير

وبالرغم من أن هذا الشاعر كان من القلائل الذين مدحهم أمية بن أبي الصلت

في رسالته المصرية وأثنى عليه بقوله: « ومن شعرائها المشهورين أبو طاهر إسماعيل ابن محمد المعروف بابن مكنسة ، شاعر كثير التصرف ، قليل التكلف ، يفتن في نوعي جد القريرض وهزله ، وضارب بسهم في رقيقه وجزله » (١) ، فمع ذلك كله لم يوفق إلى أن ينال حظوة عند الأفضل ، فظل بعيدا عن شعراء الوزارة .

ولعل ابن مكنسة كان أحسن حظا من الشاعر علي بن عباد الإسكندري ، فقد كان هذا الشاعر منقطعا لمدح الوزير أبي علي بن الأفضل عند ما كان هذا الوزير مستبداً بالبلاد وبالخليفة ، بل حبس الخليفة الحافظ ، حتى بلغ استبداده حدا لا يطاق ، واستطاع الحافظ أن يتمكن منه وأن يقتله في الميدان ، وتتبع كل من كانوا على صلة بهذا الوزير الطاغية فقتلهم ومنهم هذا الشاعر ، ويروى العماد أن هذا الشاعر مدح ابن الأفضل بقصيدة مطلعها: « تبسم الدهر لكن بعد تعبيس ، وعرض فيها بالخلفاء الفاطميين ولا سيما في قوله :

وقد أعاد إليه الله خاتمه فاسترجع الملك من صخر بن إبليس (٢)  
فكانت هذه القصيدة سبب مقتله ، ويقول ابن ميسران الحافظ أمر بإحضار الشاعر ، فلما امثل بين يديه قال له : أنشدني قصيدتك . فأخذ الشاعر في إنشادها حتى قال منها في بيت :

« ولا ترضوا عن أنجس المناجيس »

يعنى الحافظ وآبائه ، فأمر حينئذ أن يلكه الغلمان حتى مات بين يديه (٣) ، بل كانت هذه القصيدة سببا في قتل القاضي ابن ميسر سنة ٥٣١ هـ ، فقد روى أن القاضي عند ماسم الشاعر يشدد القصيدة بين يدي ابن الأفضل قام وألقى عرضيته طربا ، فلما قتل الوزير صرف القاضي عن عمله وقتل (٤) . وعن هذا الشاعر يقول ابن فضل الله : « علي بن عباد الإسكندري ، شاعر كان يجلو غرر المدائح ، وكانت من الوزراء تستعطف أئنة قصائده فيرد عليهم مسردها » (٥) .

وكان بين شعراء الأفضل من نغم عليه فهجاه ، ومن هؤلاء الشاعر الملقب بالناجي المصري الذي ذكره أمية في رسالته المصرية ، فقد هجا الأفضل بقوله :

(١) الرسالة المصرية . (٢) الحريرة ورقة ٩٨

(٣) ابن ميسر ص ٨١ (٤) المصدر نفسه .

(٥) مسالك الأبصار ج ١٢ ص ٢١٨٩ (مخطوط بدار الكتب المصرية) .

قل لابن بدر مقال من صدقه لا تفرحن بالوزارة الخلقه  
إن كنت قد نلتها مراخمة فهي على السكلب بعدكم صدقه  
فأمر الأفاضل بنفيه إلى الواحات فأقام بها عند علم الدولة المقرب بن ماضي<sup>(١)</sup>.

### ظافر الحداد :

على أن عصر الأفاضل لم يشاهد شاعرا مثل ظافر الحداد بالرغم من كثرة الشعراء وتفوقهم جميعا في هذا الفن ، لكن شعراء ذلك العصر كانوا على حظ من الثقافة والعلم ، وكان أكثرهم من كتاب الدواوين ، أما ظافر فكان حدادا بالإسكندرية ولم يتلق من العلوم وألوان المعرفة إلا بمقدار ، وبلغت به شاعريته إلى أن يضعه النقاد ومؤرخو الأدب في مصاف أكبر شعراء عصره ، واستطاع بشعره أن يجالس العلماء والشعراء وأن يستمع إلى حوارهم وأحاديثهم ، ويأخذ من ذلك كله ما وسعته ذاكرته فيزيد بها مداركه وثقافته ، فقد رأينا صديقا لامية بن أبي الصلت ، ويحدثنا ابن خلسكان أن الحافظ أبو طاهر السلفي وغيره من الأعيان كانوا يروون عن ظافر الحداد<sup>(٢)</sup> . واتصل ظافر برجال الدولة فأعجبوا به وبشعره ، ولا سيما أن مثل هذا الشعر صدر عن رجل من عامة الشعب في حالة متواضعة من العيش ، ويروى ابن خلسكان قصة تدل على ذلك كله ، تلك هي أن القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسين الآمدي دخل على والي الإسكندرية الأمير السعيد بن ظفر فوجده يقطر دهنا على خنصره ، فسأله القاضي عن سببه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه ، فأشار عليه القاضي بقطع حلقة الخاتم قبل أن يتفاقم الأمر فيه ، فاستدعى ظافرا الحداد فقطع الحلقة ، وأنشد بين يدي الوالي :

قصر عن أوصافك العالم وكثر النائر والناظم  
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسن الأمير الشعر ووهب لظافر الحلقة وكانت من الذهب . ويخيل إلى أن الأمير أراد أن يستوثق من شاعرية ظافر ، وأن ظافرا الحداد أدرك ما كان يجول بخاطر الأمير ، فاعتتم فرصة وجود غزال مستأنس قد ربح بين يدي

(١) الحريرة ١١٣٠ (٢) ابن خلسكان ج ١ ص ٢٤١ .

الوالى وجعل رأسه فى حجره ، فارتجل ظافر :

عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تخطى له واعتمد  
وأعجب به إذ بدأ جاثما وكيف اطمأن وأنت الأسد

فزاد الحاضرون فى الاستحسان ، وكأنى بظافر وقد طمع فى أن يعترف  
الحاضرون بسرعة بديهته وقدرته على الارتجال ، فقد التفت حوله فى قاعة المجلس ،  
فوجد شيئا كان على الباب يمنع الطير من دخولها ، فأشدد :

رأيت بيباك هذا المنيف شباكا فأدركنى بعض شك  
وفكر فيما رأى خاطرى فقلت البحار مكان الشبك (١)

فهذه القصة إن دلت على شيء فىما تدل على أن الشاعر كان على موهبة لنظم  
الشعر ، وأن شعره طبيعى لا تكلف فيه ، وأنه كان يرتجل الشعر بديهته ، مما  
جعل الناس فى عصره يحبونه ويعجبون به ، وما هو ذا العباد الأصهبانى يحدثنا عنه  
بقوله : « ظافر يحظه من الفضل ظافر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره  
بوجه الرقة والسلامة سافر ، وما أكمله لولا أنه من مداح المصرى والله له ظافر ،  
حداد لو أنصف لسمى جوهرىا ، وكان باعتزائه إلى نظم الآلىء حريا ، أهدى  
بروى شعره الروى للقلوب الصادية ربا ، فيما له ناظما فصيحيا مقلقا جريا (٢) »  
ويجمع المؤرخون على أن شعر ظافر الحداد جمع فى ديوان كبير ، ولكن هذا  
الديوان فقد ، ولم يبق من شعره إلا آيات من قصائد . من ذلك قوله :

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ما زال جيش الحب يغزو قلبه  
ما زال جيش الحب يغزو قلبه حتى وهسى وتقطعت أفلاذه  
لم يبق فيه مع الغرام بقية إلا رسيس يحتويه جذاذه  
من كان يرغب فى السلامة فليكن أبدا من الحدق المراض عياده  
لا تخدعنك بالفتور فإنه نظر يضر بقلبك استلناذه  
يا أيها الرشأ الذى من طرفه سهم إلى حب القلوب نفاذه  
در يلوح بفيك ، من نظامه خمر به قد جال من نباذه ؟  
وقناة ذاك القد كيف تقومت وسنان ذاك اللحظ ما فولاده

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٢ (٢) الحريدة ورقة (١٦٠)

رفقا بجسمك لا يذوب فينني  
هاروت يعجز عن مواقع سحره  
تالله ما عقلت محاسنك امراً  
أغربت جبك بالقلوب فأذعنت  
مالي أتيت الحظ من أبوابه  
إياك من طمع المنى فعزيره  
ومنها أيضا :

دالية ابن دريد استهوى بها  
دانوا لخرق قوله فتفرقت  
من قدر الرزق السنن لك إنما  
قوم غداة نبت به بغداده  
طمعاً بهم صرعاة أو جذاذه  
قد كان ليس بضره إنفاذه<sup>(١)</sup>

فمن هذه الآيات وغيرها مما حفظ لنا من شعر ظافر نستدل على أن شعره سهل طبيعي ليس به تكلف غيره من الشعراء الذين كانوا يصنعون الشعر صناعة ، وقد لاحظ العباد أن ظافرا الحداد كان لحنه ، واستشهد بقصيدته الزائفة الشهيرة :

حكم العيون على القلوب يجوز  
كم نظرة نالت بطرف ذابل  
لخذار من تلك اللواحظ غرة  
يا ليت شعري والاماني ضلة  
هل لي إلى زمن تصرم عهده  
وأزور من ألف البعاد ووجه  
ظني يناسب في الملاحه شخصه  
والبدر والشمس المنيرة دونه  
لولا تثنى خصره في ردفه  
تجفو غلالته عليه لطافة  
من لي بدهر كان لي بوصاله  
والعيش مخضر الجناب أنيقه  
والماء يبدو في الخليج كأنه

(١) ابن خلسكان ج ١ ص ٢٤٢ ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٢ ص ٣١ (طبعة رفاعي)

والروض في حلل النبات كأنما  
والزهري يوم ناظره كأنما  
فأقاحه ورق ، وساقط طله  
وكأنما القمري ينشد مصرعا  
وكأنما الدولاب يزمر كلما  
يارب غانية أضرب قو لها  
فأجبتها : ما عازني نيل الغنى  
ما خاب من هضم التفضل ماله  
فرشت عليه ديايح وخزوز  
ظهرت به فوق الرياض كنوز  
درر ، ونور بهاره إبريز  
من كل بيت ، والحمام يجيز  
غنت ، وأصوات الضفادع شيز  
أنى بلفظة معدم منبوز  
لكن مطالبة الحميد تعوز  
كرما ووافر عرضه محروز

فأخذ عليه العماد قوله «عازني» والصحيح «أعوزني» وأخذ عليه قوله «تعوز»  
والصحيح «تعوز» وأخذ عليه قوله «محروز» والصواب «محزن»<sup>(١)</sup>، ولكن نسي العماد  
أن الشاعر مصري ، وقد ذكرنا في كتاب أدب مصر الإسلامية صوراً من اللحن الذي  
وقع فيه كتاب مصر وشعراؤها ، وقلنا: إن المصريين لا يراعون قواعد الصرف  
والنحو مراعاة إخوانهم في البلاد الإسلامية الأخرى لهذه القواعد ؛ ونحن  
لا نستطيع أن نؤاخذ ظافراً الحداد بهذه الألفاظ التي لم يرع فيها قواعد الصرف ،  
فقد كان أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي مع معرفته إذا أنشد بيتاً من الشعر لم  
يقم بإعرابه<sup>(٢)</sup> . ومن يتتبع شعراء مصر الإسلامية حتى عصرنا الحديث فسيجد  
عدم عناية المصريين بهذه الناحية الهامة التي هي من مقومات الشعر .  
ومهما يكن من شيء فإن حياة ظافر الحداد غامضة ، لعدم وجود ما يكشف  
عنها ، وقد أجمع المؤرخون على أنه توفي سنة ٥٤٦ هـ .

### شعراء بنى رزيك حتى آخر الدولة الفاطمية

قتل الخليفة الظافر في المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، فكسب خدام  
القصر إلى طلائع بن رزيك وإلى قوص وأسوان والصعيد يخبرونه بقتل الخليفة  
ويستنجذونه على القاتل ، وأرسل نساء القصر بشعورهن إليه ، ولعب الشعر دوراً

(١) الخريدة ورقة ١٨٧ وكتاب روضة الأدب في طبقات شعراء العرب لشهاب الحجازي

ص ٧٥ (طبع بمبای بالهند) .

(٢) القهرست لابن النديم ٧٩

هاما في دعوة طلائع للأخذ بثأر الخليفة ، فقد كانت قصيدة القاضي أبي المعالي عبد العزيز بن الحباب المعروف بالجليس التي أرسلها إلى طلائع بن رزيك من أشد الرسائل التي وصلت إليه أثرا في نفسه ، فطلّاع كان شاعرا مجيدا ، ويصفه ابن خلكان بقوله : « كان فاضلا سمحا في العطاء ، سهلا في اللقاء ، محبا لأهل الفضائل ، جيد الشعر ، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين <sup>(١)</sup> ، ولذلك كان وقع القصيدة في نفسه أشد من وقع غيرها من الرسائل .

فن هذه القصيدة قول الجليس :

دعتني عن نظم القريض عوادي	وشف فؤادي شجوه المتأدي
وأرق عيني والعيون هواجع	هموم أفضت مضجعي ووسادي
بمصرع أبناء الوصي وعثرة الذئب	بي وآل «الذاريات» و«صا»
فأين بنو رزيك عنهم ونصرهم	وما لهم من منعة وذياد
أولئك أنصار الهدى وبنو الردي	وسم العدا من حاضرين وباد
لقد هد ركن الدين ليلة قتله	بخير دليل للنجاة وهاد
تدارك من الإيمان قبل دثوره	حشاشة نفس آذنت بنفاد
وقد كاد أن يطفى تألق نوره	على الحق عاد من بقية عاد
فلو عاينت عينك بالقصر يومهم	ومصرعهم لم تكن حل برفاد <sup>(٢)</sup>

جاء طلائع بن رزيك مع رجاله إلى القاهرة واستولى على الوزارة . وإذا قلنا الوزارة فيمنما نقصد أنه تولى الحكم الفعلي في البلاد ، ولذلك لقب بالملك الصالح . وقد أجمع المؤرخون الذين تحدثوا عنه على أنه كان يحب العلم والعلماء والشعر والشعراء ، وقد رأينا قول ابن خلكان فيه ، ونقل العباد عن خطبة ديوان الصالح : « فقد نشرت أيامه مطوى الهمم ، وأنشرت رفات الجود والكرم ، ونفقت بدولته سوق الآداب بعد ما كسدت ، وهبت ريح الفضل بعد ما ركدت ، إذا لها الملوك بالقيان والمعازف ، كان لهوّه بالعلوم والمعارف ، وإن عمروا أوقاتهم بالخير والقمر ، كانت أوقاته معمورة بالنهي والأمر <sup>(٣)</sup> ، ووصفه عمارة البني بقوله : « فكان مرتاضا قد شم أطراف المعارف ، وتميز عن أجلاف الملوك الذين

(٢) النجوم ج ٥ ص ٢٩٢

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٣٨ .

(٣) الحريرة ورقة ٣٢ ب



ليس عندهم إلا خشونة مجردة ، وكان شاعرا يحب الأدب وأهله ويكرم جلسيه ،  
ويبسط أنيسه (١) ، . ويروى عمارة قصة وفوده على مصر أول مرة ، وكيف  
دخل متنكرا في زي رسول من قبله على الأجل ابى الهيجاء صهر الملك الصالح ،  
وطلب إليه ان يحمل عنه مئونة السجود عند السلام على الخليفة والوزير ، فسأله  
أبو الهيجاء عن عمارة فقال له : هو فقيه وعنده طرف من الأدب ، فقال : تعنى  
شاعرا ! قال : نعم . قال : هذه نقيصة في حقه . فلما كان في اليوم التالى استدعى  
أبو الهيجاء للغداء عند الصالح ، فقال أبو الهيجاء : هندی رسول صاحب مكة ،  
وكنت أظنه عاقلا وإذا هو ناقص ؛ فقال له الصالح : وبأى شيء عرفت نقصه؟  
قال : لسكونه يحسن شيئا من هذا السحت الذى تعلمه أنت والجليلس وابن الزبير .  
قال الصالح : لعله شاعر؛ قال : نعم . قال الصالح : هاته ، هات الرجل ، ثم أنشد :  
إن الذى تكرهون منه      ذاك الذى يشتهيه قلبى (٢)

فهذه القصة إن دلت على شيء . فإنما تدل على أن الملك الصالح طلائع بن زريك  
كان مولعا بالشعر مقربا للشعراء ؛ ومن عجب أن يجتمع في بلاطه أكبر أعيان  
أهل الأدب مثل الجليلس والموفق بن الخلال وابن قادوس والمهذب بن الزبير  
والرشيد بن الزبير وغيرهم الذين وصفهم عمارة بقوله : « وما من هذه الخلبة أحد  
إلا ويضرب في الغصائل النفسانية والرياسة الإنسانية بأوفر نصيب ، وما زلت  
أحذو على طرائقهم ، وأعرض جزعى في سوابقهم ، حتى أنبتوني في جرائدكم (٣) ،  
فهؤلاء الأعلام كانوا يجتمعون في مجلس الملك الصالح يتناشدون الشعر ، ويتناظرون  
في بعض المسائل العلية والأدبية ، ويستمعون إلى شعر الملك الصالح ، وفي ذلك  
يقول صاحب النجوم الزاهرة : « وجعل له مجلسا في أكثر الليالي يحضره أهل  
الأدب ، ونظم هو شعرا ودونه ، وصار الناس يهرعون إلى نقل شعره ، وربما  
أصلحه له شاعر كان يصحبه يقال له ابن الزبير (٤) ، . ويظهر أن الملك الصالح  
كان ينشد القصيدة أو المقطوعة ، ولكنه كان يعرض ما ينشده على المهذب بن  
الزبير ، وعلى غير المهذب ممن كان يتوسم فيهم مقدرة وكفاية على تنقيف الشعر ،  
لذا يحدثنا عمارة اليمنى : « ودخلت إليه ليلة السادس عشر من رمضان سنة ست

(٢) النكت من ١٢٢ .

(٤) النجوم ج ٥ من ٣١٣ .

(١) النكت من ٤٨

(٣) النكت من ٣٥

وخسين وخمسة قبل أن يموت بثلاث ليال بعد قيامه من السباط ، ولم أكن رأيته من أول الشهر ببلية ، فأمر لي بذهب وقال : لا تبرح . ودخل ثم خرج إلى وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره عملهما في تلك الساعة ، وهما :

نحن في غفلة ونوم وللبو ت عيون يقظانة لا تنام  
قد رحلنا إلى الحمام سنينا لبت شعري متى يكون الحمام

ثم قال لي : تأملهما وأصلحهما إن كان فيهما شيء . قلت هما صالحان (١) . فالملك الصالح كان يستعين بفحول الشعر في عصره لإصلاح شعره ، وليس في ذلك ما ينقص من قدرته في الشعر ، والمؤرخون يحدثونا أن بعض فحول شعراء العرب كانوا يعرضون شعرهم على غيرهم من الشعراء ، فروان بن أبي حفصة شاعر هرون الرشيد الرسمى كان يعرض شعره على بشار بن برد ، وكان البحترى يعرض شعره على أبي تمام ، وكان أكثر الشعراء يعرضون شعرهم على الأصمعي أو غيره من اللغويين ، فإذا كان الملك الصالح طلائع بن رزيك قد استعان بالمهذب أو بعمارة أو بغيرهما من شعراء ذلك العصر لإصلاح شعره ، فإن ذلك يدلنا على أن هذا الوزير كان يعرف قيمة الشعر ، فلم يستبح لنفسه أن يعرض شعره على الناس قبل أن يتأكد من قوة هذا الشعر وصلاحه ، ولكن ياقوت ذكر في معجم الأدباء في حديثه عن ابن الزبير : «وقيل إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو عمل المهذب بن الزبير (٢) ، ولا أدري من أين استقى ياقوت هذا الخبر ، وربما أشبهه عليه الأمر ، فظن أن ابن الزبير هو صاحب الشعر الذي في ديوان ابن رزيك بدلا من أنه كان يثقف هذا الشعر ، وقد انتهت إلينا قطعة من قصيدة لابن الزبير يتحدث فيها عن شعر الملك الصالح ، منها :

ولنار فظنته تريك لشعره عذبا يروى غلة الظمآن  
وعقود در لو تجسم لفظها ما رصعت إلا على التيجان  
وتزهت عن أن يرى أفوادها لمواضع الأقراط والآذان  
من كل رائقة الجمال زهت بها بين القصائد غرة السلطان  
سيارة في الأرض لا يعتاقها في سيرها قيد من الأوزان (٣)

(٢) معجم الأدباء ج ٩ ص ٤٧ .

(١) النكت ص ٤٩

(٣) الخريدة ص ١٤١ .

فابن الزبير هنا يصف شعر الصالح بهذه الصفات ، وإن كان ابن الزبير قد  
غالى فى وصفه له ، ولكنه كان يمدح صاحب الملك . ومهما يكن من شئ . فإن  
المؤرخين أجمعوا على أن الملك الصالح كان مكثرا من قول الشعر ، حتى جمع شعره  
فى ديوان من جزأين ، ولكن الذى بقى لنا من هذه المجموعة مقطوعات صغيرة ،  
من ذلك قوله يتغزل :

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى      أعطافه النشوات من عينيه  
ماضى اللجاظ كأنما سلت يدي      سبى غداة الروح من جفنيه  
قد قلت إذ خط العذار بمسكة      فى خده ألقىه لا لاميته  
ما الشعر دب بعارضيه وإنما      أهدابه نفضت على خديه  
الناس طوع يدي وأمرى نافذ      فيهم وقلبي الآن طوع يديه  
فأعجب لسلطان يعم بعدله      ويجور سلطان القرام عليه  
والله لولا اسم الفرار وأنه      مستقبح لفررت منه إليه (١)  
ويحدثنا العماد فى الحريرة أن أبا الحسن على بن قيسر أنشد فى الملك الصالح  
قصيدته التى أولها :

لا فرق بين خياله ووصاله      فى سرد ما طله وفى تحقيقه  
والتي منها :

والله ما للشمس فى إشراقها      وضياء بهجته كبعض شروقه  
لا تجعل الهجران بعض عقوبتي      فكلف السلوان غير مطيقه  
بلغ إلى الملك الهام أمانة      تبليغها للحر من توفيقه  
حتام حظى فى الحضيض وإنه      فى الفضل عند الناس فى عيوقه  
مثلى بمصر وأنت مالك رقه      مثل العقاب مفردا فى نيقه  
ولقد أشاع الناس أنك فى الورى      من ليس ينفق باطل فى سوقه  
أبطل بنور العقل سلطان الهوى      واعمل بكل الجهد فى تطليقه  
فأجابه الصالح بقصيدة منها :

نفق التأدب عندنا فى سوقه      وبدا اليقين لنا بلمع بروقه

أهدى لي القاضي الفقيه عرائسا فيها بديع الوشى من تنميقة  
فاجلت طرفي في بديع رياضه من ورده وبهاره وشقيقه  
فكأنما اجتمع الأجابة فانبرت يد عاشق تهوى إلى معشوقه  
أدب سعى منه إلى غاياته وأنى فسد عليه مر طريقه  
ولقد علمت بأن فضلك سابق يعتد من جراه من مسبوقه  
فلذا اقتصرت ولم أر الإمعان في شأو امرى، أصبحت غير مطيقة  
وأرى الزمان جرى على عاداته في جمعه طورا وفي تفريقه  
والشوق في قلبي تضرم وهجه فتى أراه يكف عن تحريقه  
والدمع من عيني مسح، فهل يرى من بجره يوما نجاة غريقه  
نزعت في بستان نظمك ناظري فخطيت من زهر الربا بأنيقة  
أنت امرؤ من قال فيك مقالة الـ غالى فكل الخلق في تصديقه  
وأنا أرى تقديم حاجة صاحبي من دون حاجاتي أقل حقوقه  
وكذا الكريم فهمل لأموره لا مهمل أبدا أمور صديقه  
هذا النجاح فكل ما قد رمته قد عم فانظر منه في تحقيقه (١)

وهكذا نستطيع من هذه المقطوعات التي بقيت لنا من شعر الصالح أن ندرك  
ان الصالح كان من شعراء مصر الذين يهتمون بالمعاني أكثر من عنايتهم باللفظ،  
وأنة لم يكن من الشعراء الذين يكثرون من التشبيهات والاستعارات، ولكن  
التشبيهات تأتي في شعره بسيطة عادية من غير تكلف ولا تصنع، ولم يكن الصالح  
شاعراً لحسب، بل كان من علماء المذهب، ويقول المقريني: إن له قصيدة سماها  
الجوهرة في الرد على القدرية، وإنه صنف كتاباً سماه الاعتقاد في الرد على أهل  
العناد، جمع له الفقهاء وناظرهم عليه، وهو كتاب يبحث في إمامة علي بن أبي  
طالب والأحاديث النبوية التي وردت فيه (٢). وتوفي الملك الصالح سنة ٥٥٦ هـ  
وتولى الوزارة بعده ابنه الملك الناصر رزيق بن الصالح وكان شاعراً مثل أبيه،  
ناقداً للشعر عارفاً بجيده من رديئه، ويقول عمارة عنه: وأما فهمه فكان يعرف  
جيد الشعر ويستحسنه ويثيب عليه (٣).

(١) الخريدة ورقة ٦٩ ب.

(٢) خطط ج ٤ ص ٨٢.

(٣) النكت ص ٥٥.

وفي رثاء عمارة للصالح ومدح الناصر قال:

لا يقولن جاهل بالقوافي ذهب الناقد السميع البصير  
فالمرجى أبو شجاع علم بمقادير أهلن خبير (١)

ولكن عمارة أثنى عليه الشناء كله ، لأن الناصر استخدم القاضي الفاضل ، يقول عمارة : « ومن محاسن أيامه وما يؤرخ عنها ، بل هي الحسنه التي لا توازي ، واليد البيضاء التي لا تجازي ، خروج أمره إلى والي الإسكندرية بتسيير القاضي الأجل الفاضل أبي علي عبد الرحيم بن علي البيساني إلى الباب واستخدامه . (٢) فكان دقة إحساس الملك الناصر ، وتدوقه للشعر والكتابة الفنية . ومعرفته للجيد من الشعر والنثر جعلت الناصر يكتشف مواهب القاضي الفاضل الأدبية فيرفعه إلى مرتبة الخدمة في ديوان الجيش بالحضرة ، ولولا ذلك لظل القاضي الفاضل مغمورا مثل كثير من الأدباء والشعراء الذين لم تتح لهم تلك الخطوة لجهلهم الناس وغمطت مواهبهم . فلا غرو أن رأينا عمارة اليمني يرفع من شأن هذا الكشف ويعدده « الحسنه التي لا توازي واليد البيضاء التي لا تجازي ، ولو كان يعلم عمارة ما ستأتي به الأيام له ، وموقف القاضي الفاضل منه ، لجعل هذه اليد البيضاء سوداء ، وتلك الحسنه سيئة .

لم تمهل الأيام الملك الناصر إذ قتل سنة ٥٥٨ هـ . وبموته بدأت المنازعات على الوزارة بين شاور وضرغام . وأدى الأمر إلى تدخل جيوش نور الدين زنكي في أمر هذه المنازعات وإلى تدخل جيوش الصليبيين لاحتلال مصر ، ثم إلى تولية أسد الدين شيركوه ثم صلاح الدين الأيوبي الوزارة ، إلى أن استطاع صلاح الدين أن يقضى على الدولة الفاطمية في المحرم سنة ٥٦٧ هـ .

ومع هذه الاضطرابات والفتن التي كانت في مصر . لم ينس الوزراء الشعر والشعراء . فكان شاور يجلس ليستمع إلى مدائح الشعراء ، وكان ضرغام ينقد شعر الشعراء . ويذكر عمارة أنه أنشد الوزير ضرغاما قصيدة منها :

أوجبت في ذمة الأشعار والخطب دينا أبا حسن يبقى على المحب  
أيامك البيض لا تحصى ، وأفضلها يوم خصصت به في قاعة الذهب

(٢) المصدر نفسه ص ٥٣

(١) النكت ص ٥٢ .

وقيت للصالح الهادى وقد غدرت به الصنائع من ناء ومقرب  
فقال ضرغام : لو قلت ( بعدت ) كان أصلح من ( غدرت ) . قلت : إنما أردت  
مقابلة الوفاء بالغدر . قال : وعلى مقابلتك تنسبنا إلى الغدر (١) ولعل هذه  
القصة ترينا مقدار فهم ضرغام للشعر ، ونفاذ بصيرته في نقده . وفي هذه الأيام  
العجاف التي أودت بالدولة الفاطمية توفى كبار شعراء العصر . فالجليلس توفى سنة  
٥٦١ هـ وفي هذه السنة توفى المهذب بن الزبير وتوفى الرشيد بن الزبير سنة  
٥٦٢ هـ . ولم يعد الشعراء يتكسبون كما كانوا يتكسبون من قبل . فقد ذكر عمارة  
أنه أنشد شاور قصيدة مدحه بها بعد طرد الصليبيين من بلبيس إبان وزارته  
الثانية ، ومن هذه القصيدة :

أسمع بذا الفتح المبين وأبصر      واقصر عليه خطأ الهناء وأقصر  
فتح أضاء به الزمان كأنه      وجه البشير وغرة المستبشر  
فتح يذكرنا وإن لم نفسه      ما كان من فتح الوصى الحبير  
فتح تولد يسره من عسرة      طالت ، وأى ولادة لم تعسر  
حملت به الأيام إلا أنها      وضعت . تما عن ثلاثة أشهر

ويقول فيها :

تلغاه أول فارس إن أقدمت      خيل ، وأول راجل في العسكر  
هانت عليه النفس حتى إنه      باع الحياة فلم يجد من يشتري  
ضجر الحديد من الحديد وشاور      في نصر آل محمد لم يضجر  
حلف الزمان ليأتين بمثله      حنث يمينك يا زمان فكفر  
يا فاتحاً شرق البلاد وغربها      يهنيك أنك وارث الإسكندر

يقول عمارة : وكانت هذه الآيات أحد الأسباب التي قوت عزمي على  
الاستعفاء من عمل الشعر ، لأن الناس فيما تقدم كانوا يغنون الشعراء بما ليس يفوقها  
جودة . (٢) وبالفعل عندما قابل شاور بعد ذلك استعفاء عمارة من قول الشعر .  
وأمر أن ينقل الجارى على الخدمة راتباً على حكم الضيافة ، لأن التكسب بالشعر  
والتظاهر به أصبح نقيصة في حقه . فسأله شاور : فما منعك أن تستعفى في أيام الصالح

(٢) المصدر نفسه ص ٨٢ وما بعدها .

(١) النكت ص ١٤٦ .

وابنه ؟ قال عمارة : كانت لى أسوة وسلوة بالشيخ الجليل بن الحباب وبابن الزبير الرشيد والمهذب ، وقد انقراض الجيل والنظراء ، قال : تعفى ، ثم أمر بإنشاء سجل باعفائه (١) ومع ذلك لم يستطع عمارة ألا ينشد شعرا فى الحوادث التى كانت فى هذه الأيام ، ولا سيما عندما تولى صلاح الدين الأيوبي الوزارة ، فقد أنشد عدة قصائد يهنئه فيها بانتصاره على الصليبيين وينصره لآل بيت الرسول ، ويشبهه جيوش صلاح الدين بأنصار النبي (ص) فهو يقول مثلا :

لك الحسب الباقي على عقب الدهر .	بل الشرف الراقى إلى قمة النسر
كذا فليكن سعى الملوك إذا سعت	بها الهمم العليا إلى شرف الذكر
نهضتم بأعباء الوزارة نهضة	أقلتم بها الأقدام من زلة العثر
كشفتهم عن الإقليم غمته كما	كشفتهم بأنوار الغنى ظلمة الفقر
حميم من الإفريج سرب خلافة	جر يتم لها مجرى الأمان من الذعر
ولما استغاث ابن النبي بنصركم	ودائرة الأنصار أضيق من شبر
جلبتم إليه النصر أوساً وخزرجا	وما اشتقت الأنصار إلا من النصر
كثائب فى جيرون منها أواخر	وأولها بالنيل من شاطئ مصر
طلعتهم فأطلعتم كواكب نصرة	أضاءت مكان الدين ليلا بلا فجر
وآبت إليكم يابن أيوب دولة	تراسلكم فى كل يوم مع السفر
حى الله فيكم عزيمة أسدية	فككتم بها الإسلام من ربة الأسر
أخذتم على الإفريج كل ثنية	وقلتم لا يدي الخيل مرى على (مرى)
لئن نصبوا فى البر جسرا فإنكم	عبرتم ببحر من حديد على الجسر
طريق تقارعتم عليها مع العدى	ففزتم بها والصخر تفرع بالصخر
وأزججه من مصر خوف يلزه	كما لز مهزوم من الليل بالفجر
وكم وقعة عذراء لما افتضضتها	بسيفك لم تترك لغيرك من عذر
وأيديكم بالبأس كاسرة العدى	ولكنها بالجود جابرة الكسر
أبوك الذى أضحى ذخيرة مجدكم	وأنت له خير النفائس والذخر
ومن كنت معروفا له فاستفزه	بمثلك تيه فهو فى أوسع العذر

توقره وسط الندى كرامة  
وتخلفه حربا وسلسا خلافة  
وكم قتت في بأس وجود ورتبة  
ولو أنطق الله الجمادات لم تقم  
يد لا يقوم المسلمون بشكرها  
بكم آمن الرحمن أعظم يثرب  
ولورجعت مصر إلى الكفر لانطوى  
ولكن شدتتم أزره بوزارة  
فهنيتم فتحا تقدم جله  
وما بقيت في الشرك الابقية  
وعند تمام الملك آتى مهنتا  
ولولا اعتقادي أن مدحك قرية  
لما قلت شعرا بعد إعفاء خاطري  
فأوص في الأيام خيرا فانها  
وجائزتي : تسهيل إذني عليكم

وتحمل عنه ما يؤود من الورق  
تؤلف أضدادا من الماء والجمر  
بما سره في الخطب والندى والشعر  
لنعمتكم بالمستحق من الشكر  
لكم آل أوب إلى آخر الدهر  
وآمن أركان الثنية والحجر  
بساط الهدى من ساحة البر والبحر  
غدا لفظها يشق من شدة الأزر  
وبشر أن الكل يتلو على الإثر  
تتمتها في ذمة البيض والسمر  
وملتمسا أجر الكهانة والزجر  
أرجى بها نيل المثوبة والأجر  
ولى سنوات منذ آتت عن الشعر  
مصرفه بالنهى منك وبالامر  
وملماكم لى بالطلاقة والبشر (١)

ولما قتل شاور وتولى شيركوه ثم صلاح الدين الوزارة وجدنا بعض الشعراء يعرضون في أشعارهم بالوزير المقتول ، بل يهجونه أقبح هجاء ، فالشاعر حسان عرقلة - ولم يكن مصر يالإنما وقد مع صلاح الدين إلى مصر وأنشد شعرا في الحوادث التي جرت في هذه الأوقات - قال لما قتل شاور وتولى شيركوه قال :

لقد فاز بالملك العظيم خليفة  
كان ابن شاذى والصلاح وسيفه  
هو الأسد البشارى الذى جل خطبه  
بغى وطغى حتى لقد قال قائل  
فلا رحم الرحمن تربة قبره  
له شيركوه العاضدى وزير  
على لديه شبير وشبير  
وشاور كلب للرجال عقور  
على مثلها كان اللعين يدور  
ولا زال فيها منكر ونكير

(١) كتاب الروضتين ج ١ ص ١٦٣ (طبعة مصر سنة ١٢٨٧).



وقال في قصيدة أخرى :

إن أمير المؤمنين الذي مصر حماه وعلى أبوه

نص على شاور فرعونها ونص موساهما على شيركوه (١)

وما كادت تدول هذه الدولة الفاطمية حتى انبرى شعراء الأيوبيين يمدحون ملوكهم ويقدمون في الدولة الفاطمية ويرمونها بالكفر، وستحدث عن ذلك في كتابنا عن الأيوبيين، ويكفي أن نأتي الآن بمثال لهذه الأشعار، فقد قال أحد الشعراء يمدح الأيوبيين :

ألستم مزبلي دولة الكفر من بني عبيد بمصر، إن هذا هو الفضل

زنادقة سبعية باطنية مجوس وما في الصالحين لهم أصل

يسرون كفرا يظهرون تشيعا ليستروا شيئا وعمهم الجهل (٢)

وهكذا كان الأمر في الشعر لدى الوزراء. فالشعراء كانوا يتمسبون بالأحداث ليدحوا الوزراء ويتقربوا إليهم حتى دالت الدولة الفاطمية.

المهذب بن الزبير:

هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير المعروف بالقاضي المهذب، كان من أهل أسوان من أصل عربي ينتمي إلى قبيلة غسان. وكان المهذب وأخوه الرشيد من أكبر شعراء ذلك العصر، رحلا من أسوان إلى القاهرة، وما زالوا يرتقيان في مناصب الدولة حتى بلغا مرتبة القضاء وجالسا الوزراء والأمراء. أما المهذب فقد قدمه القاضي الجليل إلى الملك الصالح طلائع بن رزيق فخطب عنده وحصل له من الملك مال جهم لم ينل غير المهذب منه أحد مثله، وأوفد المهذب في سفارة من مصر إلى بلاد اليمن، وهناك أتت له فرصة جمع كتب الأنساب اتخذها مصدرا لكتاب كبير صنفه في عشرين مجلدا هو «كتاب الأنساب» اطلع باقوت الحموي على بعض أجزاء منه فوصفه بقوله وفوجدته مع تحقيقي هذا العلم، وبجئي عن كتبه، غاية في معناه لا مزيد عليه، يدل على جودة قريحته مؤلفه وكثرة اطلاعه، إلا أنه حذا فيه حذو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري وأوجز في بعض أخباره عن البلاذري، إلا أنه إذا ذكر رجلا ممن يقتضى الكتاب ذكره لا يتركه حتى

(١) الروضتين ج ١ ص ١٥٧ . (٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٢ .

يعرفه بجمده من إيراد شيء من شعره وخبره<sup>(١)</sup> لجمع ابن الزبير بين العم والشعر. وقد ذكرنا في حديثنا عن الملك الصالح أنه كان يعرض شعره على ابن الزبير لتقويمه وإصلاحه قبل عرضه على الناس، ووصف العماد شعره بقوله: «محكم الشعر كالبناء المشيد وهو أشعر من أخيه وأعرف بصناعته وإحكام معانيه... ولم يكن في زمانه أشعر منه، وله شعر كثير، ومحل في الفضائل أكثر»<sup>(٢)</sup>.

ووصف المهذب شعره مرة وهو يعرض بابن الصياد الملقب بالمفيد الشاعر:  
فيا شاعرا قد قال ألف قصيدة ولكنها عن بيته ليس تبرح  
ليهنت، لا هنت، أن قصائدي مع النجم تسرى أو مع الريح تسرح  
وقال مرة أخرى يمدح الوزير الصالح بن رزيك، وكان الوزير يغيري الشعراء  
بعضهم ببعض ويسر للاستماع إلى نقائض الشعراء وأهاجيهم:

يا أيها الملك الذي أوصافه غرر تجلت للزمان الأسفع  
لا تطمع الشعراء في فإني لوشنت لم أجبن ولم أتخضع  
إن لم أكن ملء العيون فإني بالقول بابن الصيد ملء المسمع  
فليمسكوا عني فلولا أنني أبقى على عرضي إذن لم أجزع  
وأهم من هجوى لهم مدح الذي رفع القريض إلى المحل الأرفع  
ولو أنه ناجى ضميري في السكرى طيف الخيال بريبة لم أهجع  
وإذا بدا لي الهجر لم أر شخصه وإذا يقال لي الخنالم أسمع  
والناس قد علموا بأني ليس لي مذكنت في أعراضهم من مطمع<sup>(٣)</sup>

فنحن أمام شاعر عف اللسان، محترم لنفسه بابتعاده عما يعرضه إلى هجاء زملائه، وإذا عرض لأحد الشعراء فإيما يعرض له من ناحية واحدة هي ناحية فن الشعر، فقد كان المهذب شاعرا من خول شعراء العربية. ولا أغالي إذا قلت إن مصر الإسلامية منذ دخلها العرب، ومنذ عرفت الشعر العربي، لم تنجب من أبنائها شاعرا له شاعرية المهذب وقوة شعره وحسن ديباجته، وقد وصلت إلينا عدة قصائد له تدلنا على ذلك كله، فن ذلك قصيدته التي أرسلها إلى داعي

(٢) المريدة ورقة ٣٨ أ

(١) معجم الأدباء ج ٩ ص ٤٩

(٣) المصدر نفسه ورقة ٤٣ ب

الذين عند ما قبض على أخيه الرشيد ، يمدحه ويستعطفه ، حتى أطلق سراح أخيه ،  
ففيها يقول :

ياربع أين ترى الأحبة يمموا      هل أنجدوا من بعدنا أم أنهموا  
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما      يسرى إذا جن الظلام الأنجم  
وتعوضت بالأنس روحى وحشة      لا أوحش الله المنازل منهم  
لولاهم ما قمت بين ديارهم      حيران أستاف الديار وألم  
أمنازل الأحباب أين هم وأرى      ن الصبر من بعد التفرق عنهم  
يا ساكنى البلد الحرام وإنما      فى الصدر مع شحط المزار سكنتم  
يا ليتنى فى النازلين عشية      بمنى ، وقد جمع الرفاق الموسم  
فأفوز إن غفل الرقيب بنظرة      منكم إذا لبي الحجيح وأحرموا  
إنى لأذكركم إذا ما أشرقت      شمس الضحى من نحوكم فأسلم  
لا تبعثوا لى فى النسيم تحية      إنى أغار من النسيم عليكم  
إنى امرؤ قد بعث حظى راضيا      من هذه الدنيا بحظى منكم  
فسلوت إلا عنكم وقنعت إلا      منكم وزهدت إلا فيكم  
ورأيت كل العالمين بمقالة      لو ينظر الحساد ما نظرت عموا  
ما كان بعد أخى الذى فارقت      لبيوح إلا بالشكاية لى فم  
هو ذاك لم يملك علاه «مالك»      كلا ولا وجدى عليه «متمم»  
أقوت مغانيه وعطل ربعه      ولربما هجر العرين الضيفم  
ورمت به الأهوال همة ماجد      كالسيف يمضى عزمه ويصمم  
يا راحلا بالمجد عنا والعللا      أترى يكون لكم إلينا مقدم  
يفديك قوم كنت واسط عقدهم      ما إن لهم مذ غبت شمل ينظم  
لك فى رقابهم وإن هم أنكروا      منن كأطواق الحمام وأنعم  
جهلوا فظنوا أن بعدك مغنم      لما رحلت وإنما هو مغرم  
فلقد أقر العين أن عداك قد      هلكوا بيغيهم وأنت مسلم  
لم يعصم الله ابن معصوم من الآ      فات ، واخترم اللعين الأخرم (١)

(١) الأخرم هو صاحب الدعوة الدرزية التى ظهرت أمام الحاكم ونادت بألوهيته .

واعترضت بعدهم بأكرم معشر  
فلعمر مجدك إن كرمت عليهم  
أقيال بأس خير من حملوا القنا  
متواضعون ولو ترى ناديتهم  
وكفاهم شرفا ومجدا أنهم  
هو بدر تم في سماء علام  
ملك حماه جنة لعفاته  
أتى عليك بما مننت وأنت من  
فاغفر لي التقصير فيه وعده  
مع أتى سيرت فيك شيواردا  
تعدو وهوج الذاريات رواكد  
وإذا المآثر عدت في مشهد  
وإذا تلا الراون محكم آيها  
وكفى برأى إمام عصرك ناقضا  
بدووا لك الفعل الجميل وتمموا  
إن الكريم على الكرام مكرم  
وملوك قحطان الذين هم هم  
ما استطعت من لإجلهم تسكلم  
قد أصبح الداعي المتوج منهم  
وبنو أيه بنو ربيع أنجم  
لكنه للحاسدين جهنم  
أوصاف مجدك يا مليكا أعظم  
مع ما تجود به على وتنعم  
كالدر بل أهى لدى من يفهم  
وتبيت تسرى والكواكب نوم  
فبذكرها يبدأ المقال ويختم  
صلى عليك السامعون وسلّموا  
ما أحكم الأعداء فيك وأبرموا<sup>(١)</sup>

فهذه القصيدة تدلنا على أن الشاعر المهذب بن الزبير كان من الشعراء الذين أعادوا إلينا ذكرى الشعر العربي الرصين وإشراق ديابجته ، وأنه كان من الشعراء الذين لم يخذعوا بهرج اللفظ ، ولم تهرم زينتته ، حقيقة قد لم ببعض مقابلات بديعية ولكنه لم يسرف فيها إسراف غيره من الشعراء الذين أعجبوا بالصنعة البديعية ، فأفراطوا فيها إفراطا جعلهم يخرجون الشعر عن طبيعته وسلامته ، وأخلوا بالمعنى في سبيل اللفظ ؛ ولناخذ مثلا آخر من قصيدة لهذا الشاعر في مدح الملك الصالح طلائع بن رزيك ، نستدل بها على أن فن الشاعر قريب من فن شعراء غول الأمويين والعباسيين :

أقصر فديتك عن لومي وعن عدلى  
من كل طرف مريض الجفن تشدنا  
إن كان فيه لنا ، وهو السقيم ، شفا  
« فر بما صحت الأجسام بالعلل ،  
« الحاظه » رب رام من بني نعل ،  
« أو لا ، نخذلى أمانا من يد القتل

إن الذي في جفون البيض إذ نظرت  
كذلك لم يشبهه في القول لفظهما  
وقد وقفت على الأطلال أحسبها  
أبكي على الرسم في رسم الديار فهل  
وكل ييضاء لومست أناملها  
تغني من الدر والياقوت لبستها  
بالخد مني آثار الدموع كما  
كان في سيف سيف الدين عن خجل  
هو الحسام الذي يسمو بحامله  
إذا بدا عاريا من غمده خلعت  
وإن تقلد بحرا من أنامله  
من السيوف التي لاحت بوارقها  
ومنها :

أفارس المسلمين اسمع فلا سمعت  
مقال ناء غريب الدار قد عدم الأ  
يشكو مصائب أيام قد اتسعت  
يرجوك في دفعها بعد الإله وقد  
فما تخاف الردى نفس، وكم رضيت  
إني امرؤ قد قتلت الدهر معرفة  
إن يرو ماء الصبا عودى فقد عجمت  
تجاوزت في مدى الأشياخ تجربتي  
وأول العسر خير من أواخره  
دونى الذى ظن أنى دونه فله  
والبدر يعظم فى الأبصار صورته  
ما ضر شعرى أنى ماسبقت إلا  
فإن مدحى لسيف الدين تاه به

أعداك غير صليل البيض فى القفل  
نصار لولاك لم ينطق ولم يقل  
فضاق منها عليه أوسع السبل  
يرجى الجليل لدفع الحادث الجلل  
بالعجز خوف الردى نفس فلم تبيل  
فما أبيت عل بأس ولا أمل  
منى طروق الليالى عود مكتهل  
قدما وما جاوزت بي سن مقتبل  
وأن ضوء الضحى من ظلمة الأصل  
تعاضم لينال المجد بالجبل  
ظنا ويصغر فى الأفهام عن زحل  
أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل  
زهوا على مدح سيف الدولة البطل (١)

ولعلك تلاحظ في هذه القصيدة كيف ضمن الشاعر في البيت الثاني إشارة  
أمرى القيس إلى بني نعل وقول امرى القيس:

رب رام من بني نعل مخرج كفيه من ستره

وكيف ضمن ابن الزبير في البيت الثالث عجز بيت المثنى من قوله:

لعل عتبك محمود عواقبه فرما سحت الأجسام بالعلل

والشاعر في هذه القصيدة ، بل في كل قصائده التي وصلت إلينا من ديوانه الذي  
فقد ، يظهر شاعرية تحول الشعراء ، تلك الشاعرية الطبيعية التي يصدر عنها  
هذا الشعر الجزل الرصين الذي لا نجد له مثيلاً بين شعر مصر الفاطمية ، ولعل  
ذلك يرجع الى أن المهذب بن الزبير لم ينشأ في القاهرة أو الفسطاط ، ولكنه  
نشأ في أسوان ، وتطبع هناك بالبيئة التي أحاطت به ، فهي محافظة أكثر من بيئة  
القاهرة ، وهي إلى البداوة أقرب ، لبعدها أولاً عن بقية بلاد القطر ، ولبيئتها  
الجغرافية التي جعلت منها بلداً يتميز بجو خاص ، وتربة هي مزيج من أقسام  
صحراوية وأخرى صخرية وثالثة خصبة ، فالذين يعيشون في هذا البلد أو ينشأون  
فيه يمتازون بأنهم أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضرة ، فلعل هذا هو السبب  
في أن نرى شعر المهذب وشعر أخيه الرشيد رصينا جزلاً لا نجد فيه طراوة  
شعر أهل القاهرة والفسطاط ، ولانعومة شعر الأمير تميم أو إبراهيم الرسي  
أو حيدرة العقيلي ، ولا شعبية شعر ظافر الحداد .

أصيب هذا الشاعر في أواخر أيامه إبان وزارة شاور بمحنة كان بريئاً منها  
فقد حبسه شاور ظلماً بسبب اتصال أخيه الرشيد بصلاح الدين يوسف بن أيوب إبان  
حصار الاسكندرية ، فأخذ المهذب يستعطف شاور ، ويرسل إليه الأشعار في مدح  
ابنه الكامل بن شاور ، فن ذلك قوله :

إذا أحرقت في القلب موضع سكنها	فن ذا الذي من بعد يكرم مثواها
وإن نرفت ماء العيون بهجرها	فن أي عين تأمل العيس سقياها
وما الدمع يوم البين إلا لآلئ	على الرسم في رسم الديار ثرناها
وما أطلع الزهر الربيع وإنما	رأى الدمع أجياد الغصون فخلاها
ولما أبان البين سر صدورنا	وأمكن فيها الأعين النجل مرماها

عددنا دموع العين لما تحدرت      دروعا من الصبر الجميل نزعناها  
ولما وقفنا للوداع وترجمت      لعيني عما في الضمائر عينها  
بدت صورة في هيكل فلواتنا      ندين بأديان النصرى عبدناها  
وما طربا صفنا القريض وإنما      جلا اليوم مرآة القرائح مرآها  
ليالى كانت في ظلام شببتي      سراى وفى ليل الذوائب مسراها  
تأرجح أرواح الصبا كلما سرى      بأنفاس ربا آخر الليل رباها  
ومهما أدركنا الكأس باتت جفونها      من الراح تسقيننا الذى قد سقينها

ومنها :

ولولم يجد يوم الندى في يمينه      لسائله غير الشبيبة أعطاها  
فيا ملك الدنيا وسائس أهلها      سياسة من قاس الأمور وقاسها  
ومن كلف الأيام ضد طباعها      فعابن أهوال الخطوب فعانها  
عسى نظرة تجلو بقلبي وناظرى      صداه فينى دائما أتصداها (١)

فأطلقته هذه الأشعار من سجنه ، واصطنعه الكامل بن شاور لنفسه .

وكان المهذب مثل أخيه الرشيد يذم الزمان ، ويتألم لاختلاق الناس حوله ،  
فهم سواسية في اللؤم . وكان يتطلع إلى المجد ، فهو يفخر بنفسه ، ويفخر بشعره ،  
فهو يقول في إحدى قصائده :

تشابه الناس في خلق وخلق      تشابه الناس والأصنام في الصور  
ولم أبت قط من خلق على ثقة      إلا وأصبحت من عقلي على غرور  
لا تحددنى بمرئى ومستمع      فما أصدق لا سمعى ولا بصرى  
وكيف آمن غيرى عند نائبة      يوما إذا كنت من نفسى على حذر  
تأنى المكارم والمجد المؤئل لى      من أن أقيم وآمالى على سقر  
إنى لأشهر فى أهل الفصاحة من      شمس وأسير فى الآفاق من قر  
وسوف أرمى بنفسى كل مهلكة      تسرى بها الشهب إن سارت على خطر  
إما العلا وإليها منهى أملى      أو الردى فيليه منتهى البشر (٢)

(١) معجم الأدباء ج ٩ ص ٦١ .

(٢) المريدة ٤٩ ب .

ويقول مرة أخرى :

ومن نكد الأيام أنى كما ترى      أكابد عيشا مثل دهري أنكدا  
أمنت عداق ثم خفت أحبتي      لقد صدقوا إن الثقات هم العدا (١)  
وقد توفي هذا الشاعر سنة ٥٦١ هـ .

القاضي الرشيد بن الزبير :

أما ثاني المهذبين الأخوين الشعارين فهو أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير  
الفساني ، وكان الرشيد أعلم من أخيه ، وأخوه أشعر منه ، فقد ضرب الرشيد  
بسم وافر في الفقه واللغة والنحو والتاريخ والمنطق والهندسة والطب والموسيقى  
والنجوم ، كما كان جيد النثر ، وله تصانيف منها : كتاب « منية الأملعي » ، وبلغه  
المدعى ، وكتاب المقامات . ولعل أشهر تصانيفه هو كتاب « جنان الجنان » ،  
وروضة الأذهان ، الذي تحدث فيه عن شعراء مصر ومن طرأ عليها ، وجعله  
ذبيلا على يتيمة الدهر للثعالي ، وهو الكتاب الذي أخذ عنه العماد الأصفهاني  
أكثر مادة القسم الخاص بمصر من كتابه الحريدة . وللرشيد عدة كتب أخرى  
منها كتاب « الهدايا والطرف » ، وكتاب « شفاء الغلة في سمت القبلة » ، وبمجموعة  
رسائله ، وديوان شعره ، فهو على هذا النحو عالم شاعر أفاد المصريين وغيرهم ،  
ويحدثنا العماد أن محمد بن عيسى اليميني أخذ عن الرشيد باليمن علم الهندسة (٢) ،  
ولكن الرشيد عرف بالشعر . أكثر مما عرف بهذه العلوم ، حتى قيل إن سبب  
تقدمه في الدولة أنه جاء القاهرة بعد مقتل الخليفة الظافر ، وحضر المأتم مع  
الشعراء ، فقام آخرهم وأنشد قصيدته التي مطلعها :

ما للرياض تميل سكرًا      هل أسقيت بالمزن خمرا

إلى أن وصل إلى قوله :

أفكر بلاء بالعراق      وكر بلاء بمصر أخرى

فضج القصر بالبكاء ، وانثالت عليه العطايا ، ومن ثم بدأت صلته بالقصر  
والوزراء ، ثم أوفد مبعوثا إلى اليمن ، ولا ندرى الأمر الذي من أجله أوفد  
إليها ، وإن كان صاحب كتاب الفترات والقراءات يشير إلى أن الرشيد لم يكن

(٢) الحريدة ٣٦ ا .

(١) الحريدة ٤٩ ب .



رشيداً في بعثته ، ولعل هذه إشارة إلى ما روى أن الرشيد قد قضاه اليمن ولقب  
هناك بقاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن ، وأنه مكث هناك عامين ، فقيل إنه  
مدح الأمير علي بن حاتم الهمداني بقصيدة منها :

لقد أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا      فلست أنال القحط في أرض قحطان  
وقد كفلت لي مآرب بمآربي      فلست على أسوان يوماً بأسوان  
وإن جهلت حتى زعانف خندف      فقد عرفت فضلي غطارف همدان

لخسده داعي عدن وكتب بهذه الآيات إلى مصر ، فكانت هذه الآيات  
سبباً في غضب أولى الأمر بمصر عليه ، كما غضب أولو الأمر بعدن ، فأخذ الرشيد  
وحبس ثم صفح عنه . وقيل بل إن السبب غير ذلك ، وذلك أن نفسه سمت إلى  
مرتبة الخلافة في اليمن فسعى فيها ، وأجابه قوم وسلم عليه بها ، وضربت له السكة  
فنقش على وجهه « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، وعلى الوجه الآخر : « الإمام  
الأمجد أبو الحسن أحمد » فقبض عليه وأرسل إلى مصر مكبلاً ، ثم أفرج عنه .  
ولعل الرواية الأولى أصح من الثانية ، فإن الرشيد وقد علمنا ما كان عليه من علم  
وعقل لا يبلغ به الأمر إلى أن يدعى الإمامة في الوقت الذي أنكرت فيه إمامة الحافظ  
والفائز والظافر والعاقد ، ودعى فيه للإمام المستور ولقائم القيامة ، ثم إن  
مركز الدعوة للإمام المستور انتقل من مصر إلى اليمن منذ مقتل الأمر بأحكام  
الله ، فكيف يدعى الرشيد الإمامة في اليمن ، وجميعهم يعرفون شروط الإمامة  
وأهمها أن يكون الإمام من نسل النبي ، وأن يكون الإمام قبله قد نص عليه ،  
ولعل القائم بأمر مصر في ذلك الوقت لم يكونوا من الغباء والبله لدرجة العفو  
عن مثل هذا الرجل الدعي ، ولا سيما في إبان حكم الملك الصالح طلائع بن رزيق  
وقد عرفناه من أشد وزراء ذلك العصر تعصبا للذهب والإمامة ، لهذا كله  
أرى أن الرشيد إنما أمسك وسجن بسبب حقد داعي عدن عليه . وقد رأينا  
قصيدة أخيه المهذب التي أرسل بها إلى داعي اليمن حينما قبض على الرشيد : فلم  
نجد في هذه القصيدة إشارة إلى ادعاء الرشيد الخلافة ، وقد علم الرشيد بأمر هذه  
القصيدة ، فأجاب أخاه بقصيدة هي :

ياربع ، أين ترى الأجنة يمموا      رحلوا ، فلا خلت المنازل منهم  
وسروا ، وقد كتموا الغداة مسيرهم      وضيء نور الشمس بما لا يكتم

وتبدلوا أرض العقيق من الحمي  
نزّلوا العذيب ، وإنما في مهجتي  
ما ضرهم ، لو ودعوا من أودعوا  
هم في الحشا إن أعرقوا أو أشاموا  
وهم مجال الفعكر من قلبي وإن  
أحبابنا ، ما كان أعظم هجركم  
غبتم فلا والله ما طرق السكرى  
وزعتم أني صبور بعدكم  
وإذا سئلت بمن أهيئ صباية  
النازلين بمهجتي وبمقلتي  
لا ذنب لي في البعد أعرفه سوى  
فأقت حين ظعتم وعدلت لما جرتم  
يا محرقا قلبي بنار صدودهم  
أسعرتم فيه لهيب صباية  
يا ساكني أرض العذيب سقيتم  
بعدت منازلكم وشط مزاركم  
لا لوم للأحباب فيما قد جنوا  
أحباب قلبي أعرهوه بذكركم  
واستخبروا ريح الصبا تخبركم  
كم تظلمونا قادرين ، وما لنا  
ورحلتم ، وبعثتم ، وظلمتم  
هيئات لا أسلوكم أبداً وهل  
وأنا الذي واصلت حين قطعتم  
جار الزمان على لما جرتم  
وغدوت بعد فراقكم وكأني  
ونزلت مقهور الفؤاد بيلدة  
في معشر خلقوا شخوص بهائم

روت جفوني أي أرض يمموا  
نزّلوا ، وفي قلب المتيم خيموا  
نار الغرام ، وسلوا من أسلوا  
أو أيمنوا أو أنجدوا أو أنهموا  
بعد المزار فصفو عيشي معهم  
عندي ، ولكن التفرق أعظم  
جفني ولكن سح بعدكم الدم  
هيئات لا لقيتم ما قلتم  
قلت : الذين هم الذين هم هم  
وسط السويداء والسواد الأكرم  
أني حفظت العهد لما ختمت  
لما جرتم وسهدت لما نتمت  
رفقا ففيه نار شوق تضرم  
لا تنظني إلا بقرب منكم  
دمعي إذا صن الغمام المرزم  
وعهودكم محفوظة منذ غبتم  
حكمتهم في مهجتي فتحكموا  
فلطالما حفظ الوداد المسلم  
عن بعض ما يلقى الفؤاد المغرم  
جرم ولا سبب ، لمن نظلم  
ونأيتم ، وقطعتم ، وهجرتم  
يسلو عن البيت الحرام المحرم  
وحفظت أسباب الهوى إذ ختمت  
ظلمنا ، ومال الدهر لما ملتم  
هدف يمر بجانيه الأسهم  
قل الصديق بها وقل الدرهم  
يصدأ بها فسكر اللبيب ويبهم

إن كورمو لم يكرموا ، أو علموا ، لم يعلموا ، أو خوطبوا لم يفهموا  
لا تنفق الآداب عندهم ولا الإحسان يعرف في كثير منهم  
صم عن المعروف حتى يسمعوا هجر الكلام فيقدموا ويقدموا  
فإنه يغني عنهم ، ويزيد في زهدى لهم ، ويفك أسرى منهم (١)  
فهذه القصيدة التي أجاب بها عن قصيدة أخيه ، والتي قالها الرشيد وهو أسير  
في اليمن ، تؤيد ما ذهبنا إليه من أن قصة دعوته الإمامة لنفسه إنما هي قصة  
موضوعية ، فالرشيد لم يشر إليها ولم يعتذر عنها ، وإنما يتحدث عن أعدائه الذين  
لم يقدرُوا شعره ، فلم تنفق الآداب عندهم ، ولم يقدرُوا إحسانه إليهم ، فهم  
صم عن المعروف ، وهم ، شخوص بهائم . فالرشيد لم يكن بالرجل الذي يطلب  
الإمامة لنفسه ، ثم يقول مثل هذا القول .

كان الرشيد كما وصفه ياقوت : على جلالة وفضله ومزائه من العلم والنسب  
قبيح المنظر أسود الجلد جهم الوجه سمج الحلقة ذا شفة غليظة وأنف مبسوط  
كحلقة الزوج قصيرا (٢) فكان ذلك سببا في تهكم شعراء مصر به ، فقد قيل : إن  
الرشيد ولي على المطبخ ، فقال الشريف الأخفش يخاطب الملك الصالح بن رزيك :

يولى على الشيء أشكاله فيصبح هذا لهذا أعا

أقام على المطبخ ابن الزبير فولى على المطبخ المطبخا (٣)

وما يروى في ذلك أنه اجتمع ليلة عند الملك الصالح هو وجماعة من الشعراء  
والفضلاء ، فألقى الصالح مسألة في اللغة فلم يجب عنها بالصواب سوى الرشيد ؛  
فأعجب به الصالح ؛ فقال الرشيد : ما سئلت قط عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فيها .  
فارتجل الشاعر ابن قادوس :

إن قلت : من نار خلقت ، وفقت كل الناس فهما

قلنا : صدقت ، فما الذي أطفأك حتى صرت نحا

وهجاه ابن قادوس مرة أخرى بقوله :

ياشبه لقمان بلا حكمة وخاسرا في العلم لا راسخا

سلخت أشعار الورى كلها فصرت تدعى الأسود السالخا

(١) معجم الأدباء ج ٤ ص ٦٢ .

(٢) الحريفة .

(٣) معجم الأدباء ج ٤ ص ٥٨ .

وتروى عنه قصة هي أشبه بقصة الجاحظ مع المرأة التي أرادت نقش صورة  
الشیطان على الخاتم. ولعل سواده ودمامته وقصره كانت من الأسباب التي جعلته  
يكثر من ذم الدهر والناس ، وأن يظهر في شعره سمة حزن لعدم وفاء الإخوان  
وغدرهم به ، فقد أنشد وهو في السجن :

لئن خاب ظني في رحابك بعد ما ظننت بأني قد ظفرت بمنصف  
فإنك قد قلدتني كل منة ملسكت بها شكري لدى كل موقف  
لأنك حذرتني كل صاحب وأعلتني أن ليس في الأرض من يني (١)  
وأنشد مرة أخرى وهو في مصر :

تواصى على ظلي الأنام بأسرهم وأظلم من لاقيت أهلي وجيراني  
اكل امرئ شيطان جن يكيد به بسوء ولى دون الورى ألف شيطان (٢)  
اتصل الرشيد بن الزبير بآل رزيك ثم بالوزير شاور وابنه، وولى سنة ٥٥٩هـ  
النظر على الدواوين السلطانية بالإسكندرية ، ثم اتصل بصلاح الدين الأيوبي  
أثناء محاصرته بالإسكندرية ، فكان ذلك سبب غضب شاور عليه ، فاختفى الرشيد  
بالإسكندرية ، وفي أيام اختفائه أرسل إليه ابن قلاص هذه الأبيات :

تداينت دارا والوصول نسوع فلك ذو الود الوصول قطوع  
حجبت ولم تحجب محاسنك التي تأتق منها يا غمام ربيع  
وضيعت في صون فضعت وهكذا يضان فتيه المسك وهو يצוע  
وإنك والبيت الذي قد عمرته لكالقلب قد ضمت عليه ضلوع  
وما أنت إلا العصب لازم جفنه لينضى بكف إذ يروق يروع  
سيفتق عن زهر بديع كإمه فاذاك من صنع الإله بديع  
وتسفر عن صبح شريق دجنة ولا سيما قد كان منه طلوع  
كأني بها يا بن الكرام مغيرة لها فوق هاتيك الربوع ربوع  
بحيث تريك البر كالبحر ذبل ويبض ويبض أشمقت ودروع  
وفرسان حرب لا البعيد عليهم بعيد ولا العالی الرفيع رفيع  
بذلك لا تعجب ، فإني قائل وإنك في الشهر الأصم سميع (٣)

(٢) المصدر نفسه

(١) المريدة ورقة ٣٦ ب

(٣) ديوان ابن قلاص ص ٦٥

وظل الرشيد محتفياً إلى أن قبض عليه وأشهر على جمل وعلى رأسه طرطور  
ووراءه من ينال منه ، فكان الرشيد ينشد وهو على هذه الحال :  
إن كان عندك يا زمان بقية مما تهين به الكرام فهايتها  
ثم صلب شنقا ودفن حيث شئت . ومن غريب الاتفاق أن يدفن شاور بعد  
أيام قليلة في نفس المكان الذي دفن فيه الرشيد . ورث الجليس بن الحباب صديقه  
الرشيد بقوله :

ثروة المكرمات بعدك فقر ومحل العلاء بعدك فقر  
بك تجلى إذا حللت الدياجي وتمس الأيام حيث تمر  
أذنب الدهر في مسيرك ذنبا ليس منه سوى إياك عذر<sup>(١)</sup>

القاضي الجليس :

هو أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب المعروف بالقاضي  
الجليس السعدي ولقب بأمين الدين<sup>(٢)</sup> ، وهو أحد الشعراء الثلاثة الذين كان يقتدى  
بهم عمارة النبي في مدح الملك الصالح طلائع بن رزيك ، والاتنان الآخران هما  
ابنا الزبير المهذب والرشيد ، ولكن يخيل إلى أن الجليس كان أقل الثلاثة جودة  
في الشعر ، وأقلهم إنتاجا في القريض . وربما كان عمله في ديوان الإنشاء مع  
الموفق بن الخلال أيام الفائر<sup>(٣)</sup> ، جعله لا يهتم بالشعر اهتمام زميليه ابني الزبير ،  
وقد رأينا كيف كانت قصيدته في استدعاء الملك الصالح من الصعيد للأخذ بثأر  
الحليفة الظافر ، والقدماء يذكرون أن الجليس له المعاني المبدعة في شعره ، ومثلاوا  
لذلك بقوله :

ومن عجب أن الصوارم في الوغى تحيض بأيدي القوم وهي ذكور  
وأعجب من ذا أنها في أكفهم تأجج نارا والأكف بحور<sup>(٤)</sup>  
ولا أدري ما الذي أعجب القدماء في هذه الصورة التي أتى بها في البيت الأول ،  
فإني لا أعجب بها كما أعجب القدماء ، وإن كنت أعجب بالبيت الثاني . ومن مقطوعاته  
التي حفظت لنا قوله يتهم بطبيب :

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٥١ .

(٢) مسالك الأبصار لابن فضل الله ج ١٢ ص ٢١٨٧ نسخة حطية بدار الكتب المصرية

(٣) قوات الوفيات ج ١ ص ٣٧٨ (٤) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٧١

وأصل بليتي من قد غزاني  
طيبب طبه كغراب بين  
أني الحى وقد شاخت وباحت  
ودبرها بتديير لطيف  
وكانت نوبة في كل يوم  
م قوله في مدح طيبب :

يا وارثا عن أب وجد  
وحاملا رد كل نفس  
أقسم لو قد طببت دهرها  
فضيلة الطب والساداد  
همت عن الجسم بالبعاد  
لعاد كونا بلا فساد (٢)

وكان الجليس من كبار رجال الدولة ، ولقب بالجليس لانه كان جليس الخلفاء  
مقربا إليهم ، فلا غرو أن رأينا شعراء عصره يلوذون به ويفشدون له مدائحهم فيه ،  
فقد مدحه ابن قلاقس بعدة قصائد منها قوله :

عفا طربي إلى عافى الرسوم  
وكنت أبا المنازل والفيافي  
أميل إلى سلافة بنت كرم  
هدتنا للسرور نجوم راح  
وكف الصبح يلقط ما تبدي  
فإن نوجت راحى كأس راح  
ولما أققرت أوكار وفري  
إلى القاضى الجليس استنجدتها  
فقال لها لسان الدهر : هذا  
تقسم بين شمس ضحى وبحر  
وجلى ظلمتى خطب وجدب  
وملك حاسديه بخاذبته  
فلا روى الغمام ربى الغميم  
فصرت أعا المدامة والتنديم  
وأدنو من سوائف أم ريم  
بها قذفت شياطين الهموم  
بجيد الليل من درر النجوم  
فشرب الإثم أولى بالأنيم  
عمرت بعزمتى أكوار كوى  
أزمة نجدة وحدات خيم  
تمام الفضل أودع فى تيم  
هداية فاصد وغنى عديم  
برأى مجرب وندى عميم  
خلائقه إلى الطبع الكريم

(٢) المصدر قسه

(١) فوات الوفيات ج ١ ص ٣٧٨

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٢٦

عجبت لوجهه ولراحيه      سنا شمس تبدي في غيوم  
ومطلب مداه كبا فقلنا      أليم العيش أولى باللثيم  
وقافية أهن بها إذا ما      نطقت معاطف الطرب الرميم  
تسير وإن أقام بها ثناه      وأعجب ما ترى سفر المقيم<sup>(١)</sup>  
ومدحه رضى الدولة أبو سليمان داود بن مقدم الذى أنشد قصيدة في وصف  
حاله ومدح فيها الجليس ، ومنها :

وقد بكرت تلوم على خمولى      كأن الرزق يجلبه خيالى  
تقدر أنتى بالحرص أحوى الـ      ثراء وذاكم عين المحال  
تقول إذا رأيت لإرشاد قولى      هببت ألا تهب إلى المعالى  
ومن لم يعشق الدنيا قديما      ولكن لا سبيل إلى الوصال  
ولو أدليت دلوك فى دلاء      متحت به من الماء الزلال  
وكم أدليت من دلو ولكن      بلا بلل يرد على قذالى  
ولا أنا بالكفاف النزر راض      ولا أنا عن طلاب الكثر سال  
ولكن ذاك من قبل اعتمادى      على عبد العزيز أبى المعالى<sup>(٢)</sup>

كما مدحه الشاعر عمارة اليمنى بعدة قصائد .

ولكن الشاعر أبى القاسم هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد كان مولعا  
بهجاء القاضى الجليس ، كثير التهكم بأنفه الكبير ، حتى قيل إن ابن الصياد أنشد  
أكثر من ألف مقطوعة فى أنف الجليس<sup>(٣)</sup> ، إلى أن انتصر له الشاعر أبو الفتح  
ابن قادوس الذى هجا ابن الصياد بقوله :

يا من يعيب أنوفنا الشـ      م التى ليست تعاب  
الأنف خلقه ربنا      وقرونك الشم اكتساب<sup>(٤)</sup>

وتوفى الجليس سنة ٥٦١ هـ قبل المهذب بن الزبير بشهر واحد ، وقيل إنه  
لما مات ابن الحباب شمت به المهذب ومشى فى جنازته بثياب مذهبة فاستقمح الناس

(٢) الحريرة ورقة ٩٩ ب.

(٤) المصدر نفسه

(١) ديوان ابن قلاص ص ١٠٠

(٣) فوات الوفيات ج ١ ص ٧

فعله ونقص بهذا السبب<sup>(١)</sup>، ورثي الجليس عدد من الشعراء منهم ابن قلاقس،  
فن قوله يرثي الجليس ويمدح ابنه:

علمنا، وقدمات الكمال، التساويا  
وقمنا نرجي في المصاب مواسيا  
ومما شجا أن المعالي تجددت  
سألت، فقالوا مصرع لو علمته  
فحين احتوت كف المتون على المنى  
ومن يسأل الركبان عن كل غائب  
ولما سرى بي نحوه الوجد قاعداً  
وسيرت منها بالنوادى نوادبا  
وعضب جدال قلل الدهر حده  
ونور هدى أسرى به غابط الهوى  
لمنعاه قام الرعد بالجو نائحا  
وأسبلت الظلماء نور غدائر  
تخرمه الدهر الختاتل صائدا  
ولو رامه شاكي السلاح محسدا  
وهيات جر الدهر من قبل «جرهما»  
وكدر ندماني «جذيمة» بعد ما  
جليس أمير المؤمنين أقتها  
وقد كنت أجلوها عليك تماننا  
ولولا سلبلاك اللذان توارنا  
هما ألبساني عنك ثوب تصبر  
سقى الرأخ الغادى ضريحك صوبه  
ولا برحت فيك القلوب عقيرة

فيا حسنات الدهر عدن مساويا  
فأعوزنا لما عدمنا موازيا  
ولم تنتصر فيها الكفاة العواليا  
فأيقنت لكنني خدعت فؤاديا  
تقلص عن يأسى جناح رجائيا  
فلا بد أن يلقي بشيراً وناعيا  
ولم أستطع عقرا عقرت القوافيا  
شوائد بالذكر الجميل شواديا  
وما كان إلا قاضب الحد قاضيا  
فلما خبت أصواؤه عاش عاشيا  
وبالبرق ملطوما وبالغيث باكيا  
إلى أن أشاب الصبح منها النواصيا  
تخلف حتى الرى في الماء صاديا  
لراح كما لا يشتهي عنه شاكيا  
وشد على «عاد» و«شداد» عاديا  
أقاما زمانا يشربان التصافيا  
لفقدك فاسمع صالحات بواقيا  
فوا أسفاً كيف استحالت تعازيا  
حلاك ملأت الحافقين مرثيا  
وأعلاق قلبي باقيات كما هيا  
وإن كان يسقى الرأخات الغواديا  
تسيل بأسراب الدماء المآقيا<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر نفسه ص ١٢٤ .

(٢) ديوان ابن قلاقس ص ١١٥ .



### عمارة اليمنى

هو الشاعر الذي يقرن اسمه بأسماء نخول شعراء العصر الفاطمي ، بالرغم من أنه لم يكن مصرية ، ولكنه وفد على مصر في ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ برسالة من أمير مكة قاسم بن هاشم ، فأدخل عمارة قاعة الذهب بقصر الخليفة ، وأنشد قصيدته التي مطلعها :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمدا يقوم بما أولت من النعم  
فأعجب الخليفة الفائز ووزيره الملك الصالح ورجال القصر بقصيدته ، فأغدقوا على الشاعر نعمهم وعطاياهم ، فأمر الوزير بأن يحضر عمارة مجلسه الذي يضم كبار رجال الأدب والعلم بمصر أمثال الجليل وابن الخلال صاحب ديوان الإنشاء وابن قادوس والمهذب بن الزبير وغيرهم ، ومكث عمارة بمصر حتى شوال سنة ٥٥٠ هـ ثم عاد إلى مكة ومنها رحل في صفر سنة ٥٥١ هـ إلى وطنه الأصلي اليمن ، وفي هذه السنة ذهب لتأدية فريضة الحج ، فطلب منه أمير مكة أن يسفر بينه وبين الملك الصالح مرة أخرى ، فجا إلى مصر حيث أمضى ما بقي من سني حياته .  
اتصل عمارة بمصر بالأحداث التي مرت عليها منذ وزارة الملك الصالح طلائع ابن زريك حتى انقضت الدولة الفاطمية ، لصلته الوثيقة برجال الدولة إبان هذه الحقبة من الزمان ، وبعد شعر عمارة من السجلات والوثائق التي تطلعنا على تاريخ مصر إبان هذه السنوات المضطربة التي أدت إلى زوال الدولة الفاطمية ، فإن الجزء الذي بقي لنا من شعر عمارة يدل على أنه أنشد في كل حادثة ألمت بمصر في هذه السنين ، فقد كان يمدح الوزراء الذين كان يبدعهم مقاليد الأمور ، وكان يمدح الأمراء الذين هم كبار رجال الدولة ، فوجد من الحوادث مناسبات لهذه المدائح ، كما أنه وجد منها مادة لكتابه ، والنسكُ العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، وهو أوثق المصادر عن تاريخ هذه الأيام من أيام مصر الفاطمية ، كما أنه شارك شعراء مصر في الإشادة بالأعياد المصرية وأيام المواسم . ونحن نعلم أن عمارة كان سني المذهب ، بل كان متعصبا لمذهبه ، ولم يتحول عن هذا المذهب بالرغم من محاولة الوزراء والأمراء معه لكي يعتنق مذهب الفاطميين ، ومع ذلك كله فإن عمارة تأثر بما كان يجري في مصر ، وأسهم مع غيره من شعراء مصر في الإشادة بعقائد الفاطميين ، وقد ذكرنا طرفا من ذلك فيما قبل . ونستشهد الآن بقصيدته

النونية التي قالها في رثاء أهل البيت في عاشوراء ، وضمنها مدحا للملك الصالح ، وهي القصيدة التي أولها :

شأن الغرام أجل أن يلحاني  
أنا ذلك الصب الذي قطعت به  
ملئت زجاجة صدره بضميره  
غدرت بموثقها الدموع ففادرت  
عنفت أجناني فقام بعذرها  
وفيها يقول عمارة :

يا صاحبي وفي مجانبة الهوى  
قبضت على كف الصباية سلوة  
أمسى وقلبي بين صبر خاذل  
قد سهلت حزن الكلام لنادب  
فأبدل مشايعة اللسان ونصره  
واجعل حديث بنى الوصي وظلمهم  
غصبت أمية إرث آل محمد  
وغدت تخالف في الخلافة أهلها  
لم تقتنع أحلامها بركوبها  
وقعودهم في رتبته نبوية  
حتى أضافوا بعد ذلك أنهم  
فأتى «زياد» في القبيح زيادة  
حرب بنو «حرب» أقاموا سوقها  
لحقى على النفر الذين أكفهم  
أشلائهم مرق بكل ثنية  
مالت عليهم بالتمالي أمة  
دفعوا عن الحق الذي شهدت لهم  
ما كان أولاهم به لو أبدوا

رأى الرشاد فما الذي تريان  
تتهى النهى عن طاعة العصيان  
وتجلد قاص وهم دان  
آل الرسول نواعب الأحزان  
إن فات نصر مهند وسنان  
تشبيب شكوى الدهر والخذلان  
سفا وسنت غارة الشنآن  
وتقابل البرهان بالبهتان  
ظهر التفاق وغارب العدوان  
لم يبتها لهم «أبو سفيان»  
أخذوا بشار الكفر في الإيمان  
تركت «يزيد» يزيد في النقصان  
وتشبهت بهم بنو مروان  
غيث الورى ومعونة اللهمقان  
وجسومهم صرعى بكل مكان  
باعت جزيل الرج بالخسران  
بالنص فيه شواهد القرآن  
بالصالح المختار من «غسان»

أنساهم المختار صدق ولاته كم أول أرنى عليه الثاني (١)  
فهذه القصيدة من شعر عمارة تدل على أن الشاعر جارى القوم في عاداتهم ،  
وفي أشعارهم ، فهو لم يتشيع ، ولكنه لم يستطع أن يتخلف عن غيره من شعراء  
مصر في رثاء أهل البيت في أيام ماتمهم ، وشارك المصريين في احتفالاتهم ، فله  
عدة قصائد في كسر الخليج ، من ذلك ما أنشده سنة تسع وخمسين وخمسةائة  
في مدح العاضد :

سجودا فهذا صاحب الركن والحجر      ووارث علم النمل والنحل والحجر  
وفيها يقول :

تمل أمير المؤمنين مواسما	تزورك من صوم شريف ومن فطر
يوصلها سعد بحمدك مقبل	فعام إلى عام وشهر إلى شهر
ركبت إلى كسر الخليج وإنما	ركبت إلى جبر الرعايا من الكسر
ولما رأيت البر بحرا من الظبا	تعجبت من بحر يسير إلى نهر
غدوت بفتح السد في زحف أرعن	يسد هبوب الريح بالأسل السم
يرد ظلام النقع لجرأ كأنما	أسنته مطبوعة بسنا الفجر
كأن على البيداء منه صحيفة	كتائبها سطر يضاف إلى سطر
إذا خفقت أعلامه وبنوده	رأيت عليها غرة العز والنصر
وقد خلع التأيد فوقك حلة	تطرز بالإحسان والعدل والبر
أوارث مجد الحافظ بن محمد	وحافظ حكم الله في محكم الذكر
إذا ما استجاب الله صالح دعوة	فتعك الرحمن بالناصر الذخر (٢)

وهكذا اضطر هذا الشاعر السني إلى أن يتأثر بما كان في مصر في العصر  
الفاطمي ، وأن يتأثر بعقائد الفاطميين فأكثر منها في شعره ، بل بلغ به تأثره  
بالفاطميين إلى أن يرثيهم ويثنى عليهم في الوقت الذي تخلى عنهم جميع المصريين  
وشتمت بهم أعداؤهم العباسيون وجمهور أهل السنة ، فعمارة البني السني المذهب  
كان وفيها لهم الوفاء كله ، فأنشده قصيدته التي مطلعها :

رُميت يا دهر كف المجد بالشلل      وجيده بعد حسن الخلي بالمعلل  
وفيها يقول ، بعد أن وصف أيامهم وذكر أعيادهم ومثأاتهم :

(١) النكت من ٣٦٣ وما بعدها      (٢) المصدر نفسه من ٢٣٥

والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم  
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ  
ولا رأى جنة الله التي خلقت  
أمتي وهداتي والذخيرة لي  
تالله لم أوفهم في المدح حقهم  
ولو تضاعفت الأقوال واتسعت  
باب النجاة هم دنيا وآخرة  
نور الهدى ومصباح الدجى ومحل  
أئمة خلقوا نورا فنورهم  
والله ما زلت عن حبهم أبدا

ولا نجا من عذاب الله غير ولي  
من كف خير البرايا خاتم الرسل  
من خان عهد الإمام العاضد بن علي  
إذا ارتهنت بما قدمت من عملي  
لأن فضلهم كالوابل الهطل  
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل  
وحبهم فهو أصل الدين والعمل  
الغيث إن ربت الأنواء في المحل  
من محض خالص نور الله لم يغفل  
ما أحر الله لي في مدة الأجل (١)

فكانت هذه القصيدة ، وما قيل من أنه اشترك مع نفر من الأوفياء للفاطميين  
لإعادة ملكهم بتولية ابن العاضد سبيا في القبض عليه معهم وصلبه سنة تسع  
وستين وخمسائة ، واتهمه الفقهاء بالكفر ، وقال فيه تاج الدين الكندي الشاعر :

عمارة في الإسلام أبدى خيانة  
فأسمى شريك الشرك في بغض أحمد  
وكان خبيث الملتقى إن عجمته  
سيلقى غدا ما كان يسمى لأجله  
وبايح فيها بيعة وصليبا  
فأصبح في حب الصليب صليبا  
تجد منه عودة في النفاق صليبا  
ويستقى صديدا في لظى وصليبا (٢)

وهكذا أصاب عمارة ما أصاب الفاطميين الذين جبهه بأموالهم وعظاياهم  
وأكرموا الإكرام كله ، فقابل ذلك كله بوفاء الوفي الأمين .

ابن قلاوة :

أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاؤس  
اللمخمي الاسكندري ، ولقب بالقاضي الاعز ، ولد بالاسكندرية سنة ٥٣٢ هـ .  
وبها نشأ وتثقف فأخذ عن الحافظ أبي طاهر السلفي وعن غيره ، ثم رحل عن  
مصر إلى اليمن فدخل عدن سنة ٥٦٣ هـ متكبسا بشعره فمدح بها ياسر بن بلال ،  
ثم سافر إلى صقلية سنة ٥٦٥ هـ ، ومدح بها القائد أبا القاسم بن الحجر ، وصنف  
باسمه كتابا سماه ، الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم ، وشاء العودة إلى مصر

توفي بعيداً سنة ٥٦٧ هـ<sup>(١)</sup>. فالشاعر كان يتجر بشعره ويرحل إلى الممدوحين بقصد الكسب، مع أنه اتصل ببعض رجالات مصر وأخذ نواهم. مدح الخليفة الفاطمي بقوله:

في مرتقى الوحي تعلو مرتقى الأمل      فافسح رجاءك واطلب فسحة الأجل  
لا تنتجع للأمانى بعده دولا      فقد تأملت منه واهب الدول  
وانظر إلى صفوة الخلق التي ظهرت      للناس أيامه عن صفوة الرسل  
لو عاد ينطح ذو القرنين صخرته      لعاد واهي قرون الرأس كالوعل<sup>(٢)</sup>  
ومدح الوزير شاور، وعرض بشيركوه بقوله:

عارض الصفح في يديك الصفاحا      ورأى البأس أن تطيع السباحا  
فرفعت الجناح عن جارم الذ      نب بعفو خفضت منه الجناحا  
ووضعت السلاح حين أراك ال      مرم والرأى إن وضعت السلاحا  
أى نغر سما إليه أبو الف      ح فلم يتندر إليه افتاحا  
بخيول طارت بأجنحة النص      ر فراحت بها تبارى الرياحا  
وكأه غر قد اقتطعوا اللب      ل وساقوه في العجاج صباحا  
ورماح تجنى فتجنيك في الحر      ب شقيقا ما كان قبل أفاحا  
وظي تقطع الترائب مهما      ألقحت بالضراب جبا لقاحا  
شاركت شيركوه في النفس والم      ل وصاحت به فصاحا فصاحا  
طلب الأمن فاستجيب وما به      رف منك الطلاب إلا النجاحا  
بعد ما ضيق الخمام عليه      سبلا غودرت لديه فساحا  
وأقامته كالجدور حماة      ضربت بالقنا عليه القداحا  
فليظل بعدها الفخار فقد را      ح طليقا ليضكم حيث راحا  
يا معل الظبا البواتر ضربا      ترك المجد والمعالي صحاحا  
فيك لله والخليفة سر      أوضناه لمبصر إيضاحا  
ذاك أعطاك آية النصر تصر      يحا وهذا أعطاك ملكا صراحا<sup>(٣)</sup>

(١) راجع معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٢٦ وابن خلكان ج ٢ ص ١٥٦

(٢) ديوان ابن فلاقس ص ٨٨

(٣) ديوان ابن فلاقس ص ٢٥

ومدح الكامل بن شاور والقاضي الجليلي والقاضي بن خليف والحافظ  
السلفي وابن مصال والقاضي الفاضل وغيرهم من رجال مصر ، فن مدائحهم للكامل  
ابن شاور قوله :

من بعد ذم غدوه ورواحه	حمد السرى من كنت وجه صباحه
من حسن رأيك فيه ظل جناحه	ورأى النجاح مؤمل ألحقته
لقد انبرى والصفح تلوصفاحه	وأما وعزمك وهو أنقض فاتك
لقد اغتدى والعز من أرباحه	وبديع مدحك وهو أينق متجر
متقلد بنجاده ووشاحه	قالدهر بين فريده وفريده
وندى تبسم في ثغور أفاقه	بأس توردد في حدود شقيقه
بدر جلا الإسماء عن إصباحه	والكامل المسعود في آفاقه
فاستخدمتها في رموس رباحه	بمناقب سمت النجوم لنيلها
فاستفرقت في بحور سماحه	ومواهب عان السحاب معينها
للك كالأرواح في أشباحه	يا آل شاور أتم دون الورى
وعلى أباديكم ثناء فصاحه	وإلى معاليكم إشارة خرسه
ونداك قوام بأمر لقاحه (١)	لم لا يكون الشكر عندك منتجا

ولكنه كان مولعا بالأسفار وركوب البحر ، ولذلك يقول :

والناس كثير ولكن لا يقدر لى إلا مرافقة الملاح والحادى (٢)  
ويقول : فى مدح ياسر بن بلال الداعى بمدينة عدن ، وكان قد فارقه ،  
ولكن سفينه غرقت فعاد إليه مرة أخرى ، وأنشده هذه القصيدة يصف فيها  
غرقة ، ويتحدث عن ولعه بالأسفار :

سار الهلال فصار بدرا	سافر إذا ما شئت قدرا
طيبا ويخبث ما استقرا	والماء يكسب ما جرى
تبدلت بالبحر نحرا	وبنقلة الدرر النقيه
فإن هما خلنا فهجرا	وصلا إذا امتلات يدك
لما بدا ثم استسرا	فالبدر أنفق نوره
مهاد عيشك أن يقرا	حركات عيسك ما أردت

(٢) ابن خلسكان ج ٢ ص ١٥٧

(١) المصدر نفسه ص ٢٧

إما ترى شاحب الوجنات قد ألبست طمرا  
فوقائع الأيام تخرج أهلها شعنا وغبرا  
مدت إلى الأربعاء نيدا وقد قهرت عشرا  
واستحدثت في لمتي نقطا فهلا كن حبرا  
ما قلت أف فيها شرر بأف يعود جبرا  
وكفناك أني إن نظرت لها نظرت النجم ظهرا  
كان الشباب الغض ليللا فاستنار الشيب لجرأ  
ولئن تقلب بي الزمان كما اشتبهى بطنا وظهرأ  
فبما قتلت صروفه وقتلته جلدا وخبرا  
غاض الوفاء وفاض ما العدر أنهارأ وغدرا  
فانظر بعينك هل ترى عرفا، وليس تراه نكرا  
خلق جرى من آدم في نسله وهلم جبرا  
ومروعي بالبحر يحسب أنني أرتاع بحرا  
أوما درى أني بتسهيـل المصاعب منه أدري  
أعددت نظرة «ياسر» نحوى وسوف تعود يسرا  
من صرف الأقدار في أيامه كسرا وجبرا  
واستخدم الأيام في أحكامه نهيا وأمرا  
واتاشنى في نظرة أولى سيتبعها بأخرى  
فالسحب ترشح إذ جرت في إثره بالجهد قطرا  
والرعد رجع جاهدا أنفاسه تعبأ وبهرا  
غرس الصنائع في الرقاب فأنبتت حمداً وشكرا  
يقظان إن نهته عمرا أو استنجدت عمرا  
ولرب طرة معرك سوداء أعدته طرا  
أمرى إلى أبطالها فأبادهم قتلى وأسرى  
من كل متشح على نهر الدلاص الرعف نهرا  
جروا الذوائب والذوا بل خلفهم بيضا وسمرا  
فالسيف يقرع بينهم بثقيفه، والضيف يقرى

ياراوبا عن شخصه      خبرا ولم يعرفه خبرا  
والثم بنان يمينه      وقل السلام عليك بحرا  
وغلظت في تشبيها      بالبحر ، اللهم غفرا  
أو لست نلت بذنا ندى      جما ، ونلت بذلك فقرا  
بنوافذ تنو الريا      ح لها بطرف الحقد شورا  
لا زال ينظر عودها      بنداها لدن المتن نصرا<sup>(١)</sup>

وهذا الشاعر الرحالة كان يميل إلى الإكثار من المحسنات البديعية في شعره ،  
بخلاف بعض الشعراء الذين عاصروه أمثال المهذب والرشيد والجليس وغيرهم ،  
وإن كان هؤلاء الشعراء قد ألموا بالمحسنات البديعية ، ولكنهم لم يتعمدوها كما  
تعمدها ابن قلاؤس الذي كان يجهد نفسه على ما يظهر لنا في الإتيان بهذه المقابلات  
والتوريات وغيرها من ألوان الزينة اللفظية .

\*\*\*

من هذا الفصل نستطيع أن ندرك كيف كان للوزراء أثر في حياة الشعر ،  
في العصر الفاطمي ، وكيف اجتمع الشعراء حول الوزراء يمدحونهم ويأخذون  
عطاياهم ، أسوة بما كان يحدث لدى الخلفاء أنفسهم إبان سطوتهم وقوة ملكهم ،  
ونحن نأسف أن يضيع أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، فلم يصلنا منه إلا هذه القطع  
المتفرقة أو القصائد الناقصة ، ومع ذلك فالذي بقي لنا من الشعر يدلنا على أن  
نهضة الشعر كانت قوية ، وأن تياره كان جارفا ، وأن عدد الشعراء المجيدين  
تضاعف بحيث يخيل إلينا أن كل مثقف في ذلك العصر كان ينشد الشعر ، وأن  
كتاب الدواوين والقضاة كانوا من الشعراء ، ويكفي أن نلقى نظرة على مجاميع  
الشعر ، أمثال اليتيمة والدمية والخريفة ، أو كتب التراجم ، لندرك أن عدداً كبيراً  
جداً من المصريين أنشد الشعر ، وأن الشعر كان من الجودة بحيث استطاعت مصر  
أن تبرز غيرها في مضمار القرىض .

(١) ابن خلسكان ج ٢ ص ١٥٧ ودبوان ابن قلاؤس ص ٤٨ .



## الفصل الرابع

### الشعر والحروب الصليبية

يخيل لكل من يقرأ تاريخ الفاطميين في مصر أن مصر في هذا العهد كان يسودها الأمن ، وأن المصريين كانوا يعيشون في دعة ولين ، ألم يتحدث المؤرخون عن النعيم الذي كان في العصر الفاطمي ، والترف الذي كان يرفل فيه المصريون ، والحياة الناعمة اللينة التي كان يحياها الناس ؟ ولكن المؤرخين أنفسهم تحدثوا أيضا عن لون آخر من الحياة ، هي حياة الاضطرابات والحروب الكثيرة التي كان يشنها أعداء الفاطميين على بلادهم وممتلكاتهم منذ أقام الفاطميون دولتهم في شمال إفريقيا ، فقد كان أعداؤهم يحيطون بممتلكاتهم من كل جانب ، ويتحينون الفرص للإيقاع بهذه الدولة الفاطمية التي قامت لتتلى عرش العباسيين في المشرق والامويين في المغرب ، كما كان أمام الفاطميين عدو المسلمين العتيد — أعني الروم — ودول جنوب أوروبا التي كان يهددها الفاطميون من صقلية ومستعمراتهم في إيطاليا ، حتى إذا كان النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة رأينا الفاطميين يشتبكون في حروب صعبة المراس ، هي التي عرفت في التاريخ بالحروب الصليبية . أضف إلى ذلك كله ما ذكره المؤرخون أيضا من قيام خوارج على الدولة الفاطمية في مصر وفي ممتلكاتها ، وحروب بين الأمراء لتولى الوزارة . فكل هذه الاضطرابات والحروب اضطلعت بها مصر بعد أن أصبحت عاصمة الإمبراطورية الفاطمية ، وسجل الشعراء هذه الحروب في أشعارهم ومدائحهم ، فالأمير تميم مدح أخاه الإمام العزيز بالله عند ما هزم هفتكين الشراقي التركي — مولى معز الدولة البويهى — في دمشق ، ثم طلب العفو من العزيز ، فوصف تميم هذا الحادث بقوله :

ولسنا نراع إذا ما سطا	وإنا لقوم نروع الزمان
به عاد سيف الهدى منتضى	ومنا الإمام العزيز الذي
بها الحرب نزاعة للشوى	سعى للشام وقد أصبحت

فكشفت من ليلها ما سجا  
ولما تقابلت الجحفلان  
ولم يبق في الصف من قاتل :  
وقد ولغت في الصدور الرماح  
وغنت على البيض البيض الذكور  
كأن الرماح سكارى تجو  
فلولا الإمام العزيز الذي  
فسكن عارض شؤبونها  
بدا لهم دارعا في العجاج  
يكر ويبسم في موقف  
ولم يخذل السيف منه يدا  
يقود إلى الحرب من جنده  
فلو فدت الحرب قوما ، إذن  
فلم تصدر الرمح حتى انثنى  
ولم يحمل الموت حتى حملت  
فما انفرجت عنك إلا وأنت  
لجاءك منهم ملوك الرجال  
ولاذوا بعفوك مستأمنين  
ولما رأى فتحها هفتكين  
تولى لينجس وخفت به  
ولو طلب العفو قبل الهروب  
ولكنه اعتاد فيها الإباق  
ورام الخلاص وكيف الخلاص  
ولم يك كفؤك في حربه  
وقد هزم الأسد حتى انتهاك  
فراح وحشو حشاه أسى  
أريتهم وقعات تزيد

وقوم من زيفها ما التوى  
وعاد كجنح الظلام الضحي  
هلم ، ولا من يجيب : أنا  
وصلت لبيض السيوف الطلى  
غناء يعيد الفرادى ثنى  
لها الخيل في النقع قب السلا  
تداركها وهي لا تصطلي  
وأمسك من سجله ما انهمى  
كصبح بدا طالعا في الدجى  
عبوس الكفاة به قد بدا  
ولم يسكن الروح منه حشا  
أسود رجال كأسد الشرى  
لفدتك صارخة بالعدا  
ولم تغمد السيف حتى انفرى  
ولولاك ما غاب ذلك اللظى  
بها الفارس الملك المتقى  
وفدتك منهم ذوات اللبى  
ولم يجدوا غيره ملتجا  
عليه وأخلفه ما رجا  
جيوشك واستوقفته الربا  
لكنت له غافراً ما مضى  
وليس الفتى كل يوم فتى  
وقد بلغ الماء أعلى الزبي  
وإن كان في بأسه المنتهى  
فلما رآك غدا لا يرى  
وقد ملئت مقلناه عمى  
على وقعات الدهور الألى

بيغداد من ذكره جولة      تذود عن المارقين الكرى  
فأنفس ديلها تغتدى      وتمسى على مثل جمر الغضى  
إذا سمعوا بالإمام العزيز      أساءوا الظنون وحلوا الحبا  
يخافون من بأسه وقعة      تدور عليهم بقطب الرحي  
ينادى «بويه» بنيه بها      ويندبهم وهو رهن البلى<sup>(١)</sup>  
ونحن مضطرون إلى أن نترك هذه الحروب الكثيرة التي خاضها الفاطميون  
وأن نمر بالأشعار التي أنشدها شعراؤهم في وصف تلك المعارك ، لتتحدث عن  
شعر الفاطميين في هذه الحروب الطاحنة التي شغلت العالم الإسلامي عدة قرون ،  
وكانت مصر هي الدولة الإسلامية الكبرى التي أوقفت مواردها ورجالها للذود  
عن البلاد الإسلامية وعن الدين الإسلامي ، ووقفت أمام مسيحي أوروبا تكافح  
وتناضل طوال هذه القرون ، حتى أدخلت البأس في قلوب الأوربيين ، وجعلت  
آمالهم وأحلامهم قصوراً بنيت في الهواء .

ظهرت الحرب الصليبية الأولى سنة ٥٤٠ هـ في عهد المستعلي ووزيره الأفضل  
ابن بدر الجمالي ، وليس لنا في هذا البحث أن نعرض لهذه الحروب الصليبية من  
الناحية التاريخية ، ونكتفي بأن نذكر أن الأفضل استهان بأمر هذه الحركة في  
أول الأمر ، ولم يدرك الأخطار التي نجمت عن تخاذله وتهاونه ، بيد أنه بدأ  
يدرك خطأ تقديره بعد أن استولى الصليبيون على أنطاكية ومعرة النعمان سنة  
٥٤١ هـ وواصلوا زحفهم إلى بيت المقدس ، فأضطر حينئذ إلى أن يعي بجيوشه  
ويرسلها إلى فلسطين من طريق البحر والبر ، ولكن جيوشه هزمت أمام  
الصليبيين سنة ٥٤٢ هـ بجوار بيت المقدس ، واضطرت إلى الانسحاب إلى عسقلان  
ثم إلى العودة إلى مصر . على أن شعراء الأفضل ذكروا لنا أن سبب عودة هذه  
الجيوش المصرية لم يكن هزيمتها أمام الصليبيين ، بل سببها ثورة بعض الجنود  
على الأفضل وتأمرهم للفتك به ، ولعل قصيدة أمية بن أبي الصلت التي رويناها  
من قبل تدلنا على أن الشعراء أخذوا يعتذرون عن الأفضل وعن انهزامه في هذه  
الحرب الصليبية الأولى . وفي هذه القصيدة إشارة إلى مؤامرة الجنود ، كما أن  
الشاعر يصرح بأن وزير مصر هو الوحيد الذي قام بالذود عن الدين ونصرة

(١) ديوان الأمير تيم .

المسلمين ، على حين ظلت البلاد الإسلامية الأخرى لاهية عن هذا الخطر الذي  
دهمهم ، فهو يقول :

جردت للدين ، والأسياف مغمدة      سيفا تفل به الأحداث والغير  
وبعد أن تحدث الشاعر عن شجاعة الأفضل وإقدامه في الحروب ، أخذ  
في الاعتذار عن هزيمته ، وتوعد الصليبيين بعودة الأفضل إليهم والانتصار عليهم :

وإن هم نكصوا يوما ، فلا يحجب      قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر  
العسود أحمد والأيام ضامنة      عقبي النجاح ووعد الله ينتظر  
وربما ساءت الأقدار ثم جرت      بما يسرك ساعات لها آخر

ونقل المقرئ عن ابن الطوير أن الأفضل قصد استنقاذ الساحل من يد  
الفرنج ، فوصل إلى عسقلان ، وزحف عليها بذلك العسكر ، فخذل من جهة عسكره ،  
وهي نوبة النصبة ، وعلم أن السبب في ذلك من جنده ، وكان عند الفرنج شاعر  
منتجع إليهم ، فقال يخاطب صنجل ملك الفرنج :

نصرت بسيفك دين المسيح      فله درك من صنجل  
وما سمع الناس فيما رووه      بأقبح من كسرة الأفضل  
فوصل الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر (١) .

وعاد الأفضل إليهم ، وكانت جيوشه تصاب بهزائم منكرة ، ولكنه لم ييأس  
من الظفر ، واضطربت أمور مصر من بعده حتى ولى الملك الصالح طلائع بن  
رزك ، فأخذ يرسل الجيوش المصرية لمحاربة الفرنج ، فكان ينتصر حيناً وينهزم حيناً  
آخر ، وسجل شعراؤه هذه الحروب ، فمن ذلك قول شرف الدولة ابن جبر  
أبو محمد يحيى بن حسن في إحدى المعارك التي خاضها ابن رزك ضد الفرنج :

أطفي ابن رزك لهيب ضرامه      والبيض تخطب في الرءوس فتسمع  
وكتائب للشرك كنت إزاءها      متعرضا فانفض ذاك المجمع  
ولكم صرعت من الفرنج سميدعا      بلقائه لك قيل : أنت سميدع (٢)

وقال المهذب بن الزبير في حروب ابن رزك ، ولم يذكر العماد الواقعة التي  
كانت سبب هذه القصيدة ولا تاريخها :

(١) المقرئ ج ٢ ص ٣١٠ (٢) الحريدة ١٢

وتلقى الدهر منه بليث غاب  
تخال سيوفه إما انتضاها  
وتحسب خيله عقبان دجن  
إذا قدحت بجنح الليل أورت  
وإن صبحت مع الإصباح عدواً  
كأن الشمس حين تثير نقعا  
وما كشفت بدور الأفق إلا  
وما اضطربت رماح الخط إلا  
وما تندق يوم الروع حتى  
عجبت لها تصافح من يديه  
ويوردها ولا تحظى برى  
وهل يشقى لها أبداً غليل  
إذا لقيت عيون الروم زرقا  
تخال البحر مد به خليج

غدت سمر الرماح له عرينا  
جداول والرماح لها غصونا  
يرحن مع الظلام ويغتدينا  
سنا يغشى عيون الناظرينا  
أثارت للعجاج به دجوننا  
تحاذر من سطاء أن تينا  
أسى إذ ابصرت منه الجبيننا  
مخافة أن يحطمها مبيننا  
يدق بها الكواهل والمتونا  
وتوصف بالظا ، بحرأ معينا  
نطافا من دروع الداريننا  
وقد شربت دماء الكافريننا  
حسبت نصالها تلك العيوننا  
إذا ما مد بالقضب اليميننا (١)

ومرة أخرى ذكر العماد أن الملك الصالح أرسل أسطوله سنة ٥٥٣ هـ لحرب الصليبيين، وانتصر الأسطول، فأشيد المهذب بمدح الصالح ويصف الأسطول. ومن هذه القصيدة ندرك أن الموقعة كانت بالقرب من العريش :

أعلمت حين تجاوز الحيان  
لما أبوا ما في الجفان قريتهم  
وثلت في يوم العريش عروشهم  
أجأتهم للبحر لما أن جرى  
مدح الورى بالبأس إذ خضبوا الظبا  
ولأنت تخضب كل بحر زاخر  
حتى يرى دمهم وخضرة مائه  
وكان بحر الروم خلق وجهه  
ولقد أتى الأسطول حين غزا بما

أن القلوب مواعد انيران  
بصوارم سلت من الأجفان  
بشبا ضراب صادق وطعان  
منه ومن دمهم معا بحران  
في يوم حربهم من الأقران  
من تجاوب بالنجيع القاني  
كشقائق نثرت على الريحان  
وظفت عليه منابت المرجان  
لم يأت في حين من الأحيان

أحبيب إلى بها شواني أصبحت  
شهن بالغريان في ألوانها  
وقررتها عدد القتال فقد غدت  
حرب عوان حكمتك من العدى  
وأعدت رسل ابن القسيم إليه في  
والفأل يشهد باسمه أن سوف يغ  
وأراك من بعد الشهيد أبا له  
وهو الذى مازال يفعل فى العدا  
قتل البرنس ومن عساه أعانه  
وأرى البرية حين عاد برأسه  
فليهنه أن فاز منك بسيد

من فتكها ولها العداة شواني  
وفعلن فعل كواسر العقبان  
فيها القنا عوضا من الأشطان  
فى كل بكر عندهم وعوان  
شعبان كيما يلام الشعبان  
دو الشام وهو عليكما قسيان  
وجعلته من أقرب الإخوان  
ما لم يكن يعد فى الإمكان  
لما عسا فى البغى والعدوان  
مر الجنا يبدو على المران  
أوفى برتبته على كيوان (١)

ولعل هذه القصيدة تبين لنا ناحية تاريخية هامة لم يذكرها المؤرخون في كتبهم ، ولم يتحدث عنها المؤرخون من الغربيين ، تلك هى علاقة الملك الصالح ابن رزيك بنور الدين زنكى إبان الحروب الصليبية ، فالشاعر هنا يذكر نور الدين ، مرة يذكره ( بابن القسيم ) أى ابن قسيم الدولة أتاك زنكى ، ويذكره مرة ثانية باللقب الذى عرف به وهو ( الشهيد ) ، ويتحدث الشاعر عن الاتفاق الذى كان بين الملك الصالح وبين نور الدين ، ويقضى هذا الاتفاق على أن يواصل الحرب ضد الصليبيين حتى يتركوا الشام ، فتقسم حينئذ بين مصر ونور الدين ، هذا الاتفاق الذى أشار إليه المهذب فى هذه القصيدة لم يذكره أحد من المؤرخين ، ويغلب على ظنى أنه لولا هذه الصلة الوثيقة التى كانت بين الشاعر والملك الصالح لما استطاع الشاعر أن يعرف مثل هذا الاتفاق الذى كان بين العاهلين .

وفى عهد الملك الصالح طلائع بن رزيك ، كان الصليبيون يعمنون فى شن غاراتهم على حوران وما حولها من البلدان ، ووردت الأنباء بأن عسكر المصريين استولوا على عسقلان ، وقتلوا ما بها من عسكر الفرنج ، وسر المصريون بذلك الانتصار سرورا عظيما نلح أثره فى قصيدة الملك الصالح التى أرسلها إلى أسامة

(١) الحريدة ورقة ٤٠ وما بعدها .

ابن منقذ صاحب حصن شيزر وأحد الأمراء الذين كانوا يساعدون نور الدين  
زنكي في حروبه ضد الصليبيين :

ألا هكذا في الله تمضي العزائم  
وتستنزل الأعداء من طول عزيم  
وتغزي جيوش الكفر في عقردارها  
ويوفي الكرام الناذرون بنذرهم  
نذرنا مسير الجيش في صفر فما إذ  
بعثناه من مصر إلى الشام قاطعا  
فما هاله بعد الديار ولا ثني  
بياري خيولا ما تزال كأنها  
يسير بها «ضراغام» في كل مآزق  
وواجههم جمع الفرنج بحملة  
وما زالت الحرب العوان أشدها  
وعادوا إلى حز السيوف فقطعت  
فلم ينج منهم يوم ذاك مخبر  
فقولوا «لنور الدين» لا فل حده  
تجهز إلى أرض العدو ولا تهن  
فما مثلها تبدى احتفالا به ولا  
فعندك من أطفاف ربك ما به  
أعادك حيا بعد ما زعم الوري  
بوقت أصاب الأرض ما قد أصابها  
وخيم جيش الكفر في أرض شيزر  
فقم واشكر الله الكريم بنهضة  
فنحن على ما قد عهدت نروعهم  
وغاراتنا ليست تفتر عنهم  
فأسطولنا أضعاف ما كان ساثرا

وتتضي لدى الحرب السيوف الصوارم  
وليس سوى سمر الرماح سلام  
ويوطا حماها والأنوف رواغم  
وإن بذلت فيها النفوس الكرائم  
ثني حتى اثنتي وهو غام  
مفاوز وخذ العيس فيهن دائم  
عزيمته جهد الظا والسائم  
إذا هي ما انقضت نسور قشاعم  
وما يصحب الضراغام إلا الضراغم  
تهون على الشجعان فيها الهزائم  
إذا ما تلاقى العسكر المتضاجم  
رهوس وحزت للفرنج غلاصم  
ولا قيل: هذا وحده اليوم سالم  
ولا حكمت فيه الليالي الغواشم  
وتظهر فتورا إن مضت منك (حارم)  
يعض عليها للبلوك الأباهم  
علنا يقينا أنه بك زاحم  
بأنك قد لاقيت ما الله حاتم  
وحلت بها تلك الدواهي العظام  
فسيقت سبايا واستحلت محارم  
إليهم فشكر الله للخلق لازم  
ونحلف جهدا أننا لا نسالم  
وليس ينجي القوم منا الهزائم  
إليهم فلا حصن لهم منه عاصم<sup>(١)</sup>

ومرة أخرى يرسل الملك الصالح إلى أسامة :

ياسيدا يسمو بهم      ته إلى الرتب العلية  
أنت الصديق وإن بعد      ت وصاحب الشم الرضية  
يهنيك أن جيوشنا      فعلت فعال الجاهلية  
سارت إلى الأعداء من      أبطاها مائتا سرية  
فتغير هذى بكرة      وتعاود الأخرى عشية  
فالويل منها للفرنج      فقد لقوا جهد البلية  
جاءت رءوسهم تلوح      على رءوس السميرية (١)

وفي قصيدة للشاعر ابن الصياد حديث عن موقعة بين الملك الصالح والصليبيين  
وعن قتل مقدم خيل الفرنج الذي سماه ابن الصياد « أرناط » واسمه الصحيح

« رينولد » Renauid

قال ابن الصياد :

عن سيف دين الله سل « أرناط »      حيث المنية كأسها يتعاطى  
والمشرفية قد حكمت في جيشه      في العل والنهل القطا الفراطا  
قد سام طير الكفر منه منسرا      أشقى وعابن مخلبا عطاطا  
هو ملبس جيش العدا في الحرب من      حلل التجيع مجاسدا ورباطا  
بجواده تشكو مزاحمة القنا      وترد خرصان الرماح سياطا  
هو فارس الإسلام يحفظ بالظبا      من دينه الأطراف والأوساطا  
كم قد أنار من الأسنة أنجما      لما أثار من العجاج عطاطا  
فتخاله ملكا رمى بشبابه      في الروح شيطان الحروب نشاطا (٢)

ويحدثنا عمارة اليمني في النكت أن في وزارة الملك الصالح غزا الصليبيون مصر  
ووصلوا إلى إقليم الحوف ، فأرسل الوزير الجيوش بقيادة ابنه العادل الناصر  
خلفهم ، وطاردهم إلى أنى عروق من إقليم فلسطين ، وعاد بجيوشه منتصرا إلى بلبليس ،  
ففرق في الجيش مالا كثيرا ، وخلع على الأعيان . وبذكر عمارة أن له ولغيره  
من شعراء مصر شعرا في هذه الموقعة ، ولكن لم يصل إلينا من هذا الشعر إلا  
مقطوعة من قصيدة لعارة منها قوله :

(١) الروضتين ج ١ ص ١١٦ . (٢) الحريرة ورقة ٦٧ .



أنت الذي يعقد الإسلام خنصره  
متوج تشرق الدنيا بطلعته  
عليه إن جل خطب أوطرا وطر  
وتخجل الشمس مهمالاح والقمر  
إذا أقامت على نعر صوارمه  
فللنواب عن سكانه سفر  
ومنها قوله :

أغاث أعمال «بليس» وأمنها  
وحين أبليت عذرا في اللحاق بهم  
وقال : عزمك لما أن ألح ولم  
إن ينج منها أبو نصر ، فعن قدر  
وعدت نحو مقر العزم في عصب  
وللصوارم في أجفانها أسف  
من بعد ما غالها الإشفاق والحذر  
والنصر يقسم لا فاتوك والظفر  
تلح له منهم عين ولا أثر  
نجا وكم قدرة قد عاقها القدر  
يفنى بها الأكران : الرمل والمطر  
تكاد من حره الأجفان تستعر<sup>(١)</sup>

هذا الشاعر الذي مدح الوزير بانتصاره على الصليبيين يحدثنا أن ابن الوزير نجا من هذه الموقعة (عن قدر) ، فهذا البيت إنما يدل على أن الحرب بين الفريقين كانت عسيرة شاقة كاد يقتل فيها ابن الوزير ، ولكن القدر فقط هو الذي أنجاه من خطر محقق . ومع ذلك فقد وصلت إلينا قصيدة أخرى من شعر عمارة في مدح الملك الصالح ، وفيها ذكر لهذه الموقعة ، منها قوله :

تيقنت الإفرنج أنك إن ترد  
وخافتك إن لم تعطها الأمن منعا  
ديارهم لم ينجهم منك مهرب  
لجاءتك يا ليث الشرى تغلب  
وأهدوا رجال السلم آلة حربهم  
ومن بعض ما أهدوا مجن ومقلب  
وذلك قال صادق أن عزمهم  
بسيفك ياسيف الهدى سوف يسلب<sup>(٢)</sup>

وهذه الموقعة هي إحدى الغلطات الثلاث التي كان بعدها الصالح نفسه ، إذ روى ابن خلكان أن تلك هذه الغلطات خروج الملك الصالح إلى بلبليس بالعساكر ورجوعه بعد أن أنفق فيهم أكثر من مائتي ألف دينار ، حيث لم يتم زحفه إلى بلاد الشام ويفتح بيت المقدس ويستأصل شأفة الفرنج<sup>(٣)</sup> . وفي هذه الموقعة نفسها قال عمارة أيضا في مدح الملك الناصر بن الصالح :

(١) النكت ص ٥٤ وما بعدها و ص ٢٤٧ . (٢) المصدر نفسه ص ١٧٦ .  
(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٢٠ .

رأيتك لم تقنع بمنصبك الذي  
فباشرت مكروه الوغى في مواطن  
وهل يفخر الصمصام إلا بقطعه  
كأنك خلعت السلم نقصا على العلى  
ولما تشكى الحوف حيفا على الهدى  
نهضت إلى الإفرنج تزجي كتابيا  
فولوا وقد أبت عليهم نفوسهم  
وأبتعتهم ركضا على كل ساجح

والمؤرخون يذكرون قصة شاور واستنجاده بالصليبيين ضد أسد الدين  
شيركوه وصلاح الدين ، ففي موقعة بلبس التي انتصر فيها شاور والفرنج قال  
عمارة يمدح شاور ويعرض بالغز :

ولقد دفعت إلى ثلاث نواب  
من معشر تغدو السباحة والندى  
فعصابة غزية غادرتها  
وعصابة رومية عاشرتها  
وعصابة مصرية بك أصبحت  
وتداركت بلبس منك عواطف  
أقسمت لولا حسن رأيك لاغتدى  
بلد لو انهدمت قواعد سوره  
أبقيتها للسليين وإنه  
كادت تشيب لهولها ولدانها  
فما حوت أجفانها وجفانها  
وأجل ما ترجوه منك أمانها  
فتأدبت وتهذبت أذهانها  
فوق البرية راجحا ميزانها  
يسع الزمان وأهله غفرانها  
الناقوس في بلبس وهو أذاتها  
بيد النصارى لم يعد بنيانها  
ليعز بعد خرابها عمرانها (٢)

فهو هنا يمدح شاور باتفاقه مع الصليبيين ، ولولا هذا الاتفاق لاستولى الفرنج  
على بلبس ، ولدثر الدين في هذا البلد ، ولذلك لم يهج الصليبيين في هذا الشعر  
وإن كان عرض بهم تعريضا خفيفا ، ونستطيع أن نعرف رأى عمارة في الإفرنج  
إذا قرأنا مقطوعة أخرى له لم يقصد بها مدح الوزير ، بل هي أبيات صادرة عن  
عاطفة الشاعر نحو هذه الأحداث والنكبات التي جرتها سياسة شاور على البلاد ،  
فهو يقول :

بارب إني أرى مصرا قد انتهت لها عيون الأعدى بعد رقدتها  
فاجعل بها ملة الإسلام بأية واحرس عقود الهدى من حل عقدتها  
وهب لنا منك عوننا نستجير به من فتنة يتلظى جمر وقتتها (١)  
وفي مديحه لصالح الدين وذكر وقعة الجسر بالجيزة التي انتصر فيها على  
الصليبيين بقيادة مري، يقول عمارة :

حمى الله منكم عزيمة أسدية فككتم بها الإسلام من ربة الكفر  
لئن نصبوا في البر جسرا فإنكم عبرتم ببحر من حديد على الجسر  
طريق تقارعتم عليها مع العدى ففزتم بها والصخر يقرع بالصخر  
أخذتم على الإفرنج كل ثنية وقلتم لأيدى الخيل مري على «مري»،  
وأزججه من مصر خوف يلزه كالز مهزوم من الليل بالفجر (٢)

وهكذا نرى شعراء مصر يشيدون بالحروب الصليبية التي شغلت العالم الإسلامي  
عدة قرون ، ولم ير العصر الفاطمي منها سوى زهاء نصف قرن فقط ، ومع  
ذلك فإن هذه الحروب جعلت الشعراء المصريين ينشدون أشعارا حماسية يمدحون  
شجاعة جنود مصر الذين أخذوا على عاتقهم طرد الصليبيين من فلسطين ، أعلى حين  
بقيت الدويلات الإسلامية تنظر إلى هذه الحروب نظرة عدم اكتراث ، وقد  
سجل المصريون في هذه الحروب جهودا كثيرة سجلها الشعراء الفاطميون في  
شعرهم ، كما سجلها شعراء الدولة الأيوبية وشعراء المماليك في العصور التالية لهذا  
العصر الذي نؤرخه الآن .

# الفصيل النجاشي

## الفكاهة والمجون

رأينا في كتاب «أدب مصر الإسلامية» كيف تطورت الحياة في مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين، وكيف كثر المجون واللغو بتأثير التطور الذي حل بالبلاد، ولكن مصر في العصر الفاطمي تطورت تطورا آخر، فقد كانت حياة المرح واللغو على أشدها بالرغم مما ألم بمصر في هذا العصر من كوارث ونكبات، وكانت أعياد الفاطميين ومواسمهم التي ابتدعوها تزيد في لهو الشعب ومجونه. أضف إلى ذلك ما كان يحدث في مصر في أعياد الأقباط التي شارك المسلمون في إحيائها والاحتفال بها، فقد كان الفاطميون يحتفلون بعيد الميلاد، ويفرقون فيه على أرباب الرسوم من الاستاذين المحنكين والأمراء المطوقين وسائر الموالي من الكتاب وغيرهم الجلمات من الخلاوة القاهرية والمثارد التي فيها السميذ وقربات الجلاب وطهاير الزلاية والسماك المعروف بالبورى<sup>(١)</sup>. وينقل المقرئ عن المسبحي أنه في سنة ٣٨٨ كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والأسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل، ونصبت أسرة للرئيس فهد بن إبراهيم النصراني كاتب الأستاذ برجوان، وأوقدت له الشموع والمشاعل، وحضر المغنون والمهلون وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف<sup>(٢)</sup>. وقال: إنه في سنة ٤١٥ هـ نزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله بقصر جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم، وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل في الليل وكان وقيدا كثيرا<sup>(٣)</sup>. ونقل المقرئ عن ابن المأمون أنه في غطاس سنة ٥٢٧ هـ فرق أهل الدولة ما جرت به العادة لأهل الرسوم<sup>(٤)</sup>. وفي خميس العدس كانت تضرب خمسمائة دينار فتعمل خرايب تفرق في أهل الدولة<sup>(٥)</sup>.

(١) خطاط المقرئ ج ٢ ص ٢٥. (٢) المصدر نفسه ص ٢٧. (٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه. (٥) المصدر نفسه.

وفي يوم النوروز كان اللعب بالماء ووقود النيران ، ويقول ابن زولاق في سنة ٥٣٦٤ هـ : وطاف أهل الأسواق وعملوا فيه وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام أظهروا فيها السماجات<sup>(١)</sup> . ويروي ابن المأمون أنه حل موسم النوروز في سنة ٥١٧ هـ ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز من نهر الإسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريرى والسوادج ، وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الأصناف المختصة بالموسم<sup>(٢)</sup> . فالفاطميون كانوا يشاركون المسيحيين في أعيادهم ومواسمهم ويحتفلون بذلك احتفالاً يكاد يكون رسمياً ، فلا شك أن الشعب كان يحتفل بذلك كله ؛ مع ما كان للمسلمين من أعياد خاصة بهم . كما كان في مصر أيام ليست دينية ، إنما هي مصرية يساهم فيها المسلمون وغير المسلمين مثل يوم فتح الخليج مثلا ، وقد وصف الرحالة ناصرى خسرو ما شاهده في هذا اليوم ، وختم حديثه بقوله : « وفي هذا اليوم يخرج جميع سكان مصر والقاهرة للتفرج على فتح الخليج وتجري فيه أنواع الألعاب العجيبة »<sup>(٣)</sup> . ووصف المسيحي ما كان في يوم الثلاثاء خمس بقين من المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان ثالث الفتح ، أى فتح الخليج ، بقوله : فاجتمع بقنطرة المقس عند كنيسة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير للأكل والشرب واللهو ، ولم يزالوا هناك إلى أن انقضى ذلك اليوم ، وركب أمير المؤمنين — يعنى الظاهر — في مركبه إلى المقس وعليه عمامة مشرب مفوظة بسواد وثوب ديبقى من شكل العمامة ، ودار هناك طويلا وعاد إلى قصره سالما ، وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن في قفاف الخمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقبح ذكره<sup>(٤)</sup> . فكل هذه الأعياد التي كانت في العصر الفاطمى أدت بمصر إلى الاندفاع نحو حياة كلها فرح وجبور . أضف إلى ذلك كله ما كان عليه ثراء مصر في هذا العصر وبذخ الخلفاء والأمراء . وقد لمس ناصرى خسرو هذا الثراء فذكر أن أهل مدينة مصر ( ويقصد القسطنطينية ) كانوا في غنى عظيم حين كنت هناك<sup>(٥)</sup> ، فهذا الثراء جعل المصريين يتأنقون في ملابسهم ومسكنهم

(١) المصدر نفسه ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سفر نامه (ترجمة يحيى الخشاب) ص ٥٥ . (٤) المخطوط ج ٣ ص ٢٣٥

(٥) سفر نامه ص ٦٢ .

وما كلهم ، ويتباهون بذلك كله ويتنافسون عليه . وقد حدثنا المؤرخون عن ذلك كله بصور مختلفة هي أقرب إلى الصور التي تحدثنا عنها القصص . ومع ذلك فإن ما بقي لنا من آثار الفاطميين يدل على أن ما ذكره المؤرخون لم يكن من وحي الخيال إنما كان من الواقع المشاهد (١) .

كانت هذه الحياة المرححة في مصر وثوراء المصريين من أشد العوامل على تطور الحياة في مصر الفاطمية ، وذلك أن حياة اللهو انتشرت واشتد تيارها ، فحاض غمارها المصريون ، وقد وصف «أبو الصلت» أخلاق المصريين التي شاهدها فقال : «أما أخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات» (٢) .

وفي حديث المقرئ عن خزانة البنود قال عن الظاهر لإعزاز دين الله : «وكانت أيام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة ، وكان مشغلا بالأكل والشرب والنزه وسماع الأغاني ، وفي زمانه تأتق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ الأغاني والرقاصات ، وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة» (٣) .

ويحدثنا المقرئ أيضا أن الحاكم أزم الناس بالوقيد ، فاستكثروا منه في الشوارع والأزقة ، وزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة ، وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل في بيع وشراء ، وأكثروا أيضا من وقود الشموع العظيمة ، وخرج سائر الناس بالليل للتفرج ، وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل ، وعظم الازدحام في الشوارع والطرقات ، وأظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات في الحوانيت والشوارع من أول المحرم سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (٤) .

ويروي المقرئ : قال إبراهيم بن الرقيق في تاريخه : حدثني محمد السكيتي ، وكان أديبا فاضلا قد سافر ورأى بلدان الشرق ، قال : ما رأيت قط أجمل من أيام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة في القصف والغزف ، وذلك أنه لا يبق صغير ولا كبير إلا خرج إلى بركة الحبش متنزها ، فيضربون عليها المضارب

(١) راجع كتاب كنوز الفاطميين للدكتور زكي حسن

(٢) الحطاط ج ٢ ص ٢٧٨

(٣) الحطاط ج ١ ص ٧٧

(٤) الحطاط ج ٣ ص ١٧٦

الجليلة والسراذقات والقباب والشراعات ، ويخرجون بالأهل والولد ، ومنهم من يخرج بالقينات المسمعات المالك والمحترات ، فيأكلون ويشربون ويسمعون ويفسكون وينعمون<sup>(١)</sup> .

وظهر أثر ذلك كله في الشعر ، وكان شعر مصر الفاطمية أصدق مرآة لهذه الحياة الصاخبة الماجنة ، فوصف الشعراء بحالس الشراب واللهو ، وتغزلوا بالمذكر حيناً وبالْمؤنث حيناً آخر ، وتهادوا الجوارى والغلمان ، ودعا بعضهم بعضاً للاستمتاع بلحظات يختلسونها للهوهم ومجونهم ، وخرجوا إلى الأديرة ينتهبون فيها اللذات ، واشترك الشعراء في ذلك كله حتى لانستطيع أن نجد شاعراً لم يأخذ بنصيب من حياة المجون ، إلا إذا استثنينا المؤيد في الدين الذي لم يعرف عنه نخس في القول ، ولم يسهم في هذه الحياة مثل غيره من الشعراء ، بل هو القائل :

قد شيبت مني العذار العفة      ما زلت من ميزاتها في الكفه

ما شاق قلبي وتر أو زهر      ولم تدب في عروقي خمرة

عبادتي كل الزمان عادي      ما ملكت يد الهوى مقادتي<sup>(٢)</sup>

أما غير المؤيد من الشعراء فقد كانوا جميعاً يشتركون في المجون واللهو ، وها هو ذا الشاعر أبو الرقعمق يعرض في مجونه بالمذاهب الدينية ، ويصرح بأجزاء من الجسم في قصيدة يدح بها الإمام العزيز :

أظن ودادها من غير نيتي      وهل هي فيه إلا مدعيه

فتاة لا تملى عذاب قلبي      ولا تخليه وقتاً من أذيه

ولا ذنب له إلا التواني      لمن في الحب ليست بالوفيه

ويعجبني التمتع والتشاجي      من الخود الممنعة الشجيه

فوا أسفا على حر يعزى      أبا رزء على عظم الرزبه

وذلك أن أبرى فيه رطل      وما في حرها إلا وقبه

ومن بعث المدام فليس بد      ولا تك غير بكر بابليه

فتم هناك حر شافعي      عظيم الشأن واست مالكيه

ونفسي غير مائلة إليها      لأحوال مقبحة بذيه

(١) الخطاط ج ٣ ص ٢٥١ .

(٢) القصيدة المسعلة من ديوان المؤيد في الدين .

وجملة أمرنا أنى بنى  
أحب دنوها وتحب قربى  
وما لاقيتها إلا تلاقى  
وهذا الرأى لا رأى سواه  
ولاعيش سوى تغليب بظر  
على أنى أقول بكل شىء  
ولا ألوى على أحد يرانى  
ولكنى أقول بمدح قرم

وأیضا فهى فاجرة بغيه  
وهذا لا يكون بلا بليه  
مبالانا بإسقاط التقيسه  
فلا تحفل بأقوال الرعيه  
وثقب من صبي أو صبيه  
سوى نيك العجوز القزمليه  
بعين النقص والحال الدينه  
تفرد بالعلا دون البريه (١)

ويستمر أبو الرقعمرق فى مدح العزيز بعد أن قدم للمدح بهذا المجنون ، وربما كان أبو الرقعمرق من أشد الشعراء إمعانا فى الخماقة والفحش فى الشعر ، فقد اتخذ لنفسه هذه الطريقة العجيبة فى الشعر حتى عرفت به ، فهو يشبه ابن الحجاج فى هذه الناحية ، ولكن أبا الرقعمرق إذا شاء أن يترك هذه الخماقات فى الشعر ، وأن يعود إلى الجد ، فهو يأتي بشعر جيد لا ياباه السمع ولا يزوى عنه أهل الفضل ، فهو يقول مثلا :

ليلي بتيس ليل الخائف العاني  
أقول إذ لج ليلي فى تطاوله  
لم يكف أنى فى تيس مطرح  
حتى بليت بفقدان المنام فما  
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهم  
ولاحنت إلى نجران من طرب  
لا تكذبن فما مصر وإن بعدت  
ليالى النيل لا أنساك ما هتفت  
أصبو إلى هفوات فيك لى سلفت  
مع سادة نجب غر غطارفة  
وذى دلالة إذا ماشئت أنشدنى  
تغنى الليالى ولىلى ليس بالفانى  
بالليل أنت وطول الدهر سمان  
نخيم بين أشجان وأحزان  
للنوم إذ بعدوا عهد بأجفانى  
إلا تذكرت أيامى بعان  
إلا تكسفتى شوق لنجران  
إلا مواطن أطرابى وأشجانى  
ورق الحمام على دوح وأغصان  
قطعتين وعين الدهر ترعانى  
فى ذروة المجد من ذهل بن شيبان  
وإن أردت غناء منه غنائى



سقيته وسقاني فضل ريقته وجاد لي طرفه عفواً ومناني  
مازلت أجنى بلحظي ورد وجنته وأستغير على تفاح لبنان  
ما زال يأخذها صفراء صافية حتى توسد يسراه وخلاني  
الله يعلم ما بي من صبابته وما على جناه طرفه الجاني  
كم بالجزيرة من يوم نعمت به على تصاحب نايات وعيدان  
سقىا ليلتنا بالدير بين ربا باتت تجود عليها سحب نيسان  
والطل منحدر والروض مبتسم على أصفر فاقع أو أحمر قاني  
والترجس الغض منهل مدامعه كأن أجفانه أجفان وسنان (١)

فإذا قارنا بين هذه القصيدة وبين قصائده الأخرى التي يظهر فيها الحق نجد أن الشاعر كان له لونا من الشعر، ذلك اللون الذي يظهر فيه بجونه وحماقته، ولون آخر هو الذي يظهر فيه الجذ، ولكن أبا الرقعمق عرف بالمجون أكثر مما عرف بالجد، وقد ذكرنا لونا من شعره الماجن في مقدمة المدح، وله في ذلك عدة قصائد منها القصيدة الرائبة المعروفة التي مطلعها :

كتب الحصير إلى السرير أن الفصيل ابن البعير

وفي أشعاره الماسجة يتحدث الشاعر عن تصافع الشعراء الماجنين، وهذه ظاهرة بدأت في الشعر المصري في العصر الإخشيدى واستمرت إلى أوائل العصر الفاطمي، فقد كان الشعراء يذكرون في قصائدهم هذا اللون من المزاح بينهم ويتنادرون به، وكان أكثرهم ذكراً للتصافع هو الشاعر كشاجم وأبو الرقعمق، فأبو الرقعمق يقول في إحدى قصائده يذكر التصافع بين الشعراء الماجنين :

ولكم بتنا على طرب وروءوس القوم تستلب  
وكثوس الصفح دائرة ملؤها اللذات والطرب  
واتخبناها وهامهم وأكف القوم تصطخب  
وكان الصفح بينهم شعل النيران تلتهب (٢)

ويقول في قصيدة أخرى :

ولا أترك في مصر لذكر الحق من أثر

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٦ .

(١) البديعة ٢٦٠ .

فمن بعدى لطيبه في النظم وفي النثر  
ومن يلعب في الرأس من العصر إلى العصر  
ومن من شدة الصفع له رأس بلا شعر  
ومن هامتة أقوى على الصفع من الصخر  
إذا أمراني الصفع تجشأت من الدبر  
وهيات ترى صفعاً لغيري أبداً يمرى (١)

ويقول في قصيدته الرائية المشهورة :

لا تنكرن حماقاتي لأن بها لواء حمي في الأفاق منشور  
ولست أبغى بها خلا ولا بدلا هيات غيري بترك الحق معذور  
لا عيب في سوى أني إذا طربوا وقد حضرت يرى في الرأس تهجير  
والأخذعان فما زال يرى هما لكثرة المزح توريم وتحمير  
وذا الفعال مع الأعراض مطرد صفع ونقع وتيسير وتفسير (٢)

فالشاعر في هذه المقطوعات يظهر حماقاته ومجونه ؛ وهذا المزاح الثميل الذي كان بين الماجنين ظهر في العصر الأخشيدي وأوائل العصر الفاطمي ، ويحيل إلى أن هذا المزاح أتى به الشعراء الوافدون على مصر ، فكشاجم أحد أبطال التصافع لم يكن مصريا ، وأبو الرقعمق لم يكن مصريا ، ولم أجد في شعر المصربين الذي وصلنا هذا النوع من المزاح ، ولكن كشاجم وأبا الرقعمق تحدثا عنه في أشعارهما التي أنشدها في مصر ، ولعلهما كانا يعيشان في شعرهما بذكر هذا المزاح ، وإذا ذكر شعراء مصر الصفع فإنما يكون ذلك في الهجاء ، فالشاعر صالح بن مؤنس الذي كان يعيش في عصر أبي الرقعمق هجا زميله الشاعر ابن أبي الجوع فقال :

وقال قوم قد غدا شاعرا والشعر لا يعرف للمفحم  
فقلت لا لوم على مثله من أخذ الصفع قفاه حمي  
أنا الذي ألبسته حسرة بما جرى من ذكره في فمي  
واقه لا يجهل من بعدها وفي قفاه للردى ميسمي  
أبين به من ميسم واضح بضى كالغرة في الأدم (٣)

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٩ .

(١) البنية ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣١٠ .

فالضغ في هذه الآيات ليس للمزاح كالذي رأيناه في شعر كشاجم أو في شعر أبي الرقعمق ، إنما هو في معرض الهجاء .

كان أبو الرقعمق أستاذاً لمدرسة في شعر الهزل والمجون ، وسنرى أن صريع الدلاء وابن مكنسة وغيرهما ساروا على نهجه .

وفي هذا العصر الذي كان فيه أبو الرقعمق ، عاش عدة شعراء مثلوا في مصر جماعة أبي نواس في العراق ، فقد كان هؤلاء الشعراء يجتمعون وينشدون أشعارهم ويتبارون في التشديد وهم يقصفون ويلهون ، لجماعة كانت تضم صالح بن رشدين وعبد الله بن أبي الجوع ومحمد بن الحسن اليميني والحسن بن محمد الشهاجي وصالح ابن علي بن مؤنس وابن أبي الزلازل وأبا تميم سليمان بن جعفر وأحمد بن عبد الله ابن أبي العصام وغيرهم من شعراء ذلك العصر . وكانت هذه الجماعة على صفا . أحياناً وفي خصام أحياناً أخرى . وكان أكثر هؤلاء الشعراء يتغزلون في صالح ابن رشدين ، أحد أئمة السككاتب في الديوان ، وإني المتنبئ في مصر ، وروى شعره ، كما كان شاعراً بارعاً جيد المعاني ، ففيه يقول صالح بن مؤنس :

بك يا صالح أرضى عن زماني حين أسخط  
فأدم لي الوصل إني بك في العالم أغبط  
أنت والرحمن مذ كنت على قلبي مسلط  
ومصيب أنا في الحسب ومن بعدى يغلط  
يا جواداً في لهاء بندهاء أتيسط (١)

وفيه يقول محمد بن الحسن اليميني :

فأضح الغض الضير كاسف البدر المنير  
أنت عذري في حياتي وعماتي ونشوري  
ما سرور غاب عنه (صالح) لي بسرور (٢)

وأنشد فيه ابن أبي الجوع :

يا أطيب الناس ريحا وأطيب الناس راحا  
ومن به أتصدى الأ طراب والأفراحا

(١) المصدر السابق ص ٣٠٧ . (٢) البقيمة ص ٣١٣ .

هات اسقني ، أو تراني لا أعرف الأقداحا  
واحفظ على فؤادي من أن يطير ارتياحا  
لو كنت كاسمك يا صاح لح اعتمدت الصلحا  
لكن أي الله إلا أن تفسد الأرواحا (١)

ويطول بي الأمر لو ذكرت كل الأشعار التي بقيت لهذه الجماعة في صالح  
ابن رشدين ، وكان هؤلاء الشعراء يقصفون ويلهون ويدعو بعضهم بعضا على  
الشراب والقصف وسماع الموسيقى والغناء ، ويتهادون الجوارى . وقد روى  
الثعالبي أن القائد أبا تميم سليمان بن جعفر كتب إلى صالح بن رشدين رسالة  
يستدعيه فيها إلى الشراب فامتنع عليه ، وكتب له هذه الأبيات :

يا أيها القائد الجليل ومن أصبح بالمكرمات يفتخر  
آليت لا أشرب المدام وإن كانت ذنوب المدام تغتفر  
يكفي أعا العقل أن سورتها تجني على عقله ويعتذر  
فكتب إليه القائد أبو تميم :

أبا على حاشاك يا أملي من أن أراك الغداة تعتذر  
قلبي إذا غبت ساعة قلق يكاد شوقا إليك يستعر  
فسر إلينا فوقتنا حسن ساعد فيه السحاب والمطر (٢)

ويروى أيضا أن ابن رشدين قال : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له  
فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة جانية ، فحملني النبيذ  
أن أخذت ورقة وكتبت فيها إليه :

صالح لا يزال يطلب عبده من كريم يصفي الأخلاء وده  
قد بثت الغداة وجدى وحبى من ولى يولى لمولاه مجده  
فإذا شئت أن أرى لك عبدا ففضل أبا تميم بعبده  
فقرأها ، وأمسك ، وتماديت في الشرب معه ، ثم نهضت إلى منزل أنزلني فيه  
بقربه ، فلما استقر بي أنفذ لي الجارية ومعها درج فيه طيب كثير وعايها ثياب  
رفيعة حسنة ورقة فيها شعر :

قد بعثنا أبا على بعبده وقضينا بذلك حق الموده

وحدناك إذ خطبت إلينا أسأل الله أن يهنيك حمده  
فاتخذها فأنتم أكرم كلفه وهي ما عشت كاسمها لك عبده (١)  
ويروى ابن سعيد في المغرب أن أبا علي أحمد بن صدقة الكاتب أرسل إلى  
صالح بن رشدين :

بالله يا صالح قم مسرعا إلى عقار ادركت تبعاً  
وساعد الليلة في شربها وخذ من السكر لها مصرعا  
فقد بذلنا لك أرواحنا كما رأيناك لها موضعاً  
فجاوبه صالح :

ياسيدا يسمع ما قد دعا خذني كما أزمته مسرعا  
منادماً ما شئت أعمالها كما أسأنا ترينا للسنا مطلعاً  
نشرها حتى ترى الهم لا يهدي ولا يدرى لنا موضعاً (٢)

ومن الجماعات التي كانت في أوائل العصر الفاطمي جماعة الأمير تميم والرسى  
والعقبلي وغيرهم ، وكلهم عرف بالمجون والفحش ، وقد ذكرنا أن المعز منع الإمامة  
من ابنه الأكبر الأمير تميم لمجونه وفسقه ، انظر إليه وهو يقول :

وشادن شرط الصبا مرهف قررة عين من تمناه  
كأنما الحسن رأى وجهه إليه محتاجاً فأغناه  
وانتشرت بالغنج أفاضه وانكسرت بالحظ جفناه  
ولاح برق الثغر من ميسم المسك والقهوة بجناه  
وبتل الأرداف فاستثقلت وأرهف الخصر وأضناه  
زرنا به منزل خماره والليل في صبغ برياه  
وقد علا الأفق هلال بدا كعطفة الحاجب مخناه  
حتى إذا الخمار أصغت إلى صحبنا في المشي أذناه  
قام إلينا بجلا شاغلا بالراح يمناه ويسراه  
ماسل من إربيقه قهوة أشرق منها ليل مغناه  
حتى إذا سمناه في يعبها قطب غيظاً حين سمناه

(٢) المغرب من ٨٧ .

(١) المصدر السابق ص ٣٢٠ .

وقال ما استام بها ماجد  
دونها كموها وزنوا مثلها  
فغاب عن الحاظنا ساعة  
فقام بالكأس هضم الحشى  
كانه فى كفه حده  
إذا سقى ندمانه كأسه  
ولم تنكه غير الحاظنا  
فإن تداخلك بنا ظنة  
ولم نزل فى بيت خمارها  
إذا أشاب الصبح رأس الدجى  
نحنو إذا نادى إليه كما  
وإن بدامن صاحب بعض ما  
قبلكم فيما علمناه  
درا وتبرا، ووزناه  
ثمت وافانا ودناه  
لولا قناه لشربناه  
لكنها فى السكر عيناه  
ألثمه فاه وغناه  
يا كاشحا قد زاد معناه  
فقد على رغمتك نكناه  
نشرها شهرا ومشاها  
وهزنا الساقى أجنبناه  
يحنو إلى الوالد أبناءه  
بأقى به السكر عذرناه (١)

ثم اقرأ قوله وفيها يذكر بجونه فى دير القصير :

ولى صاحب لا يمرض العقل جهله  
إذا قلت: دلاء فى قصة لم يقل: «بلى»  
وإن قلت هاك الكأس، قال مبادرا  
سريع إذا لبي، صبور إذا دعا  
غدوت به يوما إلى بيت حانة  
وقد نفحت ريح الصبا بمنافس  
فأفضى بها الإدلاج بعد تعسف  
مدثرة، أما أبوها فقيصر  
قصيرة ديرية هرقلية  
فلما قرعنا بابها ابتدرت لنا  
فقلت لنا: أهلا وسهلا ومرحبا  
من انتم؟ فقلنا عصابة من بنى الصبا  
فقلت: على اسم الله حطوا رحالكم  
ولا تتأذى النفس منه ولا القلب  
وإن قلت: أصبو، قال: لا بد أن أصبو  
ألا هاتما، طاب التنادم والشرب  
يهون عليه فى رضى خله الصعب  
وللغيم دمع ما يكف له سكب  
عبيرية الأنساب طاب لها الترب  
إلى زولة شمطاء منزلها رجب  
وحسبك ملك جده قيصر حسب  
تقاصر منها الحظ واحدودب الصلب  
وفى يدها نجم محيط به قعب  
وقل لكم منى البشاشة والرحب  
دعاهم إليك القصف والعزف واللعب  
فعندى الفتاة الرود والأمرد الرطب

(١) ديوان الأمير نعيم (مخطوط).

وراح نفي اقضاءها طول عمرها  
أرق إذا رقرقتها في زجاجة  
كان سراجا في ترائب دنها  
فقلنا لها : كيلى لنا وتعجلى  
لجاءت تجر الزق نحوى كأنه  
فلما مزجناها بدا فوق رأسها  
وطافت بها هيفاء مهضومة الحشا  
تمايل ردفاها وأدرج خصرها  
شكا كشحها الزنار مما يجيعه  
أغار على أعطافها كلما اثنت  
أحلت لى الصهباء تقبيل وجهها  
كأنى وقد أضجعتها وعلوتها  
وما فض لاي صادها بجناية  
فلما أغاظتنى بإظهار كفرها  
وضرحت غفديها دما بمصمم  
فأهرحت حتى أنابت وأسلفت  
أبا حسن ، هات المدامة واسقنى  
كان الثريا في ملاءة لجرها  
سلام على دير القصير ومرحبا  
فكم لذة فيه قضيت وغلة  
منازل يستن الصبا في عراصها  
والأمير تميم هو الذى يقول فى إحدى مقطوعاته :

دع مقال العاذلات واله عن سعى السعاة  
وأشرب الراح وشبها بالثنايا العـطـرات  
وانتقل إن شئت تفاع رياض الوجنات  
أنا ما بين نداما ي وراحي وسقاتي

عمل لا أعرف الصحو ولا وقت الصلاة  
فيذا نومني السكر على تلك الهبات  
لم ينهني سوى حسن مثنى الغانيات  
وغناهن سحيراً : واستقنيها بجياقي ، (١)

فهذا الشاعر الماجن لم يتورع عن التهكم بالدين المسيحي طوراً وبالدين الإسلامي  
طوراً آخر ، حتى تخيل إلينا من شعره الذي وصلنا في المجون أنه رجل عاش للذاته  
وجوره ، ولم يفكر إلا في قصفه وهوه ، حتى إنه في شعره الذي كان يمدح  
فيه أباه الإمام المعز أو أخاه الإمام العزيز كان يقدم لمدايحها بالفزل حيناً وبشعر  
ماجن حيناً آخر ، مع أنه كان يمدح شخصاً أخص ما يمتاز به هو صفته الدينية ،  
ولكن نجد في ديوان تميم بعض قطع في الزهد والنسك لا تقل روعة وصدق  
إيمان عن شعر اشد الشعراء تمسكا بالدين وأشدهم خوفاً من عذاب الآخرة ، فهو  
يقول مثلاً :

يا عجباً للناس كيف اغتدوا في غفلة عما وراء المعات  
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن لهم على أخذ المعاصي ثبات  
من شك في الله فذاك الذي أصيب في تمييزه بالسبات  
يجيئهم بعد البلى مثل ما أخرجهم من عدم للحياة (٢)

ويقول مرة أخرى :

أفنت دهرك تتق في الحوادث والمصائب  
ولو اتقيت معاصي الر حمن فيما أنت راكب  
لأمنت من نار الجحيم وفي الحياة من المعائب  
إن لم تراقب من له حكم عليك فن تراقب (٣)

فالأمير تميم شأنه في مجونه وزهده شأن كثير من بني البشر الذين يعصون الله ،  
ولكنهم في الوقت نفسه يخافون عقابه ، فهؤلاء لهم شخصيتان : شخصية الماجن  
اللاهي وشخصية الزاهد المتعبد ، ولكن الأمير تميم كان يغلب عليه المجون حتى  
عرف به .

(١) ديوان الأمير تميم . (٢) المصدر نفسه . (٣) المصدر نفسه .



أما أصدقاؤه الذين كان يقصف ويلهو معهم ، فلعل أشدهم صلة به هم ولدا الرسى : أبو إسماعيل الرسى وأبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الرسى ، وهؤلاء جميعاً من الأشراف العلويين الذين وفدوا على مصر قبل العصر الفاطمي واستقروا بها ، وكان لبنت الرسى نقابة الطالبيين في مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ، وكان هؤلاء جميعاً من شعراء مصر ، ويتحدث صاحب المغرب عن الحسين بن إبراهيم الرسى فيقول : « وهذا الشريف الرسى هو الذي كان يدينه وبين تميم بن المعز مجاوبات بالنظم ، وكان يكثر التنزه معه في بساينته وفرجه » (١) ويروي الثعالبي للرسى أبياتاً في الدعوة إلى الله منها :

شم النسيم لذيذاً من قبل ألا تشمه  
وأصرف عن القلب ما أسطه ت بالمسرة همه  
وغالط الدهر إن كذت لست تملك حكمه  
وقد نصحتك جهدى فلا تصم وتكمه (٢)  
وهذا للشاعر هو الذي كتب إليه الأمير تميم يصفه بقوله :

يا شاعراً جل عن أن يقاس به الشعراء  
و يا ظريفاً بليغاً أرى على البلغاء  
قد جاء شعرك يشق قاريه من كل داء  
كالتقرب بعد بعد والوصل بعد جفاء  
وأنت للنفس أشهى من الغنى والبقاء

كان بنو الرسى يكتبون الأمير تميم بالشعر كلما بعد عنهم . وكانوا يكتبونه يستهدونه بعض الطرائف أو يدعونه إلى الشراب ، وبصرح الأمير تميم في إحدى قصائده إلى الحسين بن إبراهيم الرسى أن الإخاء بينهما قوى وثيق لأنهما متفرعان من أسرة واحدة :

وليس الإخاء الذي بيننا يدع إذا ما استوى وانعقد  
لأننا إلى والد واحد تفرعنا حين ندعى وجد  
وكان إذا تأخر الرسى عن مكاتبته يرتاع الأمير تميم ويسأل عن سبب هذا الانقطاع ويرسل إليه يعاتبه ، من ذلك قول تميم من قصيدة طويلة :

أبا عبد الإله ووجهه ودي مزال عن أسرته القناع

(٢) البنية ج ١ ص ٣٣١ .

(١) المغرب ص ٨٥ .

علام وأنت فيما صح عندي  
تأخرت الرسائل منك عنى  
أسهوا يا ابن إبراهيم عنى  
ومثلك لا يبيع أبا بيخس  
ولسنا نلتقى لقيما اجتماع  
ولكن تعرب الأقلام عنا  
وأكثر حظنا في البعد أنا  
فأجابه الرمي بقصيدة منها :

عدلت عن المقال إلى السماع  
أميرى ظلت في نعم جسام  
أعهدى كالسراب لدى الموالى  
عنت على يا ترب المعالى  
وعادتك التي سلفت إلينا  
يضيق عن الجواب مدى ذراعى  
رتاع أو شبهاث الرتاع  
وقطر مودتى حلف انقشاع  
لتأخيري موالاة الرتاع  
ستنسبني إلى حسن الطباع

### ابن وكيع التميمي

أما هذا الشاعر الماجن فهو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد المعروف بابن وكيع التميمي أصله من بغداد ومولده بتليس<sup>(١)</sup>، وذكره الثعالبي في اليتيمة وقال في حقه : شاعر بارع وعالم جامع قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بدعية تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام<sup>(٢)</sup> ، ويضيف ابن خلكان إلى ما رواه عن الثعالبي أن لابن وكيع ديوان شعر جيد ، وكتابا بين فيه سرقات أبي الطيب المتنبى سماه « المنصف » ولم يعرف عن ابن وكيع انه اتصل بأمرير أو أنه تكسب بشعره ، وكل شعره الذي وصلنا في وصف الطبيعة وفي المجون ، فمن قوله في المجون والطبيعة معا :

جانبت بعدك عفتي ووقارى  
ورأيت إيثار الصباية في الذي  
لا تأمرني بالتستر في الهوى  
إن التوقر للحياة معكدر  
وخلعت في طرق المجون عذارى  
تهوى النفوس محق الأعمار  
فالعيش أجمع في ركوب العار  
فهو تهتك الأستار

(١) ابن خلكان ج ١ ص ١٣٧ . (٢) اليتيمة ج ١ ص ٢٨١ .

من تابعت أمر المروءة نفسه  
لا تكثرن على إن أعا الحجا  
خوفتني بالنار جهدك دائما  
خوفني كخوفك غير أني واثق  
أقررت أني مذنب ، ومحرم  
انظر إلى زهر الربيع وما جلت  
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعا  
ما شئت للأزهار في صحرائه  
وجواهر لولا تغير حسنها  
من أبيض يقق وأصفر فاقع  
ناحت لنا الأطييار فيه فأرجمت  
دار لو اتصل البقاء لأهلها  
فانهض بنا نحو السرور فإنه  
فاشرب معتقة كأن نسيمها  
أخفي ديبيا في مفاصل شربها  
أحكامها في العقل إن هي حكمت  
يرضى على الأقدار شاربها الذي  
وكانها والكأس ساطعة بها  
لا سيما من كف أعيد شادن  
فضل الفصون لأنها من غرسنا  
قد غيب الزنار دقة خصره  
متنصّر قويت على أسلامنا  
قالوا : أيصنع مثل هذا ربكم  
مع مسمع حلفت له أوتاره  
فطن يحرك كل عضو ساكن  
شدو إذا الحلياء زار حلومهم  
والشدو أحسنه الذي لم يستمع

فبتت من الحشرات والأفكار  
يرم بقرب صاحب المهدار  
ولججت في الإرهاب والإنذار  
بجميل عفو الواحد القهار  
تعذيب ذى جرم على الإقرار  
فيه عليك طرائف الأنوار  
شهدت بحكمة منزل الأمطار  
من درهم بهج ومن دينار  
جلت عن الأثمان والأخطار  
مثل الشموس قرن بالأفكار  
عرس السرور ومآتم الأطييار  
لم يحفلوا بنعيم تلك الدار  
ما زال يسكن حانة الخمار  
مسك تضوعه يد العطار  
وأدق إلفا من المقدر  
أحكام صرف الدهر في الأحرار  
ما زال ذا سخط على الأقدار  
ذوب تحلل في عقيق جارى  
يسبي العقول بطرفه السحار  
عند التأمل وهو غرس البارى  
حتى ظنناه بلا زنار  
بالحسن منه حجة الكفار  
ويرى فساد صنيعه بالنار  
ألا تنافر رنة المزمار  
تحريكه لسواكن الأوتار  
باعوا بطيب السخف كل وقار  
إلا أطار العقل كل مطار

ذا العيش لانت الممامه والفلا وسؤال رسم الدار والأحجار  
لا فرج الرحمن كربة جاهل يبكي على الأطلال والآثار<sup>(١)</sup>  
فالشاعر هنا يتهم بالأديان أيضا ، ولكنه في الوقت نفسه يظهر قدرة  
الرحمن في وصفه لأزهار الطبيعة ، وينعى على الناس أنهم لم يأبهوا بالطبيعة  
ومناظرها البهيجة ويحتم شعره بأن الحياة هي في المجون والتمتع بالرياض ، وليس  
في وصف صحراء وما فيها من رسوم وأطلال ، بل يلعن هؤلاء الذين يكتفون  
بالبكاء على الأطلال والآثار . فنحن أمام شاعر يختلف عن شعراء المجون الذين  
رأيناهم من قبل ، لأن المجون عند ابن وكيع مذهب في الحياة ، فهو ليس بحمق  
أبي الرقعمق ولا فسق تميم وجماعة صالح بن رشدين ، إنما ابن وكيع يمتاز بهذا  
اللون من فلسفة خاصة في الحياة ، فهو يدعو إلى الفجور ، ولكن في الوقت نفسه  
يتأمل الطبيعة ويفكر فيها طويلا . وقد يستهويه جمالها فتمتلي بها نفسه ، فيخلع  
عليها هذه الصفات ، ويصورها بهذه الصور الملونة ، فيزداد سرورا ، فإذا به يدعو  
إلى الشراب فيصف الخمر ودبيها في المفاصل وسلطانها على شاربها ، ويصف  
الساق وجماله ومجلس الغناء والموسيقى . تحدث عن كل ذلك في صور متلاحقة  
متابعة وهذه هي الحياة عنده .

وفي قصيدة أخرى يجذب هذه الحياة التي اختارها لنفسه ، ودعا إليها فهو يقول :

علل فؤادك ، والدنيا أعالي	لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل
ولا يصدك عن أمر هممت به	من العواذل لا قال ولا قيل
غير يوميك يوم أنت فيه إذا	ميزت في الناس محمود ومعزول
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا	فقل لهم لأنني عن ذلك مشغول
فإن ذلك أمر مع نفاسته	ونيله بفناء العمر موصول
وارض الخمول فلا يحظى بلذته	إلا امرؤ غامل في الناس مجهول
ولا تبع عاجل الدنيا بأجل ما	ترجو ، فذلك أمر شأنه الطول
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به	روحي فإن دم الصهباء مطلول
يا خائف الإثم فيها حين يشربها	لا تقنطن فعضو الله مأمول
قم فاسقني النض مما حرموه ولا	تعرض لما كثرت فيه الأقاويل
من قهوة عتقت في دنها حقبا	كأنها في سواد الليل قنديل

عروس كرم أتت تختال في حلال صفر على رأسها للزج إكليل  
كأنها بأكف القوم إذ جلبت ذوب من الذهب الإبريز محلول  
في فتية جعلوا للهو طاعتهم فما لهم عن طريق اللهو معدول  
جليسهم ليس يروى من حديثهم يوما وبعض حديث القوم مملول  
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم ففي سكوتهم المأمول والسول  
ترى مجالسهم مملوءة لجبا وكل ذلك فضول عنك معزول (١)

وعلى هذا النحو يسير الشاعر في وصف حياته التي اختارها لنفسه . ولعل  
قصيدته المربعة التي وردت في اليتيمة تدلنا على أن الشاعر كان ماجنا خليعا ،  
وقد شهد على نفسه بأنه « شيخ الملاهي والغزل » وذلك بقوله في ختام قصيدته  
المزدوجة التي أنشدها في وصف فصول السنة :

دونك هذى صفة الزمان مشروحة في أحسن التبيان  
فأصغ نحو شرحها كي تسمعا ولا تكن لحقها مضيعا  
وارض بتقليدي فيما قلته فإنني أدري بما وصفته  
ولا تعارضني في هذا العمل فإنني شيخ الملاهي والغزل (٢)

الشريف العقيلي : شاعر الطبيعة والخمر (٣) .

أما الشاعر الذي خلف ابن وكيع التنيسي في وصف الطبيعة والخمر معا ، فهو  
الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي من ولد عقيل بن أبي طالب  
من رجال النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، فهو شاعر حباه الله بسطة في  
الرزق ، فلم يكاف نفسه مشقة الوقوف على أبواب الأمراء والخلفاء يستجدي  
عطاءهم ، ولم يشتغل بخدمة سلطان ، ووهبه الله دقة حس ورقة شعور . فأولع  
بجمال الطبيعة ، وجرى على لسانه شعرا رقيقا هو ذلك الشعر الذي يصدر عن  
عاطفة قوية وإحساس عميق . وقدأكثر من تنسيق منزهاته بمجيزة الفسطاط ،  
ولا أشك في أنها كانت آية من آيات عبقريته المحبة للفن والجمال ، كان يزور هذه  
المنزهات ويمتدع ناظره بما حوته من أزهار وجداول مياه ، ويشرف على هذه  
المناظر الممتعة ، ويصف مجلسه هذا بشعر جمع في ديوان لم يقدر له أن يصل إلينا ،

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٠ .

(١) اليتيمة ج ١ ص ٢٩٤ .

(٣) راجع المغرب في حلى المغرب ص ٥٢ وما بعدها .

ولكن صاحب المغرب أخذ من ديوان ابن حيدرة العقيلي عدة مقطوعات وقال  
عن ذلك : دُثِمَ وقع لي ديوان شعره ، فنقلت منه ما يشهد بعلو قدره ، وهو من  
أئمة المشبهين ، فمن قول ابن حيدرة :

ألا رب نهار طرقت فناءه وزهر الدياتجي مثل در مبدد  
فقام وقد ألقته من منامه إلى الباب يمشى كالأسير المقيد  
ينادي : من السارى إلى ومزعجى فقلت : جواد ذو محل وسؤدد  
حسام على الأعداء ماض غراره وملك لدى ذى الخلة المتوود  
أتيتك أطوى الأرض شرقا ومغربا على ضامر الأحشاء كالبرق أجرد  
فقال : وما تبغى ؟ فقلت : مدامة تشتت شمل الهمم عن كل مكمد  
فقال : نعم عندى سلافة كريمة كوجنة معشوق الشئائل أغيد  
وأبرزها عذراء أحلى من المنى كشمس الضحى أو كاللظى المتوقد  
إذا مزجت أبدت حبايا كأنه من الدر طوق في غلالة عسجد  
فسرت بها وهى الحياة لروضة تروح عليها الفاديات وتفتدى  
كأن البهار الفض فيها مداهن من التبر صيغت في غصون وبرجد  
كأن انتثار القطر والزهر زاهر على الورد دمع فوق خد مورد  
وأطيارها تغنى النديم إذا شدت على الأيك عن شدو الغريض ومعبد  
وزجسها بين الشقائق شاخص يردد لحظ المستهام المسهد  
فأزلت بالإبريق أقبض روحها من الدن ما بين الربا بتمدد  
وأشربها حتى انثبت مجدلا صريعا على شدو الخمام المفرد  
أنا ذاك أعطى الله ما عشت مقودى وأعدل عن تفنيد كل مفند (١)

وقوله من قصيدة أخرى :

وخمار دخلت عليه وهنا وجنع الليل مسود الجناح  
على هوجاء تنشر فى الفيسافى لغاما فى الغدو وفى الصباح  
إذا وخذت تخال الريح تحتى وإن كانت أخف من الرياح  
فقال : من الفتى ؟ فأجبت : ضيف تسربل بالمكارم والسباح

(١) المصدر السابق ص ٦٤ .

فقال : وما تريد فدتك روحي فقلت له : أرح روحي براح  
فقام إلى دنان مترعات معممة بكافور رباحي  
وفض ختام أقدمها فلاحت على الظللاء أنوار الصباح  
وأبرز منه في الإبريق راحا ألد إلى الأسير من السراح  
نأن حبابها طل تبسدي على ورد جني في أفاح  
وجاء بأهيف عذب الثنايا دقيق الخصر غرثان الوشاح  
تراه يتيه من أدب وظرف ومن تيه على الغيد الملاح  
يقول إذا رآه كل لاح : عجبك ما عليه من جناح  
هي الأيام تندرج اندراجا وصرف الدهر ذو وجه وقاح  
فصل قصفاً بقصف واعتباقا بأفراح ، ولهواً باصطباح (١)

ففي هاتين المقطوعتين من شعر ابن حيدرة العقبلي نستطيع أن ندرك أن  
الشاعر كان يجمع بين وصف الطبيعة ووصف الشراب ، ويأخذ من الطبيعة التي  
أحبها وهام بها صوراً يصورها حباب الخمر في الكئوس ، فهو في كل شعره  
الذي انتهى إلينا لا يصف الطبيعة دون أن يتحدث عن الخمر ، ولا يتحدث عن  
الخمر إلا إذا تحدث عن الطبيعة ، فهو يقول :

الروض في ديباجة خضراء والجو في فرجية دكنا  
والأرض قد نظم الربيع لجيدها عقداً من الصفراء والحمر  
والراح ينثر في مذاب عقيقتها درر الفسواق جوهرى الماء  
فاقصد رضا رضوانها بالشرب إن أحببت سكنى جنة السراء (٢)

وقد كان شعر هذا الشاعر سبياً في أن يتهم المستنصر بالله الفاطمي بالمجانة  
والفسق ، فقد روى المقرئ أنه كان من عادة الخليفة المستنصر بالله أن يميم معد  
ابن الظاهر في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة  
— وهو موضع نزهة — بهيمة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب والمجانة ، وربما  
حمل معه الخمر في الروايا عوضاً عن الماء ويسقيه من معه ، وأنشده مرة الشريف  
ابن حيدرة العقبلي في يوم عرفات :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ولا تضح ضحى إلا بصهباء  
أدرك حجيج الندامى قبل نعزم إلى من قصفهم مع كل هيفاء

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢ .

(١) المغرب ص ٦٠ .

وعج على مكة الروحاء مبتكراً فظف بها حول ركن العود والثناء  
ويضيف المقرئى نقلا عن ابن دحية : فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي  
بنغات حداة الملاهي وتساق ، حتى أناخ بعين شمس في كبكة من الفساق ، فأقام  
بهاسوق الفسوق على ساق ، وفي ذلك العام أخذه الله تعالى وأهل مصر بالسنين (١)  
ولعل القصة وضعت على هذا النحو للطعن على الفاطميين ، فلم نعرف عن المستنصر  
أنه كان ماجنا فاسقا ، ولم نعرف أن الشريف ابن حيدرة اتصل بإمام من أئمة  
الفاطميين ، وقد تكون القصة أن المستنصر كان يخرج إلى جب عميره في عيد  
الأضحى بقصد النزهة ، واتفق أن سمع ابن دحية بهذا الخبر وسمع آيات ابن  
حيدرة السابقة ، فانسج خياله قصة لهُو المستنصر وخروجه على هذا النحو الذي  
وصفه استهزاء بالهيج ، ولكن تعصب المؤرخين ضد الفاطميين جعلهم يبدعون  
في حياكة مثل هذه القصص عنهم . وهكذا كان شعر ابن حيدرة سببا في هذه القصة .  
وكان ابن حيدرة شاعراً يحب الدعابة ويحيد الفكاهة ، وله عدة مقطوعات منها  
قوله يداعب من خضب شبيهه :

يا من يدلس شبيهه بخضابه إن المدلس لا يزال مريباً

هب ياسمين الشيب عاد بنفسجا أيعود عرجون القوام قضيباً (٢)

وقال مرة أخرى :

قد هجونا وكان غير صواب ورمينا بعنبر في تراب

وظلمنا الحسام وهو صقيل إذ جعلناه في أخس قراب

يا لها غلظة ، وإلا فاذا ينفع الباز صيده للغراب

وقال :

سألت أبا يوسف حاجة فقال : أجيء بها في غد

فقد سلط السل من مطله فأضنى به جسد الموعد

وبجانب شعره في المجون والدعابة والطبيعة نرى لابن حيدرة شعراً في الفخر  
بنسبه إلى آل أبي طالب ، فهو يقول :

من عندنا أتت الحكيم وبننا تأدبت الأمم

ولنا نوال هائل ينهل من سحب الهمم



قوم إذا استرفدتهم تركوك من أهل النعم (١)  
ويقول مرة أخرى :

نحن الذين غدت رجا أحسابهم ولها على قطب الفخار مدار  
قوم لغصن ندام من رقدهم ورق ومن معروفهم أثمار  
من كل وضاح الجبين كأنه روض خلأته له أزهار (٢)  
كان ابن حيدرة يمتاز بناحية خاصة في فنه الشعري هي تلك الناحية التي أشار  
إليها صاحب المغرب وقال : « إنه كان من أئمة المشبهين ، وكان صاحب المغرب  
أراد أن الشاعر كان من المكثرين من الزينة اللفظية والبيانية في شعره ، ولعل  
هذه الآيات القليلة التي رويناها له تدلنا على صدق ما ذهب إليه ابن سعيد .

#### الفليوي الطائب

ومن يجرى في حلبة ابن وكيع التنيسي وابن حيدرة العقيلي وغيرهما من  
شعراء المجون والطبيعة شاعر كان يكتب في ديوان العزيز بالله الفاطمي والحاكم  
وتوفي أيام الظاهر ، ويروي ابن شاكر عن ابن سعيد أن ابن الزبير وصفه  
بالإجادة في التشبيهات ، وأنه غلا في ذلك فقال : إن أنصف لم يفضل عليه ابن المعتز (٣)  
ذلك الشاعر الكاتب هو علي بن محمد بن أحمد بن حبيب الفليوي الكاتب . قيل  
إنه كان أحد الشعراء الذين مدحوا الأئمة والقواد والكتاب ، ولكن مدائحه  
ضاعت ولم يبق منها شيء ، بل قل إن شعره كله فقد ولم يبق منه إلا عدة أبيات ،  
منها قوله :

وصافية بات الغلام يديرها	على الشرب في جنح من الليل أدعج
كأن حباب الماء في وجناتها	فرائد در في عقيق مدرج
ولا ضوء إلا من هلال كأنما	تفرق منه الغيم عن نصف دملج
وقد حال دون المشتري من شعاعه	وميض كمثل الزئبق المترجج
كأن الثريا في أواخر ليلها	تحية ورد فوق زهر بنفسج (٤)

ولست أدري ما الذي حدا بهذا الشاعر إلى أن يذكر أسماء الكواكب  
ويتحدث عن النجوم ، وذلك في كل المقطوعات التي بقيت لنا من شعره ، ولعل الشاعر

(١) المغرب ص ٧٨ .  
(٢) (٢) ص ٦٩ .  
(٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ٦٩ (٤) المصدر نفسه .

كان من المشتغلين بالأرصاد في عصر اهتمت الدولة بها ، فالشاعر يقول مثلا :  
 نجمت نجوم الزهر إلا أنها في روضة فلكية الأنوار  
 وكأتما الجوزاء منها شارب وكأتما المريح كأس عقار  
 ويقول من قصيدة أخرى :

وصفراء من ماء الكروم كأتما دجى الليل منها في إزار معصفر  
 كأن حباب الماء في وجناتها من الدم إكليل لناع مزعفر  
 قطعت بها ليلاً كأن نجومه إذا اعترضتها العين نيران عسكر  
 تراها بأفاق السماء كأتما مطالعها منها معادن جوهر  
 ومنطقة الجوزاء تبدو كأتما وسائط در في فلاتد عنبر  
 وبانت بعيني الثريا كأتما على الأفق منها غصن ورد منور  
 فبت أراعي الفجر حتى تشمرت ذبول الدجى عن مائه المتفجر (١)

#### قتيل الغواني :

ولقب أيضا بصريع الدلاء ونيز بذى الرقاعتين ، ويسميه ابن خلكان بأبي  
 حسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي ، وسماه مرة أخرى بأبي الحسن محمد  
 ابن عبد الواحد القصار البصرى ، ولم يحقق أحد الاسمين ، واكتفى بقوله : والله  
 أعلم (٢) ، أما ابن شاكر فاكتفى في ذكر اسمه بأن قال : محمد بن عبد الواحد الملقب  
 بصريع الدلاء و قتيل الغواني (٣) . ويرى السيوطى أن اسمه على بن عبد الواحد (٤)  
 ويحيل إلى أن اسمه محمد بن عبد الواحد ، لأن ابن خلكان ذكر أنه قرأ ذلك في نسخة  
 ديوان شعره . لم يكن هذا الشاعر مصريا ولكنه وفد على مصر سنة اثنتى عشرة  
 وأربعمائة من الهجرة ، ومدح الإمام الظاهر ، وعرف بمجونته ، وسلك في شعره  
 مسلك أبي الرقعمق في هزله ومجونته ، ومن ذلك قصيدته التي عارض بها مقصورة  
 ابن دريد ، وفيها يقول :

من لم يرد أن تنثقب نعاله يحملها في كفه إذا مشى  
 ومن أراد أن يصون رجله فليس خيرا له من الحفا  
 من دخلت في عينه مسلة فاسأله من ساعته عن العمى  
 من أكل الفحهم تسود فمه وراح سخن خده مثل الدجا

(١) فوات الوفيات ص ٧٠ . (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٩ .  
 (٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٢٧ . (٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٢ .

من صفع الناس ولم يدعهم  
من ناطح الكباش يفجر رأسه  
من أكل الكرش ولم يغسله  
من طبخ الديك ولم يذبحه  
من شرب المسهل في فعل الدواء  
من مازح السبع ولم يعرفه  
وألف حمل من متاع تستر  
والدرج يلفى بالنشأ مخلصا  
والذقن شعر في الوجوه نابت  
من فاته العلم وأخطاه الغنى  
فاستمعوا لها فهي أولى لكم

أن يصفعوه فعليهم اعتدى  
وسال عن مفرقه شبه الدما  
سال على شاربه ذاك الدواء  
طار من القدر إلى حيث يشا  
أطال ترداداً إلى بيت الخلا  
مازحه السبع مزاحاً بجفا  
أنفع للمسكين من لقط النوى  
والسرج لا يلزق إلا بالغرأ  
وإنما الاست التي تحت الخصا  
فذاك والكلب على حد سوا  
من زخرف القول ومن طول المرا

وقال في آخرها مشيراً إلى ابن دريد :

فتلك كالدر يضىء لونها      وهذه في وزنها مثل الخذا (١)  
وهذا الشاعر هو الذي أشار إليه أبو العلاء المعري في قوله :  
دعيت بصارع فتداركته      مبالغة فرد إلى فعيل (٢)  
ولكن هذا الشاعر لم يمكث طويلاً في مصر إذ توفي في السنة التي وفد فيها .

o o o

وفي القرن السادس نرى عدداً كبيراً من شعراء الفكاهة والمجون خلعوا على أنفسهم ألقاباً فكاهية، فالشاعر يحيى بن علي السكتي نيز « بالوضيع » وهو صاحب الأبيات التي يفخر فيها بنسبته إلى مذهب أبي نواس في المجنون :

أنا نائب الشرع النواسي      دعني وباطيتي وكاسي  
أهوى الغزاة كاعبسا      وأهيم بالظبي الخناسي  
من كل معتدل رشيق القم      د بمشوق خلّاسي  
متعكرش فإذا اخترت      وت وجدت منحل الأساس  
لكن لإفلاسي جيدت      السامري بلا مساس  
لي منزل لا شيء فيه      كأنه كيسى وراسي (٣)

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٧ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٩ (٣) الحميدة ورقة ١٠٥

والشاعر الفقيه ، ونيز « بالنسنانس ، ومن شعره :

خلعت ردا . التصابي المعارا      وكان بفودي غراب فطارا  
وكم خضت باللهو ليل الشباب      إلى أن أرائني المشيب النهارا  
لئن كدر الشيب صفو الشباب      وبات برغمي ديارا ديارا  
فلا بأس أن مد لج البعاد      فإن لكل مسيل قرارا (١)

والشاعر محمد بن إسماعيل وعرف « بالتاريخ ، ومن مجونه :

ألا فاسقياني ما تدير ثناياه      وما أودعت من خمرها بابل فاه  
ولا تنكرا سكري بغير مدامة      فسيان عندي ريقه وحمياه  
إذا كان كاسي مترعا من رضابه      ونقل ما تبدي من الورد خداه  
كفاني ريحانا وراحاسلاف ما      حوى ثغره أو أنبتته عذاراه  
غزال يتايغ المدامع وردة      وروض القلوب المستهامة مرعاه  
سل البان عنه هل إلى البان أصله      فربي جدياه ودوياه روياه  
فله ما أشجى فؤادا ملكته      وأغراه بالبيض الحسان وأصباه (٢)

ومن شعره :

لاه بغانية وراح      ناه لعاذلة ولاح  
ما زال يشرب كأسه      صرفا على ضرب الملاح  
ما بين زمزمة البنود      وبين وسواس الوشاح  
حتى مضى مسك الدجي      وأثار كافور الصباح (٣)

والشاعر الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي سعد ، نيز « بالكاسات ، ووصفه ابن الزبير بقوله : « إنه كان خفيف الروح كثير المجون ، يضحك بنوادره وسخفه المحزون ، (٤) ولكن فقد شعر هذا الشاعر الماجن ، ولم يبق له سوى أبيات في المدح .

والقائد أبو طاهر إسماعيل بن محمد عرف « بابن مكنسة ، وهو يعد من ثول الشعراء في أواخر القرن الخامس ، وشهد القرن السادس ، وهو الشاعر الذي ذكرنا أن الأفضل هجره وأبعده لمداخه في أبي المليح النصراني ، وهو أحد الذين

(١) المريدة ورقة ١٠٦ . (٢) المصدر نفسه .

(٣) المريدة ورقة ١٠٧ . (٤) المصدر نفسه .

أشاد بذكرهم أمية بن أبي الصلت في رسالته المصرية ، وكان ابن مكنسة في بعض  
هزله يذهب مذهب أبي الرقعق في الحماسة والمجون ، من ذلك قوله :

أنا الذي حدثكم عنه أبو الشمقمق  
وقال عني إنني كنت نديم المتقى  
وكنت كنت كنت كنت من رماة البندق  
حتى متى أبقى كذا تيسا طويل العنق  
بلحية مسبلة وشارب مخلق  
يا ليتها قد حلقت من وجه شيخ خلق<sup>(١)</sup>

وفي مقطوعة أخرى يشكو كبره وضعفه :

عشت خمسين بل تزيد رقيعا كما ترى  
أحسب المقل بندقا وكذا الملح سkra  
وأظن الطويل من كل شيء مدورا  
قد كبر بره برب بره ت وعقل إلى ورا  
عجبا كيف كل شيء أراه تغيرا  
لأرى البيض صاروا كل إلا مقشرا  
وإذا دق بالحجا ر زجاج تكسرا<sup>(٢)</sup>

وانظر إلى هذه المقطوعة في وصف منزله وضعفه :

لى بيت كأنه بيت شعر لابن حجاج<sup>(٣)</sup> من قصيد سخيـف  
سابقتي بنات وردان حتى أنا فيه كفأرة في كنيف  
أين للعنكبوت بيت ضعيف مثله ، وهو مثل عقلي الضعيف  
وإذا هب فيه ريح السراويل فسلم على الالهي والأثوف  
بقعة صد مطلع الشمس عنها فأنا منذ سكنتها في الكسوف  
وهو لو كان من حبيجي ونسكى صدني بغضه عن التطويـف<sup>(٤)</sup>  
فإن مكنسة في هذه الأبيات يتحامق كأستاذه أبي الرقعق، وذلك بجانب قصائده

(١) الحريرة ورقة ١٩٣ . (٢) المصدر نفسه ورقة ١٩٤ .

(٣) يقصد الحسين بن الحجاج الشاعر العراقي الماجن (٤) الحريرة ورقة ١٩٢ .

التي كان يجد فيها ، فلا نجد أثرا لهذه المحامات وهذا الهزل وتلك الدعابة ، فهو يقول مثلا في إحدى مدائحه :

ملك بكفيه وأسيافه      تقسم آجال وأرزاق  
ذلت لتعاك نفوس كما      ذلت لأسيافك أعناق

ويقول في إحدى مقطوعاته :

أقول ويجرى النيل بيني وبينكم      ونار الآسى مشبوبة بضلوعي  
تراكم علمتم أنني لو بكيتم      على النيل لاستغرقته بدموعي  
وهكذا نرى الشاعر قد ضرب بسهم في جد الشعر وهزله .

ومن شعراء المجون في القرن السادس الشاعر أبو علي حسن بن إسماعيل المعروف بالمكربل ، وكان شاعرا هجاء ، وصفه ابن الزبير بقوله : كان لسانه مقراض الأعراض ، بلغ المائة من العمر ، ولم يسمع له في المديح شعر إلا نزر يسير ، ولا قبل من أحد جائزة ، ولا امتد أمله إلى نيل رغبة (١) . ومقطوعاته كلها التي وصلت إلينا في الهجاء المقذع ، فن ذلك قوله في الشاعر ابن باقى الجزار ، وكان في مقدمة الشعراء في عصره :

قالوا ابن باقى شاعر      مقدم فى الشعرا  
قلت نعم قد قدمو      ه عنهم إلى ورا  
كأنما يمضغ فى إنشا      ده الشعر خرا  
وقوله فى ابن باقى الجزار أيضا :

لا تظن أنى أهجوكا      قد كفتانى بأن يعيش أبوكا  
وقوله فى بعض علماء عصره :

فهل عندكم من مفخر أو فضيلة      سوى طول أجسام و عرض كام  
طوال بلا طول ، قصار عن العلى      عجبت لنقص منهم وتمام  
وقوله :

قولوا لمن يكرمنى فى السلام      بهزة القامة لى والقيام  
أشهى إلى النفس وأحلى من القيام      يا سيدى أن تنام

وعلى هذا النحو كان هجاء هذا الشاعر المشبوز بالمكربل ، وقد وجد المكربل من الشعراء من يقف له ويهجوّه ، فالشاعر ابن قتادة المعدل المصرى كان يضطر إلى

(١) الخريدة ورقة ١٩٨ .

الرد عليه ، فكلما هجاء المكربل أجا به ابن قتادة ، فمن قوله في المكربل :

مانال خلق في الهجا ما ناله المكربل  
كل الهجاء آخر وهو الهجاء الأول  
لأنه يأخذ من عرضه ويعمل (١)

ومن شعراء المجون في آخر عصر الدولة الفاطمية الشاعر علي بن حسن بن

إسماعيل ، ففي إحدى مقطوعاته المأجنة يقول :

قم قبل تأذين النواقيس واجلُ علينا بنت قسيس  
عروس دن لم يدع عتقها إلا شعاعا غير ملبوس  
تجلى علينا باسمها ثغرها فلا تقابلها بتعبيس  
مذهبة اللون إذا صفقت مذهبة اللهم والبوس  
لاغرو ما تأتيه من ريبة لأنها عنصر إبليس  
ليس لها عيب سوى أنها حسرة أقوام مفاليس  
في روضة كانت أزاهيرها كأنها ريش الطواويس  
فاغتم اللذات في دولة صافية من كل تعكيس (٢)

وقوله من مقطوعة أخرى :

وليلة كاغتاض الطرف قصرها وصل الحبيب ولم تقصر عن الأمل  
بتنا بجاذب أهذاب الظلام بها كف الملام وذكر الصد والمثلل  
وكلما رام نطقا في معاتبتى سددت فاه بطيب اللثم والقبل  
وبات بدر تمام الحسن معتقنى والشمس في فلك الكاسات لم تقل  
فبت منها أرى النار التي سجدت لها المجوس من الإبريق تسجدلى  
راح إذا سفك الندمان من دمها ظلت تفهقه في الكاسات من جذل  
فقل لمن لام فيها إننى كلف مغرى بها مثلها أغريت بالعدل (٣)

ومن شعراء المجون أيضا الشاعر أبو الغمر الإسناوى محمد بن علي الهاشمي

المتوفى سنة ٥٤٧هـ الذى وصفه العماد بقوله: أشعر وقت زمانه، وأفضل أقرانه (٤)

(١) الحريرة ورقة ١٠ . (٢) ورقة ١٣٥ .

(٣) ورقة ١٣٦ . (٤) الحريرة ورقة ١٦١ .

وروى له من شعره عدة مقطوعات تدل على رقة الشاعر وعضوبة شعره مع سهولة هذا الشعر، فمن ذلك قوله :

أيها اللأم في الحـ ب لحاك الله حسي  
لست أعصي أبداً في طاعة العذال قلبي

وقوله في غلام لبس في عاشوراء ثوبا من الصوف :

أيا شادنا قد لاح في زى ناسك فباح بمكنون الهوى كل ماسك  
رويدك قد أدركت ما يعجز الظبا وأضمرت نيران الجوى المتدارك  
أنحن فتكنا بابن بنت محمد فتثار منا بالجفون الفواتك  
وقوله وقد أخش في مجونه :

بي شادن هو أدنى إلى مذ كان مني  
فقد تعجلت قبل المسمات جنة عدن  
به تعففت عما يصم بالعذل أذني  
لأنه صان عرضي عن أن ألوط وأزني  
وزادني فيه حبا وصف يطابق فيني  
لم يتسع خرقة لي كلا ولا ضاق عني  
خلقة الظهر منه صيغت لإصبع بطني

ومن قوله :

الحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخدود  
جرح بجرح فاحسبوا ذا بدا فما الذي أوجب جرح الصدود (١)  
ومن قوله :

أيا ليلة زار فيها الحبيب ولم يك ذا موعد ينتظر  
وغاض إلى سواد الدجا فياليت كان سواد البصر  
وطابت ولكن ذمنا بها على طيب رياه نشر الشجر  
وبتنا من الوصل في حلة مطرزة بالتقى والخفر  
وعقلي بها نهب سكر المدام وسكر الرضاب وسكر الحور

(١) تندب هذه الأبيات إلى الشاعرة الأندلسية ولادة بنت المستكفي .



وقد أخجل البدر بدر الجبين وتاه على الليل ليل الشعر  
وأعدى نحوى جسم الهوى وأعداه منى نسيم عطر  
فنى معتبر العاشقين ومن حسن معناه لإحدى العبر  
ومن سقى وسنا وجهه أريه السها ويريني القمر  
وله مقطوعة يذم الزمان ويبرم بالناس حوله :

زمان يخلط في فعله كأن به سكرة العاشق

وخلق إذا ما تأملتهم جحدت بهم حكمة الخالق (١)

وقد ذكرنا شيئاً عن دعاية ابن الصياد في أنف ابن الحباب حتى بلغت  
مقطوعاته ألف مقطوعة، ولم يرد عنه سوى تعرض ابن قادوس له، وذكرنا  
فكاهة الجليس في الطبيب، وهما هوذا ابن قادوس يداعب رجلاً كان يكبر كثيراً  
في الصلاة، فيقول :

وفاتر النية عنينها مع كثرة الرعدة والهزة

يكبر سبعين في مرة كأنه صلى على حمزة

ويداعب آخر كان يلوم ابن قادوس على مجونه، فيجيبه بقوله :

ولائم يلومني يريد منى توبتي

يقول لي الموت غدا فقلت هذا حجتى

وانظر إلى هذه الدعاية الطريفة من ابن شمول المقرئ :

تبسمت إذ رأيتني وشيب رأسي يحوم

فقلت شعري ليل والشيب فيه نجوم

فاستضحكت ثم قالت كما يقول الظلوم

يا ليتها من نجوم غطت عليها الغيوم (٢)

ومما يروى أن الطبيب جرجيس الملقب كان بالفيلسوف، كان يزور فصولاً  
طبية فلسفية على الطبيب أبي الخير سلامة بن رحون، وكان يبرز هذه الفصول  
في معارض ألفاظ القوم وهي لا معنى لها، ثم ينفذها إلى من يسأل أبا الخير عن  
معانيها ويستوضحه أغراضها، فيتكلم أبو الخير عليها ويشرحها دون تيقظ ولا  
تحفظ، فيوجد فيها عنه ما يضحك، ولذلك هجاه أحد الشعراء بقوله :

(١) المريدة ورقة ١٦١ . (٢) تاريخ ابن العبري ص ٣٤٨ .

إن أبا الخير على جهله      يخف في كفته الفاضل  
عليه المسكين من شؤمه      في بحر هلك مانه ساحل  
ثلاثة تدخل في دفعة      طلعتة والنعش والغاسل (١)

وللشاعر محمود بن ناصر الإسكندراني . وكان كاتب ابن حديد القاضي  
يداعب طبيبا :

صديقنا المستطب نادرة      قد أخذت منه أعين الناس  
أنياب غول ومشفرا جمل      ورأس بغل وذقن نسناس (٢)

ونحتم هذه الكلمة بقصيدة الشاعر رضى الدولة أبى سليمان داود بن مقدم ،  
وكان أحد الشعراء الذين عرفوا بالفكاهة وقال عنه ابن الزبير : إنه من أبناء الجند  
بأسفل مصر (أى بالوجه البحرى) إلا أن همته سمت به من الأدب إلى دوحه يقصر  
عنها أمثاله ، ولا يطمع فيها أضرابه وأشكاله ، وعضده على ذلك جودة الطبع ونفاذ  
القرينة ، حتى أدرك بعفو خاطره وسرعة بديته ما لم يبلغ إليه كثير من أبناء  
عصره فى الدأب على اقتناء الأدب . وذكر ما معناه أنه كسدت سوقه ، وجحدت  
حقوقه (٣) ، وفى هذه القصيدة التى نذكرها له يصف حالة ولاية الأقاليم والجند  
وما كانوا عليه من ظلم وفساد ، ويصور حالة الرشوة التى كانوا يأخذونها من الناس  
وما كانوا يحبونه من الاسواق ، فهى قصيدة تهكمية ، ولكنها تصور حالة العصر  
أصدق تصوير ، فهو يقول فى الأمير ابن كازوك وكان والى الغربية :

أيها المخلص المسكين ومن كفه      اه فى كل أزمة تكفان  
هان عنا أهل المحبة واعتد      نا بأهل البغضاء والشنان  
نحن أشقى بختنا وأتعس حظا      إذ قضانا بصفقة الخسران  
إذ رعانا بأبغض الخلق مذكا      ن وكانوا لكل قاص ودان  
رجل صبيغ من حماشيب بالشر      ة خلطا والشؤم والخذلان  
والرياء والبغاء والجهل والإف      ك وسوء الطباع والبهتان  
ما ظننا من قبله أننا نذا      فى جميع السوءات فى إنسان

(١) الحريرة ورقة ١٢٩ (٢) الحريرة ١٢ (٣) الحريرة ورقة ٩٩ .

يتلقاك كالحا عابس الوجه  
وله إخوة وأفعالهم في الما  
حر قلبي على مثولي بالبا  
أيها الأملعي أعوزك الرعي  
أي شيء غال الكفاة من السكت  
صاحب الخيل والجواشن والبيه  
ماله والنكول عن سفر الش  
وطلاب المشارقات وتحق  
ليس هذا إلا لأن الخراف ال  
والرحيق الذي عهدناه لاي  
تحتل في الكشوس صرفا مع  
والإجابات للآداب أشهى  
وطلاب الدليل بالرسم أو  
فاتركونا معاشر الجندواعنوا  
والولايات والحمايات والزم  
والمعاصير والسواقي وتسو  
وارتعوافي جزور ذي الدولة اله  
واشغلونا بما فيه يشغل اله  
بالطحال المسدود أو طرف الر  
واغنموا هدية، كتهوية ال

بقلب خال من الإيمان  
ل فعل الذئاب بالخلان  
ب وقولي لصاحب الديوان  
ن حتى استرعت بالذئبان  
اب لولا عوائق الحرمان  
ض وبيض الطلي وسمر اللدان  
سام وصدمة الأقران بالأقران  
ق بقايا العمال والخزان  
بيض في ريفنا بلا أثمان  
باع إلا بالنقد أو بالرهان  
المجان والمسمعات بالمجان  
للقى من إجابة الديوان  
لى من طلاب البراز للفرسان  
بدرور الأرزاق كل أو ان  
وأخذ الأجمال من كل خان  
يغ الضياع المسورات الحسان  
امى نداها في أطيب اللحان  
لنفع أو خيفة الدوان  
ثة أو بالمعلاق والمصران  
ركب، وقيمتها من الحدثنان (١)

## الفصل السادس

### في الغزل

لا أكاد أعرف شاعراً من شعراء مصر الفاطمية لم ينشد في الغزل ، لجميع الشعراء الذين بلغنا شيء من شعرهم كانوا يتغزلون ، سواء أكان هذا الغزل في المؤنث أو في المذكر، شأنهم في ذلك شأن شعراء العربية في الأقطار الأخرى ، فكان شعراء المدح — الذين ألموا بالعقائد المذهبية في شعرهم — يتبعون سنة الشعراء الأقدمين في الابتداء بالغزل . ولما أراد العباد الأصهباني أن يروي شيئاً من شعرهم ، اكتفى بالمقدمات الغزلية التي افتتحوا بها قصائدهم ، وأبى أن يروي شيئاً من مدح الأئمة .

وإذا نظرنا فيما بقي لنا من شعر الغزل في هذا العصر رأينا المصريين كانوا يرددون في أشعارهم هذه الصفات العديدة التي ردها الشعراء من قبل في صفات المرأة وما تمتاز به المعشوقة من فتنه ودلال وسحر ، ولكن الشيء الذي يلفت نظرنا في هذه الأشعار الغزلية أن الصور التي صاغ فيها المصريون هذه الصفات اختلفت باختلاف الحياة المصرية والبيئة المصرية ، انظر مثلاً إلى قول أبي الحسن التنيسي الملقب برضى الدولة :

راح من خمر الصبا مغتبقا	ثملاً ، أحسن شيء خلقا
تفعل النشوة في أعطافه	فعل عينيه بأرباب التقى
رشاً قد أقسمت أحاطه	ليريقن دما من عشقا
من عذيري من غزال كلما	سئل الرحمة أبدى حنقا
ورأيت الزرجس الغض وقد	أخجل الورد بما قد أحدقا
ينهب الناهب من زهرته	ويذود اللس عما بسقا
كم أناديه وذلى شافعي	وفؤادى يتلظى حرقا
هكذا يجزى بكم من عشقا	لاجعاً يسرى وقلبا موبقا(١)

فالمعاني التي جاء بها الشاعر في هذه المقطوعة والتي قدم بها للدح ليست بجديدة في الشعر العربي ، إنما الجديد في هذه الأبيات هي هذه الصور المختلفة التي صاغ فيها هذه المعاني القديمة .

واقظر إلى قول الشاعر ابن قتادة المعدل ، وقد أتى بمعان لم يطرقها القدماء في غزلهم :

نظري إليك يزيد في نظري      فعلام تحجيني عن النظر  
يا جملة الحسن التي اقتسمت      منها المحاسن جملة البشر  
لهواك بين جوانحي كتب      قد عنونت بالدمع والسهر<sup>(١)</sup>  
فهذه المعاني التي ألم بها الشاعر في هذه الأبيات لم يطرقها — فيما أعرف —  
شاعر عربي من قبل ، وإن كان القدماء قد أكثروا من ذكر الدمع والسهر ، ولكن  
الشاعر المصري جعل لهوى المحبوب في نفسه كتبها عنوانها الدمع والسهر .  
ويتغزل الشاعر أبو الحسن علي بن الحسن بن معبد القرشي الإسكندري ،  
فيقول في مقدمة إحدى قصائده :

ومفهمف طالت ذوائب فرعه      كالليل فاض على الصباح المسفر  
قصر الدلال خطاه فاعتلقت به      لي مهجة عن حبه لم تقصر  
وسنان كحل السحر حشو جفونه      ففتورها عن مهجتي لم يفتر  
ملك القلوب بدر سمطي لؤلؤ      عذب اللي في غنج طرف أحور  
وبوجنة رقم الجمال رياضها      يبنفسج من فوق ورد أحمر  
كتب العذار على صحيفة خده      هذا بداية حيرة المتحير  
وهبت محاسنه السجال فأصبحت      فتن العقول وروض غير المبصر<sup>(٢)</sup>  
ويقول مرة أخرى في مقدمة قصيدة أخرى :

وإني لأهوى رشاً ساحرا      أعار فتور العيون الظبا  
إذا ما تثنى ففصن نقا      وبدر جلا شعره غيبا  
وزانت يحيا خيلانه      كما يتبع الكوكب الكوكبا  
وبئ أسمر ناسبته القنا      يروك خدا جلا مذهبا

سقى روض خديه ماء الشبا      ب ففتح زهرا به معجب  
تقلد من لحظه صارما      أسال النفوس وما ذنبا  
وملك من حسنه دولة      لطاعتها كل قلب صبا<sup>(١)</sup>

فهذه الصور المختلفة التي رسمها الشاعر في هذه الأبيات ليس بها هذه الصور التي رأيناها في شعر القدماء ، ولكنها صور متحضرة ، لا يذكر الشاعر جزءا من أجزاء الجسم إلا ليصور أثره في نفسه ، ويقرن بين هذه الصورة التي أتى بها وبين صورة أخرى أخذها الشاعر من الطبيعة التي حوله والحياة التي يحياها ، فالشاعر المصري في غزله لا يأتي بأجزاء الجسم ليصفها وصفا واقعيا — إن صح هذا التعبير — وإنما كان يتحدث دائما عن الناحية النفسية أكثر مما يتحدث عن الصفات الحسية ، وهنا نرى فرقا كبيرا بين شعراء العرب القدماء وبين شعراء مصر الفاطمية ، فالشاعر العربي كان ماديا في وصفه ، والشاعر المصري كان عاطفيا ، وإنما جاء هذا الخلاف من تحضر مصر الفاطمية ورتق عاطفة المصريين برقى حياتهم .

ناحية أخرى نراها فيما بقي لنا من شعر الغزل في مصر الفاطمية ، تلك أن المصريين بدأوا يتركون الأوزان الطويلة ، وينشدون غزلهم في أشعار إما مجزوة أو منهوكة ، ويميلون إلى استخدام اللغة التي يصطنعها الشعب والتي لا يزال أثرها باقيا في مصر إلى اليوم . انظر إلى قول الشاعر طلائع الآمرى :

ملك الشوق مهجتي      حبذا من تملك  
قد رماني بحبه      ونهاني عن البكا  
إنما راحة المحب إذا أن أو شكى

ما أرى السلو عنه ، وإن جاز ، مسلكا<sup>(٢)</sup>

فهذا الشاعر الدقيق الحس ، الرقيق الشعور ، وصف حالة المحب المضنى وقد تملكه الشوق فلم يجد راحة إلا إذا أن واشتكى ، بالرغم من أن المحب نهاه عن البكاء ، فاتخذ هذا الوزن الخفيف ، واصطنع هذه الألفاظ التي تكاد أن تكون من ألفاظ الشعب ، فهذه المقطوعة وغيرها هي التي سئرى مثلا لها بعد ذلك واضحة في شعر البهاء زهير . ثم انظر إلى قول الشاعر طلائع الآمرى أيضا :

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه .

أنعموا لي بالوصال وارحموا رقة حالي  
لا تذيبوا مهجتي من التجنى والدلال  
ليس عذري في هواكم قد بدا لي قد بدا لي  
إنما قصدي رضاكم قد حلالى قد حلالى  
وإن اخترتم عذابي لا أبالي لا أبالي<sup>(١)</sup>

أليست هذه المقطوعة أقرب إلى لغة الشعب المصرى منها إلى لغة الشعراء الذين عودونا الجزالة في اللفظ مع حسن الديباجة ، ولكن الشاعر هنا كان شاعراً مصرياً قبل كل شيء ، وكان يتغزل ، فاصطنع هذه الألفاظ السهلة والأوزان الخفيفة .

وليس معنى ذلك أن كل شعر الغزل على هذا النحو الذى رأيناه عند طلائع الآمرى ، فقد كان للبصريين لوانان من شعر الغزل ، اللون الأول الذى يختار فيه الشاعر ألفاظاً جزلة ووزناً قوياً طويلاً ، أما اللون الآخر فهو الذى يترك الشاعر فيه نفسه على سجيته بلا تصنع ، فلا ينتقى الألفاظ الجزلة بل ينشد ما يجرى به لسانه وما تمليه عاطفته ، وقد رأينا طلائع الآمرى فى المقطوعة الأولى السابقة يميل إلى اللون الثانى من ألوان الغزل ، ونراه مرة أخرى ينشد المعنى نفسه ولكن فى صياغة أخرى تختلف تمام الاختلاف عما رأيناه له ، فهو يقول :

تريد الهوى صرفاً من الضر والبلوى لعمرك ما هذى قضية من جهوى  
إذا لم يكن طرف المحب مسهداً وأدمعه تجرى ، فهذى هى الدعوى  
ولا حب إلا أن ترى كلفة الهوى الذ من المن المنزل والسلى  
وحق ترى القلب القريح من الهوى يمانعه الصبر الجميل من السلى  
رعى الله من أعطى المحبة حقها وإن لم يكن فيها من الأمر ما يقوى<sup>(٢)</sup>

فالشاعر فى هذه المقطوعة يختلف فى غزله عن ما جاء به فى مقطوعته الأولى ، فالشاعر حاول اللونين من شعر الغزل ؛ على أن أكثر شعر الغزل الذى انتهى إلينا هو من اللون الخفيف الذى يقرب من أسلوب العامة ، فالشاعر مروان بن عثمان اللكى تلمع فى غزله أثر السهولة التى تتفق مع رقة الغزل وعاطفة الحب حين يقول مثلاً :

(١) الحريرة ورقة ٢٩

(٢) ورقة ٣٠ .

ما بال قلبك يستلين      أبه غرام أم جنون  
برح الخفاء بما يحن      فأذهب الشك اليقين  
حتى متى بين الجوا      نح والصلوع هوى دفين  
وإلى متى قلبي المتيسم      في يد البلوى رهين  
يا ما طلى بديون قلبي      أن أن تقضى الديون  
شخصت له فيك العيون      وتقسمت فيك الظنون  
وسلبت ألباب الورى      بلاوا حظ فيها فنون  
وقوام أغصان الربا      ض وأين تدركك الغصون  
الحسن فى الأغصان فن      وهو فى هذا فنون  
من أين للأغصان ذا      ك القنج والسحر المبين  
أم ذلك الورد الجنى      بخده والياسمين (١)

ثم اقرأ هذه المقطوعة الأخرى من غزل ابن عثمان اللسكى التى تظهر فيها  
عاطفة الشاعر فى أسلوب أهل مصر الآن ولا سيما فى البيت الثالث :

تمسكن منى السقم حتى كأننى      توهم معنى فى خفى سؤال  
ولو ساحت عيناه عيني فى السكرى      لأشكّل من طيف الخيال خيالى  
سمحت بروحى وهى عندى عزيزة      وجدت بدمعى وهو عندى غالى  
وقد خفت أن تقضى على منيتى      ولم أفض أوطارى بيوم وصال  
وهون ما ألقى من الوجد أنه      صدود دلال لا صدود ملال (٢)

وها هو ذا الشاعر أحمد بن محمد المادرائى يتغزل :

يا حبيب العمر عطفاً فىنى      بهواكم على لظى أتلقى  
إن وصلتكم ، وصلتكم مستهما      عن هواكم وحبكم ما تغلّى  
هو عبد الهوى ، وليس يباغى      عتقه فى هوى ولومات قتلا (٣)

ويقول الشاعر إبراهيم بن إسماعيل الدمياطى :

يا هذه ، رقى على صب دنف      صيره الهجر إلى حد التلف

(٢) ورقة ٧١

(١) الحريدة ورقة ١٢٩ .

(٣) ورقة ٢٥



رقى عليه ، وصلى حباله فإنه عن جبكم لا ينصرف (١)  
وبالرغم من أن الشاعر أبا محمد هبة الله بن علي بن عرام كان من إقليم أسوان  
فإن غزله كان متأثراً بالحياة اللينة التي عرفت بها مصر ، ولا سيما أنه وفد  
على القاهرة ومدح بها الوزير رضوان وغيره من رجال الدولة ، فأسهم مع غيره  
من شعراء مصر في التغزل في الأوزان السهلة الخفيفة والألفاظ والصور الشعبية ،  
فهو الذي يقول :

من معيني على اقتناص غزال نافر عن حباتي رواع  
قلبه قسوة كجلود صخر خده رقة كزهري الباغ  
كلما رمت أن أقبل فاه لدغتنى عقارب الأصداغ  
وقوله أيضا :

لدغتنى عقارب الصدغ منه فسلوه من ريقه دريافا  
إنني عاشق له ، وهو مذكا ن ظلوم لا يرحم العشاقا (٢)  
وقوله :

يا لائمي في غزال قلبي رهين يديه  
لا تطمعن في سلوى فلا سليل إليه  
لم لائمي فيه قوم وعنفوني عليه  
حتى إذا أبصروه خروا سجودا لديه  
فاحفظ فؤادك فالموت في ظبا مقلتيه (٣)

أضف إلى ذلك أن القدماء لاحظوا أن للصريين بعض المعاني المبتكرة ، من  
ذلك قول الأخفش في العذار :

وكان العذار في حمرة الخد على حسن خدك المنعوت  
صولجان من الزمرد معطو ف على أكرة من الياقوت (٤)  
ولكن العماد أخذ على الشاعر أنه ذكر ( الخد ) مرتين في البيت الأول ،  
مع اعترافه بأن المعنى مبتكر لم يسبق الشاعر إليه .  
وكذلك قال القدماء : إن قول أبي الغمر الأستاوي في العذار من المعاني المبتكرة

(٢) الحريدة ورقة ١٨١

(٤) ورقة ١٣١

(١) الحريدة ورقة ٢٥

(٣) ورقة ١٨١

وغزال خلعت قلبي عليه فهو باد لأعين النظار  
قد أرانا بنفسج الشعر بدرأ طالعا من منابت الجلتار  
وقدت نار خده ، فسواد الش عرفيه دخان تلك النار (١)  
وقول أبي الغمر الأسنوي أيضا :

وغزال أبدى لنا الله من بس تان خديه في الحياة الجنانا  
قد أرانا قدأ ، وخذأ ، وصدغا ، وعذارأ ، وناظرأ فتانا  
غصنا يحمل البنفسج ، والنر جس ، والجلتار والريحانا (٢)

وقال القدماء أيضا إن قول أبي إسحق إبراهيم بن شعيب من المعاني المبتكرة  
في التغزل بسلام أسمر :

ياذا الذى ينفق أمواله فى حب هذا الأسمر الفائق  
ما الذهب الصامت مستسكرا ذهابه فى الذهب الناطق (٣)  
وكذلك قول المهذب بن الزبير فى غلام تفرغرت عند الوداع عيناه :  
ومرغ الأعطاف تحسب أنه رخ ، ولكن قد قلبي قد  
إن قلت إن الوجه منه جنة أضحى يكذبني هنالك خده  
ولئن تفرق دمه يوم النوى فى الطرف منه وما تنأثر عقده  
فالسيف أقطع ما يكون إذا غدا متحيرا فى صفحتيه فرنده (٤)  
وقول ابن الضيف الداعي فى أمرد التحى :

كنت حيا فى المرذ حتى إذا عذرت جاء المعات والتعذير  
مثل سطر العنوان يبدو وتطوى منه فى باطن الكتاب سطور (٥)  
وقول الشاعر علم الدولة مقرب بن ماضى صاحب الواحات :  
أهدى إلى معلى وردأ ولم يك وقته  
فسأله عنه فقا ل من الحدود قطفته  
قبلته وكاننى فى خده قبلته (٦)

ومن الطريف أن العماد الاصفهاني عندما أراد أن يروى شيئا من شعر هذا

---

(١) الخريدة ورقة ١٣٠  
(٢) المصدر نفسه  
(٣) المصدر نفسه  
(٤) الخريدة ورقة ٤٤  
(٥) المصدر نفسه ورقة ٥٧  
(٦) المصدر نفسه ورقة ١٠٥

الشاعر قال : فمن شعره قوله وأنا أكبرها عنه ، ثم روى هذه المقطوعة السابقة ،  
ولأدرى ما الذى جملة يكبر هذه المقطوعة عنه . على حين أن ابن الزبير وصفه  
بقوله : وكان قر الفواضل ، كثير الفمائل ، غمر النائل ، مغناه مرعى ذوى  
الآداب من المصريين ، ومرتع المسترفدين منهم والمنتجين .

وهكذا يستطيع الباحث أن يتتبع بعض المعاني المبتكرة فى الغزل فى الشعر  
المصرى ، وهى معان أخذت من الحياة المصرية التى بلغت شأوا بعيداً فى التقدم  
فى ألوان الحياة المختلفة .

ويقول القدماء إن بعض مقطوعات الغزل كان يتغنى بها المصريون ، ولاغرابة  
فى ذلك ، فإن مقطوعات الغناء عند أكثر الشعوب هى مقطوعات غزلية ،  
وليست مصر بدءاً فى ذلك ، ولكن القدماء أرادوا أن يعطونا صورة مما كان  
يتغنى به فى مصر الفاطمية ، فلتتبع القدماء على هذا النحو ، ونقدم عدة صور من  
مقطوعات الغزل التى كان يتغنى بها ، فمن ذلك قول ظافر الحداد :

عبت ولكنتى لم أع وأين ملامك من مسمعى  
وما قدر عتبك حتى يزي ل غراما تمكن من أضلعي  
وما دام لومك إلا وأنت تقدر أن جنائى معى  
مضى كى يودع سكانه غداة الفراق ، فلم يرجع  
فؤادى فى غير ما أنت فيه نخذ فى ملامته أودع (١)

وقول الشريف أبى الحسن على بن حيدرة العقيلي وفيه لحن من غنائه :

يا غزالا رضابه سلسيل هل لعذرى إلى رضاك سليل  
فوحق الرسول ما قلت شيئا من جميع الذى حكاه الرسول  
ما أرى خلة يخل بها الحسن فاذا يقال أنى أقول (٢)  
وقوله أيضا وفيه لحن من غناء غيره :

أعطافه فتنة الفتور وقده غصن الغصون  
ظبي ظببا لحظ مقلتيه لها جفون من الجفون  
يقود إن قاده الثنى كل جنسان إلى جنون  
ما صد بعد الوصال إلا أجرى عيوننا من العيون (٣)

وقول ابن حيدرة العميلي أيضا وفيه لحن من غنائه :  
وعذول كان من قولي له لست أستحسن أجفوا الحسناء  
قال : لو كنت أنا أنت لما رضيت نفسي لجسمى بالضنا  
قلت : دعنى عنك ، واصنع ما تشاء ما أنا أنت ولا أنت أنا (١)

فهذه بعض صور من مقطوعات الغناء من شعر مصر الفاطمية كما حدثنا عنها  
القدماء من رواة شعر مصر ، وهى مقطوعات غزلية يظهر فيها لون من ألوان  
ذوق المصريين فى المقطوعات الغنائية ، والعاطفة التى كانت تثار عند سماع هذه  
المقطوعات .

ولم يشأ شعراء مصر أن يقفوا فى غزلهم على تصوير مختلف مشاعرهم عند  
رؤية الحبيب ، أو أن يتحدثوا عن جماله وصفاته وما يفعله ذلك كله فى نفوسهم ،  
إنما صوروا من ناحية أخرى الشوق لرؤية المحبوب إذا بعد عن أنظارهم أو  
فارقهم إلى مكان آخر ، فالحديث عن الفراق أخذ حيزاً كبيراً من غزل شعراء  
مصر الفاطمية ، وفى حديثهم عن الفراق نرى لوعة الحب الذى أضناه البعاد  
وخشينا عليه من الهلاك .

وها هو الشاعر على بن المؤمل بن غسان ينشد :

فتنت بفاتن الحدق وزاد بهجره أرقى  
إذا ناديت من جزع أخذت القلب فى طلق  
رويدك سوف تلقانى بلا قلب ولا رمق (٢)

وأنشد ابن معبد الاسكندرى :

يا حادى الركب رفقا بالحبيب فقد طار الفؤاد وقل الصبر والجلد  
لعل حبي يرى ذلى فيرحمنى بنظرة عليها تشفى الذى أجد  
يا ويح من ظنعت أحبابه وغدا مخلفا بعدهم أكباده تقدر (٣)  
وقال محمد بن وهب :

ولما تنادوا بالرحيل رأيتنى أكفكف دم العين من كل جانب  
وأسأل ربى أن تدم ركابهم عن السير حتى أشتنى بجبابي

(٢) الخريدة ورقة ٩

(١) المغرب ص ٨٠

(٣) المصدر نفسه ورقة ١٣

فلم تك إلا ساعة سار ركبهم وسار فؤادى بين تلك الركائب  
فلم أر يوم البين أعظم حسرة وللبين عندى من كبار المصائب (١)  
وأشد طلائع الآمرى :

ما لقلبي من لوعة البين راق أترانى أحيا ليوم التلاقى  
عزمة لم تدع لجفنى دمعاً لا ولا فى الحشا مكان اشتياق  
أطعمونى حتى إذا أسرونى عذبوا مهجتي وشدوا وثاقي  
واستلذوا الفراق حتى كأن لم يعلموا أنه مرير المذاق  
فى سبيل الهوى نفوس أقامت بعد وشك النوى على الميثاق (٢)  
وقال طلائع أيضاً :

ما أودعوك مع الغرام وودعوا إلا ليتلف قلبك المشتاق  
قف فاستلم إثر المطى تعللاً إن لم يكن لك نحوهن لحاق  
وتنح عن دعوى هواك فإنه إن لم تمت يوم الفراق نفاق (٣)  
وإذن فالغزل فى شعر مصر القاطمية صورة أخرى من صور الحياة المصرية  
والعاطفة المصرية التى سمت فبعدت عن المادية التى عرفناها عند الشعراء الأقدمين ،  
وذلك لاختلاف بيئة مصر عن غيرها من الأقطار العربية .

(١) الخريدة ورقة ٢٤

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٨

(٣) المصدر نفسه

## البصير السابع

### أغراض أخرى في الشعر

التصوف والزهد :

تحدثنا في الفصول السابقة عن بعض الأغراض التي قصد إليها الشعراء في مصر الفاطمية ، ولكن هناك بعض أغراض أخرى لا تقل خطرا في تصوير الحياة في مصر في ذلك العصر عن هذه الأغراض التي تحدثنا عنها من قبل ، فقد ذكرنا شيئا عن هذه الحياة الماجنة التي طغت على مصر حتى خيل لنا أن مصر لم تعرف إلا هذا اللون من ألوان العيش ، ولكن المصريين كان لهم لون آخر بجانب هذه الحياة الماجنة اللاهية ، وهذا اللون الآخر هو التفكير في العالم الآخر ، وطبيعة مصر اضطرت المصريين منذ أقدم عصورهم التاريخية إلى أن يهتموا بأمور الآخرة اهتمامهم بأمور الدنيا ، فإذا المصري منذ عرفه التاريخ مضطرا إلى أن يعيش لونين من الحياة يناقض أحدهما الآخر أشد التناقض ، فهو يعبت في حياته ويمجن ويمزح ماشاء له العبت والمجون والمزاح ، وهو في الوقت نفسه حريص على أن يفكر في آخرته فيتحدث عنها ويتذكرها ، ويظهر استمساكه بالدين وفرائضه وآدابه ، وقد رأينا تصوير الشعراء حياة المجون ، أما الزهد أو التقشف فقد أكثر من الحديث عنه شعراء مصر أيضا ، حتى إن شعراء المجون أنفسهم كانوا ينشدون الشعر في الحث على الزهد والتمسك بأهداب الدين وطلب سعادة الآخرة ، وها هو ذا الأمير تميم الذي عرف بمجونه حتى حرم ولاية إمامة الدعوة يقول في الزهد :

أفريت دهرك تنق في الحوادث والمصائب  
ولو اتقيت معاصي الر حمن فيما أنت راكب  
لأمنت من نار الجحيم ، وفي الحياة من المعائب  
إن لم تراقب من له حكم عليك ، فمن تراقب ؟ (١)

(١) ديوان الأمير تميم

ويقول مرة أخرى :

يا عجبا للناس كيف اغتدوا في غفلة عما وراء الممات  
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن لهم على أخذ المعاصي ثبات  
من شك في الله فذاك الذي أصيب في تمييزه بالشتات  
يحييهم بعد البلى مثل ما أخرجهم من عدم للحياة<sup>(١)</sup>  
فثل هذه الآيات لاتصدر من شاعر عرف عنه أنه من أشد الشعراء مجونا  
وعبثا ، ولكن طبيعة مصر اضطرتة إلى أن يتحدث عن الآخرة وعن الحياة  
بعد الموت .

وها هو ذا الشاعر ابن حيدرة العقيلي الذي ذكرنا أنه شاعر الخمر في العصر  
الفاطمي ، وأحد شعراء المجون ، ينشد في الزهد ويدعو إلى التقى والورع :  
قد لاح في فودك المشيب ورت من عمرك القشيب  
فكن لداعي التقى مجيبا من قبل تدعى فلا تجيب<sup>(٢)</sup>  
ونرى القاضي المعروف بالأديب أبي النضر ينشد :

النفس أكرم موضعا من أن تدنس بالذنوب  
ما لذة الدنيا لها ثمنا وإن مزجت بطيب  
فأسبق إلى إعداد زانك هجمة الأجل للقريب  
والق الإله على التقى والخوف مزور الجيوب<sup>(٣)</sup>

ويقول مرة أخرى يحث على الزهد وجهاد النفس :

جهاد النفس مفترض نخذها بأداب القناعة والزهاده  
فإن جنحت لذلك واستجابت وخالفت الهوى فهو الإراده  
وإن جمحت بها الشهوات فأكبح شكيمتها بمقمة العباده  
عسك تحلها درج المعالي وترفعها إلى رتب السعاده<sup>(٤)</sup>  
وهكذا نرى العاطفة الدينية تسير جنبا إلى جنب مع عاطفة حب المجون  
والشعر المصرى ملوّه بالعاطفتين معا .

وقد ذكرنا في كتاب « أدب مصر الإسلامية » أن مصر عرفت التصوف

(٢) المغرب ص ٥٥

(٤) الغريدة ورقة ١٢٧

(١) ديوان الأمير تميم

(٣) الغريدة ورقة ١٢٦

ووجدت فرقة عرفت بالصوفية كان لها أثر في الحياة السياسية في العصر العباسي وقد استمر تيار الصوفية في العصر الفاطمي ، وكان الأئمة الفاطميون يرعون هذه الفرقة ، ويحدثنا المفريزي أن الأمر الفاطمي جدد قصر القرافة وعمل تحته مصطبة للصوفية ، وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ، ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والمجامر بالألوية موضوعة بين أيديهم والشموع الكثيرة تزهر ، وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط ، ومدت لهم الأسمطة التي عليها كل نوع لذيق ولون شهي من الأطعمة والحلوى أصنافا مصنفة . وكان بين الحاضرين الشيخ أبو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق مرقعته وفرقت على العادة خرقا ، وسأل الشيخ أبو إسحق إبراهيم المعروف بالقارح المقري خرقة منها ووضعها على رأسه ، فقال الخليفة الأمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة : يا شيخ أبا إسحق . قال : لبيك يا مولانا . قال : أين خرقتي ؟ فقال يجيبا له في الحال : ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين . فاستحسن الأمر ذلك ، فأمر في الساعة فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية . ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ، ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار (١) .

ووفد على مصر في هذا العصر سهل بن محمد بن الحسن الصوفي ، حدث بالعراق ودمشق وصور ، ثم توجه إلى مصر فظل بها إلى أن توفي سنة ٤٤٤ هـ وكان أديبا شاعرا على طريقة الصوفية ، ولكن شعره فقد ولم يبق منه سوى قوله :

إذا كنت في دار يهينك أهلها ولم تك محبوبا بها فتحول  
وأيقن بأن الرزق يأتيك أينما تكون ولو في قعر بيت مقفل (٢)

وشاهد هذا العصر فرقة من فرق الصوفية عرفت بفرقة السكيزانية ، نسبة إلى شيخها أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت الأنصاري المعروف بابن السكيزاني الفقيه الشافعي الواعظ . ذكره العماد في خريدته ووصفه بقوله : « فقيه واعظ مذكر ، حسن العبارة ، مليح الإشارة ، لكلامه رقة وطلاوة ، ولنظمه عذوبة وحلاوة ، مصرى الدار ، عالم بالأصول والفروع ، عالم بالمعقول والمشروع ، مشهود له باللسنة القبول ، مشهور بالتحقيق في علم الأصول ، وكان ذا رواية ودراية بعلم الحديث ، ومعرفة بالقديم مكون الحديث ، إلا أنه ابتدع مقالة

(٢) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٣

(١) خطط المفريزي ج ٢ ص ٣٧٩



ضل بها اعتقاده ، وزل في مزلقها سداده ، وادعى أن أفعال العباد قديمة ، إلى أن قال : أعادنا الله من ضلة الحلم وزلة العلم وعله الفهم ، واعتقد أن التنزيه في التشبيه ، عصم الله من ذلك كل أديب أريب ونيل نيه ،<sup>(١)</sup> وتوفى ابن الكيزاني صاحب هذه الفرقة سنة ٥٦٠ هـ ودفن عند قبر الإمام الشافعي ، واستمرت تعاليم هذه الفرقة حتى عصر الأيوبيين ، فقد ذكر العباد : والطائفة الكيزانية بمصر على هذه البدعة إلى اليوم مقيمة ،<sup>(٢)</sup> وظهور هذه الفرقة في مصر واشتهار أمرها على النحو الذي تحدث به العباد وابن سعيد في كتابه المغرب يدلنا على مدى الضعف الذي طرأ على الدعوة الفاطمية في مصر ، فإننا رأينا الفاطميين يتزهون بالله عز وجل عن التشبيه أو التجسيم ، وهذه العقيدة هي أساس عقيدة الفاطميين وفلسفتهم ، ورأينا الدعاة يكفرون كل من دان بالتشبيه أو التجسيم ، ولكن جاءت فرقة الكيزانية تحت سمع الفاطميين وبصرهم وقالت بالتشبيه ، والتف عدد من المصريين حول شيخ هذه الدعوة دون أن يعباؤا بسطان الفاطميين وعقائدهم التي انتشرت في مصر زهاء قرنين .

كان ابن الكيزاني شاعرا من شعراء الصوفية بمصر ، ولكنه كان ضعيف الشعر حتى قال عنه ابن سعيد : ووقفت على ديوانه ، وهو مشهور عند الناس ، قريب من أفهام العامة ، غير مرضى عنه عند صدور الشعراء وأصحاب غوص الكلام وفرسان النظام ، وقد ضجرت من اختياره ومطالغته ، ولم أكتب من ديوانه شيئا تهش النفس إليه ، وإنما أردت ترجمته لشهرة ذكره وديوانه ، وكثيرا ما يباع في سوق الفسطاط وسوق القاهرة ؛ وكان من لا يعرف معاني الشعراء المستحسنه وألفاظه المستبدعة يحضني على الوقوف عليه ، فلما وقفت عليه أنشدني متمثلا :  
أنا المعيدى فاسمع بي ولا ترفى .<sup>(٣)</sup> ولعل ابن سعيد كان على حق في أن يصف شعر ابن الكيزاني على هذا النحو ، بالرغم مما ذهب إليه العباد الأصفهاني من الإعجاب بشعر ابن الكيزاني ، فإن المقطوعات التي رويت في الخريدة من شعر ابن الكيزاني تدل على أن الشاعر لم يكن من المتفوقين في الشعر إذا قسناه بشعراء الصوفية الذين ظهروا بمصر في العصور التي تلت العصر الفاطمي مثل ابن الفارض وغيره ،

(٢) المصدر نفسه

(١) الخريدة ورقة ٨٩ وما بعدها

(٣) المغرب ص ٩٣ وما بعدها

أو الشعراء الآخرين الذين عاصروه ، وربما كان سبب ضعف شعر ابن الكيزاني أنه كان واعظا يخاطب الشعب والدماء ، فكان يضطر الى اصطناع اللغة التي يفهمها الشعب وتقرب إلى نفوسهم . فأثر ذلك في أسلوبه ولغته ، فإذا بهما يقربان من الأسلوب الشعبي ولغة الشعب ، وقد يكون هذا السبب هو الباعث الذي من أجله أقبل العامة في مصر على قراءة ديوان ابن الكيزاني .

وهو في بعض شعره واعظ أكثر منه متصوفا . انظر إليه يقول :

إذا سمعت كثير المدح عن رجل فانظر بأي لسان ظل بمدوحا  
فإن رأى ذاك أهل الفضل فارض لهم ما قيل فيه ، وخذ بالقول نصيحيا  
أولا ، فامدح أهل الجهل رافعه وربما كان ذلك المدح مجروحا (١)

وهو في بعض شعره متصوف يتحدث عن العشق ، ويجرى في هذا الشعر مجرى شعراء الصوفية الذين نهجوا نهج رابعة العدوية في الحب الإلهي ، فابن الكيزاني كان أحد هؤلاء المحبين العاشقين ، وله في ذلك عدة مقطوعات ، منها قوله :

سواء أن تلوما أو تريحا رأيت القلب لا يهوى نصيحا  
أما لو ذقتما صرف الليالي إذن لعذرتما القلب القريحا  
وكانت فرقة الأحباب ظنا فأصبح بينهم خيرا صريحا  
ولو لم ينزلوا سلطات نجد لما استنشقت بالسلطات ريحا  
ولا أهديت للأسماع يوما غناء من حاتمها فصيحا  
وها أنا قد سمحت بدمع عيني وكننت بدمعها أبدا شحيحا  
وأمكننت المحبة من قيادي وصنت مع النأي ودا عجيحا  
وقد سكن الجوى قلبا صجيحا وقد ترك الهوى صدرا قبيحا (٢)

وقوله أيضا :

أسكان هذا الحى من آل مالك مسألة ما بنتنا بحمل  
ألم تعدونا أن تزوروا نكرما فما بال ميعاد الوعد والمشر  
وحلتم عن الوعد الجميل ملالة وأتم على نقض العهود نزول  
ولمنا لنستبقي المودة والهوى شهيد لنا إذ ليس عنه نزول

(٢) المصدر نفسه

(١) الغريدة ورقة ٩٠

ولا تحسبوا العتي عليكم توجعا  
رضينا ، رضينا أن نبيع نفوسنا  
كذلك الهوى ، هذا حبيب معزز  
ووجد وشوق وارتياح ولوعة  
دواعي الهوى محتومة فاصطبر لها  
علنا بوشك البين أول حاله  
إذا ما طمعنا أن تفر ديارهم  
تداركهم بعد الرحيل رحيل (١)

قلنا إن الفرقة الكيزانية استمرت مدة طويلة بعد العصر الفاطمي ، وكان لها أثر قوى في الصوفية الذين ظهروا بعد انقراض الدولة الفاطمية ، وكذلك كان الناس يتداولون شعر ابن الكيزاني فكان له تأثير قوى في شعراء الصوفية الذين كانوا في عصر الأيوبيين، ففى شعر ابن الفارض مثلا بعض المعاني التي في شعر ابن الكيزاني ، ولكن شتان بين شاعرية ابن الفارض وشاعرية ابن الكيزاني؛ وسأترك المقارنة بين هذين الشعارين الصوفيين إلى البحث الذى سيكون فى كتابنا القادم و أدب مصر فى عهد الأيوبيين والمماليك .

### الوصف :

وهناك غرض آخر من أغراض الشعر فى العصر الفاطمي هو عندى أقرب أغراض الشعر إلى التصوف ، ذلك هو وصف الطبيعة ، فكلا الغرضين ضرب من ضروب التأمل فيما خلقه الله ، فكثيرا ما يؤدى بشعراء الوصف إلى التصوف ، ولكن شعراء مصر لم يسيروا فى هذا المجرى ، بل اتخذوا وصف الطبيعة وسيلة إلى وصف قصفهم ، فقد رأينا شعراء مصر الفاطمية من تلاميذ مدرسة ابن وكيع التنيسى ينشدون شعرا فى الخمر والمجون والطبيعة معا ، وكيف كانوا يؤثرون الشراب فى الرياض والمنتزهات ، ويمزجون وصف الخمر بوصف الرياض والمنتزهات . أما وصف السماء وما فيها من نجوم وغيوم وسحب ، وتحدثنا عن خروج الشعراء إلى المنتزهات المختلفة التى كثرت فى هذا العصر ، ينعمون بطيب هوائها ويمتعون بأبصارهم بتنسيقها وجمال زهورها المتنوعة التى عجب الرحالة

ناصرى خسرو من وجود عدد كبير منها فى وقت واحد ، فهو يقول : « رأيت فى يوم واحد هذه الفواكه والرياحين : الورد الأحمر والنيلوفر ، والنرجس والترنج والنانج والليمون والمركب والتفاح والياسمين والريحان المسكى والسفرجل والرمان والكمثرى والبطيخ والعطر والموز والزيتون والبليج ( الإهليلج ) والرطب والعنب وقصب السكر . . . إلى أن قال :

« وكل من يفكر كيف تجتمع هذه الأشياء التى بعضها خريفى وبعضها ربيعى وبعضها صيفى وبعضها شتوى لا يصدق هذا » (١) ، ويقول عن بساتين القاهرة : وفى المدينة بساتين وأشجار بين القصور تسقى من ماء الآبار ، وفى قصر السلطان بساتين لانظير لها ، وقد نصبت السواقي لريها ، وغرست الأشجار فوق الأسطح فصارت منتزهات (٢) ، وطبيعة مصر اضطرت المصريين منذ أقدم العصور إلى التفكير والتأمل ، والأمثال العامية التى يصطنعها الشعب المصرى الآن والتى نقلت إلينا معربة عن قدماء المصريين تدل دلالة قاطعة على رقة شعور المصريين ودقة إحساسهم وهم يتأملون طبيعة مصر ويتحدثون عنها ، وآثار قدماء المصريين ملئت بالحديث عن السماء والأرض واختلاف الجو وغير ذلك من آيات تفكيرهم فى الطبيعة ، على أن الشعراء المصريين فى العصر الفاطمى لم يصفوا الطبيعة على أنها لون من ألوان الفلسفة الطبيعية ولم يتحدثوا عنها حديثا يؤدى بهم إلى معرفة الخالق ، بل تركوا ذلك كله لعلماء المذهب الفاطمى وإلى الفلاسفة . واتخذوا لأنفسهم مذهبا فنيا خالصا مصدره جمال الطبيعة ، فإذا بهم يسبقون على المناظر التى وصفوها ألوان الحياة التى يألّفونها من ملابس ومأكل ومسكن ، ويحاولون أن ينتزعوا من الطبيعة صورا هى أقرب إلى صور الحياة التى اعتادوها وألوان الزينة التى كان يتزين بها المصريون فى العصر الفاطمى ، وها هو ذا ابن حيدرة العقيلي يصور منظرا رآه فى إحدى المنتزهات :

القسم بين مزرر ومحلل	والقطر بين مسرح ومسلسل
والقضب بين مقرط ومطوق	ومدملج ومتوج ومككل
والنبت بين مزعفر وممسك	ومخلوق ومعبر ومصندل
ومديج ومطرز ومصنف	ومعرض ومرصع ومثقل
فاشرب على حلل لو امكن لبسها	كانت تكون من الطراز الأول (٣)

(١) سفر نامه من ٦٠ (ترجمة يحيى الخشاب)

(٢) المصدر نفسه من ٥٠ (٣) المغرب من ٧٤

ويقول مرة أخرى :

أمهات الثمار بين الروابي      تأتت بلبس خضر الثياب  
وبنات الكروم تجلى بما قد      صاغه الماء من عقود الحباب  
فاله مادام للشقيق خلوق      تنشر السحب فيه مسك ضباب<sup>(١)</sup>

ويقول في وصف الرياض وقد شبهها بفرش المجالس :

عرائس القضب تجلى      على كراسي الروابي  
ومجلس الروض فيه      فرش من العتابي  
فابن حيدرة العقيلي وهو من أشهر شعراء مصر الفاطمية الذين أولعوا بوصف الطبيعة كان يتخذ صورته في الوصف بما كان يدور حوله في الحياة اليومية ، وهذه الظاهرة ليست في شعر ابن حيدرة فحسب ، بل نراها عند كثير من شعراء مصر الفاطمية ، فالشاعر تميم بن المعز وهو أحد شعراء الطبيعة وصف بركة الحبش وخليج بني وائل فقال :

كأن البركة الغنا إذا ما      غدت بالماء مفعمة تموج  
وقد لاح الضحى ، مرآة فين      قد انصقلت ، ومقبضها الخليج  
ترى قمر الدجى ، قمرًا حذاه      طلوعًا ماله فيها بروج<sup>(٢)</sup>

ووصف روضة على شاطئ النيل فقال :

ويوم خدعت الدهر عنه فلم أزل      أعلل نفسي فيه بالراح مع صحبي  
لدى روضة عالت رباها كرومها      وجاد عليها النيل من مائه العذب  
كأن سحيق المسك خالط أرضها      لجالت به فيها الرياح مع الترب  
كأن نبات النيل والريح تهمي      بهن طلى خييل مؤنثة شهب  
وطوراً تحال الماء في رونق الضحى      متون سيوف لحن مصقولة القضب  
وتحمسه إن محصته يد الصبا      قوارير ما يفترن من قلق اللعب<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن عباد أحد شعراء الخريدة :

كأنما الأرض من زبرجدة      بدت إليك على غب من السحب  
والأفحوانة هيفا وهي ضاحكة      عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب

(٢) ديوان الأمير تميم

(١) المغرب ص ٥٦

(٣) المصدر نفسه

كأنما شمس من فضة حرست      خوف الوقوع، سهار من الذهب  
وقال بجير بن محمد الصقلي في يوم مطير:

أرأيت برقاً بالأبارق قد بدا      في أفقه متبسماً متوقدا  
كيف اكتسى ثوب السحاب ممسكا      وإخاله شنف الرداء موردا  
فكأنه في الجو كأس ، كلما      فأتت نيم البرق صاح وعربدا  
أومرهف كسفت مداوس صيقل      عن منته صدأ ، لكي يروى الصدا  
فأعجب إلى ودق اللجين يسيل من      أفق أحائه البوارق عسجدا  
ولؤلؤ للغيث يأخذه الثرى      فيعيده نبشاً يخال زبرجدا (١)

وقال ظافر الحداد في يوم برد:

ويوم برد عقوده برد لها سلوك من هيدب المطر  
ينثره الجو تم ينظم منه الأرض بالزهر كل منتشر  
فهو يحاكي الحبيب في اللون والطف وعذب الرضاب والخصر  
فالغيم يبكي والزهر يضحك والبروق تبدى ابتسام ذي خفر (٢)  
ويقول ظافر أيضا في متزهات خليج الإسكندرية:

وعشية أهدت لعينك منظرا      جاء السرور به لقلبك وافدا  
روض كمخضر العذار وجدول      نقشت عليه يد الشمال مباردا  
والنخل كالغيد الحسان تزينت      ولبسن من أثمارهن قلائدا (٣)

وللشعراء المصريين جولات في وصف النجوم ، وفي الحديث عن النهار  
والليل واختلاف الجو باختلاف فصول السنة ، فمن ذلك منظومة ابن وكيع  
التنيسي التي أوردتها الثعالبي في اليتيمة ، والتي تحدث فيها الشاعر عن إحساسه  
وشعوره نحو فصول السنة وتقلبات الجو باختلاف هذه الأوقات ، ويقول في مطلعها:

يا سائلني عن أطيب الدهور      وقعت في ذلك على الخبير  
سألني أي الزمان أحلى      وأيه بالقصف عندي أولى  
عندي في وصف الفصول الأربعة      مقالة تغني اللبيب مقنعه  
أما المصيف فاستمع ما فيه      من فطن يفهم سامعيه

(٢) الخريدة ورقة ٨٥

(١) الخريدة ورقة ٢٢

(٣) صبح الأعشى ج ٣ من ٣٠٥

فصل من الدهر إذا قيل حضر  
تبصر فيه الثبت ممشعراً  
نهاره مقسم بين قسم  
أوله فيه ندى مبغض  
يلصق منه الجسم بالثياب

ويقول في الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريف  
أهوية تسرع في كل الجسد  
يخشى على الأجسام من آفاته  
ومنها في الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاء  
أقبل منه أسد مزير  
لو أنه روح لكان فدما  
يأتيك في إبانه رياح  
أما عن الربيع فقال :

جاء إلينا زمن الربيع  
لبرده وحره مقدار  
عدل في أوزانه حتى اعتدل  
نهاره من أحسن النهار  
تضحك فيه الشمس من غير عجب  
لبدره فضل على البسودور  
كجمامة البلور في صفائها  
وهكذا يمضي ابن وكيع في وصف فصول السنة .

ومن قول شعراء مصر في النجوم ما أنشده ظافر الحداد :  
كأن نجوم الليل لما تبلجت  
توقد جمر في خلال رماد

حكى فوق تمتد المجرة شكلها ، فواقع تطفو فوق لجة وادى (١)

وقال محمد بن عاصم :

ترى صفحة الخضراء والنجم فوقها  
ككف سدوسى بدا فيه درهم  
ترى ، وعلى الآفاق أثواب ظلمة  
وأزرارها منها شمال ومرزم (٢)

وقال المهذب بن الزبير :

وترى المجرة والنجوم كأنها  
تسقى الرياض بجدول ملآن  
لو لم يكن نهراً لما عامت به  
أبدأ نجوم الحوت والسرطان (٣)

وقال ابن وكيع التنيسى :

قم فاستعنى صافية  
تهتك جنح الغسق  
أما ترى الصبح بدا  
فى ثوب ليل خلق  
أما ترى جوزاءه  
كأنها فى الأفق  
منطقة من ذهب  
فوق قباء أزرق (٤)

وقال تميم بن المعز فى الصباح :

وكان الصباح فى الأفق باز  
والدجى بين مخليه غراب (٥)

وقال ابن وكيع التنيسى فى التبشير بالصباح :

غرد الطير فنبه من نعب  
وأدر كأسك فالعيش خلص  
سل سيف الفجر من عمده الدجى  
وتعرى الصبح من ثوب الغلس  
وانجلى فى حلة فضية  
ما بها من ظلمة الليل دنس (٦)

أما نيل مصر فكان له شأن مع شعراء مصر الفاطمية ، فإنهم كانوا يكثرون من ذكره فى شعرهم ، ويفيضون عليه صورهم كلما فاض عليهم بمائه ، وها هو ذا الأمير تميم يقول :

يوم لنا بالنيل مختصر  
ولكل يوم مسرة قصر  
والسفن تجرى كالخيول بنا  
صعدا وجيش الماء منحدر  
وكانما أمواجه عكن  
وكانما داراته سرر

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤

(٤) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه

(١) نهاية الأرب ج ١ ص ٣٣

(٣) ج ١ ص ٣٦

(٥) ج ١ ص ١٤٤



ويقول مرة أخرى :

أما ترى الرعد بكى واشتكى  
فاشرب على غيم بصنع الدجى  
وانظر لماء النيل في مده  
ويقول تميم عند زيادة النيل :

انظر إلى النيل قد عبأ عما كره  
كأن خلجاناه والماء يأخذها  
كأن تياره ملك رأى ظفرا  
كأن ماء سواقيه لناظرها  
فاشرب مهنى فإن اللهو منبسط  
واطررب ولد ، فهذا منظر أنق

ويقول ابن قلافس :

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة  
غابت وأقوات شامنا منه يخنفها  
وللهلال فهل وافى لينقذها  
ولم ينس الشعراء أهرام مصر ، فالشاعر عبدالوهاب بن حسن بن جعفر الحاجب  
المتوفى سنة ٣٨٧ قال في وصف الأهرام :

انظر إلى الهرمين إذ برزا  
وكأنما الأرض العريضة قد  
حسرت عن الشديدين بارزة  
فأجابها بالنيل يشبعها  
لكرامة المولى المقسم بها  
ويقول ظافر الحداد :

تأمل بنية الهرمين وانظر  
كهماريتين على رحيل  
وماء النيل تحتهما دموع  
وبينهما أبو الهول العجيب  
لمحبوبين بينهما رقيب  
وصوت الريح عندهما نجيب (٤)

(٢) ديوان ابن قلافس ص ٧٥

(٤) الغريدة ورقة ٨٥

(١) خطط المغربي ج ١ ص ١٠١

(٣) خطط المغربي ج ١ ص ١٩٥

وقول عمارة اليميني :

خليلي ما تحت السماء بنية تماثل في إتقانها هرمى مصر  
وبناء يخاف الدهر منه ، وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر  
تنزه طرفى في بديع بنائها ولم يتنزه في المراد بها فكرى<sup>(١)</sup>

أما منشئات الفاطميين ومبانيهم فقد ذكرها الشعراء في أشعارهم ، ومنها هذه القصيدة التى أشدها عمارة اليميني بعد أن دالت دولتهم والتي تحدثنا عنها من قبل ، وقد ضاعت أكثر هذه الأشعار ، ولم يبق إلا عدة مقطوعات قليلة فى وصف مباني المصريين .

قول على بن يوسف الإيادى يذكر دارا بناها المعز العبيدى بمصر ، وسماها

العروسين :

بنى منظرا يسمى والعروسين، رفعة كأن الثريا عرست فى قبابه  
إذا الليل أخفاه بحللك لونه بدا ضوءه كالسدر تحت سحابه  
تمكن من سعد السعود محله فأضحى ومفتاح الغنى فتح بابيه  
ولو شاده عزم المعسر ورأيه على قدره فى ملكه ونصابه  
لكان حصى الباقوت والتبر مفرغا على المسك من أجره وترابه<sup>(٢)</sup>

وقال أمية فى وصف قصر بناه الأمير على بن الأمير تميم بن المعز :

الله مجلسك المنيف فبابه بموطد فوق السماك مؤسس  
موف على حبك المحبة تلتقى فيه الجوارى بالجوار الكنفس  
تقابل الأنوار فى جنباته فالليل فيه كالنهار المشمس  
عظفت حناياهم دوين سماته عطف الأهله والحواجب والقنى  
واستشرفت عمد الرخام وظهورت بأجل من زهر الربيع وأنفس  
فهواؤه من كل قد أهيف وقراره من كل خد أملس  
فلك تحير فيه كل منجم وأقر بالتقصير كل مهندس  
فبدا للحظ العين أحسن منظر وغدا لطيب العيش خير معرس  
فاطلع به قرأ ، إذا ما أطلعت شمس الحدود عليك شمس الأكوس

(١) خطط المفريزى ج ١ ص ١٦٥ (٢) نهاية الأرب ج ١ ص ٤٠٧

فالناس أجمع دون قدرك رتبة والأرض أجمع دون هذا المجلس (١)  
ووصف الشاعر علي بن محمد النيلي باب زويلة فقال :  
يا صاح لو أبصرت باب زويلة لعلت قدر محله بنيانا  
باب تآزر بالمجرة وارتدى الشعري ولاث برأسه كيوانا  
لو أن فرعوناً رآه لم يرد صرحاً ولا أوصى به همامنا (٢)  
على أننا نلاحظ ما بهذه المقطوعات من غلو ومبالغة في تفخيم المباني والمنشآت  
وهكذا نستطيع أن نتبع هذه العصور المختلفة التي صور بها شعراء مصر  
الفاطمية مارأوه في الطبيعة وفي المنزهات ، وهي صور من الحياة المصرية التي كانت  
تلائم ما في العصر الفاطمي من ترف ونعيم ، بل ذكر الشعراء الزينات المختلفة  
التي كان الفاطميون يتخذونها في دورهم ومنتزهاتهم ويقالون في إظهارها إمعاناً  
في الترف والبذخ ، وها هو ذا ابن قلاص يصف نخلة عليها زينة من أنوار السرج ،  
كالذي يتخذها المترفون اليوم في أيام الحفلات الخاصة :

ما عهدنا النخل لولا هذه باسقات بثار الذهب  
هطل العيث لها من فضة فهي في قنوانها من ذهب  
تلعب السرج على حافاتها وتحاكي أنمل المرتعب  
ولقد أحسبها السنة . هرها للسكر خمر الطرب (٣)  
وترى المصريين يصفون في شعرهم كل ما وقع تحت أنظارهم ، فوصفوا الشمعة  
مثلاً ، كما في قول المهذب بن الزبير :

ومصفرة لأعن هوى غيراتها تحوز صفات المستهام المعذب  
شجوناً وسقماً واصطباراً وأدمعاً وخفقاً وتسبيداً وفرط تلهب  
إذا جمشتها الريح كانت كعصم يرد سلاماً بالبنيان المخضب (٤)  
ويقول آخر في الشمعة أيضاً :  
وصحيفة يبعض تطلع في الدجا صبغا وتشقى الناظرين بدائها  
شابت ذؤابتها أوان شبابها واسود مفرقها أوان فئائها  
كالعين في طبقاتها ودموعها وسوادها ويابضها وضيائها (٥)

(١) نهاية الأرب ج ١ ص ٤١١ (٢) صبح الأعتى ج ٣ ص ٣٠٥  
(٣) ديوان ابن قلاص ص ١٨ (٤) الحريدة ورقة ٤٩ (٥) المصدر نفسه ١٣٩

ووصف الشاعر أمير الدولة أبو محمد عبد الله بن خليل — أمير شعراء  
المستنصر — القلم والريح بقوله :

يراعان هذا يملأ الطرس حكمة      وذاك يذيق الختف ليثاً غضنفرأ  
وإن ظمنا ظنناهما يرذا على      نفوس العدا من غير إذن ويصدرا  
فيشرب هذا أسود الليل حالكا      ويشرب هذا قاني الدم أحمرأ (١)

ويصف طلائع الأمرى الخيل بقوله :

جنائب إن قيدت فأسد وإن عدت      بأبظالها فهي الصبا والجنائب  
أثارت بأكناف المصلى بحاجة      دجت وبدت للبيض منها الكواكب (٢)

ويقول ابن الضيف في عدد الفرس :

كم ساج أعددته فوجدته      عند الكريمة وهو نسر طاثر  
لم يرم قط بطرفه في غاية      إلا وسابقه إليها الخافر (٣)  
\* ويطول في الأمر لو ذكرت ما وصفه شعراء مصر الفاطمية ، فهم لم يتركوا  
شيئا دون أن يتحدثوا عنه في أشعارهم ، ولعل ذلك يرجع إلى ما كانوا عليه من  
رقة الشعور ودقة الحس ومقدرة على القريض .

(٢) المصدر نفسه ورقة ٣٥

(١) الحريدة ورقة ٢٠

(٣) المصدر نفسه ورقة ٣٧ .

## خاتمة القول في الشعر

رأينا صوراً مختلفة من الشعر المصري في العصر الفاطمي ، وعرفنا موضوعاته المتنوعة المتشعبة ، فنحن نتساءل بعد أن رأينا ذلك كله : إلى أي حد وفق شعراء مصر في التعبير عن شخصية مصر في شعرهم ؟ وإلى أي حد نستطيع أن نميز الشعر المصري في هذا العصر من غيره من شعر الأقطار الإسلامية الأخرى ؟

قبل أن نجيب عن مثل هذه الأسئلة نرى أن نتحدث أولاً عن بعض خصائص ظهرت في الشعر العربي في كل عصوره وبيئاته منذ عرف الشعر العربي إلى الآن ، بل ستظل هذه الخصائص موجودة في الشعر العربي ما وجد الشعر العربي ، وهذه الخصائص هي التي تجعله — مهما اختلفت بيئاته وتطورت عصوره — وحدة يشبه بعضها بعضاً ، فالحياة العربية تتطور وتختلف باختلاف الأقاليم التي تنشأ الشعر بالعربية ، ولكن هذه الخصائص في الشعر لم تتطور بتطور الحياة ولم تختلف باختلاف الأقاليم ، وبالتالي يتطور الشعراء فلا تتطور معهم هذه الخصائص ، بل ظلت مثلاً علياً للشعراء جميعاً دون أن يصيبها تغيير جوهري .

فثلاً نجد الشعراء جميعاً منذ العصر الذي اتفق المؤرخون على تسميته بالعصر الجاهلي إلى عصرنا هذا ينشدون أشعارهم في ألفاظ عربية حاول النقاد أن يصفوها في كتبهم وأبحاثهم بالرقية والعدوية والجزالة والسلاسة ، إلى غير ذلك من هذه الصفات التي وصفت بها الألفاظ الشعرية ، فلا نكاد نجد شاعراً من شعراء العربية اصطنع ألفاظاً توصف بصفات تختلف عن تلك التي تحدث عنها النقاد القدماء والمحدثون ؛ حقيقة حاول بعض الشعراء أن يتظرف في الشعر باستعمال بعض ألفاظ أجنبية ؛ ولكننا نستطيع أن نقول إن ذلك كان قليلاً جداً بحيث لا نستطيع أن ندعى أن هذه ظاهرة يقف عندها الباحث في تاريخ الأدب العربي ، ولذلك لم يأن لها مؤرخو الأدب ؛ وإذن فقد اشترك الشعراء جميعاً في استعمال الألفاظ العربية في أشعارهم مهما اختلفت عصورهم وتباينت بيئاتهم ، فلا نستطيع أن نتخذ الألفاظ أساساً للتمييز بين شعر قطر من الأقطار التي أنشئت بالعربية من

شعر قطر آخر ، فالألفاظ مثل من المثل العليا لشعراء العربية جميعا ، لم يصبها تغيير ، ولن يصبها تغيير .

كذلك نقول عن هذه الأوزان التي جرى الشعر العربي على أوتادها وأسبابها ، والتي تحدث عنها علماء العروض في كتبهم ، فشعراء العربية لم يعدلوا عن الأوزان التي عرفها القدماء ، وأغلب الظن أن شعراء العربية لن يعدلوا عن هذه الأوزان مهما بعد بهم الزمن عن الشعر القديم ، وتلونت حياتهم بألوان مختلفة . ورب معترض يقول إن الأندلسيين أوجدوا الموشحات والأزجال ، وإن المصريين اخترعوا البليق ، وأدخل شعراء الفرس الدوبيت والرباعيات في الشعر العربي . وهذه كلها أوزان لم يعرفها القدماء . ولكن أتى بها المولدون ، فكيف تكون الأوزان إذن مثلا من المثل العليا للشعر العربي في كل العصور وكل البيئات ! فأجيب هؤلاء المعترضين بأن المولدين لم يعدلوا عن التفعيلات القديمة . ولم تخرج أوزانهم الجديدة عن الدوائر العروضية التي عرفت قبل اختراع هذه الألوان من الشعر ، وإنما الذي فعله هؤلاء المولدون أنهم غيروا بعض أشكال الشعر ، واحتفظوا بالوزن الأساسي وبلون من ألوان القافية ، أي أنهم في تجديدهم هذا لم يستطيعوا أن يحدوا عن المثل القديمة في الشعر العربي ، ومع ذلك كله فلو ذهبنا - جدلا - إلى أن الموشحات الأندلسية والبليق المصري والدوبيت الفارسي تجديد في الوزن العربي - مع أننا لا نوافق على هذا الرأي - فإن هذه الألوان من الشعر كانت جزءا يسيرا جدا بجانب الشعر الآخر الذي خلفه الأندلسيون والمصريون والفرس ، والذي حافظ فيه الشعراء على الأوزان القديمة ، وإذن فالوزن مثل آخر من المثل العليا لشعراء العربية جميعا لم يصبه تغيير إلى الآن .

وكذلك نقول عن القافية وعن الأساليب الشعرية العربية ، فهذه كلها مثل من مثل الشعر العربي التي أتبعها الشعراء في كل العصور والبيئات وحافظ عليها الشعراء أشد المحافظة ، حتى هؤلاء الشعراء الذين نزعهم أنهم أسرفوا في التجديد ، فالشاعر أبو نواس مثلا الذي هاجم الأساليب القديمة وتهكم بها لم يستطع أن يغير هذه الأساليب ولا طرائقه في التعبير ، وكذلك نقول عن المجددين اللفظيين من أصحاب البديع الذين أسرفوا في التلاعب اللفظي واستخدام ألوان الزينة البديعية ، فهم لم يستطيعوا أن يعدلوا عن عمود الشعر القديم ، فلم يشكروا

قافية غير القافية التي نهج عليها القدماء ، ولا تفعيلات غير التي عرفتها دوائر العروض ولم يستخدموا ألفاظا غير عربية .

معنى ذلك كله أن الشعر العربي في كل عصوره وبيئاته يشترك في هذه الخصائص التي أصبحت مثلا للشعراء ، فلا نستطيع إذن أن نقول إن مصر لم تظهر شخصيتها في الشعر أو إن المصريين قلدوا العباسيين واتخذوهم مثلا لهم لأن شعراء مصر اتبعوا هذه الخصائص العامة ، وكذلك لا نستطيع أن نقول إن الأندلس أظهرت شخصيتها بأن وجدت الموشحات ، فالذين زعموا أن العباسيين كانوا مثلا عليا لشعراء العرب لم يدركوا فن الشعر العربي حق إدراكه ، ونظروا إلى الشعر نظرة خاطفة فتوهموا أن العباسيين كانوا مثلا للشعر العربي ، ألم يذهب القدماء إلى أن ابن هاني الأندلسي كان يقلد المتنبي حتى لقب بمتنبي الغرب ؟ ألم يقل القدماء أيضا إن الأمير تميم بن المعز كان يقلد ابن المعتز وينهج نهجه ؟ فإذا كان القدماء ذهبوا إلى أن العباسيين كانوا أساتذة لشعراء مصر والمغرب والأندلس ، فلم لا يذهب هؤلاء أيضا إلى أن العباسيين كانوا مثلا عليا للشعر العربي ؟ الواقع أن العباسيين أنفسهم خضعوا لتقاليد الشعر العربي وخصائصه ، شأنهم في ذلك شأن جميع شعراء العربية في كل العصور وكل البيئات ، فلم يكن العباسيون مثلا عليا لغيرهم من شعراء الأقاليم العربية .

وإذا كان شعراء العربية اشتركوا جميعا في هذه الخصائص فإنهم اختلفوا في المعاني التي تحدثوا عنها باختلاف عصورهم وبيئاتهم ، فنحن إذا أردنا أن نبحث عن شخصية مصر في الشعر ، فنحن لا نجد لها في الأوزان ولا في القوافي ولا في اللفظ ولا في أساليب الشعر ، بل نجد لها في المعاني التي ذكرها الشعراء وفي الأخيلة الشعرية ، وهنا فقط نستطيع أن نقول إن الشعر المصري صور البيئة المصرية والحياة المصرية أصدق تمثيل ، بحيث إنك إذا قرأت هذا الشعر المصري لا تستطيع أن تنسبه إلى قطر غير مصر .

فن ناحية الشعر السياسي يعتبر شعر مصر الفاطمية سجلا للأحداث التي جرت في هذا العصر ، حقيقة ضاع جل هذا الشعر السياسي ، ولكننا نستطيع أن نحكم على ذلك بما بقي لنا من آثار هذا الشعر ، وقد ذكرنا شيئا عن شعراء القصر وشعراء الوزراء ، وأن هؤلاء الشعراء كانوا لسان الدولة في مثل هذه الأحداث السياسية.

وكذلك كان أمر غيرهم من الشعراء الذين كانوا ينشدون الخليفة أو الوزير ،  
ومن البديهي أن ما كان ينشد من الشعر السياسي هو صورة لحياة مصر السياسية  
دون غيرها من الأقطار الأخرى .

ورأينا جانبا من الشعر المصرى فى الزهد والدين بجانب الشعر المصرى فى  
المجون والإباحة ، وهذان اللونان من ألوان الشعر المصرى يدلان دلالة صريحة  
على ناحية هامة من نواحي الحياة فى الشعب المصرى ، فقد ذكرنا أن الشعب  
المصرى شعب يميل إلى التسك بأهداب الدين ، وأنه شعب يعمل لآخرته ، ولكننا  
فى الوقت نفسه نراه شعبا يميل إلى المجون فى حياته وأنه شعب يميل لندياه فىأخذ  
بنصيب من متاع الدنيا ، فصر على هذا النحو متناقضة مضطربة بين متاع النفس  
ومتاع الجسد ، وإذا الشعر المصرى يضطرب أيضا فيمثل الناحيتين من حياة هذا  
الشعب ، ولعل هذه الظاهرة لاتزال ماثلة إلى اليوم فى حياة المصريين وفى شعر  
المصريين ، والذين درسوا الشعب المصرى يحبوا الفكاهة . والدعابة المصرية ، وكيف  
يرسل المصريون الفكاهة تلو الفكاهة ، والنادرة بعد النادرة ، وهم يضحكون على  
مسمع هذه الفكاهات والنوادر بأصوات عالية ، وذكر السكتاب أن الفكاهة  
المصرية تدل على ذوق المصريين وسرعة بديهتهم وعلى وعى شديد فى تذوقها ، وزعم  
بعض السكتاب أن المصريين أكثر الشعوب حبا للفكاهة وكلفا بإطلاقها وسماعها ،  
وأن الفكاهة تجرى فى دم كل مصرى . ولكن هذه الفكاهات المصرية أكثرها فى  
الحديث عن الناحية الجنسية ، وهى تتناول بعض أعضاء الجسم ، حتى إن أشد  
ألوان الفكاهة المصرية إضحاحا كما هى هذه الفكاهات التى تتحدث عن العلاقة الجنسية  
أو أعضاء الجسم ، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن للمصريين لونين من الحياة لونا  
يميلون فيه إلى المجون ولونا آخر يميلون فيه إلى الدين ، فإذا الشعر المصرى فى كل  
عصوره يمثل هذين اللونين ، وقد رأينا صورهما فى الشعر المصرى فى العصر الفاطمى .

ونضيف إلى ذلك كله أن مصر بما تتماز به من هذا الجو البديع الذى تكاد  
تتفرد به ، وأرض خصبة تروى فى أوقات منتظمة جعلت المصريين شعبا يميل  
إلى الهدوء واللين فى كل شىء ، وظهر أثر ذلك فى التفكير عند المصريين ، فحن  
لا تكاد نجد عند المصريين عمقا فى تفكيرهم وفى دراساتهم المختلفة ، ولعل هذا هو  
السبب فى أننا لا نجد فيلسوفا مصرية ولا نجد فلسفة مصرية لها أثرها فى تاريخ



الفكر البشرى ، ونحن نعجب لهذا الشعب العظيم الذى استطاع أن يهضم كل  
المدنيات التى ظهرت ، وعرف كل الدراسات المتنوعة ، بل استطاع أن يمسر  
الشعوب التى وفدت على مصر ، ومع هذه القوة الكامنة فى مصر لم ينتج المصريون  
فلسفة خاصة بهم . ورب معترض يقول إن مدرسة الإسكندرية أوجدت فلسفة  
تباين الفلسفة الهلينية بعض التباين ، ولكن فاته أن فلاسفة مدرسة الإسكندرية  
لم يكونوا من المصريين بل كانوا من الغرباء الذين وفدوا على مصر لطلب العلم  
على أساتذة مدرسة الإسكندرية ، وقد ذهب بعض مؤرخى مدرسة الإسكندرية  
إلى أن فلوطين من صعيد مصر ، وأنه تأثر بالبيئة المصرية والحياة المصرية ، وظهر  
ذلك فى آرائه التى حاول فيها أن يقرب بين فلسفة اليونان والمسيحية واليهودية ،  
ولكن حياة أفلوطين لم تكن كلها فى مصر ، فقد وفد على الإسكندرية سنة ٢٢٣  
وأقام إحدى عشرة سنة فى الاستماع إلى الفلسفة اليونانية ، ثم رحل عن مصر إلى  
سوريا والعراق ، وفى سنة ٢٤٥ م رحل إلى رومة حيث لبث بقية سنى حياته  
إلى أن توفى سنة ٢٧٠ م . فأرا . أفلوطين لم تكن بتأثير البيئة المصرية ، ولكنها كانت  
بتأثير هذه الرحلات التى قام بها ، فمدرسة الإسكندرية بالرغم من استمرارها فى  
مصر عدة قرون لم تؤثر فى المصريين تأثيراً له خطره ، والذى قبله المصريون من  
دروسها هو شئ قريب إلى عقلية الشعب المصرى التى تميل إلى كل شئ بسيط  
لين ، ولذلك لم تمسك مدرسة الإسكندرية الفلسفية طويلاً عقب الفتح العربى ،  
إذ انتقلت تعاليمها إلى الرها وحران وأنطاكية ونصيبين . إلى أن أعاد الفاطميون  
تعاليم المدرسة الإسكندرية مصبوغة بالصبغة الإسلامية ، ثم خرجت هذه التعاليم  
من مصر بانقراض الدولة الفاطمية ، ولم تعد إليها إلى الآن ، وأغلب الظن أنها  
لن تعود مرة أخرى إلى مصر ، وفى تاريخ الحياة الصوفية فى مصر لم نجد صوفياً  
له فكرة متميزة به ، وإذا قلنا إن ذا النون المصرى كان من أوائل الصوفية الذين  
لهم رأى فى وحدة الوجود فإن تعاليمه لم تزدهر فى مصر ، وإنما الذين حملوا آراءه  
كانوا من غير المصريين ، وذلك كله لأن المصريين شعب يميل إلى الهدوء واللين  
فى حياتهم وفى تفكيرهم ، وذلك من تأثير البيئة المصرية .

وغلبيت هذه الطبيعة المصرية على الشعراء قراءم هادئين فى تفكيرهم ، وفى  
ميلهم إلى اتخاذ الأوزان الخفيفة الهادئة التى تلائم طبيعتهم ، وظهر فى وصفهم

للطبيعة تلك الصور الهادئة التي ليس بها تعقيد الفلاسفة ولا عمق المفكرين ، إنما كانت صورهم هي صور الحياة اليومية التي كان يحياها المصريون .

والمصرى عرف منذ القدم بشدة تعلقه ببيئته لا يريد الابتعاد عن حياته التي عرفها منذ أدرك الحياة ، وإذا غاب عن بيئته فهو يحن إليها حنيناً شديداً جداً ولا يلبث أن يعود إليها ، وفي شعر مصر الفاطمية نجد الشعراء يعنون بتصوير هذه البيئة ، ولم يحاول الشاعر المصرى أن يخرج فنه عن دائرة هذه الحياة التي حوله ، ومن هنا كان تصوير الشعر المصرى للبيئة المصرية وللحياة المصرية في صور متلاحقة تكاد تكون حسية ، فإذا قرأنا هذه الأشعار في تصوير هذه البيئة لا نستطيع أن ننسبها إلى بيئة أخرى غير بيئة مصر ، ولا يصور الشاعر شعباً غير شعب مصر ، فليطمئن الذين زعموا أن مصر لم تنتج أدباً ، أو الذين يزعمون أن مصر لم تظهر شخصيتها في الشعر ، إلى أن مصر كان لها شخصية ظاهرة واضحة في الشعر المصرى في العصر الفاطمى ، ثم العصور التي وليت هذا العصر ، وأن الشعر المصرى يصور حياة المصريين المتشعبة النواحي أصدق تمثيل .

أما أخيلة المصريين في التعبير عن تصوير بيئتهم وألوان حياتهم ، فهي أخيلة مستمدة من بيئتهم ومن حياتهم أيضاً ، فالفاطميون في أشعارهم التي أوردنا بعض صورها استخدموا الألوان الحسية ، فاستعمل الجناس والطباق إلى غير ذلك من ألوان الفن تمثل لنا أخيلة شعراء العصر الفاطمى بأنها صور منتزعة من الحياة الفاطمية ، وأن توسع الشعراء الفاطميين في استعمال هذه الألوان والمغالاة في استخدامها هي ضرورة اضطررتهم إليها حياة العصر الفاطمى نفسه ، حقيقة نرى عند شعراء مصر قبل العصر الفاطمى هذه الألوان الحسية في شعرهم وقد تحدثنا عنها في كتابنا « أدب مصر الإسلامية » وأوردنا شيئاً من شعر شعراء هذا العصر ، مما يدل على أن هذا اللون من الفن عرفته مصر الإسلامية ، ولكن مصر الفاطمية كانت تمتاز بالغلو في كل شيء ، فقد رأينا غلو الفاطميين في الدين ، وغلوهم في اللهو ، وغلوهم في التزين والتجمل ، وغلوهم في الملبس والمسكن : غلو في أعياد فرحهم ، وغلو في ذكريات مآتمهم . فظهر هذا الغلو في فن الشعر ظهوره في نواحي الحياة المختلفة ، فأسرف الشعراء في العصر الفاطمى في استخدام ألوان الزينة البديعية حتى تلائم إسراف الفاطميين في حياتهم ، فإن الحياة كانت تمد الشعراء بهذه الألوان

الحسبية عن الزينة . ليس معنى ذلك أن الشعراء في غير مصر الفاطمية لم يعرفوا الزينة  
البديعية أو أنهم لم يسرفوا في استخدامها ؛ بل كانت الزينة البديعية في الشعر العربي أقدم  
عهداً من الفاطميين ، وإن هذه الزينة عرفها شعراء العراق وغير العراق قبل أن  
تقوم دولة الفاطميين في مصر ، فقد فنتت الزينة البديعية الناس جميعاً في كل  
البلاد العربية ، وأخذ الشعراء في استخدامها في شعرهم لإرضاء ذوقهم الفني ،  
ولإرضاء الجمهور الذي فتن بها ، وتبع شعراء مصر الفاطمية تيار الشعر العربي ، ولم  
يتخلفوا عنه ، وإنما أسرفوا في استخدام هذه المحسنات البديعية ، فسبقوا غيرهم  
في مضارته ، وذلك لما في المصريين من دقة الحس ورقه الشعور وميل إلى  
الفساكة وخفة الروح ، فإذا بك لا تشعر أن بالشعر المصري هذا التكلف الذي  
يظهر عند غير المصريين من الشعراء ، ولا تلمس جهد الشاعر في الحصول على  
هذه الصور الفنية التي ابتدعها في شعره ، فالصور أمامهم وبين أيديهم ينتقون منها  
ما يشاءون دون جهد ، فأحسنوا التحدث عن هذه الصور وأحسنوا تعليلها ،  
وهي صور مصرية وتعليلات مصرية منتزعة من الحياة المصرية الحضرية .  
وإذن فستطيع أن نظمن أيضاً إلى أن أخيلة المصريين كانت مصرية أيضاً ،  
لم يتبعوا فيها غيرهم من شعراء البلاد العربية . وهكذا ظهرت شخصية مصر في  
الشعر بارزة واضحة .

# الباب الثاني

## في النثر

### الفصل الأول

#### ازدهار النثر

رأينا في كتابنا «أدب مصر الإسلامية» كيف أسس ديوان الإنشاء بمصر في عهد أحمد بن طولون، وأن أول من ولي هذا الديوان كان أحمد بن محمد بن مودود المعروف بابن عبدكان الكاتب، وعرفنا كيف استمر تلاميذ ابن عبدكان يعملون في دواوين الطولونيين والإخشيديين. فازدهرت الكتابة في مصر على أيديهم حتى بلغت درجة عالية من درجات فن الكتابة في مصر، حتى إن القلقشندي روى أن أهل بغداد كانوا يحسدون أهل مصر على طبطب المحرر وابن عبدكان الكاتب، ويقولون: بمصر كاتب ومحرر ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما (١) وكثر عدد الكتاب في مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين أمثال الحسن بن رافع ويعقوب بن إسحق وأحمد بن أيمن والحسين بن مهاجر وعلي بن أحمد المادرائي وابن الداية وإسحق بن نصير العبادي وإبراهيم بن عبد الله النجيري ومحمد بن كلا والروزباري وغيرهم من الكتاب الذين اتخذوا الكتابة فنا يتكسبون به، ومؤهلا لتعيين الكتاب في خدمة الأمراء وأصحاب الشأن في البلاد، فكثرتنافس الكتاب في تجويد الكتابة وإتقان الصناعة حتى علا منارها وعظم شأنها تولى الفاطميون أمر مصر، ونهضة الكتابة فيها قوية مزدهرة، فتضاعفت هذه النهضة في العصر الفاطمي بما عمل الفاطميون على النهوض أولا بالعلم وإذكاء شعلته في البلاد، حتى كان للحركة العلمية أثر قوي في تيار الفكر الإسلامي عامة

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ١٧.

وفي مصر الفاطمية على وجه خاص ، وقد تحدثنا عن ذلك من قبل . ومن ناحية أخرى ظفرت مصر الفاطمية بنهضة أدبية كان لها أثرها القوي في ازدهار الشعر وازدهار الكتابة معا ، فقد عنى الفاطميون بالكتاب عنايتهم بالشعراء ، بل لا أعلى إذا قلت إن عناية الفاطميين بالكتاب كانت أشد من عنايتهم بالشعراء . ذلك أن اتساع ملكهم وتشعب نواحي حياتهم وسلطانهم اضطرهم إلى أن يوجهوا همتهم إلى العناية بالدواوين المختلفة عناية خاصة تتناسب مع غلوهم في إظهار مجدهم . ويحدثنا المؤرخون عن هذه الدواوين وعن الكتاب الدين تولوها والتشريف الذي كان يجده هؤلاء الكتاب في العصر الفاطمي . من ذلك أن صاحب ديوان المجلس كان يخلع عليه وينشأ له السجل ، وله المرتبة والمسند والدواة والحاجب إلى غير ذلك (١) ، ويذكر المقرئ أن أبا البركات بن أبي الليث متولى ديوان المجلس سنة ٥١٧ هـ كان له باسمه مياومة إدرارا من بيت المال والخزائن ودار التعبية والمطابخ وشون الحطب الشيء الكثير ، فكان له من البقول والتوابل ما قيمته نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة أطيبار ومن الحطب حملة واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصرينان وشمامة ، كما كان له في كل يوم اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفسور خاص وصحن من الأوانل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز المائدى والسמיד ، وفي كل يوم أحد وأربعاء من الأسمطة مثل ذلك ، وفي كل يوم سبت وثلاثاء من أسمطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعى عنب ، وكان يحضر إليه في كل يوم من الاصطبلات بغلة بركوب محلى وبغلة برسم الراجل وفراشين برسم خدمته ؛ ولم يقتصر الأمر عليه وحده بل جعلوا لولده جاريا كل يوم مقداره ثلاثة أرطال لحم وعشرة أرطال دقيق وراتبا عشرة دنانير (٢) .

ويقول المقرئ أيضا عن ديوان التحقيق إنه كان لا يتولاه إلا كاتب خبير وله الخلع المرتبة والحاجب (٣) ؛ أما صاحب ديوان الإنشاء والمسكاتبات فكان أول أرباب الإقطاعات وأرباب الكسوة والرسم ، وله حاجب من الأمراء

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٣٦ (٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٤٢ .

الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والخاد والمسند والدواة ، وهي من أخص  
الدوى ويحملها أستاذي الخليفة (١) ، ويحدثنا ياقوت أن رزق ابن خيران كاتب  
الإنشاء في عهد المستنصر كان ثلاثة آلاف دينار في السنة ، وكان له عن كل ما يكتبه  
من السجلات والعمودات وكتب التقليدات رسوم يستوفيا من كل شئ (٢) .  
فهذا التشریف الذي جعله الفاطميون لكتاب دولتهم كان من أهم عوامل ازدهار  
الكتابة في هذا العصر ، كما كان إغداق النعم على الكتاب على هذا النحو الذي  
رأينا صورته من أسباب كثرة الكتاب وإقبال الناس على التعليم وإجادة  
الكتابة ليصلوا إلى مرتبة الكتابة في الدواوين ، فكثرت عدد الكتاب وأصبح  
على المتأدب أن يأخذ عن الكتاب طرائقهم وفنهم ، ويحدثنا القاضي الفاضل  
أنه كان من عادة أرباب الدواوين في تربية أبنائهم أنهم كانوا يرسلون هؤلاء  
الأولاد إلى ديوان المكاتبات ليتعلموا فن الكتابة ، قال القاضي الفاضل : كان  
فن الكتابة بمصر في زمن بني عبيد غضا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات  
من رأس يرأس مكانا وبيانا ، ويقوم لسلطانه بقلبه سلطانا ، وكان من العادة أن  
كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى  
ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع ، فأرسلني والذي  
وكان إذ ذاك قاضيا بغير عسقلان إلى الديار المصرية في أيام الحافظ ، وأمرني  
بالمصير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجل يقال  
له ابن الخلال ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبني  
رحب بي وسهل ، ثم قال : ما الذي أعددت له فن الكتابة من الآلات ؟ فقلت :  
ليس عندي شئ سوى أني أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحماسة . فقال : وفي  
هذا بلاغ . ثم أمرني بملازمته ، فترددت عليه وتدربت بين يديه ، ثم أمرني بعد  
ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرني أن أحله مرة  
ثانية فحللته (٣) .

فهذا النص يدلنا على مبلغ تعلق الناس بتعليم أبنائهم فن الكتابة ، فقد كان

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٤٤ (٢) معجم الأديباء ج ٤ ص ٥ (طبعة رفاعي)

(٣) الروضتين ١٦ ص ١٩٢

حفظ القرآن الكريم وأشعار العرب من عهد الكاتب في هذا العصر ، وقد رأينا كيف طلب ابن الخلال من تلميذه الذي عرف بعد ذلك بالقاضى الفاضل أن ينثر كل الأشعار التي جمعها ديوان الحماسة تهيئة له في الدخول في سلك الكتاب . ولم تكن ملكة الكتابة وحدها تكفي أن تجعل الإنسان كاتباً ، بل كان لا بد له من آلات — على نحو ما عبر ابن الخلال — وهذه الآلات هي علوم العربية ، حتى يتسنى للكاتب أن يسير على نهج الأساليب العربية ، فلا يقع في لحن نحوى أو لغوى ، أو يتعدد الكاتب عن سنن كتاب العربية في أسلوبهم وتعبيراتهم . ولم يقع الفاطميون بأن تكون كتابات الكتاب سليمة صحيحة ، بل حرصوا أشد الحرص على ذلك ، بأن جعلوا في ديوان الإنشاء لغويين ونحويين لمراجعة ما كان يحزره الكتاب حتى تخرج كتاباتهم سليمة من الأخطاء ، فهذا الحرص على سلامة أساليب الكتابة كان من العوامل التي جعلت الكتاب أنفسهم يعملون جاهدين على أن تخرج كتاباتهم خالصة متفقة مع الأساليب العربية ، فلا غرو أن يقول القاضى الفاضل : « إن فن الكتابة بمصر في زمن بنى عبيد كان غضا طرياً ، وإن تصبو نفس كل متعلم إلى أن يكون كاتباً من كتاب الدواوين .

وقد يكون من عوامل ازدهار الكتابة في العصر الفاطمى أن وزراء العصر الأول من الحكم الفاطمى كانوا من الكتاب ، وكانوا يعملون في الدواوين قبل اختيارهم للوزارة ، فالفلاحى والجرجرائى واليازورى والبايلى وبنو المغربى وابن المدبر وابن الأنبارى وكثير غيرهم كانوا من الكتاب ، وقد بلغوا مرتبة الوزارة ، حتى إن المؤرخين لاحظوا أن وزراء الدور الأول كانوا من أصحاب الأقلام ، وأن وزراء الدور الثانى كانوا من أصحاب السيف . وليس معنى ذلك أن الكتابة ضعفت في الدور الثانى ، أو أن الكتاب أصبحوا في مكانة تقل عن مكانتهم الأولى ، بل ظل الكتاب يتمتعون بمثل المركز الرفيع الذى كانوا فيه في الدور الأول ، ومنهم من جلساء الإمام وحجابه وأصحاب مظلمته ، ومنهم من القضاة والدعاة . وهذه كلها كانت أكبر مناصب الدولة بعد الوزارة ، فالكتاب طوال العصر الفاطمى كانت لهم مكانتهم الممتازة ، والنعم العميمة ، والعطايا الجزيلة ، فلا غرابة إذن أن يقبل الناس على الكتابة ، وأن تزدهر في هذا العصر . أضف إلى ذلك كله أن نظام الحكم الفاطمى كان من أشد العوامل على ازدهار

الكتابة ، فإن الفاطميين كانوا يسجلون كل دقيقة وعظيمة في سجل يخرج من الديوان ، فنعين الوزراء أو الكتاب أو القضاة أو الدعاة وغيرهم من أرباب وظائف الدولة كان يخرج به سجل خاص مطول ، فيه الحضر على تقوى الله وطاعة الإمام والتمسك بأهداب الدين الخفيف ، ثم الإشارة إلى المنصب الذى سيعين فيه الموظف ، وما يتطلبه ذلك المنصب من عمل ، إلى غير ذلك من ترغيب فى المنصب ومشورة فى تصريف العمل . وإذا خرج الخليفة لفتح الخليج أو لصلاة الجمعة أو العيد فيخرج السجل بذلك . وفى أعيادهم ومآتهم كانت تصدر هذه السجلات أيضا ، حتى أصبحت هذه السجلات تاريخا للعصر الفاطمى كله . وكان الكتاب يفتنون فى إظهار مقدرتهم وكفائتهم فى صياغة هذه السجلات ، ويتنافسون فى هذا الفن . فجاءت هذه السجلات الفاطمية صوراً رائعة من صور الكتابة العربية التى تمثل العصر الفاطمى أصدق تمثيل .

من ذلك نستطيع أن ندرك كيف ازدهرت الكتابة فى العصر الفاطمى ، وكيف أقبل المتعلمون على أن يلبوا بفن الكتابة ، حتى يصبحوا كتابا فى دواوين الفاطميين . وأن ينالوا ما ناله الكتاب من تكريم وتقريب ونعم .

### النثر والأئمة :

وكان الأئمة يجيدون فن النثر كما كانوا يعرفون بالشعر ، فقد كان الأئمة يلقون الخطب الدينية فى المسجد الجامع . ويقرأون ما يعرضه عليهم الدعاة من مجالس الحكمة ، وقد يبذلون بعض أجزاء هذه المجالس . فن خطبة المعز لدين الله فى عيد الاضحى سنة ٣٤١ هـ .

« الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الأعرز الأقدر ، الخالق المدبر ، ذو الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت ، الأحمد الصمد ، الفرد المتفرد ، الأعلى القاهر ، الباطن الظاهر ، الأول الآخر ، مبدع السموات والأرض بالقدرة ، وما سكها بالعزة ، ومدبرها بالحكمة ، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة ، وبدائع التركيب والصنعة ، الذى كل شئ من موات وحى متموجه بالدعاء ، إليه ، والدلالة عليه ، والشهادة له بالتوحيد ، والتعظيم والتحميد ، فتسكوينه الأشياء كلها من عدم شاهد بأن لا شئ قبله ، وانتهأؤها إلى الغايات دليل على أن لا



غاية له ، وإحاطته بمحدودها مني\* بأن لا حد له ، فالضعف والعجز والفقير والنقص الذي لم يخل منه مخلوق أفصح ناطق وأصدق شاهد للخالق وحده — جل ثناؤه — بالإلهية والفردانية والقدرة والربوبية والتام والكمال والأزل والدوام . تبارك الله رب العالمين ، أحسن كل شيء خلقه ، وكفل لكل حي رزقه ، ثم هدى بالعقل الذي قامت حجته ، ووجبت طاعته ، والسكتب والرسل الذين تمت بهم حكمته . فصلى الله عليهم أجمعين ، وعلى محمد سيد المرسلين ، الذي رفع ذكره وأعلى قدره ، فأكرمه بالوسيلة ، واختصه بكل فضيلة ، وابتعثه هاديا للعباد ونورا في البلاد ، علم به من الجهل ، وهدى به من الضل ، وكثر به من القل ، وأعز به من الذل ، فألف به بعد الشتات ، ونور به دياجير الظلمات ، صلوات الله عليه وآله المهديين الأخيار الطيبين . يا أيها الناس إن الله لم يخلقكم عبثا ، ولم يهملكم سدى ، ولم يجعل عليكم في الدين حرجا ، ولم يضرب الذكر عنكم صفحا ، للعبادة خلقكم ، وبطاعته وطاعة رسوله أمركم ، وجعل للطاعة أعلاما منصوبة ، وفروضا مكتوبة ، ومن أفضل أعلامها وأكرم أيامها يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق مبوأ إبراهيم خليل الله ، وقبله محمد رسول الله ، فتقربوا إلى الله بما أمركم به ورتزقكم إياه من بهيمة الأنعام ، مقتدين سنة محمد نبي الرحمة والهدى ، مستشعرين لله التقوى ، فإن الله عز وجل يقول : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، فبالتقوى تقبل الأعمال ويدرك الأمل ، وكبروا الله على ما هداكم ، واشكروه على ما أورلاكم ، ألا وإن خير الهدى الإيل ، وخير الإيل إنائها ، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن ، وسلامة الضحايا سلامة العين والأذن ، وأن تكون من حلال الأموال ، نسأل الله لنا ولكم قبول العمل بامتتانه ، وبلوغ الأمل من رضوان الله ورحمته وإحسانه . »  
وجلس ثم قام في الثانية ينعى المنصور ويعلن موته ، بعد أن كان موته قد ظل مستورا عدة أشهر :

« الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر شانا ، وأعظم سلطانا ، وأوضح آيات وبرهانا ، عن أن تنكر العقول توحيده ، أو تروم تحديده ، خالق السموات والأرض ومالكهما ومدبرهما ، الفرد الصمد ، الواحد الأحد ، الذي لا شريك له ولا ند ، الخالق القدير ، الرحمن الغفور ، النافذ قضاؤه ،

السكائن ما يشاؤه ، المتقن كل شيء صنعا ، الموسع كل شيء رزقا ، المحيط بكل شيء علما . أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأفوض إليه ، وأتوكل في كل الأمور عليه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً خيرته من عباده ، ونجيه من برئته ، وصفوته من المتطهرين ، ورسوله إلى كافة العالمين ، وبعيئه بالإمامة إلى الثقلين ، ليلبغ حجة الرب ويوضع محجة الحق . فأدى رسالة الله ، ورحم ورأف بعباد الله . وصبر على الكُتُبِارِ مَرِينِ مكر الكفار ، إلى أن أذال الله للحق على الباطل . والهدى على الأضائل . محمد صلى الله عليه وآله أفضل الصلاة وأزكاها ، وأكملها وأتمها . وأخذها وأبقاها ، وعلى الأئمة المهديين ، من عترته الكرام الأبرين ، الذين اختارهم للخلافة . وارتضاهم للإمامة . وأدبوصية الرسل حجبتهم . وأوجب في التنزيل طاعتهم ، بعد تفضيله لإياهم على العالمين بأبوة محمد سيد المرسلين ، وعلى أفضل الوصيين . وعلى من أمه سيدة النساء ، خامسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم . وعلى أميرى المؤمنين ، المهدي بالله والقائم بأمر الله سيدى الورى ، وإمامى الهدى ، اللذين أعلن الله بهما دعوة الحق ، وأنطق بهما الإيمان والمؤمنين . وأقام بهما دعوة الدين ، وأزهق بحقهما باطل المدعين وأكاذيب المتخرصين . وقطع بسيفهما دابر الظالمين ، صلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليهما . اللهم اخصص الإمام الفاضل ، والوصى العادل ، والبر الفاضل . والغيث الوابل . ذا الآيات المعجزات . والعزائم النافذات . الباذل نفسه الكريمة في حين الأزل والكربات . الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الأرض من جبابرة الأعداء . عبدك ووليک ونجيبك وصفيك أبا الطاهر ، المنصور بك والمتوكل عليك ، والمفوض إليك ، العامل بما يرضيك ويقرب إليك ويزلف لديك . الذى فجعتنا بفقدته ، وأوحدتنا بيبعده ، وأفردتنا منه وأوحشتنا ، فقبلت دعاءه ، وأجبت نداءه ، وجمعت بينه وبين أحبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك . إن القلق وشدة الحرق عليك يا أبتاه ياسيده يا إسماعيله يا أبا الطاهراه ، يا بحر علوم الأئمة الطاهرين ، الهداة المهديين ، يا بقية أبناء الرسول ، وأبناء الوصى والطاهرة البتول ، يا إمام الأمة ، ومفتاح باب الرحمة ، يا سراج الهدى وشمس الورى ، وبجلى الطخياء ، يا مخصوصا من الله بتعجيل الكرامة ، عظم والله علينا المصاب بك ، وحل البلاء

وعدم العزاء لفقدك ، وقصرت الألسن عن إدراك إحصاء شماتلك وتعداد مناقبك ، فوحق الذى اختصك بكرامته وحباك بجزييل عطائه وشرفك بأبوة رسوله ، لولا ما أوعزت إلى به وأكدته على من القيام بحق الله ، والذب عن أمة جدك رسول الله ، واستنقاذهم من غمرة الجهالة وبحار الضلالة ، ومهاوى الفتن ومعاطب المحن ، وما تقرر عندى ورسخ فى صدرى من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله ولأئمة الهدى ، لضربت على وجهى سائحا فى البلاد قاليا للبهاد ، راضيا ببلغة من الزاد ، إلى أن يلحقنى الموت سريعا بك ، فأفوز بقربك ورحمة ربك ؛ لكنى فكرت ونظرت وتدبرت ، فلم أرى وجهها أستوجب به درجتك واللحاق بشرفك سوى الصبر والاحتساب فتجلدت ، وصبرنى ربى فصبرت ، وغلب على اليقين فأمسكت ، فأقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الرحمن الرحيم له الحمد على ما أبلى ، والشكر على ما أولى . . . الخ (١)

وأكتفى بهذا القدر من هذه الخطبة القيمة التى وردت فى كتاب « سيرة الأستاذ جوذراء » فهذا الكتاب النفيس تحت الطبع الآن ، ولعلك تلاحظ أن المعز قد أتى فى خطبته هذه ببعض العقائد الفاطمية من السهل الآن على القارى أن يدركها ، والمهم الآن أن نلاحظ هذه الصنعة الفنية فى أسلوب الخطبة ، فالجمل قصيرة ، وتكاد الجملة تكون على وزن وطول الجملة التى تليها ، والسجع ظاهر فيها ، وينتقل المعز من معنى إلى آخر انتقالا طبيعيا لا تكلف فيه .

وإذا قرأنا توقيعات المعز التى ضمنها القاضى النعمان بن محمد كتابه « المجالس والمسائرات » وتوقيعاته التى أرسلها إلى وليه الأستاذ جوذراء التى جمعها صاحب « سيرة جوذراء » رأينا أن هذه الصنعة الفنية فى الكتابة لا تلازم الإمام المعز فى توقيعاته ، فقل أن نجد السجع ، ولا هذا التكلف الذى رأيناه فى خطبته ، فتوقيعاته أقرب إلى الكلام العادى الذى يتحدث به أمام الناس فى الشؤون المختلفة مع سلامة أسلوبه وفصيح عبارته ، مثل توقيعه إلى جوذراء على رقعة رفعها إلى الإمام يسأل فيها ضيعة يرتفق بها ابن أحد كتابه : « وقفنا على رقعتك ، ومحل محمد محل مثله من صدقت نيته ، وقدمت فى الجميل محبته ، ونحن نحب أن يسبغ الله نعمنا

(١) سيرة الأستاذ جوذراء ( نسخة خطبة بمكتبتى ) .

على من لم يعرفنا ، فكيف من لم يعرف إلانا ، ونحن نسعف جعفرأ لسؤالك ما سأل فيه إن شاء الله ، (١) .

وكذلك نقول عن الأئمة الذين جاءوا بعد المعز ، فقد كانوا على ثقافة واسعة وعلم غزير جعلهم يتمون بالكتابة ويميزون بين الجيد منها والردىء ، بل تنسب إلى بعضهم رسائل مثل مجموعة الرسائل التي تنسب إلى المستنصر الفاطمي والتي عرفت « بالرسائل المستنصرية » (٢) . والتي قيل إنها الرسائل التي تبودلت بين المستنصر وبين علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن ، فؤرخو الإسماعيلية يؤكدون أن هذه الرسائل من إنشاء المستنصر نفسه ، ولكنى — بعد أن اطلمت على هذه الرسائل — أستطيع أن أقول إن أسلوبها أقرب إلى أسلوب المؤيد في الدين داعى الدعاة .

وكذلك نقول عن « رسالة الهداية الآمرية » (٣) التي ينسبها الإسماعيلية إلى الإمام الأمر باحكام الله ، فقد شك الأستاذ آصف فيظى ناشر هذه الرسالة في نسبتها إلى الإمام الأمر ، ورجح أن تكون من إنشاء أحد الكتاب الذين كانوا في عصر الأمر .

ومهما يكن من شيء فإن الكتابة في العصر الفاطمي قد ازدهرت بازدهار الحياة المصرية في ذلك العصر ، ولشدة إقبال الناس على التماس العلم والنهل من منابعه التي كثرت ، وتعددت ألوانها وفنونها . وتطور الكتابة يتبع دائما تطور الحياة العلمية ، فإذا ارتقت العلوم تبعها رقى في الكتابة ، وإذا انحطت العلوم انحطت الكتابة .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مجموعة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن .

(٣) الرسالة الموسومة بالهداية الآمرية في إبطال دعوى النزارية عميق الأستاذ آصف علي

أصفر فيظى ( من مطبوعات جمعية الأبحاث الإسلامية بالهند ) .

## الفصل الثاني

### كتاب ديوان الإنشاء

قال القلقشندي : « لما ولي الفاطميون مصر صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكتابه ، فارتفع بهم قدره ، وشاع في الآفاق ذكره ، وولي ديوان الإنشاء منهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي ،<sup>(١)</sup> هكذا وصف القلقشندي كتاب ديوان الإنشاء في العصر الفاطمي ، وما بلغه هذا الديوان على أيدي الكتاب من رفعة القدر وشيوع الذكر ، ولا غرو في ذلك إذ كان منصب ديوان الإنشاء لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجل كتاب البلاغة<sup>(٢)</sup> ، وملكاته وكفايته كان يلقب بالشيخ الأجل وبصاحب الدست الشريف<sup>(٣)</sup> كما كان الخليفة يستشيره في أكثر أموره ، ولا يحجب عنه متى قصد المثل بين يديه<sup>(٤)</sup> ، وقد تحدث ابن منجب الصيرفي — أحد كتابهم — عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها رئيس ديوان الإنشاء ، نلخص أهمها فيما يأتي :

- ١ — أن يكون ذا دين وورع وأمانة .
- ٢ — أن يكون دينه الإسلام .
- ٣ — أن يكون على مذهب الملك .
- ٤ — أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة وأسنى منزلة ، وبحيث لا يوجد أحد في عصره يفوقه في هذا الفن .
- ٥ — أن يكون مضطلعا بفنون الكتابة ، عالما بأصولها وفصولها .
- ٦ — أن يكون حافظا لكتاب الله تعالى ، وحافظا للأشعار راويا للكثير منها ،
- ٧ — أن يكون أصيلا في قومه ، رفيعا في حسبه<sup>(٥)</sup> .

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦ .

(٢) خطط القرينزي ج ٢ ص ٢٤٤ وصبح الأعشى ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق . (٤) المصدر السابق .

(٥) قانون ديوان الرسائل لابن منجب ص ٩٤ وما بعدها .

هذه أهم الصفات التي رأى ابن منجب أن يكون عليها رئيس ديوان الإنشاء ،  
فهل اتخذ الفاطميون هذه الصفات دستوراً لهم في اختيار رؤساء هذا الديوان ؟  
يؤسفني أن أقول إن الفاطميين لم يأهوا بهذه الشروط والصفات التي اقترحها  
أحد كتابهم في كتاب قدمه لوزير من وزراءهم ، ولكن ابن منجب كان من  
كتاب القرن السادس للهجرة في وقت بدأ فيه ضعف دولتهم وقوة أعدائهم ،  
ولا سيما قوة الصليبيين ، فلا غرابة أن نرى ابن منجب يشترط أن يكون الإسلام  
دين رئيس الديوان ، وخاصة بحكم الوقت الحاضر ألا يطلع على أسراره من  
يخالف شريعة الإسلام لقرب دار العسود خذله الله وأباده ، (١) . فإن وجود  
الصليبيين في بلاد الشام يناوئون الفاطميين جعل ابن منجب يضطر إلى أن  
يشترط أن يكون رئيس ديوان الإنشاء مسلماً . أما قبل عهد الصليبيين ، ومنذ  
قامت دولة الفاطميين في مصر ، فقد كان يتولى ديوان الإنشاء بعض أهل الذمة ،  
كما كان يتولاه بعض المسلمين . ويذكر المؤرخون أسماء بعض من تولى هذا  
الديوان من أهل الذمة ، مثل أبي المنصور بن نسطوروس النصراني كاتب العزيز  
والرئيس فهد ، كاتب الحاكم وغيرهما ، كما كان يكتب ابن أبي الدم اليهودي في عهد  
الحافظ . معنى هذا أن الفاطميين لم يأهوا بمذهب الكاتب أو دينه ، بل لا أعالي  
إذا ذهب إلى أن الفاطميين كانوا كثيراً ما يستعينون بالذميين في دولتهم ، وهذه  
ظاهرة سجلها المؤرخون في كتبهم عن الدولة الفاطمية ، ولكن ليس معنى ذلك  
أن الفاطميين أبعدوا المسلمين عن الدواوين ، فإن الكثرة الساحقة من كتاب  
الدواوين كانوا من المسلمين ، فاذا عرضنا أسماء رؤساء ديوان الإنشاء التي  
وردت في صبح الأعشى رأينا أكثر الكتاب من المسلمين ، فقد جاء في هذا  
الكتاب : « فكتب للعزيز بالله ابن المعز أبو المنصور بن نسطوروس النصراني ،  
ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في أيامه ، فكتب للحاكم القاضي أبو الطاهر  
النهركي ، ثم كتب بعده لابنه الطاهر ، وكتب للسنصر القاضي ولي الدين  
ابن خيران ، ثم ولي الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة ، وأبو سعيد  
العبيدي ، وكتب للأمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن أبي أسامة  
الجلي ، إلى أن توفي سنة اثنتين وعشرين وخمسة ، فكتب بعده ولده الأجل

(١) قانون ديوان الرسائل لابن منجب ، ص ٩٥ .

ابو المكارم إلى أن توفي في أيام الحافظ ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين  
تاج الرياسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي ، والقاضي  
كافي القضاة محمود ابن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن أبي الدم اليهودي ،  
ثم كتب بعد الشيخ أبي المكارم بن أبي أسامة المتقدم ذكره القاضي الموفق بن الحلال  
أيام الحافظ وإلى آخر أيام العاضد ، وبه تخرج القاضي الفاضل البيهقي ، ثم  
أشرك العاضد مع الموفق ابن الحلال في ديوان الإنشاء القاضي جلال الملك محمود  
الأنصاري ، ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفق ابن الحلال قريب وفاته  
سنة ست وستين وخمسة في وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ،  
وكتب من إنشائه عدة سجلات ومكاتبات عن العاضد آخر خلفائهم (١) .

ولكن هذه الأسماء التي جاءت في صبح الأعشى ليست عرضاً لرؤساء ديوان  
الإنشاء في العصر الفاطمي كله ، كما أن الذي نراه في كتب التراجم وفي المراجع  
العامة الأخرى يختلف بعض الاختلاف عما ورد في صبح الأعشى ، إذ تحدثنا هذه  
المراجع أن الحسين بن جوهر القائد كان يلي ديوان الإنشاء في عهد العزيز (٢)  
وأنه ظل في منصبه إلى أيام الحاكم ثم استبدل به صالح بن علي الروزباري ، ثم جاء  
بعده الكافي ابن عبدون النصراني ، ثم صرف وقرر بدله أحمد بن محمد القشوري  
الكاتب ، ثم زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النصراني الملقب بالشافعي ، وبعده  
حسين بن طاهر الوزان (٣) . ونفهم من كلام ابن زولاق مؤرخ مصر أن مالك  
ابن سعيد الفاروق كان له النظر أيضاً في المكاتبات في عصر الحاكم (٤) ، وتولى  
ابن خيران كتابة السجلات للظاهر والمستنصر (٥) ، ويذكر المؤيد في الدين  
هبة الله الشيرازي في سيرته أنه ولي ديوان الإنشاء بمصر سنة ٤٤٣هـ (٦) ، ويذهب  
المقرئزي إلى أن الوزير ابن المغربي ولي ديوان الإنشاء بعد أن صرف عن  
الوزارة (٧) وأن سناء الملك أبا محمد الزبيدي الحسنی كان على رأس ديوان الإنشاء  
في عهد الأمر (٨) ؛ وهكذا نستطيع أن نعرف عدداً آخر من الكتاب الذين

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦ . (٢) خطط المقرئزي ج ٣ ص ٢٢ .

(٣) انعاظ الحنفا ص ٣٠٠ وما بعدها . (٤) الولاة والقضاة ص ٦٠٦ .

(٥) ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٨ .

(٦) السيرة المؤيدية ( من مطبوعات دار الكاتب المصري ) .

(٧) خطط المقرئزي ج ٣ ص ٢٥٧ . (٨) الحطاط ج ٤ ص ٧٨ .

ولوا ديوان الإنشاء غير الذين ذكرهم الفلقشمدى ، كما نستطيع أن نستخرج أسماء عدد كبير من الكتاب الذين كانوا يعملون في ديوان الإنشاء ، ولكتنا لا نستطيع أن نعرف مذاهبهم الفنية في الكتابة ، لأن آثارهم فقدت ولم يبق لنا إلا عدة رسائل وسجلات لا تكفي لأن نكون رأيا صحيحا عن كل كاتب من هؤلاء الكتاب ، ولكن هناك عدة خصال عامة اشترك فيها كل كتاب هذا العصر ، بحيث نستطيع أن نلمسها عند كل الكتاب الذين وصل إلينا شيء من في كتاباتهم . فأول خصلة من هذه الخصال هي أن الكتاب جميعا التزموا السجع كتاباتهم ، نرى هذه الخصلة منذ ابتدأت الدولة الفاطمية إلى أن قوض صلاح الدين الأيوبي أركانها ، نراها في رسالة المعز لدين الله إلى القرمطي (١) ، وفي رسالة العزيز بالله إلى عضد الدولة البويهى وهذه الرسالة كانت من إنشاء يعقوب بن كلس (٢) وفي السجلات الكثيرة التي كتبت في عهد الحاكم (٣) وفي رسائل المؤيد في الدين هبة الله الشيرازى وفي كتابات ابن خيران ، ونستمر في إدراك هذه الخصلة عند الكتاب حتى نراها في رسائل ابن الصيرفي وابن الشخباء ، ثم في رسائل القاضي الفاضل .

وخصلة أخرى نراها في فن هؤلاء الكتاب وهي الاقتباس من القرآن الكريم ، فكانوا أحيانا يضمون رسائلهم وسجلاتهم بعض آيات من القرآن ، أو يقتبسون بعض معاني القرآن ، متأثرين بهذا كله تأثيراً واضحاً في جميع ما خلف لهم من كتابات .

وخصلة ثالثة هي المبالغة في استخدام الزينة اللفظية والمعنوية في كتاباتهم ، فهم يفرقون في المبالغة حين يحاولون تشخيص المعاني ، ويولعون باستخدام الجناس ، ويكلفون في تركيب جملهم بمراعاة النظير : فإذا بك تجد كتاباتهم عبارة عن جمل قصيرة في الغالب ، والجملة تتبع الأخرى في وزنها وموسيقاها ومعناها ، وينتقل بك الكاتب من معنى إلى آخر في رقة وعدوبة ، فلا ينتقل بك انتقالا فجائيا ، مما يدل على فطنة الكاتب ومهارته ، كما يدل أيضا على أن الصنعة الفنية كانت تستهوى جميع الكتاب على أن هذه الخصال التي عرفت في العصر الفاطمي

(١) انعاظ الحنفاس ٢٥١ . (٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٤ .

(٣) المخطوط ج ٣ ص ٢٣ .



عرفت أيضا في رسائل ابن عبد كان ، فلا غرابة إذا قلنا إن أثر ابن عبد كان في كتاب مصر كان قويا شديدا ، وإن فنه الذي عرف به في العصر الطولوني قد ظهر واصحا في العصر الفاطمي ، وإن كان كتاب الفاطميين قد بالغوا في ذلك كله مباغتتهم في كل شيء في حياتهم . كما أن هذه الخصال نفسها هي التي عرفت بها كتابات القاضي الفاضل ، وما القاضي الفاضل إلا أحد تلاميذ كتاب الفاطميين وبهم تخرج ، والعجب حقا أن أرى بعض الزملاء يتوهم أن للقاضي الفاضل مذهبا خاصا عرف به في الكتابة ، وأن له مدرسة تميز بخصائصها وطرانقها عن مدرسة الكتاب الفاطميين ، وأخشى أن أذهب إلى أن هؤلاء الزملاء لم يدرسوا تطور الكتابة في مصر دراسة كافية ، فقصورهم في معرفة أسلوب كتاب مصر منذ أيام ابن عبد كان جعلهم ينسبون طريقة ابن عبد كان إلى القاضي الفاضل ، ونحن نلتبس هؤلاء الزملاء بعض العذر في حكمهم هذا ، لأنهم كانوا تبعوا في ذلك للقدماء الذين أشادوا بذكر القاضي الفاضل ، وتناسوا أسانئده وخصائص مذهبهم التي أخذها عنهم ، وجاء المحدثون يتبعون القدماء في أحكامهم دون درس وبحث .

وخصلة أخرى تميز بها رسائل كتاب الفاطميين ونجدها ظاهرة في كل سجلاتهم ، تلك هي المقدمات التي كان يبدأ بها الكتاب رسائلهم وسجلاتهم ، فقد دفعتهم عقيدتهم الدينية وتمذهبهم بالمذهب الفاطمي إلى أن يبدأوا رسائلهم وسجلاتهم بالحمد لله ، ثم بالصلاة على النبي وعلى الوصي والأئمة من أهل البيت ، ويتعمدون دائما أن يذكروا أن محمدا جد الأئمة فكأنهم كانوا يحاولون إثبات نسبهم في كل رسالة من رسائلهم وكل سجل من سجلاتهم ، وكأنهم أرادوا بتكرار هذه الناحية تأكيد ما حاول خصومهم نفيه ، أو كأنه رد على سجلات العباسيين في دحض نسب الفاطميين ، هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في كل رسائل الفاطميين منذ دخل جوهر مصر إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية . ولعل هذه الظاهرة هي التي تميز رسائل الكتاب الفاطميين عن غيرهم من كتاب الأقطار الأخرى التي لم تخضع لحكم الفاطميين ، بل أرى هذه الظاهرة في رسائل أتباع مذهب الفاطميين إلى اليوم . وكما كانوا يبدأون كتاباتهم وسجلاتهم بالحمد والصلاة على النبي والأئمة ، كانوا يهتمون هذه الكتابات والسجلات ، لم يشذ عن ذلك كاتب من كتائهم . ولعل هذه الخصلة تظهر في سجلات الفاطميين أوضح من

ظهورها في رسالتهم. والسبب في ذلك أن السجلات الفاطمية كانت أقرب إلى البلاغات الرسمية التي تصدر عن ديوان جلالة مولانا الملك في عصرنا الحديث، ففي هذه السجلات التي كانت تصدر عن ديوان الإنشاء تسجيل خطوات الإمام الفاطمي، فإذا خرج للصلاة صدر بذلك سجل من الديوان، وإذا خرج الإمام إلى فتح الخليج صدر السجل، وإذا انتصرت الجيوش المصرية صدر السجل بالفتح وهكذا، ففي كل هذه السجلات تظهر هذه الحصلة.

وكما تأثر الشعر بالعقائد الفاطمية تأثرت الكتابة بهذه العقائد تأثيراً يظهر في السجلات التي تصدر في الأعياد والمواسم أو في تولية إمام أو أحد رجال الدولة من وزراء وقضاة ودعاة، ففي مثل هذه السجلات كان الكتاب يلون بالعقائد ويؤولون بعض آيات القرآن الكريم تأويلاً يتفق مع مذهبهم الفاطمي، ويذكرون في كتاباتهم رأي الفاطميين في كل مناسبة وفي كل عيد، فالسجلات التي صدرت في عيد الغدير كانت تنصب على ولاية علي بن أبي طالب والأئمة المنصوص عليهم من بعده، وسجل مأتم عاشوراء كان في الحسين بن علي وما لاقاه أهل البيت من أهوال، وسجل رؤية رمضان في ذكر عقيدة الفاطميين في هلال رمضان، وهكذا كانت هذه السجلات حافلة بالمعتقدات الفاطمية التي لا يمكن أن تصدر عن دولة غير فاطمية المذهب.

ولعل أول قطعة نثرية وصلتنا عن الدولة الفاطمية هي ما كتبه القائد جوهر الصقلي فاتح مصر، وتلك هي الأمان الذي قطعه على نفسه وعلى إمامه للبصريين، وإن كان هذا الأمان من السجلات التاريخية فهو صورة من الصور الأدبية التي ديجتها براعة هذا القائد، فقد كان جوهر كاتباً للعز قبل أن يوليه قيادة جيوشه بالمغرب<sup>(١)</sup>، ويحدثنا المقرئ أن القائد جوهر آ كان كاتباً بليغاً، ومن مستحسن توقيعاته في رقعة رفعت إليه بمصر:

«سوء الاجترام، أوقع بكم حلول الانتقام، وكفر الإنعام، أخرجكم من حفظ الذمام، فالواجب فيكم ترك الإيجاب، واللازم لكم ملازمة الاحتساب، لأنكم بدأتهم فأسأتم، وعدتم فتعدتكم، فابتدأكم ملوم، وعودكم مذموم، وليس بينهما فرجة إلا تقتضي الذم لكم، والإعراض عنكم، ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) سيرة الأستاذ جوهر (مخطوط). (٢) خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٠٧.

فتوقيع جوهر القائد على هذا النحو يدل على أن جوهرأ كان على مقدرة وكفاية في فن الكتابة كما كان على مقدرة وكفاية في فنون الحرب . فهذه الجمل القصيرة المسجوعة ، وهذه المعاني المتسقة والمقابلات بين معنى الجملة والأخرى ترينا أن فن الكاتب هو نفس الفن الذى ساد العصر الفاطمى ، بل كاد يسود العالم الإسلامى ، فالزينة اللفظية في هذه القرون كانت حلية الكتاب جميعا .

أما الأمان الذى هو أول نص حفظ لنا عن الدولة الفاطمية فقد جاء فيه : —  
بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه ، لجماعة أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرهم ؛ لأنه قد ورد من سائقهم الترسل والاجتماع معى وهم أبو جعفر مسلم الشريف أطل الله بقاءه ، وأبو إسماعيل الرسى أيدته الله ، وأبو الطيب الهاشمى أيدته الله ، وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله ، والقاضى أعزه الله — وذكروا عنكم أنكم التستم كتابا يشتمل على أمانكم فى أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم ، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وحسن نظره لكم : فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة عليكم ، وبالسلامة لكم ، وهو أنه صلوات الله عليه لم يكن إخراجهم للعساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة ، إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم... الخ ..<sup>(١)</sup> ويستمر جوهر فى ذكر ما يجب على المصريين أن يتبعوه ، وما على الحكومة الجديدة من تعهدات نحو الشعب المصرى ، ويخيل إلى أن كاتب هذا النص لم يكن عنده الوقت الكافى لأن يظهر صناعته الفنية فى المزاجية بين الجمل والتزام السجع فى كل فقراته ، وإن كان الكاتب حاول أن يرتفع بأسلوبه وأن يجعله أسلوبا أدبيا .

وإذا تركنا كتاب الأمان الذى كتبه جوهر رأينا رسالة أخرى للبعز أرسلها إلى الحسن بن أحمد القرمطى ، ونحن لاندرى من الذى كتب هذه الرسالة عن المعز ، فالرسالة التى وصلت لإيناطوبلة ولكنها ناقصة . ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتخذها صورة للكتابة فى أول العصر الفاطمى ، حتى نستطيع أن نميز تطور الكتابة فى العصر الفاطمى كله ، فقد جاء فى هذه الرسالة :

(١) اتعاظ الحفاص ١٤٨ ( طبعة دار الفكر العربى ) .

« من عبد الله ووليه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل على أفضل الوصيين ، إلى الحسن بن أحمد .  
بسم الله الرحمن الرحيم ، رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأولياء ، ومسالك الرسل والأوصياء السالف والآنف منا . صلوات الله علينا وعلى آباءنا ، أولى الأيدي والأبصار ، في متقدم الدهور والآكوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاه بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار ، في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحججة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسبما قال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، و « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » ، وقوله سبحانه : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » ، و « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق » ، أما بعد أيها الناس ، فإننا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن مما جده ، حمدا دائما ببدأ ، ومجدا عالياسر م بدأ ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغى إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته ، والتسديد في نصرته ، ونستكفيه بمائلة الهوى ، والزيف عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات وإفاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آباءنا الراشدين المهديين المنتخبين ؛ الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون . أيها الناس : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ، ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر . أيها الناس : إن الله جل وعز إذا أراد أمرا قضا ، وإذا قضا أمضا ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرزنا أرواحا ، بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحجة ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسرى ؛ ولا كوكب يجرى ، ولا ليل يحن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ليل ولا نهار ، ولا فلك دوار ، ولا كوكب سيار ، فنحن أول الفكرة وآخر العمل بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم وإنشاء الله جل وعز المنشآت ، وإبداء الأمهات من الهيولات ، طبعنا أنواراً وظلما ، وحركة وسكونا . وكان من حكمه السابق في عليه ، ماترون من فلك دوار

وكوكب سيار، وليل ونهار، وما في الآفاق من آثار معجزات، وأقدار باهرات، وما في الأقطار من الآثار، وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع من كثيف واطيف، وموجود ومعدوم، وظاهر وباطن، ومحسوس وملبوس، ودان وشاسع، وهابط وطالع، كل ذلك لنا ومن أجلنا، دلالة علينا، وإشارة إلينا، يهدى به الله من كان له لب سجيح، ورأى صحيح، قد سبق له الحمى، فدان بالمعنى... الخ، (١)

ولعل أول ما يلفت نظرنا في هذه الرسالة تلك الاصطلاحات الفاطمية والمعاني الباطنية. بحيث نستطيع أن نقول إنه لا يمكن أن تصدر مثل هذه الرسالة إلا من كاتب من كتاب الفاطميين، حتى لو كان الكاتب لم يبدأ رسالته بأنها من إمام من أئمة الفاطميين، فالاصطلاحات الفاطمية (الناطق) و (الوصى)، ثم حديثه عن خلق الأشباح أى الممثولات قبل خلق العالم، وأن الأئمة أول الفكرة أى أنهم مثل للعقل الأول (المبدع الأول) وأن كل المخلوقات وجدت للدلالة على الأئمة الذين هم مثل للعقل. كل هذه من المعاني الباطنية التي يدين بها الفاطميون، فالرسالة كلها مملوءة بمثل هذه العقائد، فليست الرسالة من الرسائل التاريخية السياسية التي تفسد المؤرخ السياسي في معرفة العلاقة بين الفاطميين والقرامطة بحسب، وليست رسالة أدبية تبين لنا صورة من صور الكتابة في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة، بل هي من أهم الرسائل التي تتحدث عن العقائد الفاطمية وتربينا تطور المذهب الفاطمي إذا قارناها بما جاء في كتب منصور بن الحسين ابن حوشب الذي وجد قبل عصر المعز؛ أو كتب القاضي النعمان، وجعفر بن منصور والروزي الذين كانوا في عهد المعز، ثم كتب الدعاء الكبار الذين كانوا بعد عصر المعز. فتؤرخ العقائد الفاطمية بمجد مجالا للبحث في هذه الرسالة الهامة.

وأسلوب الرسالة هو ذلك الأسلوب الذي تحدثنا عنه من قبل، وتظهر فيه كل خصائص الكتابة في العصر الفاطمي، وكل خصائص مدرسة ابن عبد كان في الكتابة. انظر إلى هذه القطعة من تلك الرسالة:

فأما أنت أيها الغادر الخائن، الناكث البائن، عن هدى آباءه وأجداده، المنسلخ

(١) انعاظ الحنفاس ٢٥١ (طبعة دار الفكر العربي).

عن دين أسلافه أنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، فلم أغفل أمرك ، ولا خفي عنى خبرك ، ولا استتر دوني أثرك ، وإنك مني لمنظر ومسمع ، كما قال الله جل وعز ، *إني معك أسمع وأرى* ، وما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ، فعرفنا على أى رأى أصلت ، وأى طريق سلكت ، أما كان لك بمجدك أبي سعيد أسوة ، وبعمل أبي طاهر قدوة ، أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ، ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ، أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم ، فأنت تقرأ هذه القطعة فتشعر أنك تقرأ رسالة ابن عبد كان التي كتبها إلى العباس بن أحمد بن طولون عند ما ثار على أبيه ، فهذه الجمل القصيرة المسجوعة ، والافتباسات من القرآن الكريم ، وضم الجملة إلى ما يشاكلها ، كل هذه من خصائص فن ابن عبد كان ، ونقلها تلاميذه عنه ، واستمرت طوال العصر الفاطمي .

ووصلت إلينا رسالة كتبت في عهد العزيز بالله ، كتبها إلى عامله بمصر يبشره بالفتح حين خرج إلى قتال القرامطة بالشام سنة ٣٦٧ هـ ، ونحن لا نعرف أيضا كاتب هذه الرسالة ، ولكن لا شك في أنها كتبت في العصر الفاطمي ، لما فيها من الخصائص الفاطمية التي تحدثنا عنها من قبل ، سواء أكان ذلك من حيث العقائد أو من حيث الأسلوب الفني ، فقد جاء في هذه الرسالة (١) :

د من عبد الله ووليه نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين إلى حسين ابن القاسم . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد نبيه ورسوله ، صلى الله عليه وعلى الأئمة من عترته الأبرار ، الطاهرين المطهرين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الملك العظيم ، العليم الخليم ، ذى الطول الكريم ، والمن الجسيم ، والعز الشديد ، والمحال الشديد ، ولئ الحق ونصيره . وما حق الباطل وببيره ، المتكفل بالنصر والتمكين ، والتأييد والتحصين ، لأوليائه المتقين ، وخلفائه المصطفين ، الذابين عن دينه ، والقائمين بحقه ، والدالين على توحيدِه ، الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج حججهم ، وظهورهم على أعدائه المشاقين له ، الضالين عن سبيله ، الملحقين في آياته ، الجاحدين لنعمائه ، المنزل رجزه وقوارع بأسه على

(١) الرسالة بأكملها في صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٣٤ وما بعدها .

من عصاه لحاذة ، وصد عنه فناده ، القاضى بانعواقب الحسنى ، والفوز والنعمى ، لمن أسلم وجهه له ، وتوكل عليه فى أمره ، وفوض إليه حكمه ، كل ذلك فضلا منه وعدلا ، وقضاء فضلا ، وهو الحكم العدل الذى لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

فأنت ترى فى هذه القطعة كيف ذكر الكاتب أن محمدا جد الإمام العزیز ، وأن الأئمة هم صفوة الخلق المصطفون الذابون عن دين الله . فهذه كلها من المعانى الفاطمية التى لا يقول بها غيرهم ، فإذا مضينا فى قراءة الرسالة رأينا الجزء الأول منها يجرى هذا المجرى الذى رأيناه فى القطعة السابقة ، حتى إذا وصلنا إلى الغرض من الرسالة ، وهو الحرب مع القرمطى رأينا الكاتب يفصل حركات العزیز وائتةالاته إثر عدوه ، حتى قال الكاتب :

فبعد ما طمع قاده الحين الغالب ، والقدر الجالب ، وما أراد الله عز وجل من استدراجه إلى موضع نكاله ، ومنهل وباله ، ورحل من يدسان رحيل من استعجلته البلية ، واستدعته الرزية ، فحل بموضع يعرف بكفر سلام ، كافرا بحدود الإسلام ، متجرئا على الله محاربا لنجل نبيه عليه السلام ، وأقام بها متلدا فى حيرته ، مترددا فى سكرته ، ثم استجره شؤمه ، وقاده حينه ولؤمه ، إلى أن رحل فزول بكفر سابا البريد ، فأنبأه اسمها بما حل به من السبي المييد ، والحزى الشديد ، ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه المسأكولة ، ونصب أعلامه المخدولة ، وأقام صفوفه المغلولة ، وأظهر آلة الحرب لإقداما ، وأخفى عن اللقاء إحجاما . . . الخ .

وعلى هذا النحو من الأسلوب سار الكاتب فى هذه الرسالة ، التى لا تكاد تختلف فى أسلوبها عن أسلوب الرسالة السابقة .

وفى عهد الحاكم الذى عرف بهزاعاته وتقلباته فى حكمه . كثرت السجلات والأمانات فى عهده ، وأصاب الكتاب من تقلباته أذى كثير ، ونقل المقرئى عن المسيحي صديق الحاكم وجليسه : د فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة أمر (الحاكم) بعمل شونة مما يلى الجبل ملئت بالسنت والبوص والحلذا . فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد ، وظن كل من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن هذه الشونة عملت لهم ، ثم قويت الإشاعات ، وتحدثت العوام فى الطرقات ، أنها للكتاب

وأصحاب الدواوين وأسماهم ، فاجتمع سائر الكتاب وخرجوا باجمعهم في خامس ربيع الأول ومعهم سائر المتصرفين في الدواوين من المسلمين والنصارى إلى الرماحين بالقاهرة ، ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر ، فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ، ويضجون ويسألون العفو عنهم<sup>(١)</sup> . و يروى المقرئى ايضا أنه كتب فوق المائة سجل بأمان لأهل الأسواق<sup>(٢)</sup> ، ومما أورده المقرئى صورة سجل أمان أصدره الحاكم وهو :

« هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لأهل مسجد عبد الله . إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين وأمان ، جعدنا محمد خاتم النبيين ، وأبينا على خير الوصيين ، وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين ، وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال ، والدم والمال ، لا خوف عليكم ولا تمد يد بسوء إليكم ، إلا في حد يقام بواجبه ، وحق يؤخذ بمستوجبه ، فيوثق بذلك ، ليعرول عليه إن شاء الله تعالى . وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة والحمد لله ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وعلى خير الوصيين ، وعلى الأئمة المهديين ذرية النبوة وسلم وتسليما كثيرا<sup>(٣)</sup> . »

كما ورد في صبح الأعشى<sup>(٤)</sup> سجل بتولية الحسين بن على بن النعمان القضاء في عهد الحاكم بأمر الله ، وفي هذا السجل تظهر الصنعة الفنية التي نراها في كتاب الأمان السابق . ومما جاء في هذا السجل :

« أمره أن يتقى الله عز وجل حق التقوى ، في السر والجر والنجوى ، ويعتصم بالثبات واليقين والنهى ، وينفصم من الشبهات والشكوى والهوى ، فإن تقوى الله تبارك وتعالى موئل لمن وئيل إليها حصين ، ومعقل لمن اقتفاها أمين ، ومعمل لمن عول عليها مكين ، ووصية الله التي أشاد بفضلها ، وزاد في سناها ، بما عهد أنه من أهلها ، فقال تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . »

(١) خطط المقرئى ج ٣ ص ٣٢  
(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٣  
(٣) المصدر نفسه  
(٤) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٣٨٥



ولا نستطيع أن نعرف الكاتب الذى سطر هذه السجلات وكتب الأمان التى صدرت فى عصر الحاكم ، لأن ديوان الإنشاء فى عهده تداوله عدد كبير منهم بحيث يصعب على المؤرخ أن يعرفهم أو يعرف كم أمضى كل كاتب منهم فى الديوان ، واستمر الأمر فى غموض ، ولعل أول كاتب فى هذا العصر المضطرب نستطيع الحديث عنه هو ولى الدولة ابن خيران .

### ابن خيران :

أما هذا الكاتب فهو أبو محمد أحمد بن على بن خيران ولقب بولى الدولة ، وبذكر ياقوت أن ابن خيران ولى ديوان الإنشاء بعد أبيه فى عهد الظاهر (١) ، ونحن لا نعرف شيئاً عن أبيه سوى ما يرويه ياقوت : « كان أبوه أيضاً فاضلاً بليغاً ، أعظم قدراً من ابنه وأكثر علماً » (٢) كذلك لانعرف متى ولى والده ديوان الإنشاء ، ومتى ولى الابن بعده ، ولكن المقرئى يحدثنا فى خطه أن أبا الحسن عمار بن محمد — وكان يلى ديوان الإنشاء واستوزره الحاكم وهو الذى تولى البيعة للظاهر — قتل فى ربيع الأول سنة اثنى عشرة وأربعمائة ، فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولى ديوان الإنشاء بعد ابن خيران (٣) ، ويخيل إلى أن ابن خيران المذكور فى نص المقرئى هو الأب ، لأن ولى الدولة ظل فى منصبه حتى شاهد عصر المستنصر ، ومع ذلك فنص المقرئى يختلف عن نص ياقوت . إذ يذهب ياقوت كما رأينا إلى أن الابن حل محل أبيه فى ديوان الإنشاء ، على حين يذهب المقرئى إلى أن أبا الفتوح موسى بن الحسين هو الذى ولى الديوان بعد ابن خيران ، ولا نستطيع أن نرجح إحدى الكفتين ، لأن المصادر التى بين أيدينا قليلة ولا تعطينا صورة دقيقة لرجال ذلك العصر .

ومهما يكن من شئ فإن ولى الدولة ابن خيران تقلد ديوان الإنشاء للظاهر ثم للمستنصر ، ويحدثنا المقرئى أنه فى سنة أربع عشرة وأربعمائة قرر الشريف الكبير العجمى والشيخ نجيب الدولة الجرجانى والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد ألا يدخل على الظاهر أحد غيرهم ، وكانوا يدخلون كل يوم

(١) معجم الأدباء ج ٤ ص ٥ ( طبعة فريد رفاعى ) .

(٢) خطط المقرئى ج ٢ ص ١٦٧

(٣) المصدر نفسه

خلوة ويخرجون فيتصرفون في سائر أمور الدولة ، والظاهر مشغول ببلذاته ، وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن خيران صاحب الإنشاء وداعى الدعاة ونقيب نقباء الطالبين وقاضى القضاة ربما دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرة ومن عداهم لا يصل إلى الظاهر البتة ، (١) وإذن فقد كان ولي الدولة ابن خيران صاحب ديوان الانشاء في سنة ٥٤١٤ هـ ؛ ويقول ابن خلسكان عن الشاعر أبي الحسن علي بن أحمد بن نوبخت أنه توفي بمصر في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة ، وكفله ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر ، وهذا ابن خيران كان متولى كتب السجلات عن الظاهر بن الحاكم ، (٢) فهذا النص يدلنا على أن ابن خيران كان في ديوان الانشاء سنة ٥٤١٦ هـ .

ويروى المقرئى أن ابن خيران وقع عن الخليفة المستنصر : الفقير مر المذاق ، والحاجة تذل الأعناق ، وحراسة النعم يادرار الأرزاق ، فليجروا على رسومهم في الإطلاق ، ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، (٣) فابن خيران إذن كان صاحب ديوان الرسائل في أواخر عهد الظاهر وفي عهد المستنصر أيضا ، ويروى يا قوت أن رزقه كان في كل سنة ثلاثة آلاف دينار ، وله عن كل ما يكتبه من السجلات والعهودات ، وكتب التقليدات رسوم يستوفىها من كل شيء بحسبه ، وكان شابا حسن الوجه ، جميل المروءة ، واسع النعمة ، طويل اللسان ، جيد العارضة ، وسلم إلى أبي منصور بن الشيرازى رسول أبي كاليبجار إلى مصر من بغداد جزأين من شعره ورسائله ، واستصحبهما إلى بغداد ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره ممن يأنس به من رؤساء البلد ، ويستشير في تحليدهما دار العلم لينفذ بقية الديوان والرسائل إن علم أن ما أنفذه منها ارتضى واستجيد ، (٤) وبالرغم من أن شعره فقد ولم يبق منه إلا عدة مقطوعات قصيرة فأننا نستطيع أن نقول إن ابن خيران كان معجبا بنفسه ، يكثر الإشادة بشعره وبنثره . انظر إليه وهو يقول :

ولقد سموت على الأنام بخاطر      الله أجرى منه بحرا زاخرا

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٨

(٢) ابن خلسكان ج ١ ص ٣٥٨

(٣) خطاط المقرئى ج ٢ ص ٢٣٨

(٤) معجم الأدباء ج ٤ ص ٥

فاذا نظمت نظمت روضا حاليا      وإذا نثرت نثرت درا فاخرا (١)  
ويقول مرة أخرى :  
خلقت يدي للسكرات ، ومنطقي      للمعجزات ومفرقي للتجاج  
وسموت للعلياء أطلب غاية      يشقى بها الغاوى ويحظى الراجي (٢)  
وهو القائل أيضا :

قد علم السيف وحد القنا      أن لسانى منها أقطع  
والقلم الأشرف لى شاهد      بأننى فارسه المصقع (٣)  
من هذه المقطوعات نستدل على أن ابن خيران قد قتن بشعره وبنثره إلى درجة أن وصف نفسه بأن منطقته يأتي بالمعجزات ، ويخيل إلى أن إعجابه بنفسه لم يكن في الشعر أو في النثر ، بل إن حياته كان يسيطر عليها هذا التيه والاعجاب بنفسه ، حتى لو كان في ذلك ما يجازف فيه بجانه ، ولعل القصة التي أوردتها ياقوت عنه تدل على ذلك كله ، قال ياقوت : كان ابن خيران قد خرج إلى الجزيرة متزها ، ومعه من أصحابه المتقدمين في الأدب والشعر والكتابة ، وقد احتفوا به يمينا وشمالا ، فأدى بهم السير إلى مخاضة مخوفة ، فلما رأى إحجام الجماعة من الفرسان عنها ، وظهور جزعهم منها ، قنع بغلته ، فولجها حتى قطعها ، وانثنى قائلا مرتجلا :

ومخاضة يلقى الردى من خاضها      كنت الغداة إلى العدا خواضها  
وبذلت نفسى فى مهاول خوضها      حتى تنال من العدا أغراضها (٤)  
وبالرغم من أن ابن خيران ظل مدة طويلة في ديوان الانشاء ، وأن له رسائل كثيرة جمعها في حياته ، فإنه لم يصل إلينا من نثره سوى هذه القطعة التي كتبها توقيعا عن المستنصر . ويروى ياقوت عن الرئيس هلال بن المحسن ، أن الرسائل صالحة سليمة ، قد انتزعت من المنظوم على خلوة إلا من الوزن والقافية . (٤)  
وتوفى ابن خيران في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة من الهجرة .  
وبعد ابن خيران تولى محمد بن أحمد بن محمد العميدى ديوان الانشاء للمستنصر ، في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة من الهجرة ، وكان نحويا لغويا ، وصنف عدة

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٠

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٦

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٨

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ١٢

كتب منها كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات ، وكتاب الإرشاد إلى حل المنظوم ،  
وكتاب الهداية إلى نظم المنشور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ،  
وكتاب القوافي<sup>(١)</sup> فهذه المصنفات تدلنا على أن العميدى كان متأثراً بهذه الثقافة  
اللغوية النحوية ، وأرجح أن كتابته في رسائله كانت متأثرة أيضاً بهذه الألوان  
من العلوم التي حدقها فصنف فيها هذه الكتب ، مضافاً إليها خصائص الكتابة في  
مصر التي تحدثنا عنها ، وقد أورد ياقوت له ييتين من الشعر هما :

إذا ما ضاق صدرى لم أجد لي مفر عبادة إلا القرافه  
أن لم يرحم المولى اجتهادى وقلة ناصرى لم ألق رافه  
ولعلك تلاحظ هذه الجناس بين «القرافه» و«ألق رافه» ، ولا تدرى مقدار  
استخدامه لهذه المحسنات البديعية في كتابته لأننا لم نعر على شيء منها ، ولم يعمر  
العميدى طويلاً في الديوان ، إذ توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة هـ .

ثم تولى الكتاب بعده على ديوان الإنشاء ، نذكر منهم أبا الفرج الذهلي ،  
وأبا الطاهر النهركي وولي الدولة موسى بن الحسن وغيرهم ، إلى أن ولي المؤيد في الدين  
هبة الله الشيرازي ديوان الإنشاء سنة ٤٤٣ م ، وقد تحدثنا طويلاً عن المؤيد في  
الدين ، ونكتني الآن بأن نعرض صورة من رسائله التي حفظها في كتابه «السيرة  
المؤيدية» ، من ذلك رسالته إلى الوزير اليازوري إبان خروج المؤيد لموازرة  
البساسيري في حركته المعروفة .

#### رسالة من كتاب المؤيد :

« ووصل كتاب الحضرة العالية فاستفدت السرور بطلعه ، والسكون إلى علم  
مودعه ، من ذكر شمول السلامة والسعادة ، جعلهما الله متصلتي الأسباب ، منهلتني  
السحاب وفهمته . فأما ما ذكر جواباً عن قولي حين نبيت أن أرى تاج الأمراء سمعي ،  
لقيني بوجه التفير في العزم ، أنني ما شاهدت تاج الأمراء ولا علم لي ما يكون  
منه في ذلك ، فإن خاطبني على شيء منه خاطبني بلسان كل الناس به ناطقون ،  
وعليه متفقون ، لو كان كلامهم في ناجعا ، ومنى موقع القبول واقعا ، إن الحضرة  
العالية حرس الله عزها عارفة بمن يلقي ذلك إلى على جهة الإشفاق وهو غل ،

(١) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١٢

والنصيحة وهو غش ، وأنها لو شاءت ان تسميهم لي او تصدر كتبهم إلى لفعلت  
وذكرت ورود مكاتباتهم ببذلون الخدمة في هذا الوجه ، ولكنها حرس الله عزها  
تنجنب ما يوزع سرى ، فمن أجل ذلك تكف ، فقد عرفته ، ومسلم للحصرة  
العالية حرس الله عزها ثقب الرأى والبصيرة والألمعية والمحاسن التي توحدنا  
الله به . فأما علم الغيب فقد اتقى منه النبي صلى الله عليه وسلم بدليل الكتاب :  
« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » ، ولعله نما إليها  
حرس الله عزها ذكر رجل أو رجلين تكلم بذلك هما قليل من كثير ناظروني  
على ذلك وقبحوا على فعلى كيف استجبت له وأنا بالقاهرة المحروسة يومئذ ثم  
في عامة الطريق . . . الخ ، (١)

ولعلك تلاحظ من هذه القطعة من رسالة المؤيد في الدين أنها لم تظهر فيها  
خصائص الكتابة في مصر ، والسبب في ذلك هو أن المؤيد في الدين لم يكن مصرياً ،  
إنما وفد على مصر بعد أن استكمل خصائصه الفنية في الشعر والنثر ، فلم يتأثر بمدرسة  
الكتاب المصريين ، بالرغم من أن المؤيد كان يرى نفسه أقدر في فن الكتابة  
من الذين ولوا ديوان الإنشاء قبله ، فهو يذكر أنه قال مرة للوزير اليازورى  
وقد جرى ذكر كتاب الإنشاء : « معلوم ما كان لمتولى هذا الديوان من الجاه  
الوسيع والرزق السنى الكثير ، ولئن كانت أشخاصهم مفقودة ، فإن آثارهم في  
صناعتهم حاضرة موجودة ، وأنت كاتب تفرق بين الجيد والردىء ، والضعيف في  
الصناعة والقوى ، وأريد أن تعتبر من انتصب هذا المنصب من خمسين سنة إلى  
اليوم مقايسة إلى ، فإن كنت ممن يجرى في حلبتهم فرسه ، ويطول نحو أمرهم  
باعه ، فأنزلى منزلتهم من الجاه والمال ، وإلا فقل لي ما أنت مثلهم ، ولا في  
آفاقهم ، فقد رضيتك حكماً ، وجئت لحكمك مستسلماً » (٢) ولكن لانسى أن الذى  
يقول ذلك هو المؤيد في الدين الذى عرف بفروره وطموحه (٣)

وكان الذى ينوب عن المؤيد في ديوان الإنشاء أثناء غيابه عن مصر وسفاره  
إلى العراق في حركة البساسيرى هو القاضى القضاعى الذى تحدثنا عنه في فصل  
المؤرخين ، ولكن لم تصل إلينا كتاباته (٤) ، وناب عنه أيضا أبو الحسن على

(١) السيرة المؤيدية ص ١٠٥ ( طبعة دار الكتاب المصرى )

(٢) السيرة المؤيدية ص ٩٤ (٣) راجع مقدمة ديوان المؤيد في الدين .

(٤) السيرة المؤيدية ص ١٠٣

ابن الأنباري الذي ولي الوزارة بعد ذلك سنة ٥٧٤<sup>(١)</sup> . ثم اختلف على ديوان الإنشاء عدد من الكتاب لم تصل إلينا أسماؤهم ولم تحفظ آثارهم ، إلى أن نلتقي باسم اثنين من أكبر كتاب ذلك العصر ، أما الأول فهو أبو الفرج الموفقي الذي وصفه العماد بقوله : « أحد كتاب مصر من الطبقة الأولى<sup>(٢)</sup> » ، ولكن العماد لم يحدثنا بشيء عنه سوى هذه الجملة ، وأورد له ثلاثة أبيات من الشعر في وصف ناعورة . أما الكاتب الثاني فكان معاصرا للموفقي والمؤيد ، وكان بينه وبين الموفقي بعض الرسائل وهو ابن الشخباء .

### ابن الشخباء :

أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء<sup>(٣)</sup> ، ولقب بالمجيد ذى الفضيلتين ، وصفه العماد بقوله « مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة ، والملح الصنيعة<sup>(٤)</sup> » ، وقال ياقوت عنه : « أحد البلغاء الفصحاء الشعراء له رسائل مدونة مشهورة<sup>(٥)</sup> » . ووصفه ابن خلكان بقوله : « صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبرة ، كان من فرسان النثر وله فيه اليد الطولى<sup>(٦)</sup> » ، ويقول ابن بسام في ذخيرته : « كان من البلغاء الأفراد ، وأبهر نجوم تلك البلاد ، طلوعا من ثنانيا الأدب ، واجتناما لخبايا لسان العرب ، فقد كاشف حقائقها ، واستخرج دقائقها ، وأحرز مسبوقتها وسابقها<sup>(٧)</sup> » . إذن تكاد تجمع هذه المصادر على علو كعبه في صناعة الكتابة ، وكفايته فيها . حتى قبل إن القاضي العاضل كان جل اعتماده على حفظ كلامه ، وأنه كان يستحضر أكثره<sup>(٨)</sup> ، وربما كان هذا هو السبب الذي من أجله قال بعض الذين كتبوا عن القاضي الفاضل : إنه تلميذ ابن الشخباء ، لأنه كان يحدو حدوه في الصناعة . لم يكن ابن الشخباء مصريا بل كان من عسقلان ، وبالرغم من أن الحدود الجغرافية تجعل عسقلان بلدا في فلسطين ، ولكن يجب ألا ننسى أن فلسطين كانت ولاية من ولايات مصر منذ العصر

(١) الإشارة إلى من نال الوزارة من ٥٢ ، وأخبار مصر لابن ميسر من ٣٣

(٢) الخريدة ورقة ٥ (٣) الخريدة ورقة ١٤

(٤) معجم الأدباء ج ٩ من ١٥٣ (٥) ابن خلكان ج ١ من ١٣٣

(٦) الذخيرة القسم الرابع ورقة ١٨٣ ( نسخة فنوغرافية بمكتبة الجامعة ) .

(٧) ابن خلكان ج ١ من ١٣٣

الطولوني، واستمرت تابعة لمصر، خاضعة لتأثيرها السياسي والفكري إلى عهد قريب، فوحدة فلسطين مع مصر أشد وأقوى من وحدتها مع البلاد الأخرى. فلا غرو أن رأينا ابن الشخباء العسقلاني النشأة يتأثر بما تأثر به الكتاب الذين نشأوا وترعرعوا في مصر بهذه الخصائص التي كانت تسود الكتابة المصرية. إلا أن ابن الشخباء استطاع بشخصيته أن يبرز ويتفوق في هذا الفن، وأن يبالغ في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية حتى بهر معاصريه بفننه، وجعل المؤرخين يشيدون بفضله، ويخيل إلى أن ابن الشخباء كان على علم تام بكل ما كان يحيط بالعرب في الجاهلية والإسلام، حافظاً لأشعارهم وحكمهم، متمكناً من لغتهم، ويظهر ذلك في رسالته التي أرسلها إلى أبي الفرج الموفقي، ففيها يقول:

«وصلت رقعة مولاي والصبح قد سل على الأفق مقصبه، وأزال بأنوار الغزاة غيبه، فكانت بشهادة الله صبح الآداب ونهارها، وثمار البلاغة وأزهارها، قد توشحت بضروب من الفضل تقصر قاصية المدى، ويجرى به في مضمار الأدب مفردا.

فكأن روض الحسن تنثره الصبا فأطلت من قرطاسها أتصفح

فأما ما تضمنته من وصفي، فقد صارت حضرته السامية تسمح في الشهادة بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة، وأنها لا توقع ألفاظها إلا مواقع الحقيقة، فإن كنت قد بهرت عليها فلترجع نقدها تجدي لا أستحق من ذلك الإسباب فصلا، ولا أعد لكلمة واحدة منه أهلا، وبالجملة فأنه ينهضني بشكر هذا الإتمام الذي يقف عنده الثناء ويضلع، ويحصر دونه الخطيب المصقع.

هيهات تعي الشمس كل مرامق ويعوق دون منالها العيوق

وأما الفضل الذي أودعه الرقعة الكريمة من قوله «فأما فلان فيحل في قومه ويفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد. قدوره عمارية، وعطسات جواريه أسدية، ويهوين لو خلق الرجال خلق الضباب، يتصوعن النشر العبقسي، ويرضعن مراضع ثعالة المجاشعي، وما أمرت حضرته السامية من ذكر ما عندي فيه، فقد تأملته طويلا، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره، راغبا في الرضا بما بلغت إليه المقدره، وتجليل ذلك بسجوف الصفح. أما قوله «يفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد، فيقع لي أنه أراد خالد بن الوليد المخزومي، وذلك أن

مسيلة الحنق كان قد تنبأ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديثه مشهور  
- فبعث إليه أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد المقدم ذكره في جيش  
كثيف من المسلمين ، ففتح اليمامة وقتل مسيلة وأباد جماعة كثيرة من بني حنيفة.  
وأما قوله : قدوره عمارية ، فإن هذا الفصل لما كان مبنيًا على الذم ، وجب أن  
يتطلب لهذا السبب معنى يجب حمله عليه ، ولم نجد ما ينسب إليه إلا قول الفرزدق :  
لو أن قدرا بكك من طول ما حبست عن الحقوق بكك قدر ابن عمار  
ما مسها دسم ممد فض معدنها ولا رأت بعد نار القين من نار  
وأما قوله دعطسات جواريه أسدية ، فيقوى في وهمى أنه أراد قول الأول  
في هجائه :

إذا أسدية عطست فنكها فإن عطاسها طرق الوداق

وأما قوله دهيون لو خلق الرجل خلق الضباب ، فإن الجاحظ ذكر في كتاب  
الحيوان : أن للضب أيرين ، وللضبة حرين . وحكى أن أير الضب أصله واحد  
وإنما يتفرق فيصير أعلاه اثنين ، واستشهد على ذلك بقول الفرزدق :

رعين الدبا والبقل حتى كأنما كساهن سلطان ثياب مراحل  
سبجل له نركان كانا فضيلة على كل حاف في البلاد وناعل

والنرك : اسم أير الضب . وأنشد الأصمعي لابن دزماء فيما رواه أبو خالد  
النخري :

تفرقم لازلم قرن واحد تفرق أير الضب والأصل واحد  
ومن ههنا قالت حبي المدنية لما عدلها أبوها في تزوجها ابن أم كلاب :  
وددت بأنه ضب وأنى ضييبة كدية وجدت خلا

وأما قوله : يتضوعن النثر العبقسى ، فن أمثال العرب : هو أخسر صفقة  
من شيخ مهو ، وهو بطن من عبد القيس بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد  
ابن نزار بن معد بن عدنان ، وكان من خبره أن إيادا كانت أفصى العرب ، فوفد  
وأفدهم إلى الموسم بسوق عكاظ ومعه حلة نفيسة ، فقال : يا معشر العرب  
من يشتري منى مثلية قوم لا تضروه بجلتى هذه ؟ فقال الشيخ المهوى : أنا  
أشترتها . فقال الإيادى : أشهدكم يا معشر العرب أنى قد بعث فساء إيادا لو افد  
عبد القيس بجلتى هذه ، وتصالحا وافترقا متراضيين ، وقد شهد عليهما أهل الموسم



فصارت عبد القيس أفسى العرب ، وقيل لابن منذر : كيف الطريق إلى عبد القيس ؟ فقال . شم ومر .

فإن عبد القيس من لومها نفسو فساء ربحه تعبق  
من كان لا يدري لها منزلا فقل له يمشى ويستشق  
وأما قوله : « أعطش من نعالة المجاشعي ، فن أمثال العرب فيما ذكره الكلبي  
قال : هما رجلان من بني مجاشع عطشا ، فالتقم كل واحد منهما أير صاحبه  
يشرب بوله ، فلم يغن عنهما شيئا ، وماتا عطشا ووجدا على تلك الحال ، قال  
جرير يهجو بني دارم :

رضعتم ثم بال على لحاكم نعالة حين لم يجدا الشرايا  
هذا ما وقع لي في هذا الفصل ، وأرجو أن أكون قد ذهبت إلى ما قصدته قائله ،<sup>(١)</sup>  
ففي هذه الرسالة نرى كيف حاول ابن الشخباء أن يشرح بعض النصوص التي  
غمضت على أبي الفرج الموفقي ، فكان يستعين على هذا الشرح بما ورد في كتب  
القدماء ، من التاريخ حيناً ومن الشعر حيناً آخر ، وبالأمثال مرة ، وبما رواه  
الجاحظ عن الحيوان مرة أخرى ، فهذا كله يدل على أن ابن الشخباء كان ملماً  
بهذه الألوان من الثقافة والعلوم ، وأنه كان يستخدمها في كتاباته بل في شعره أيضاً .  
نرى ظاهرة أخرى في هذه الرسالة ، وذلك أن ابن الشخباء كان يحل كتاباته  
بأبيات من الشعر تناسب ما جاء في نثره ، وهذه الظاهرة ليست جديدة على الكتابة  
المصرية ، ولكن ابن الشخباء أكثر منها بحيث لا تكاد نرى رسالة من رسائله التي  
حفظت تخلو من هذه الظاهرة ، ولا سيما رسائله إلى إخوانه وأصدقائه ، فمن ذلك  
ما كتبه إلى صديق له :

د لما حديث ركاب مولاي أخذ صبرى معه ، وصحبه قلبي وتبعه .  
فمعبت من جسم مقيم سائر كسير بيت الشعر وهو مقيد  
وبقيت بعده أفاسى أموراً تخف الحليم ، وترعى المشيم ، إن رجوت منها  
غفلة اقتحمت ، وإن رمت منها فرجة تضايقت والتحمت ، وأما الوحشة فقد  
اصطبحت منها كأسا مترعة ، ونجرت من صابها أمر جرعة ، ورأيت فؤادي  
إذا مر ذكر مولاي يكاد يخرج من خدره ، ويرغب في مفارقة صدره ، حيننا

(١) معجم الأدباء لياقوت ج ٩ ص ١٥٧

يجدده السماع ، وصدودا تنتفض منه الأضلاع ، وزفرة يدمى في غرارها ، ويطلع في الترائب شرارها .

أدارى شجاها كي تخلى مكانها وهيات ألفت رحلها واطمأنت وأما ما أعانى بعد مسيره فأشياء : منها عبث الألم مرة ، وزوال الاستمتاع بما يعرفه من تلك المسرة ، ومنها اضطرارى إلى كثرة مكابرة من أعلم دخل سرائره ، واختلاف باطنه وظاهره ، وتكلف اللقاء له بصفحة مستبشرة ، وأخلاق غير متوعرة . . الخ . (١)

ولعلك تلاحظ بما أوردناه من فن ابن الشخباء في الكتابة أنه استخدم جميع الخصائص المصرية في الكتابة ، فنجد الكتابة المسجوعة ، واستخدام التشخيص والتصوير ومراعاة النظر ، إلى غير ذلك من هذه المحسنات التي أكثر منها المصريون . وقد أصيب هذا الكاتب البارع بنكبة لاندري سببها ، إذ حبس في خزانة البنود ثم قتل سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة (٢) . ويذهب ابن ميسر أنه قتل سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وأنه أنشد وهو في سجنه :

أصبحت تخرجنى بغير جريمة من دار إكرام لدار هوان  
كدم الفصاد يراق أرذل موضع أبدا ويخرج من أعز مكان  
نقلت موازين العباد بفضلهم وفضيلتى قد خفت ميزانى (٣)

وفي عهد المستنصر أيضا ولى أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ديوان الإنشاء بعد أن صرف عن الوزارة سنة ٤٥٢ هـ ، ولا أدري كيف يقول المقرئ عنه : وكان الوزراء إذا صرفوا لم يتصرفوا ، فأقترح أبو الفرج ابن المغربي لما صرف أن يتولى بعض الدواوين ، فولى ديوان الإنشاء الذى يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر ، وهو الذى استنبط هذه الوظيفة بديار مصر (٤) وواضح هذا التخبط الذى وقع فيه المقرئ ، فإن ديوان الإنشاء فى الديار المصرية أقدم عهدا من أى الفرج ابن المغربي ، بل أقدم عهدا من الدولة الفاطمية ، وقد ذكرنا أن ديوان الإنشاء وجد بمصر منذ عهد أحمد بن طولون . ومهما يكن من شئ فإن أبا الفرج أحد أفراد بنى المغربي الذين كان لهم شأن كبير فى الدولة الفاطمية منذ عهد العزيز ،

(١) المصدر نفسه ص ١٥٤ . (٢) ابن خلسكان ج ١ ص ١٣٤

(٣) تاريخ مصر لابن ميسر ص ٢٩ (٤) خطط المقرئ ج ٣ ص ٢٥٧

ولكن نشاطهم كان سياسيا أكثر منه أدبيا ؛ حقا تحدث عنهم ابن القارح في رسالته ، وتبودلت رسائل إخوانية بين أبي القاسم بن المغربي وبين أبي العلاء المعري ، ولكن هذه الرسائل كانت إبان فرار بني المغربي من مصر واستقرارهم في العراق حينما وفي ديار بكر حينما آخر ، ولذلك آثرنا ألا نتحدث عنهم طويلا في هذا البحث ، وكذلك لم تصل إلينا رسائل أبي الفرج بن المغربي الذي ولي ديوان الإنشاء سنة ٤٥٢ هـ

وتمر السنون على ديوان الإنشاء ، ويتعاقب عليه الكتاب ، حتى نلتقى بكتاب من أكبر كتاب الدولة الفاطمية ، ومن أحسنهم حظا ، فقد انتهت إلينا بقية صالحة من رسائله وسجلاته ، بل بقي لنا كتابان من كتبه الكثيرة التي صنفها ، ذلك الكتاب هو ابن الصيرفي المولود في شعبان سنة ثلاث وستين وأربعمائة هـ

#### ابن الصيرفي :

قال ياقوت : الشيخ الفاضل علي بن منجب بن سليمان الصيرفي : أحد فضلاء المصريين وبلغائهم ، مسلم ذلك له غير منازع فيه ، وكان أبوه صيرفيا واشتهى هو الكتابة فمهر فيها (١) ، ويحدثنا ابن ميسر أن ابن منجب الصيرفي أخذ صناعة الترسل على ثقة الملك أبي العلاء صاعد بن مفرج صاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه إلى ديوان الإنشاء وبه سناء الملك أبو محمد الحسيني الزيدى (٢) ، ويذكر ياقوت أن الأفضل بن بدر الجمالي هو الذي استخدم ابن منجب في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره ، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ ابن أبي أسامة عن ديوان الإنشاء ويفرد ابن الصيرفي به ، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به ، فقال له : إن قدرت أن تفدى ابن أبي أسامة من الموت يوما واحدا بنصف ملكتك فافعل ذلك ولا تحلى الدولة منه فإنه جملها (٣) وقد وصف المقرئ بن أبي أسامة بقوله : الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن ابن أبي أسامة صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ، وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ الأجل كاتب الدست الشريف ، ولم

(٢) تاريخ مصر لابن ميسر ص ٨٧

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٩

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ٧٩

يكن أحد يشاركه في هذا النعت بديار مصر في زمانه (١) فنحن إذن أمام كاتب أخذ الصنعة عن عدد من شيوخ الكتابة في مصر في العصر الفاطمي ، فقد كان بين يدي الشريف سناء الملك الذي كان كاتباً في أواخر أيام المستنصر ، وهو الذي كتب سجل تولية المستعلي (٢) وأصبح له ديوان الانشاء في عهد الأمر ، ثم ولى الديوان بعده الشيخ ابن أبي أسامة حتى سنة ٥٢٢ هـ فأصبح الديوان لابنه أبي المكارم إلى أن توفي أيام الحافظ ، فولى ابن منجب الصيرفي الديوان بعده ، فهذه المدة الطويلة التي قضاها ابن منجب الصيرفي في الديوان من أسباب شهرته في الكتابة وذيوع عدد من رسائله وحفظها ، وبالرغم من أنه أصبح رئيساً لديوان الإنشاء في عهد الحافظ فإنه هو الذي كتب سجل انتقال المستعلي وولاية الأمر سنة ٤٩٥ هـ (٣) ثم نراه يكتب سجلات كثيرة وهو لم يزل كاتباً في الديوان ، منها ذلك السجل الذي كتبه في شهر المحرم سنة ٥٠١ هـ الخاص بالحراج وتحويل السنة الحراجية . وقد جاء في هذا السجل :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي ارتضى أمير المؤمنين أمينه في أرضه وخليفته ، وألهمه أن يعم بحسن التدبير عبيده وخليفته ، وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر ، وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في المحشر ، وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وأعلى منار سلطانه بمدبر أفلاك دولته ، ومبيد أعداء مملكته ، وأشرف من نصب للجند علماً وراية ، ووقف على مصلحة البرية نظره ورأيه ، السيد الأجل الأفاضل ، الذي نبه في السياسة على ما أهمله من سبقه ، وأغفله من تقدمه ، وتتبع أحوال المملكة فلم يدع مشكلاً إلا أوضحه وبين الواجب فيه ، ولا خلا إلا أصلحه وبادر بتلافيه ، إثارة لعمارة الأعمال ، وقصدا لما يقضى بتوفير الأموال ، واعتناء برجال الدولة العلوية وأجنادها ، واهتماماً بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها ، ورعاية لمن ضمنه أقطار المملكة من الرعايا ، وحملهم على عدل السنن وأفضل القضايا ؛ بحمده أمير المؤمنين على ما أعانه عليه من حسن النظر للأمة ، وادخره لآيامه من الفضائل التي ضفت بها ملابس النعمة ، ويرغب

(١) خطط القرظي ج ٣ ص ١٤٠ (٢) ابن ميسر ص ٣٥

(٣) المصدر نفسه ص ٤٠

إليه بالصلاة على محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب ، وبين به ما استبهم من سبل الصواب ، وأنزل عليه في محكم الكتاب : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أيدينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كافيهِ فيما أعرض لما عدم المساعد ، وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد ، وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين برضا الله تعالى فيما يقولون ويفعلون ، والذين يهدون بالحق وبه يعدلون . . . الخ (١) »

فهذا السجل صورة من صور الكتابة التي تظهر فيها خصائص الكتابة في مصر الفاطمية ، تلك الخصائص التي تحدثنا عنها من قبل ، وهي التي تجدها عند كل الكتاب تقريبا ، وهذه الخصائص تظهر في كل الرسائل والسجلات التي انتهت إلينا عن ابن الصيرفي . من ذلك ما كتبه في عيد النصر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة هـ ، وعيد النصر هذا من الأعياد التي ابتدعت في القرن السادس للهجرة تذكارا لخلاص الخليفة الحافظ من سجنه ، فقد استبد وزيره أبو علي بن الأفضل الملقب بكتيقات بالأمر وسجن الخليفة سنة ٥٢٤ هـ ، فلما قتل الوزير في سادس عشر المحرم سنة ٥٢٦ هـ أخرج الخليفة من معتقله ، واتخذ هذا اليوم عيداً أسماه عيد النصر ، ففي ذكرى هذا العيد كتب ابن منجب إلى بعض الخطباء للاستعداد لهذا العيد :

« عيد النصر وهو أفضل الأعياد وأسنها وأعلاها ، وأدناها على تقصير الواصف إذا بلغ وتناهى ، ونحن نأمرك أن تبرز في يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التي جرت العادة بمثلها في الأعياد وتقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها إليك قرين هذا الأمر بشرح هذا اليوم وتفصيله ، وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله ، وتعتمد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد ، وتنتهى فيه إلى الغاية التي ليس عليها مزيد . فاعلم هذا ، واعمل به إن شاء الله تعالى . »

ولم يكن ابن الصيرفي كاتباً من كتاب الرسائل فحسب ، بل كان مؤرخاً ومصنفاً ، ومن تصانيفه كتاب عمدة المحادثة وكتاب عقائل الفضائل وكتاب استئزال الرحمة

وكتاب منائح القرائح وكتاب رد المظالم وكتاب ملح الملح وكتاب في السكر ، وله اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج وأبي العلاء المعري وغيرهما . وهذه الكتب كلها مفقودة الآن . وإنما وصل إلينا من كتبه كتابان : الأول قانون ديوان الرسائل . والثاني كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة .

أما الكتاب الأول ، قانون ديوان الرسائل ، فقد صنّفه ابن منجب لكي يكون قانوناً يعرف به من يجب أن يولى رئاسة ديوان الرسائل ومن يجب أن يكون تلوه في المنزلة من المستخدمين فيه من الكتاب واحداً واحداً من الخدام الذين لاغنى عنهم ، والصفات التي ينبغي أن يكون عليها كل واحد منهم ، التي إذا سلكت في هذا الديوان أدت إلى ضبط أموره ، وأمن معها من اختلال شيء منها وفساد يدخل عليها ، وسهل وجود ما يلتمس من علم أمور تقادم عهدها وبعدت أزمنتها (١) فكأنه أراد أن يجعل من كتابه هذا دستوراً لاختيار كتاب الرسائل ، وهو يصرح في مقدمته أن السبب الذي من أجله صنّف هذا الكتاب أنه لما رأيت أولى الفطر الصحيحة والعقول الرجيحة قد سبقوا إلى النظر في سائر العلوم ، ووضعوا فيها المصنفات ، ونظموا ذكرها في الكتب والمؤلفات ، ثم انتقلوا عن ذلك إلى قوانين الأشياء فقررروا في كل منها ما كان أصلاً يعتمد عليه ونهوا عما كان فساداً لنظامها أو أدى إليه ، وخالفوا بين أحكام تلك التصنيفات ، لاختلاف الأزمنة وتباين البلاد والأوقات ، فوجدتهم قد صنّفوا في كتابة الخراج كتباً كثيرة ، وعنوا بكتابة الجيش عناية كبيرة ، فألف كل من العراقيين والمصريين في ذلك ما وصلت إليه طاقته ، واقتضاه ما أوجبه وقته ، والبلد الذي يحتله ، فأما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر أنواعه وتقاسيمه فقد أكثر كل منهم فيه المقال ، وتوسع في تصنيفه وأطال ، ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة الجليلة قدرأ ، النبهة ذكرأ ، الرفيعة شأنأ ، العلية مكانأ ، التوهى كتابة حضرة الملك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول ، والمكاتبة عنه إلى من قل من الأمم وجل وكيف يجب أن يكون متوايها وما يخصه من الأخلاق والأدوات ، وما يجب أن يكون فيه من الفضائل ، وأن يجتنبه من القبائح والردائل . الخ (١) هذا السبب الذي من أجله

(١) قانون ديوان الرسائل ص ٩١ (طبعة مصر سنة ١٩٠٥) .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٨

ألف كتابه هذا ، ولكن هل حقيقة قصر المؤلفون في الحديث عن الكتابة بحيث لم توضع كتب مثل قانون ديوان الرسائل ؟ من الحق علينا أن نقول إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة ليست سهلة هينة ، فإن أكثر كتب القدماء فقدت وإن بقي أسماء بعضها ، وقد عرضت بعض المراجع العامة العربية التي تهتم بسرد كتب المؤلفين ، مثل الفهرست ومعجم الأدباء وكشف الظنون وغيرها ، فوجدت بعض المؤلفين وضعوا كتباً في الكتابة والكتاب ، نذكر منهم عبد الحميد الكاتب الذي وضع رسالة إلى الكتاب ، يتحدث فيها عن فضيلة الصناعة وما يجب عليهم أن يتبعوه حتى يحدوا صناعتهم (١) ، ووضع الصولي أدب الكتاب ، وألف ابن قتيبة أدب الكاتب .

ونذكر أحمد بن سهل البلخي صاحب كتاب فضل صناعة الكتابة (٢) وأحمد بن محمد بن يوسف الأصفهاني صاحب كتاب طبقات البلغاء ، وكتاب أدب الكتاب (٣) ، وأحمد بن محمد بن الفضل الأهوازي مؤلف كتاب مناقب الكتاب (٤) وأحمد بن محمد النحاس المصري المتوفى سنة ٣٢٧ هـ صاحب أدب الكتاب وصناعة الكتاب (٥) وغيرهم ، وأكثر هذه الكتب لم تصل إلينا ، فلم نعرف ما اشتملت عليه ، ولكن من أسمائها نستطيع أن نرجح أنها تختلف بعض الاختلاف عما أراده ابن منجب من كتابه ، وقوانين ديوان الرسائل ، فإن كتابه في الحديث عن الأحوال التي يجب أن يكون عليها رئيس ديوان الإنشاء وعن العلوم والمعارف التي يجب أن يكون حاصلها عليها وعن اختصاصه في عمله ، ثم تحدث بعد ذلك عن معاونه من الكتاب في الديوان ، لجعل لكل عمل كاتبا خاصا له بميزات خاصة ، فمن يستخدم لتخريج الكتب الواردة له صفات خاصة ، ومن يستخدم برسم الإنشاء له خصائص ، ومن يكون ناسخا في الديوان له ميزات ، وهكذا . فكتاب ابن منجب في أغلب الظن يختلف عن الكتب التي وضعت في الكتاب والكتابة ، لأنه يتحدث قبل كل شيء عن نظام ديوان الرسائل ثم عن موظفيه ، فهو صورة مختصرة جدا للكتاب الذي ألف بعد ذلك وهو كتاب صبح الأعشى للقلقشندي .

أما الكتاب الثاني الذي بقي لنا من كتب ابن منجب فهو كتاب الإشارة

(١) تجرد الرسالة في كتاب رسائل البلغاء وفي كتاب الوزراء والكتابات للجهشباري .

(٢) معجم الأدباء ج ٣ ص ٦٦ . (٣) المصدر نفسه ج ٥ ص ١٣٥ .

(٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٤٤ . (٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢٢٨ .

إلى من نال الوزارة . . . فهو كتاب تاريخ من ولى الوزارة في عهد الدولة الفاطمية ، سجل فيه ابن منجب اسم كل وزير وتاريخ توليته ومالقب به ، وما تم على يديه من أعمال ، فهو من أهم الكتب التي تتحدث عن تاريخ الفاطميين .  
ولابن منجب عدة مقطوعات من الشعر ، ولكنه لم يعرف بالشعر كما عرف بالكتابة ، وروى له ياقوت قوله :

لما غدوت ملك الأرض أفضل من      جلت مفاخره عن كل إطارا .  
تفايرت أدوات النطق فيك على      ما يصنع الناس من نظم وإنشاء .  
وقوله :

لا يبلغ الغاية القصوى بهمه      إلا أخو الحرب والجرم السلاهيـب  
يطوى حشاه إذا ما الليل عانقه      على وشيخ من الخطى مخضوب  
ولكن ابن منجب لم يعد بين الشعراء ، بالرغم من أن شعراء المائة الخامسة كان أكثرهم من كتاب الإنشاء ، ولعل ذلك يرجع إلى أنه كان مقلا في الشعر كثيرا في الرسائل ، حتى قيل إن ديوان رسائله يزيد على أربعة مجلدات .  
وتوفي ابن منجب في يوم الأحد لعشر بقين من صفر سنة ٥٤٢ هـ (١) ،  
ولكن ياقوت يذهب إلى أنه توفي في أيام الملك الصالح بن رزيق بعد سنة خمسين وخمسة (٢) ، وليس بين أيدينا شيء من النصوص التي تجعلنا نرجع إحدى الروايتين .

### أبو الفتح بن قادوس :

كان مع ابن الصيرفي في ديوان الإنشاء كاتبان شاعران من أقدر كتاب مصر الفاطمية وشعرائها ، أما الأول فهو الفاضل المفضل كافي الكفاة أبو الفتح محمود بن القاضي الموفق إسماعيل بن حميد الدمياطي المعروف بابن قادوس . شاهد عصر الأفضل بن بدر الجمالي ، وامتدت به الحياة إلى أن توفي في عهد الملك الصالح طلائع بن رزيق ، أي أنه عاصر شعراء مصر وكتابتها في النصف الأول من القرن السادس ، وعرف اتجاهاتهم الفنية في الشعر والكتابة ، فلا غرو أن نرى أمية ابن أبي الصلت يتحدث عنه في رسالته المصرية ، ونرى العماد يقول عنه : وأشعاره

(١) تاريخ مصر لابن ميسر ص ٨٧ (٢) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٧٩



محكمة النسيج ، كالدراج (١) ، ووصفه ابن ميسر بقوله : « كان من أمائل  
المصريين وكتابهم مقدما عند ملوكهم » (٢) . لم يصلنا شيء عن حياة هذا الكاتب  
الشاعر ، فقد فقدت ترجمة حياته ، كما فقدت تراجم رجال مصر الفاطمية ، ومع  
ذلك فقد حفظت في بعض المراجع قصته مع زميله وصنوه أبي علي حسن بن  
زيد الانصارى ، وكيف كان ابن قادوس سببا في أن يلتقى زميله حتفه على نحو  
ما ذكرنا من قبل (٣) ، فإن هذه القصة تدل على أن ابن قادوس بالرغم مما قاله  
القدماء عن فضله وكفايته في صناعته الشعر والنثر ، فإنه كان ضعيف الخلق ، يحسد  
زملاءه ويوقع بهم في المهالك . وهناك قصة أخرى يرويها القدماء عنه ، وهي  
انتصاره للجليل بن الحباب ، فقد ذكرنا أن ابن الصياد الشاعر كان مولعا بهجاء  
الجليل ، كثير الدعابة بأنفه ، حتى قيل إن مقطعات ابن الصياد في ذلك بلغت  
ألف مقطوعة ، فانبرى له ابن قادوس ينتصر للجليل قائلا :

يا من يعيب أنوفنا الشم م التي ليست تعاب  
الأنف خلقة ربنا وقرونك الشم اكتساب (٤)

فا الذي جعل ابن قادوس ينتصر للجليل ؟ لا أشك في أن ضعف خلاق  
ابن قادوس جعله يتوهم أن الجليل ربما ساعده في الوصول إلى مآربه الشخصية في  
الديوان أو في غير الديوان من مناصب الدولة ، بحكم تلك الصلة القوية التي كانت  
بين الجليل والخليفة الفاطمي من ناحية ، وبين الجليل والملك الصالح طلائع  
ابن رزيق من ناحية أخرى ، فلذلك انتصر للجليل ، ولولا أطماعه ما كان  
ينشد هذين البيتين .

مهما يكن من شيء فإن ابن قادوس كان من أمائل الكتاب في القرن السادس  
الهجري ، فالرسائل التي بقيت لنا من إنشائه تدل على مقدرته وعلو كعبه في  
الإنشاء ، فن إنشائه ما كتبه بمناسبة ركوب الخليفة في عيد النحر ، ومنها :

« أما بعد ، فالحمد لله ما حي دنس الأنام بالحج إلى بيته الحرام ، وموجب  
الفوز في المعاد لمن عمل بمراشد أئمة الهدى الكرام ، ومضاعف الثواب لمن  
اجتهد فيما أمر الله به من التلبية والإحرام ، ومخول الغفران لمن كان بفرائض

(١) الحريرة ورقة ٤٩ .

(٢) تاريخ مصر لابن ميسر ص ٩٧ .

(٣) راجع ص ١٨٧ من هذا الكتاب (٤) الحريرة ورقة ٦٨ .

الحج ونوافله شديد الولوج والغرام ، وصلى الله على جدنا محمد الذي لبي وأحرم ،  
وبين ما أحل الله وحرّم ، وعلى أخيه أئمتنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
الذي ضرب وكبر ، وحقر من طغى وتجبر ، وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام  
الدين ، وحتوف المعتدين ، وسلم وكرم ، وشرف وعظم ، وإن من  
الأيام التي كملت محاسنها وتمت ، وكثرت فضائلها وجمت ، ووجب تخليد عز  
صفاتها ، وتعين تسطير تأثيراتها ، يوم عيد النحر من سنة ( كذا ) : وكان من  
قصصه أن الفجر لما سل حسامه ، وأبدى الصباح ابتسامه ، نمت عن عبيد الدولة  
في جموع الأولياء والأنصار ، وأولى العزيمة والاستبصار ، ميممين القصور  
الزاهرة متبركين بأفئيتها ، ومستملين بسعادتها ، وتألّفوا صفوفاً تبهّر النواظر ،  
ويحجل تألّفها تألّف زهر الروض الناضر ، مستصحبين فنونا من الأزياء تروق ،  
ومستبعين أصنافاً من الأسلحة يعض لمعها من لمع اللهب والبروق ، والأعلام  
خافقة ، والرياح بالسنة النصر على الإخلاص لإمام العصر متوافقة ، فأقاموا  
على تشوف لظهوره ، والتطلع للتبرك بلامع نوره ، ولما بزغت شمس سعاداته ،  
وجرت الأمور على إيثاره وإرادته ، وبدت أنوار الإمامة الجليلة ، وظهرت  
طلعتها المعظمة البهية ، خر الأنام سجوداً بالدعاء والتمجيد ، والاعتراف بأنهم العبيد  
بنو العبيد ، واستقل ركابه أمير المؤمنين ، ووزيره السيد الأجل الذي قام  
بنصر الله في إنجاد أوليائه ، وتكفّل للإسلام برفع مناره ونشر لوائه ، وناضل  
عن حوزة الدين وجهاد ، وناضل أحزاب الكفران وناهد ، يقوم بأحكام  
الوزارة ، وتدير الدولة تدبيراً أولى الإخلاص والطهارة ، ويتبع آراء أمير المؤمنين  
فيما تنفذ به أوامره ، ويعمل بأحكام الصواب فيما تقتضيه موارده ومصادره ، ويحسن  
السياسة والتدبير ، ويتوخى الإصابة في كل صغير من أمور الدولة العلوية وكبير ،  
ويخلص لله جل وعز وإمامه ، ويكف كلف من الأعداء يبذل الجهد في أعمال  
لهذه وحسامه ، وسار أمير المؤمنين والعساكر متتابعة في إثره ، متوافقة على  
امتثال أمره ، قد رفعت السنايك من العجاج سحاباً ، وخيلت جنن الجند للناظرين  
في البرعبايا ، والجياد المسومة تموج في أعنتها ، وتختال في مراكبها وأجلتها ،  
وتسرع فتكسب الرياح نشاطاً ، وتفيد المتعرض لوصفها إفراطاً ، وتهدي لمن  
يحاول مماثلتها غلواً واشتطاطاً ، وأصوات مرتفعة بالتهليل ، وأصوات الحديد

تسمع بشائر النصر بترجمة الصليل ، ويكاد يرعب الأرض تزلزل الصهيل ، وترض  
سناكبها الهضاب وتغدو صلاحها كالكتيب المهيل . . . (١)

وكتب ابن قادوس بالبشارة بوفاء النيل :

والنعم وإن كانت شاملة للأهم ، فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكر  
تنشر الآفاق أعلامه ، واعتداد تحمك بادراك الغابات أحكامه ، نعمة يشترك في  
النفع بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت الجماد ، وتلك النعمة النيل  
المصرى الذى تبرز به الأرض الجرز فى أحسن الملابس ، وتظهر حلل الرياض على  
القيعان والبساتين ، وترى السكون ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللجين  
والعقبان ، فسبحان من جعله سببا لإنشار الموات ، وتعالى من ضاعف به ضروب  
البركات ، ووفر به مواد الأرزاق والآقوات الخ ، (٢)

هذان مثلان مما كتبه ابن قادوس من سجلات هى من خصائص مصر ، فلا ينازع  
مصر بلد آخر فى هذا اللون من السجلات ، ولا سيما فى البشارة بوفاء النيل ، ولكن  
اللون الآخر ، وهو ركوب الإمام الفاطمى لصلاة عيد النحر ، فهو من ترتيب الدولة  
الفاطمية ، وقد رأينا تأثير العقائد الفاطمية فى السجل الفاطمى مما لا يدع  
شكاً فى أن العقائد أثرت فى الكتابة كما أثرت فى الشعر ، أضف إلى ذلك كله هذه  
الصنعة الفنية فى الكتابة التى رأيناها عند جل كتاب الفاطميين . وقد حفظ  
العاد قطعة من رسالة لابن قادوس كتبها إلى ابن معروف ، وتظهر فى هذه الرسالة  
صنعة الفنية التى ظهرت فى السجلين السابقين :

وأطال الله بقاء الحضرة لغرائب مجد يبتدعها ، وفرائض جود يشرعها ،  
وقوادم يذلل صعابها ، ومساييف سعود يطرق جنابها ، وأدام أيامها التى هى  
للدهر تمام ، وفى المحل غمامم :

غرد من الأيام توضح غرها	والدهر من ظلم النواب عاتم
ملك تملكه الندى وتجمعت	فى راحته غمامم وسمامم
فالروض يجذب وهو روض ممرع	والغيث يقلع وهو غيث دائم

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٨

(١) صبح الأعشى ج ٨ ص ٣٢٦

وشتان ما بينهما ، تلك سحاب قد رعدت بوارقها ، وعدت صواعقها ، وروض  
يحف نباته ، وتضوع زهراته ، ومكارم الحضرة تزيد جدة على التكرار ، وتماثل  
فعل الفلك المدار ، ففى تبارى الشمس نهاراً ، وتزور مزار الطيف سراراً :  
من بغير أهلة مستورة فظلمن فى فلك العلاء أقاراً  
ومواهب ومناقب ومناسب رفعت له فوق السماك مناراً (١)

وتوفى ابن قادوس سنة ٥٥١ فى سابع المحرم ، وقيل إن الملك الصالح حضر  
من القاهر إلى مصر للصلاة عليه ومشى فى جنازته إلى تربته عند مسجد الأقدام. (٢)  
ووافق العماد على تاريخ وفاة ابن قادوس على هذا النحو ، غير أن المقرئى روى  
قصة طويلة زعم فيها أن أبا الفتح يانس الأرمنى وزير الحافظ لما عظم شأنه سنة  
٥٢٦ هـ وثقل على الخليفة أخذ كل منهما فى التدبير على الآخر ، فأعجل يانس  
وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضى القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح  
ابن قادوس وقتلها . فاشتد ذلك على الحافظ وعمل على سم وزيره (٣) أى أنه  
ذهب إلى أن ابن قادوس قتل سنة ٥٢٦ هـ ، وقد وهم المقرئى فى هذه الرواية فإن  
الأدلة تكاد تجمع على أن ابن قادوس شاهد عصر الملك الصالح طلائع بن رزىك ،  
من ذلك أن قصة ابن قادوس مع أبى على حسن بن زيد الانصارى كانت فى  
الخلاف بين حسن بن الحافظ وأبيه ، وهذا الخلاف نشأ بعد سنة ٥٢٦ هـ ، ونحن  
نعلم أن ابنى الزبير لم يتقدما فى الديوان إلا بعد قتل الظافر سنة ٥٤٩ هـ بل لم يكن  
لها ذكر فى الدولة قبل هذا التاريخ وقد روينا هجاء ابن قادوس لابن الزبير ، فعنى  
هذا أن هذا الهجاء كان بعد مقتل الظافر أى بعد سنة ٥٢٦ أيضاً ، ومن ذلك أن  
العماد يحدثنا أن الملك الصالح طلائع بن رزىك كان يغرى ابن الصياد بأنف الجليس  
ابن الحباب ، فأشدد ابن الصياد هذه المقطعات التى أشرنا إليها مراراً ولم يسكته  
إلا ابن قادوس ، فنفهم من ذلك أن ابن قادوس حضر عهد الملك الصالح ، أضف إلى ذلك

(٢) ابن ميسر ص ٩٧

(١) الحريدة ورقة ٥١ .

(٣) خطط المقرئى ج ٣ ص ٢٧ .

مارواه ابن خلكان أن الخليفة العاضد الفاطمي أشرك ابن قادوس مع الموفق ابن الخلال في ديوان الإنشاء . وإذن فنحن نؤيد رواية العماد وابن ميسر أنه توفي سنة ٥٥١ هـ .

أما الشاعر الكاتب الثاني فهو أبو علي حسن بن زبيد الأنصاري الذي كان ابن قادوس سبب قتله ، وقد تحدثنا عنه شاعراً (١) . أما صفته الكتابية فقد وصفه العماد بأنه كان من المقدمين في ديوان المكاتبات (٢) وقال مرة أخرى : « ومن ثمره ما يدل حسنه على رونق فرنده وأثره (٣) » ، وحقاً ، كان أبو علي الأنصاري من الكتاب الذين ملكوا ناصية اللغة والمقدرة على التصرف بالألفاظ ، فكان يضع اللفظ فيما خصص له ، ويختار من الألفاظ ما يناسب المعنى الذي قصده مع التزامه الخصائص الأخرى التي رأيناها عند غيره من الكتاب ، ومن هنا ظهرت مواهب أبي علي الأنصاري في النثر كما ظهرت من قبل في الشعر ، اقرأ هذه الرسالة التي كتبها إلى صديق له يهنئه بالشفاء من مرض :

« إذا قدم الوداد ، وصح الاعتقاد ، وصفت الضمائر ، وخلصت السرائر ، حل الإخاء المكتسب ، محل أخوة النسب ، وصار المتعاقدان على الإيثار والمتحابان على بعد الدار ، متساهمين فيما ساء وسر ، ومتشاركين فيما نفع وضر ، وتلك حالي وحال حضرة مولاي ، فإني وإياها كنفس قسمت على جسمين ، وروح فرقت بين شخصين ، فما ألمها فقد مضى وأزيجني ، وأما برؤها فقد سرفني وأبهجني ، وعرفت خبر إبلاها من ألم كان بها ، فشكرت الله على خلتين معا ، ونفعين اجتماعاً ، أحدهما أنني أعلم تألمها فكنت ألقى ما يكدر الشراب ، ويمنع تلاقى الأهداب ، وأجد على حال الصحة ما يجد المريض ، وأرى الدنيا على إيثارها بعين البغيض ، والآخر على برئها عند حلوله ومعرفتي به عند تخييمه بساحتها ونزوله ، (٤) »

وأقرأ له يهنئه صديقه بمولود :

« وردت البشارة السارة بالقادم الأجد ، المستقبل بالطالع الأسعد . وأخذ المملوك من المسرة بأوفر حظ الأولياء المخلصين في الولاء ، المغفورين بجزيل

(٢) الحريرة ورقة ١١٠

(٤) المصدر نفسه ص ١١٥

(١) راجع ص ١١٧

(٣) المصدر نفسه ورقة ١١٤

الآلاه ، وسأل الله سبحانه تخليد الأيام المالكية مديدة الأمد ، وافرقة العدد ،  
نامية الأهل والولد ، حتى يرى هذا المبشر بقدمه ممتطيا صهوات الجياد ، مخوف  
الشذا يوم الجلال ، يخفق وراءه اللواء ، وتخاف سطوته الأعداء ، وتخص  
البلاد بقواضيه ، وتشنف الأسماع بذكر مناقبه ، وترى من أولاده أجدادا عن  
الإسلام ذادة ، وأملكا لا تملك البلاد سادة . لا زالت تبلغ أقصى الأمانى ؛  
وتسمع نغم التهاني ؛ وتمد ظلها على القاصي والداني (١) .

ثم اقرأ له هذه القطعة من رسالة في العزاء بغريق :

« لعمرى لقد نزهه الله عن سهك الجرباء ، وملافاة الحصباء ، والمقام تحت  
أديم الأرض ، وانطباق بعضها على البعض ، ورفعته عن أن يذل في الحدث  
جبينه ، ويعفر في العثير عرينه ، فجعل ضريحه في شبيهه جودا وكرما ، وضربيه  
محاسن وشيا ، ففضمنه الماء ، وتغطمظ فوقه الدأماء ، فإذا استسقى السحاب ،  
واستسبح التراب ، فهو في البحر الوافر ، واللج الزاخر ، بحيث تنفرع المناهل ،  
ويرد كل ناهل (٢) . »

فهل رأيت كيف كان أبو على الأنصارى فنانا يجيد صناعته ، فينتقى من اللفظ  
أجوده ، ومن المعاني أسماها وأجملها ؟ فلا عجب أن رأينا ابن قادوس يحسده  
على مهارته ، ويخشى منافسته . فدبر المسكيدة التي أدت به إلى حتفه .

### الموقف ابن الخليل :

ولعل آخر من ولى ديوان الإنشاء في مصر الفاطمية هو يوسف بن محمد  
المعروف بابن الخلال ، الملقب بالموقف ، وقد وصفه العماد بقوله : « هو ناظر مصر  
وإنسان ناظرها ، وجامع مفاخرها ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسل يكتب  
كما يشاء (٣) » ، وبذهب ابن خلصكان إلى أن الموقف كان صاحب ديوان الإنشاء  
بمصر في أيام الحافظ<sup>١</sup> وأنه استمر في مرتبته إلى آخر عهد الدولة الفاطمية (٤) ،  
وبعد الموقف ابن الخلال الأستاذ المباشر للقاضي الفاضل ، وقد روينا كيف وفد  
القاضي الفاضل إلى ديوان الإنشاء ، ومثل بين يدي الموقف ولازمه ، وتدرج

(٢) المصدر نفسه ورقة ١١٨

(١) الحريدة ورقه ١١٥ .

(٣) ابن خلصكان ج ٢ ص ٤٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، وهذا ما يفهم أيضا من أقوال الفلقشندي في كتاب صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦

بين يديه ، وكيف طلب منه الموفق أن ينثر ديوان الحماسة مرة بعد أخرى ، إلى أن أجاد القاضى الفاضل فن الترسل ، وبلغ هذه الدرجة الرفيعة في هذا الفن . لذلك يقول ابن خلدكان : « ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء . إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة فانقطع في بيته . ويقال إن القاضى الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم ، فكان يجرى عليه كل ما يحتاج إليه <sup>(١)</sup> . » وابن الخلال أحد الذين ذكروهم عمارة اليمنى فقال : « ووجدت بحضرته (أى بحضرة الصالح بن رزبك) من أعيان أهل الأدب الشيخ الجليلس أبا المعالى بن الحجاب والموفق بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء . وأبا الفتح محمود بن قادوس والمهذب أبا محمد الحسن بن الزبير ، وما من هذه الخلية أحد إلا ويضرب في الفضائل النفسانية ، والرياسة الإنسانية بأوفر نصيب ، ويرى شاكلة الإشكال فيصيب <sup>(٢)</sup> . » إذن تكاد تجمع المصادر التى بين أيدينا والتي حدثتنا عن الموفق ابن الخلال أنه كان على جانب من علو الهمة والفضل ، وعلى براعته في فن الترسل . وقد حفظ من إنشائه سجل كتبه بولاية شاور الوزارة لثانى مرة ؛ أى بعد انتصاره على ضرغام ، جاء فيه :

« سلام عليك . فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصل على جده محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين ، وسلم تسليما (أما بعد) : فالحمد لله مآخ الرغائب ومنيلها ، وكاشف المصاعب ومزيلها ، ومذل كل عصابة كلفت بالعدو والشقاق ومزيلها . ناصر من بغى عليه ، وعاكس كيد الكائد إذا فوق سهمه إليه . وراد الحقوق إلى أربابها ، ومرتجع المراتب إلى من هو أجدر برقيها وأوابها ، ومسنى الخير بتيسير أسبابه ، ومسهل الرتب بتمهيد طرقه وفتح أبوابه ، ومدنى نائى الحظ بعد نفوره واغترابه ، ومطلع الشمس بعد المغيب ، ومدارك الخطب إذا أعضل بالفرج القريب . مبدع ما كان ويكون ، ومسبب الحركة والسكون . محسن التدبير ، مسهل التعسير . « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير إنك على كل شىء قدير . » والحمد لله الذى اختص أولياء أمير المؤمنين بالاستعلاء والظهور ،

(١) ابن خلدكان ج ٢ ص ٤٠٩ . (٢) التكت المصرية ص ٣٤ .

وذلك لهم جوارح الخطوب ومصاعب الأمور . وآتاهم من التأييد كل بديع مستغرب ، وأنالهم من كل غريب إذا أورد قصصه أطرب . ومكنهم من نواصي الأعداء ، وشملهم بعناياته في الإعادة والإبداء . وضمن لهم أحمد العواقب ، وأرشدهم إلى الأفعال التي ثبتت لهم في صحائف الأيام أفضل المناقب . وهداهم بأمر المؤمنين إلى ما راق زلاله ، وتم غاية التمام كما أنه كان لرضا الله سبحانه وحسن ثوابه ومآله . ويمدهم في المجاهدة عن دولته بالتأييد والتسكين ، ويحظيهم من أنوار اليقين ، بما يجلو عن أفئدتهم دجى الشك البهيم ، ويظهر لأفهامهم خصائص الإمامة في حلل التفخيم والتعظيم ، ويريهم أن خلوص الطاعة منجاة في المعاد بتقدير العزيز العليم .

والحمد لله الذي استنمر من دوحة النبوة الأئمة الهادين ، وأقامهم أعلاما مرشدة في حجة الدين ، وبين بتبصيرهم الحقائق ، وورث أمير المؤمنين شرف مقاماتهم ، وجعله محرز غاياتهم ، وجامع معجزاتهم وآياتهم ؛ وقضى لمن التحف بظل فنائه واشتمل بسايغ نعمه وآلائه . وتمسك بطاعته ، واعتصم بولائه : بالخلود في النعيم المقيم ، والحلول في مقام رضوان كريم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ،

ثم يقول : « وراقب الله فيما ألقاه إليك ، فقد فوض إليك مقاليد البسط والقبض ، والرفع والخفض ، والولاية والعزل ، والقطع والوصل ، والتولية والتصريف والصرف ، والإمضاء والوقف ، والغض والتنديه ، والائمال والتنويه والاعزاز والاذلال ، والإساءة والاحمال ، والابداء والاعادة ، والنقص والزيادة ، والانعام والارغام ، وكل ما تحدثه تصاريف الأيام ، وتقتضيه مطالب الأنام ، فهو إليك مردود ، وفيما علق بنظرك معدود . وأما العدل ومد رواقه ، وإقامة مواسمه وأسواقه ، والإنصاف واتباع محجته ، والاعتدال على أحكامه وأفضيته . وكف عوادي الجور والمظالم ، وحمل الأمر على قصد التصاحب والتسالم ، وإظهار شعار الدين ، في إنصاف المتداعين إلى الشرع المتجاكين ، والدعوة الهادية وفتح أبوابها للمستجيبين ، وإعزاز من يتمسك بها من كافة المؤمنين ، والأموال والنظر فيها ، والأعمال أقاصيها وأدانيها ، فكل ذلك محرر في تقليد وزارتك الأول .



وأنت أولى من حافظ على العمل به وأكل . . . الخ (١) .  
فن هذه القطعة نستطيع أن نتبين كيف تبع الموفق بن الخلال ما تبعه غيره  
من كتاب مصر الفاطمية من الخصال الفنية التي ذكرناها من قبل! ثم نتبين كيف  
استطاع الموفق أن يستغل مصطلحات بعض العلوم وينظمها في سلك كتابته  
ليضيف إليها قوة في الصناعة .

لم يكن الموفق كاتباً فحسب ، بل كان شاعراً أيضاً ، شأنه في ذلك شأن عدد كبير  
من الكتاب الفاطميين ويظهر في شعره هذه الصنعة البديعية التي تظهر في نثره  
أيضاً ، فهو يقول من قصيدة :

عذبت ليال بالعذيب خوالى      وحلت مواقف بالوصال حوالى  
ومضت لذاذات تقضى ذكرها      تصبي الحليم وتستهم السالى  
وجلت موردة الحدود فأوثقت      فى الصبوة الخالى بحسن الخال  
قالوا سراة بنى هلال أصلها      صدقوا كذلك البدر فرع هلال (٢)

كما روى أن بينا أنشده كان سبب قطع صلة شاعر من شعراء القصر . ذلك  
أن الشاعر أبا القاسم بن هانى\* — وكان من سلالة الشاعر ابن هانى\* الأندلسى  
المعروف — كان يهجو ابن الخلال ، فأضمر هذا له حقداً ، فاتفق في بعض المواسم  
أن تقدم الشعراء للشيد بين يدي الخليفة ، وانتهت النوبة إلى ابن هانى\* ، فأنشد  
وأجاد ، فسأل الخليفة الموفق ابن الخلال رأيه في قصيدة ابن هانى\* ، فلم يسمعه إلا  
أن يثنى عليه ويبالغ في وصفه ، ثم قال : ولو لم يكن له ما يمت به إلا انتسابه إلى  
ابن هانى\* الأندلسى شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها لولا بيت  
أظهر منه الضجر عند دخول جوهر هذه البلاد ، فقال له الخليفة : ما هو؟ فتخرج  
الموفق من إنشاده ، وأبى الخليفة إلا أن ينشده ، وفي أثناء ذلك صنع ابن الخلال  
بيتاهاجا فيه الأئمة الفاطميين .

فعظم ذلك على الخليفة ، وقطع صلة الشاعر ، وكاد يفرط في عقوبته (٣) .  
وتوفى ابن الخلال في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين  
وخمسائة من الهجرة (٤)

(١) صبح الأعمى ج ١ ص ٣١٠ . (٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٤٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٠٩ . (٤) المصدر نفسه

### عمارة العيني النائر :

بالرغم من أن عمارة العيني لم يكن من عمال ديوان الرسائل ، ولم يعرف عنه انه كان كاتباً لأحد الأمراء ، فإننا نستطيع أن نلصق في رسائله الإخوانية التي حفظت لنا ، خصائص الكتابة التي عرفت عند كتاب الدواوين ، وكما تأثر عمارة في شعره بمصر وبشعرائها ، فقد ظهر أثر مصر وأثر كتابها في نثره ؛ ونختم هذا الفصل من الكتاب برسالة طريفة أرسلها عمارة إلى صديق له ولي على أسوان ، وقد رأينا أن ننقلها بأكملها لما فيها من صنعة فنية وطرائف لا نجدتها في السجلات الرسمية التي أوردنا صوراً منها من قبل ، كتب عمارة :

إن جرى بيننا وبينك عتب أو تناءت منا ومنك الديار  
فالوداد الذي عهدت مقيم والدموع التي شهدت غزار

كان عزمي ، أطال الله بقاء حضرة مولاي ، أن أستفتح هذا الكتاب ، بألم العتاب ، وأشحنه من الخطاب ، بما لا يستطاب ، وأقيم أئنة القوارص ، وأسدد أسنة الخوارص ، وأجلب بخيل التوييح ورجاله ، وأجمع بين رويته وارتجاله ، وأجهز تعنيقا يضيق له البحر بمراكبه ، والبر بمواكبه ، ثم قلت السلام قبل الكلام ، والملاطفة أولى من الملام ، ثم عطفني حفضي لعهدك ، وحفاظي على ودك ، وشافع أولى ، ووفاء سموألى ، فلا طفاني حتى لزما كفي ، وخزما أننى ، فعدت من شب نار الوجد عليك ، إلى التشبيب بذكر الشوق إليك . وكتابي هذا صادر عن صدر مملوء بودك ، وقلب مصدوع ببعدهك ، وأسف لفقدهك ، لا يظعن قاطنه ، ولا يخفى باطنه ، وغرام لو تصور لك لبانت على وجهه جناية الفراق ، ومراسم الاحتراق ، ولعلبت أن صورتك في القلب مغروسة ، ومكاتبك منه محروسة ، وأنتك شغل خاطرى ومسرحه ، ومرمى ناظرى ومطرحة

يا حبذا سفوان لى من مرتع ولربما جمع الهوى سفوان

بل حبذا ليالى محاضرتك ومذاكرتك ، ومرأوحتك ومباكرتك

وأياما لنا ولكم نعمنا زمانا فى حواشيها الرفاق

ليالى نحن فى غفلات عيش كأن الدهر عنا فى وثاق

هذا بامولاي فصل مقصور على صحيح التشوق ، لا سقيم التسوق ، وخاطرک ،

والسكاف أذ من الضمير في مخاطبتك ، وأعذب من الماء النخير في مكاتبتك ، تعلم  
صدق دخيلتي ، وودق مخيلتي . وأعود إلى ما في نفسي من عتابك ، بل سبابك ،  
والتظلم من جفائك ، والتألم من عدم وفائك . يا أعصى من العود ، وأقسى من  
الجلود . بل يا قصير العزيمة ، وطويل الهزيمة ، مضت لك شهور هي عندي دهور ،  
لم تهزك فيها ريح الأريحية ، ولا شيمة النفس المضحجة ، ولا استفزك المنصب الآني  
والالحسب الغري ، قطعت من مكاتبتك رسمي ، فلا تلفظ في كتبك إلى الناس باسمي ،  
فقد كنت أرضى منك أن أكون تحت الحسبة لا فوق البسمة ، ولقد رأيت لك  
كتبا سلطانية وأخرى إخوانية ، فقبلت اسمك من عنوانها ، قبل الوقوف على  
بيانها . هذا وأنا كنانة سرك ، وخزانة حلوك ومرك ، والمتهم فيك بما سمع من فيك  
وأظن اسمي لو مر بسمعك لحذفت خمسه ليكون عمسى الأبصار ولست أعلم لك  
عذرا أحل فملك عليه وأنسب تحاملك إليه ، إلا أن تكون طينة البلد والمنشا ،  
غشى فؤادك منها ماغشى ، فإنها الطينة التي تنبت العقارب ، وتعادى بين الأقارب .  
وأنت تعلم أن آل الزبير والسكنز إليهم منتهى رياسة أعلامها وسياسة أعلامها  
ونحلت سيفها وضيغها ورحلت شتاها وصيفها من منهم إلا من عداوته أسباطية  
لأخيه ، أنباطية في توخيه ، بيدون المودة ومخفون العداوة ، أهل حاضرة وفيهم جفاء  
البدواة ، وهذا ما ليس لهم في دفعه حيلة ، ولا في منعه وسيلة ، لأنه طبع جرى في  
ماثمهم ونسيم سمامهم وامتزج بأهوائهم من أهوائهم ، وإلا نخذ إليك ، واحسب علي  
يديك ، كم هنالك من راسخ أنساب ، وشاخ أحساب ، وصحة أديم ومجد قديم ، ونفر  
عميم وكرم صميم . أو ليس أسوان بهم مأوى الطريد ومقر الشريد ، وأمان الخائف  
والذمة من الدهر الخائف ، ثم هم سداد الثغر إذا انفتح ، وسداد الأمر إذا فتح .  
وشعلة الزناد إذا فتح ، وعنوان الصدق لمن مدح . العادلون إلا على الوفر ،  
والفاصلون بين الإسلام والكفر .

وأرجع يا مولاي إلى مخاصمتك ومواصمتك ، ومشامتتك وملاكتك ، والعرض  
من عندك والسكف من عندك ، هذه مكاتبة غير موالية ، ومخاطبة الخالين والنواتية  
ومقاسره ، وسوء معاشره ، وكاتبي بمولاي إذا انتهى إلى هذا الحد تمثل وأنشد :

لئن ساني أن نلتني بإساءة لقد سرتني أني خطرت ببالك

أمنت أن أعضب فأقول : لاسقاني الله بنوثك ، ولا هداني بضوثك ، ولا بلاني

بسوئك ، فإنك من أسوان والهمزة إذا حذف عنها ، فهمت تنبيه السوء منها ، وأنت الذى جلبت إليها التعنيف ، وفتحت عليها الكنيف ، فإن كان هوى البلد أعداك ، فقد هوى بك وأرداك ، وإن كانت الرياسة المحدثه — ولا أكسر دالها — أهلك عن أصفياؤك ، وحسن وفائك ، فما لإخالك ، وفلان خالك ، تجفو من بنصفك ، وتنكر من يعرفك . أجدنى يا مولاي قد اشتنى منك قرى ، وانطقاً عنك ضرمى ، وأخذت الفتنة نارها ، ووضع الحرب أوزارها ، وسفرت المسألة عن جبينها ، وأخذت صفقة ثمينها .

وهذا أو ان تسرعى إلى حسن ذكرك ، وتبرعى إلى حمدك وشكرك ، وإتمام ما أعرضت عنه من ذكر الشوق إلى لقائك ، والدعاء بطول بقائك ، وأما هذا الكلام فهو هذر ساقط ، وهذر ما له لا قط ، وجلالة قدرك ، وطهارة صدرك ، وجميل اعتقادك ، وغالص ودادك وسؤددك ، وشرف قومك ونفسك ، وحسن يومك وأمسك ، يحملنى على عليك بأن مكانتك من قلبى ثابتة المكان ، قوية الأركان . ولو لا ذلك لقلت للنفس سقيت مهلا ، وسلبت علما ولبست جهلا ، ووجدت حزنا وعدمت سهلا ، ما هذه الجرأة على الأعراض المحرمة ، والبيوتات المسكرمة ! أتعرفين بخلت يداك بمن تسمحين ؟ وعصيت عينك إلى من تطمحين ؟ إن لم يقك الوجل ، فليتهك الخجل . وإن لم يركك الريب فلا يستفزك العجل . أما تعليين أن هذه رتبة الأحكام الشرعية ، ورتبة أهلها واجبة مرعية . بل رتبة النظر والإشراف ، ونفاذ الكلمة فى الأوساط والأطراف .

واتصل بى أن مولاي قبض يده عن أحكام القضاء ، وبسطها فى الأموال والإمضاء ، وإن كان الكسل حد من نشاط نفسك ، وطوى بعض بساط أنسك . وأنا أعيذك أن تغلط فى وهمك ، أو يعترض الشك على فهمك . لانقل ذهبى أجمل الخدمتين ، وأكمل نعمتين ؛ فإن من زاد فى الكرام ملك الدار ، وهذه الشقراء والمضمار . وأما الخدمتان : فها أنا أجلوهما على مرآة عقلك وهى صافية ، وأعرضهما على بصيرة فضلك وهى شافية ؛ أما الشريعة فهى ملسوعة عدمت الراتى ، ومريضة روحها فى التراقى ، حدودها متروكة ، وحرمايتها متوكة ، ومعالمها مطموسة ، وأعلامها منكوسة ، وقد نغل أديمها ، ونسى قديمها ، وعنى وردها ، وبلى بردها ، حتى وقعت الزهادة ، فى لفظ الشهادة ، وثقل الأذان على الآذان ، وكان

القضاء لا يتولاه إلا من قرأ ودري ، وشبع من المعارف وتصلح ، وتشوق إلى الكمال وتطلع ، وبسط يده بالعطايا ، وقبض رجليه عن الخطايا ، وقد صار القضاء في وقتنا لما قضى الله به من مقتنا ، مبدولا لمن بذل فريضا ، معروضا على من لا يصون عريضا ، شعارهم طول السبيل والقامة ، وعرض اللحية والعمامة . يعرفون أن اشتقاق الرشا من الرشوة ، وينكرون الفرق بين النشا والنشوة . هذه حال الشرع في الأمصار الواسعة ، والأقطار الشاسعة . فأما أسوان فهي كما قال أبو الفتح البستي :

أ كتاب بست كم يحاسدكم على      كتابة بست وهي سخنة عين  
وخفي حنين فوق ما تطلبونه      فكم يبنكم يا قوم حرب حنين

وهل في أحكام أسوان غريبة لا تعرف ، ونازلة تستطرف ؟ مامن أحد إلا وهو يعرف السلف على الزبيب والتمر ، والوالى يصفح المعريدين على المزر والخمر ، حاكمها مستريح من إقامة التاموس ، وإحضار المصحف لليمين الغموس ، لأن يمين التجار ، وإلا يفرق في شهر من الماء ، ويمين الجمال ، وإلا عذبت في صحراء عذاب بالظلم ، والعشار يقول : « وإلا فالكلب على عياله ، والخمار على أخت حاله ، والسفاسف يقول : « وإلا لصفع الوالى قفاه ، ورض فاه ،

هذه الخدمة بامولاي قد شرحت لك حالها ، وعرضت عليك جمالها ، وهي زبدة كلها زبد ، ومورد صفوه زبد ، وعيبة محشوة بالعيوب ، وذنوب مملوءة بالذنوب . وأما التصرف في الأموال ، والبسطة في الأعمال ، فأنت تعلم أن المال بلغك من المجلس العالى إلى أن أخلاك في ركابه ، واختصك بخطابه ، وكنت متكسلا فتبسطت ، ومنقبضا فتبسطت ، ونظر إليك وخلق عليك ووعدك من الصيت والتنويه ، فوق ما تأمله وتنويه ، ثم أفرض أنك وحاكم ثغرك وقاضى مصرك قدمتا على الوالى فأدلى القاضى بالدينية ، وأدليت أنت بالهدية ، ومت على الوالى بوقاره ، ومت بما قدمت إلى داره . هنا لك والله تعرف أن الجمال بخدمة المال ، وإلى اليمين فضل الشمال ، وأن صاحب الإحسان أمكن من صاحب الطيلسان . ثم لو جمعك مسجد الجامع ، وبرزتما للناضر والسامع ، لامتلا مجلسك بالعمال والحزان والمؤدين إلى الوزان ، وأطافت بك الأعوان السلطانية ، والنواب الديوانية ، وحفت بك أبواب الرواتب والجوازي ، ولم تجد من قولك من يراجع أو يجازى ، وقلت قدموا هذا

وارفعوه، وأخروا ذلك واصفوه. وأما القاضى فلم يكن مجلسه يفتص، ومقصوره  
تختص، إلا باليتامى والأرامل، والمرضعات والحوامل، وقائمة إن زوجها لا يكفيها،  
لتخرج من عصمته إلى من يشفيها، ويتم ظلمه عمه، ويسكت أمه. وأعرج رجله  
مخلوطة، وبده مقلوطة، وشايخ عظامهم نخره، وكوادهمم بنخره؛ ثم القاضى أيده الله  
نائب حكم الصعيد، وأنت نائب صاحب العصر والقصر المشيد.

وماضى أرباب الدواوين أنهم نصارى وأن لم يؤمنوا بمحمد  
وها نحن إن رمنا سلاما عليهم دفعنا عن الأكام فضلا عن اليد  
وهذه صورة الحال، من غير انتحال. وكأني بك إذا فهمت أطربت، وشدت  
يدك على ما فيها وربطت، وعلت مقدار حظك فأغتبطت، وأريد يا مولاي أن  
أصطادك بهذا الجنب، وأربط مرزأتى في هذا الذنب، وأشوى في نارك سمكتى،  
وأجلب إلى شوقك رمكتى. فلأمر ما نصبت هذه الراية، وأجريت إلى هذه الغاية،  
وجازفت وحققت، وعن صبوح رقت، عليك يحيط بكثرة ما أتلف، وقلة  
ما أخلف، وغنى نفسى عن سؤال الغمام فضلا عن الأنام، وليس للتوسع لاني مبذر،  
بل سائل من أهل اليمن والحجاز لا يعذر، قد ركب اللجة الخضراء، والفقرة الغبراء،  
وقصد باني، ونزل جنابي، أفأصون صون قرضى، وأبذل عرضى

وإن أحق الناس باللؤم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل  
وأما حاشيتي الضافية، وعدق الوافية، فأنت في كثرتها أصدق مخبر، وأفصح  
معبّر، ولما طالت محنة الغز وعرضت، ورجوناها أن تصح فرضت، رجعت إلى  
كثانة ذكرى، وخزانة فسكرى، فكسنت أكرم خاطر في خاطرى، وأحسن وجه  
يمثل لناظرى، وسيرت إليك بعض خروجاتي للجارى الذى جمدت أنهاره، ونمذت  
ناره، ومبلغه يسير في جنب كرمك، حقير إذا قرن هممك

فكم في الأرض من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري  
ولا تقل كم بين الفسطاط وآخر الصعيد، إن هذا هو المرى البعيد. فلو كسنت  
أعلم أنى عندك من ينده سر به، ويكدر بالأعداء شر به، لفصرت ما أطلته، وبخلت  
بما بذلته، ولكسنى قلت هذا أمر قد سهلت مسالكه، إذ أنت مالكة، وغيرى تقبل  
من جودك بعض مجهودك، وقد أقسمت عليك وإبرار القسم إليك للنفس الأماره:  
ساحيني في عماره، واتركى عنك قصور باعك، وجفاء طباعك، فإن هذا سواد الناظر

بل ضمير الحاضر، وسقف السماء، وعذب الماء، وكأني بالوصول وقد آل إلى الحصول،  
وبالسؤال في يد الرسول :

ألا إن نفسا بين جنبي محمد إذا هم بالمعروف قالت تقدم  
ويا طالما قالت له عند فرصة من الجود خذها لا تفنك فتندم

يا مولاي قد أجلت الرسول شهرا ، وأنا أعده دهرا ، وأقف حيث انتهيت  
واسأل الجواب عما أنهيت، فإن الحاجة سائق حثيث، والوقت غريم خبيث، ولرأيتك  
الفضل المعروف بالفضل، والطول المشفوع بالنتطول . ولو لا أن هذه الرسالة  
صادرة عن قائل لا يتقول، واردة على قابل لا يتأول، لسألت كرمك عن بسط  
الغذر عما فيها من التقصير . وحسبنا الله ونعم النصير (١) .

فهذه الرسالة بالرغم من إسرافها في الطول تجمع بين عدة فنون وأغراض  
كانت من أغراض الشعر، ولكن تقدم النثر منذ القرن الثالث للهجرة في كل  
الأنظار الإسلامية جعل النثر يعرض للأغراض التي كانت للشعر من قبل ،  
ففيها ذكر الفراق والعتاب ، والتهكم الذي هو أقرب إلى الهجاء ، إلى غير  
ذلك من الموضوعات .

ثم نرى هذه الرسالة تجمع هذه الخصائص الفنية التي ظهرت عند كل كتاب  
مصر الفاطمية ، فالرسالة تقوم على الجمع، ثم على هذه الألوان المختلفة من البديع  
من تورية واقتباس وتضمن واستشهاد ومراعاة النظير وتشخيص وغير ذلك  
من هذه الألوان التي نفق سوقها عند كتاب مصر الفاطمية . ولم يشذ عن اتباعها  
كاتب واحد من كتابهم . فإذا جاء القاضي الفاضل في أواخر العصر الذي نؤرخه  
والعصر الذي يليه أسرف في استخدام هذه الألوان البديعية ، فهو لم يأت بشيء  
جديد ، إنما أخذ عن أساتذته من كتاب مصر الفاطمية طرائقهم في السكتابة وسار  
على منهجهم وسنتهم ولكن اشتهر أمر القاضي الفاضل في التاريخ الإسلامي والتاريخ  
الأدبي أكثر من شهرة أساتذته كتاب مصر الفاطمية ، لأن القاضي الفاضل  
قرن اسمه باسم صلاح الدين الأيوبي . فكان وزير صلاح الدين ومستشاره ،  
والمؤرخون أشادوا بصلاح الدين، فمن الطبيعي أن يرفعوا شأن القاضي الفاضل ،

(١) النكت المصرية ج ٢ ص ٤٣١ .

ويثنوا عليه الثناء كله ، حتى بالغ بعض الكتاب فقال : إن القاضي الفاضل ابتدع  
طريقة جديدة في الكتابة عرفت بالطريقة الفاضلية ، ولم كنت أود ألا  
يتسرع بعض المحدثين في أحكامهم وكتاباتهم التي ساروا فيها على نمط من سبقهم ،  
فنسبوا إلى القاضي الفاضل هذا المذهب الجديد - في نظرهم - عن الكتابة  
في مصر ، فالقاضي الفاضل لم يكن إلا من تلاميذ كتاب مصر الفاطمية .  
وهذه الطريقة التي نسبت إليه ، عرفها كتاب مصر الفاطمية ، بل عرفها  
كتاب مصر منذ عهد الطولونيين .



## خاتمة

لعلك أدركت الآن شيئا عن الحياة في مصر الفاطمية ، وكيف تطورت هذا التطور الخطير بعد عصر الإخشيديين ، فقد كانت عقائد الفاطميين سببا قويا في تطور الحياة ، ذلك أن التشيع لم يكن له أثر يذكر في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى دخلها جوهر الصقلي ، فإذا بمصر تصبح بعد ذلك دولة شيعية ، ويتخذها أئمة فرقة من فرق الشيعة مقرا لحكمهم . واجتهد الفاطميون في أن تكون مصر متميزة عن غيرها من الأقطار التي كانت تخضع للعباسيين أو لامويي الأندلس ، وأن يبسطوا سلطان مصر على ما جاورها من البلدان ، فأتسعت رقعة أملاك مصر الفاطمية ، كما عمل الدعاة على بث تعاليم الفاطميين في كل البلاد الإسلامية ، فاتجهت القلوب والأبصار من شملتهم هذه الدعوة إلى صاحب مصر ، وأصبحت القاهرة كعبتهم التي إليها يحجون ، وأصبح لمصر مكانة خاصة تختلف تمام الاختلاف عن مكانتها في عصر الولاة الذي سبق العصر الفاطمي .

ورأينا شيئا عن الحياة الاجتماعية ، وكيف كانت مصر على جانب عظيم من الثراء ، فالأموال والهدايا كانت تترى على الأئمة بمصر ، وهؤلاء بدورهم أسرفوا الإسراف كله ، وأغدقوا نعمهم على المقرئين إليهم وعلى الشعب في كل مناسبة من مناسباتها ، وما كان أكثر هذه المناسبات في عصر الفاطميين ، فهناك أعياد ابتدعها الفاطميون لم يعرفها المصريون من قبل ، وأعياد أدخلها المسلمون في مصر منذ الفتح العربي ، ولكنها ازدادت بهجة في العصر الفاطمي ، وهناك أعياد أخرى ليست إسلامية وإنما هي أعياد مصرية خالصة كان المصريون منذ أقدم عصورهم يحتفلون بها ، فورثها الأحفاد عن الأجداد ، أضف إلى ذلك أعياد المسيحيين التي اشترك فيها المسلمون في عصر الفاطميين . فكل هذه الأعياد والمواسم طبعت العصر الفاطمي بطابع الترف والبهجة والتناق في كل شيء .

والعقائد الفاطمية تقوم على العلم والعمل معا ، لذلك اهتم الفاطميون اهتماما خاصا بألوان العلوم المختلفة ، ولا سيما ما كان منها يمت بصلة قريبة أو بعيدة من عقائدهم مثل علوم الفلسفة ، فازدهرت هذه الدراسات في مصر الفاطمية ازدهارا

لم نسمع عنه من قبل ، فقد احتضن الفاطميون هذه الدراسات وشجعوا العلماء على المضي في أبحاثهم ، فكان نتيجة ذلك هذه المجلدات السكثيرة التي تضمها خزانة الدعوة باسم كتب الحقيقة ، ولما دالت درلة الفواطم ضعفت هذه الدراسات وقل أن نجد لها أثرا في مصر ، وإني زعيم أنه لو لم تكن هناك صلة خاصة بين بعض علوم الفلسفة وبين العقائد الفاطمية ، ما كانت هذه العلوم تزدهر وتتقوى فهى أثر من آثار العقائد الفاطمية ، حقيقة اهتم الفاطميون بألوان العلوم المختلفة ، وأسسوا دار العلم ، وجمعوا فيها الكتب الوافرة في جميع ألوان العلوم والمعرفة ، ولكن هذه العلوم الأخرى كانت تسير في مصر سيرها الطبيعي وتنطور تطورها الطبيعي ، حتى إنها لم تتوقف بعد عصر الفاطميين ، كما توقفت الدراسات الفلسفية ، وكل ما في الأمر أن الفاطميين اهتموا بها اهتمامهم بكل عمل على ، فشجع الفاطميون علماء النحو واللغة والقراءات والتاريخ بجانب تشجيعهم لغيرهم من علماء الفلك والطب وعلوم الفلسفة الأخرى ، ومن هنا ازدهرت الحركة الفكرية في مصر الفاطمية ازدهارا عظيما .

وكذلك نقول عن الحياة الأدبية فقد كان الشعراء المقربون إلى الأئمة وهم شعراء القصر أو شعراء الحضرة يجهدون أنفسهم في أن يلوا بالعقائد الفاطمية في مدائحهم ، بحيث أصبحنا لانستطيع أن نفهم مدائح الشعراء أو سجلات الكتاب إلا إذا طبقنا النظرية التي أطلقت عليها ، نظرية المثل والمثول ، وهى تقوم على فهم دقيق للعقائد الفاطمية ، حتى ندرك ما أراد الشاعر من مدحه ، وإلا كان فهمنا لهذا الشعر قاصرا غير صحيح ، فالعقائد أثرت تأثيرا قويا في الحياة الأدبية تأثيرها في جميع نواحي الحياة .

وهنا نقف لتساءل : هل بحيث الدعوة الفاطمية من مصر بعد زوال دولة الفاطميين ؟ والجواب عن ذلك يعيدنا إلى الحديث عن مدى قبول المصريين لدعوة الفاطميين ، ذلك أن أكثر المؤرخين يذهبون الى القول بأن مصر رفضت مذهب التشيع ، إلى أن هددهم المعز بسيفه وأغرام بذهبه ، فاعتنقوا عندئذ التشيع ، وبالرغم مما في هذا القول من مبالغة ، فاننا لاننكر أن من المصريين من اعتنق الدعوة الفاطمية رغبة أو رهبة ، وأن البعض الآخر استمر على مذهبه السنى ، وذكرنا أن من أسباب انقراض الدولة الفاطمية تهاون القائميين بالأمر

فيها بالإمامة التي هي عماد الدعوة ، فانهارت الدعوة بسبب ذلك ، وسهل على صلاح الدين أن يديل الدولة ، وبالرغم من ذلك فقد حدثنا بعض المؤرخين عن شخصيات كانت تدبّر بالدعوة الشيعية في عهد الأيوبيين والمماليك ، ونظرة إلى كتاب الطالع السعيد للأدقوي ، أو كتاب الضوء اللامع للسخاوي ترينا عددا من أمائل المصريين كانوا يتشيعون ، من ذلك ما ذكره الأدقوي عن إبراهيم ابن محمد بن علي بن مطهر بن نوفل الأدقوي : « ثم عكف على حفظ كتاب الله العزيز ، فاستحق به التميز ، واستمر إلى آخر عمره على إقراء القرآن ملازما للصلاة والتلاوة والعبادة ، وهو كل يوم من الخير في زيادة ، مع صدق لهجة وصيانة ، إلا أنه كان من أتباع الشيعة ، أصحاب تلك البدع الشنيعة ، شاهدته لما حضر داود الذي يدعى أنه ابن سليمان بن العاضد إلى أدقو في سنة سبع وتسعين وستائة ، وهو بين يديه ، وقد أخذ العهد عليه ، وهو ينشده قصيدة نظمها منها :

ظهر النور عند رفع الحجاب      فاستنار الوجود من كل باب  
وأنا البشير يخبر عنهم      ناطقا عنهم بفصل الخطاب (١)  
وبروى الأدقوي أيضا قصة قطيبة الأسفوني الشاعر عند ما شكاه بعض أهله إلى الوالي بقوص ، فجاء الوالي ومعه الناظر الشمسي الأمرى وكان شيعيا ، فلما رآه قطيبة قال : يا آل أبي بكر ! فاغناظ الناظر ، فأنشد قطيبة :

حديث جرى يا مالك الرق واشتهر      بأسفون ماوى كل من ضل أو كفر  
لهم منهم داع ككيس معمم      وحسبك من نيس تولى على بقر  
ومن نحسهم لا أكثر الله منهمو      يسبوا أبا بكر ولم يشنوا عمر  
نخذ ما لهم لا تخشى من ما لهم      فإن مآل الكافرين إلى سقر (٢)

ونذكر أنه عندما تحركت الشيعة حول داود بن شعبان الذي تحدثنا عنه من قبل — في سنة ٦٩٧ هـ ادعى هذا الدعي لمن استجاب له أنه يتحمل عنهم الصلاة ، فقبل كلامه ، وفي هذا يقول علاء الدين علي بن أحمد الأسفوني لبعض أهل بلدته من قصيدة أنشدها :

(١) الطالع السعيد ص ٣١

(٢) المصدر نفسه ص ١١٨

ارجع ستلحق بعدها الأهوالا لا عشت تبلغ عندنا آمالا  
يامن تجمع فيه كل نقيصة فلاضربن بسيرك الأمثالا  
وزعمت أنك للتكلف حامل وكذا الحمار يحمل الأثقالا (١)

ويقول الأدفوى أيضا عن الشيخ بهاء الدين الغفطى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ  
« وفتح إسنا فإنه كان بها التشيع فاشيا ، فما زال يجتهد في إخماده . وإقامة الدلائل  
على بطلانه ، وصنف في ذلك كتابا سماه « النصائح المفترضة في فضائح الرفضة » ،  
وهموا بقتله فجاه الله منهم ، (٢) ويذكر عن عبد القادر بن مهذب الأدفوى المتوفى  
سنة ٧٢٥ هـ أنه كان إسماعيلي المذهب مشتغلا بكتاب دعائم الاسلام (٣) . معنى ذلك  
أن التشيع لم يقلع من مصر بزوال دولة الفاطميين ووجود حكومات سنية  
متعصبة لمذهبا ، بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إن المصريين الآن لا يزالون  
متأثرين ببعض العقائد الفاطمية التي كانت في مصر منذ أضعام تقريبا ، فأهل السفه  
من المصريين إذا أرادوا سب شخص قالوا : يا عمر !!! ، وهذا بقية من بقايا سب  
السلف الصالح في العصر الفاطمي ، وأهل مصر إلى الآن إذا زاروا ضريح  
« السيدة زينب » وضعوا نماذج لسفن على الضريح ، وهذا أثر آخر من تأثير  
العقائد الفاطمية الآن في المصريين ، فهم يتبعون الحديث المنسوب إلى النبي صلى  
الله عليه وسلم : « أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تركها غرق » ،  
ولا يزال المصريون إلى اليوم يلتمسون البركة والشفاعة من أهل البيت ، ويطوفون  
بأضرحتهم لقضاء الحاجات !! على نحو ما كان يفعل في أيام الفاطميين ، والمصريون  
إلى اليوم يذكرون عليا والحسن والحسين وفاطمة أكثر مما يذكرون أبا بكر  
وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة الأبرار . ومن ناحية أخرى نرى المصريين  
اليوم يحتفلون برؤية الهلال على نحو ما كان يفعله الفاطميون ، وإن كنا نخالفهم في  
أننا الآن نأخذ برؤية البصر ، وكان الفاطميون يأخذون برؤية الاستبصار ، ولا يزال  
إلى اليوم نحتفل بمواسم الفاطميين مثل أيام عاشوراء التي اتخذناها فرحا ، وكانت  
في أيام الفاطميين أيام حزن ، ونحتفل بليلة نصف شعبان و ليلة السابع والعشرين  
من رجب ، وهي أعياد فاطمية لم يعرفها المصريون قبل العصر الفاطمي ، ونرى

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٧

(١) المصدر نفسه ص ١٩٧

(٣) المصدر نفسه ١٧٥

الخطب المنبرية الآن في بعضها طابع التشيع الذي كان في العصر الفاطمي .  
وإذن فمصر لم تستطع إلى الآن أن تتخلص كل النخاس من آثار التشيع  
الذي نشره الفاطميون .

وبعد ، فهذا الكتاب الذي نقدمه الآن صورة من صور الحياة الأدبية  
والعلمية في مصر الفاطمية ، ولا ادعى أنها صورة كاملة صحيحة ، لأن آثار الفاطميين  
الأدبية والعلمية فقدت ، ولم يبق منها إلا النزر اليسير ، وهو الذي اعتمدت عليه  
في هذا البحث ، ولعلي وفقت ؟

معجم الاسماء الواردة في الكتاب

	٣٠٥	ابن الأنباري	١٥٢٠١٥١٠٧٣٠٤٠٠١٨٠٦	ادم
٩٢٠٩١		ابن بابشاذ النحوي	٣١٠٠١٣٦٠٥٠٠٤٣٠٤٢	أصف فظي
	٢٦٤	ابن باق الجزائر	٠١٢٨٠١١٣٠٣٢	الآمر بأحكام الله
		ابن البرقي	٠٢١١٠١٧٩٠١٥٣٠١٣٨٠١٣٦٠١٣٤	
٩٧		ابن بركات الفراء الموصلي	٣٣٤٠٢٣٣٠٣١٣٠٣١٢٠٣١٠٠٢٨٢	
	٣٢٨	ابن بسام		أبن بن عبد الحميد اللاحق
	١٣٩	ابن بشرون		إبراهيم (الذي)
٨٦٠٨٥		ابن بطلان (الطبيب)		إبراهيم بن اسماعيل الدمياطي
	٢٣٠٠١٦٧	ابن جبر الشاعر		إبراهيم بن الرقيق
	١٠٨	ابن جرير الطبري		إبراهيم بن عبد الله النجيري
	٧٠	ابن جني		إبراهيم بن محمد بن احمد الهاشمي
١١٠٠٥١٠٤٤		ابن حجر العسقلاني		إبراهيم بن محمد بن علي بن مطهر
	٢٦٨	ابن حديد القاضي		إبراهيم بن ينال
١٧٩٠١٦٧٠١٢٩		ابن حريز الشاعر		إبراهيم الرسي
	٧٦	ابن الحلبي المنجم		ابليس
	٧٠٠٥	ابن حنبل		ابن أبي أصيبعة
	٥٤	ابن حنزابه		ابن أبي حصينة الشاعر
	٦٩	ابن حوقل		ابن ابي الدم
٢٤٧٠٢٠٨٠١٢٨		ابن حيدرة العقيلي		ابن أبي الزلازل
٢٧٧٠٢٥٩٠٢٥٨٠٢٥٧٠٢٥٦٠٢٥٥				ابن أبي طي
	٢٨٧٠٢٨٦٠٢٨١٠٢٧٨			ابن أبي العيش المهندس
	٦٣	ابن حيوس		ابن أبي كدينة
	٧٧	ابن خلف الوراق		ابن الاخرم الفرغاني
٧٦٠٥٦٠٥١٠٤٦٠٤٤٠٤٣		ابن خلكان		ابن الأثير
٢٥٢٠٢٣٥٠١٩٤٠١٩٠٠١١٠٠٩١٠٩٠				ابن اسحق
٣٤٥٠٣٤٤٠٣٤٣٠٣٢٨٠٣٢٤٠٣٢٦٠				ابن الإمام

- ابن عبد كان الكاتب ٣١٥، ٣٠٢  
٣٢٠، ٣١٩  
ابن العربي ٩٩  
ابن العريف الحسن بن الوليد ٩٤  
ابن الفارض ٢٨٥، ٢٨٣  
ابن فضل الله العمري ١١٠، ١٠٨  
ابن قادوس ١٩٥، ١٨٨، ١٣٩  
٣١٣، ٢٦٧، ٢١٩، ٢١٧، ٢١٣  
٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١، ٢٣٩، ٣٢٨  
٣٤٥، ٣٤٤  
ابن الفارح ١٦٦، ٣٢٣  
ابن قتاده المعدل ٢٧١، ٢٦٥، ٢٦٤  
ابن قتيبه ٣٢٧  
ابن قديد ١٠٩، ٩٦  
ابن القطاع الصقلي ٩٢  
ابن قلافس ٢١٨، ٢١٦، ٢١٤  
٢٩٣، ٢٩١، ٢٢٦، ٢٢٢  
ابن القيسرائي ٩٩  
ابن كازوك (والي الغريبة) ٢٦٨  
ابن كلس (ن: يعقوب بن كلس)  
ابن الكيزاني ٢٨٣، ٢٨٢، ١٣٩  
٢٨٥، ٢٨٤  
ابن المدبر ٣٠٥  
ابن مسرور البلخي ٩٨، ٩٧  
ابن المسلمه (رئيس الرؤساء) ٦٠  
ابن مصال ٢٢٤  
ابن معبد الاسكندري ٢٧٨، ٢٧١  
ابن المعتز العباسي ٢٩٧، ٢٥٩، ١٧٠  
ابن معروف ٣٤١  
ابن المغربي ٣٣٣، ٣٢٢، ٣١٣، ٦٣  
ابن مكنسه ٢٦٢، ١٨٩، ١٨٨  
٢٦٣
- ابن خليف القاضي ٢٢٤  
ابن خيران ٣١٣، ٣١٢، ٣٠٤، ١٦٦  
٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣١٤  
ابن الداية ٣٠٢، ١١٣، ١٠٩، ١٠٨  
ابن دحية ٢٥٨  
ابن دريد ٢٦١، ٢٦٠، ١٩٢  
ابن دزمام ٣٣٠  
ابن دقاق ١١٠  
ابن دياب المنجم ٧٦  
ابن الراوندي ٢٨  
ابن رضوان الطبيب ٨٦، ٨٤، ٨٢  
ابن زبارج النديم ٥٨  
ابن زولاق ١٠٨، ٥٥، ٥١، ٤٥، ٤٤  
٣١٣، ٢٣٩، ١١٣، ١١٠  
ابن سريج ٤٦  
ابن سعيد المغربي ٢٨٣، ٢٤٧، ١٣٩  
ابن سعيد بن يونس ١٠٨، ٩٧  
ابن السفيدي ٧٧  
ابن سينا ٦٩  
ابن شاكر الكندي ٢٦٠، ٢٥٩  
ابن الشخيا ٣٢٩، ٣٢٨، ١٢٨  
٣٢٢، ٣٣١  
ابن شمول المقرئ ٢٦٧  
ابن الصياد ٢١٧، ٢٠٤، ١٣٩  
٣٤٢، ٣٣٩، ٢٦٧، ٢٣٤  
ابن الضيف الداعي الشاعر ١٣٨  
٢٩٤، ٢٧٦  
ابن الطحان ٩٧  
ابن الطوير ٢٣٠، ١٢٣  
ابن عباد ٢٨٧  
ابن عبد الحقيق ٣٢  
ابن عبد القوى الداعي ١٠٥

ابو بكر بن سيف ٩٦  
ابو بكر الطرطوشي ١٠٢  
ابو بكر بن عبد الله بن مالك ٩٦  
ابو بكر النعال ١٠١  
ابو البركات بن أبي الليث ٣٠٣  
ابو تمام الشاعر ٧٧، ١٨٦، ١٩٦  
ابو جعفر احمد بن نصر ٣١٧  
ابو جعفر الجزري ٢٢  
ابو جعفر بن حسنداى ٧٦، ٨٧  
ابو جعفر مسلم ٣١٧  
ابو جعفر المنصور العباسى ٧٧  
ابو جعفر النحاس ٩٥، ٩٦، ٣٣٧  
ابو حاتم الرازى ٢٨  
ابو حامد احمد بن محمد الأنطاكى  
(ن: ابو الرقعمق)  
ابو الحسن بن الترمذى ٢٣  
ابو الحسن طاهر احمد (ن: ابن بابشاذ)  
ابو الحسن على بن ابراهيم الحوفى ٩٥  
ابو الحسن على بن أبى أسامة ٧٦،  
٣١٢، ٣٣٣، ٣٣٤  
ابو الحسن على بن احمد بن نوبخت ٣٢٤  
ابو الحسن على بن الأنبارى ٣٢٧  
ابو الحسن على بن الحسين الخلعى ١٠٠  
ابو الحسن على بن الحسن بن معبد  
(ن: ابن معبد)  
ابو الحسن على بن رضوان (ن: ابن  
رضوان الطيب)  
ابو الحسن على بن السلار ١٠٥  
ابو الحسن على بن سليمان أيوب ٧٦  
ابو الحسن على بن عبد الواحد (ن: صريع  
الدلاء)

ابن ملساقه ٨٧  
ابن منذر ٣٣١  
ابن منجب الصيرفى ٣١١، ٣١٢،  
٣١٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥،  
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨  
ابن ميسر القاضى ١٨٩  
ابن ميسر المؤرخ ٢٩، ٧٢، ١٠٢،  
١٣٦، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٣  
ابن النضر الأديب ٩٥، ١٧٩،  
١٨٠، ٢٨١  
ابن نفيس ٩٦  
ابن هانىء الاندلسى ١١، ١٤١،  
١٤٢، ٢٩٧، ٣٤٧  
ابن هشام ١١٤  
ابن الهيثم ٦٨، ٦٩، ٧٨، ٧٩،  
٨٠، ٨١، ٨٢  
ابن الهيثمى المنجم ٧٦  
ابن وكيع التنيسى ٢٥٢، ٢٥٤،  
٢٥٥، ٢٥٩، ٢٨٥، ٢٨٨،  
٢٨٩، ٢٩٠  
ابو اسحق ابراهيم القارح الصوفى ٢٨٢  
ابو اسحق ابراهيم بن شيب ٢٧٦  
ابو اسحق على بن سليمان المعرى ٢١، ٩٠،  
ابو اسماعيل الرسى ٢٥١، ٣١٧  
ابو الأسود الدؤلى ٨٩  
ابو بكر (الصديق) ١٠٦، ٣٣٠،  
٣٥٧، ٣٥٨  
ابو بكر احمد بن على ١١٣  
ابو بكر الادفوى ٩٥، ٩٦  
ابو بكر الانطاكى ٣١  
ابو بكر بن البرصقلى ٩٢  
ابو بكر الباقلانى ٥٣



- أبو طاهر الجنابي القرمطي ٣٢٠  
أبو طاهر الذهلي ٤٤ ، ٤٩  
أبو طاهر الهركي ٣١٢ ، ٣٢٦  
أبو العباس أحمد بن مفرج ١٦٧ ، ١٦٨  
أبو عبد الله بن الجوهري ٢٨٢  
أبو عبد الله الحسين بن الرسي ٢٥١ ، ٢٥٢  
أبو عبد الله الخديدي ١١٣  
أبو عبد الله الشامي ٨٧  
أبو عبد الله الشيعي ٢٢  
أبو عبد الله الصوري ٩٣  
أبو عبد الله بن القلانسي ٧٥  
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ن :  
ابن السكيناني)  
أبو عبد الله محمد بن جعفر التيمي (ن :  
الفزاز النحوي)  
أبو عبد الله محمد بن الحسين الآمدي  
١٩٠  
أبو عبد الله محمد بن سلامه (ن : القضاعي  
أبو العلاء صاعد بن مفرج ٣٣٣  
أبو العلاء المعري ٢٨ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٨  
٦٩ ، ٩٤ ، ٢٦١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٦  
أبو علي الداعي ٢٢  
أبو علي أحمد بن الأفضل ١٠٥ ، ١٨٩  
٣٣٥  
أبو علي أحمد بن صدقه ٢٤٧  
أبو علي حسن بن اسماعيل (ن : المسكربل)  
أبو علي الحسن بن رشيق ٩٠  
أبو علي حسن بن زبيد الأنصاري  
١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٣٣٩ ، ٢٤٢  
٣٤٣ ، ٣٤٤  
أبو علي محمد بن الحسن (ن : ابن الهيثم)
- أبو الحسن علي بن قيصر ١٩٧  
أبو الحسن علي بن محمد (ن : الأخفش  
الشاعر)  
أبو الحسن عمار بن محمد ٣٢٢  
أبو الحسن المختار بن الحسن (ن : ابن  
بطلان الطيب)  
أبو الحسن بن مطير الشاعر ١٣٨  
أبو الحسن بن النضر (ن : ابن النضر  
الأديب)  
أبو الحسن الهراس ٩٨  
أبو الحسين الصوفي ٧٧  
أبو الحسين محمد بن علي الداعي ٢٢  
أبو حنيفة النعمان ٣ ، ٤٦ ، ٧٠ ،  
١٠٢  
أبو حصينه المعري ١٥٥  
أبو خالد التيمري ٣٣٠  
أبو الخير سلامه بن رحون ٢٦٧ ،  
٢٦٨  
أبو الرقعق ٥٧ ، ٥٨ ، ١٦٢ ،  
١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٤١ ،  
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،  
٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣  
أبو سعد التستري ٦١ ، ١٧٦  
أبو سعيد الجنابي القرمطي ٣٢٠  
أبو سعيد العميدي ٩٩ ، ٣١٢ ،  
٣٢٥ ، ٣٢٦  
أبو سعيد بن قرفة الطيب ٧٦  
أبو سلامه الداعي ٢٣  
أبو سليمان داود بن مقدم ٢١٧ ، ٢٦٨  
أبو شرف الدجرجاوي ١٨١  
أبو طاهر اسماعيل بن محمد (ن : ابن  
مكثسه)

أبو محمد أحمد بن علي بن خيران ( ن :  
ابن خيران )

أبو محمد حسن بن آدم ٣٢

أبو محمد الكوفي الداعي ٢٣

أبو محمد عبد الكريم الصقلي ٧٦

أبو محمد عبد الله بن برى ٩١

أبو محمد عبد الله بن خليل ٢٩٤

أبو محمد عبد الله بن أبي سعد ( ن :  
الكاسات )

أبو محمد القاسم الرسي ١٧٦

أبو محمد يحيى بن حسن ( ن : ابن جبر  
الشاعر )

أبو المسكارم بن أبي أسامة ٢١٣

أبو منصور بن الشيرازي ٣٢٤

أبو المنصور عبد الله بن السديد ٦٦

أبو المنصور بن نسطورس ٣١٢

أبو ملبح النصراني ١٨٨ ، ٢٦٢

أبو النجا بن سند الساعاتي ٧٦

أبو النصر المنجم ٧٦

أبو نصر عبد الله الحسين الفيرواني ٥٨

أبو نواس ٢٤٥ ، ٢٦١

أبو الهيجا ١٩٥

أبو يعقوب ( قاضي الخندق ) ٣٤

أبو يعقوب الأزرق ٩٦

أبو يعقوب السجستاني ٢٨

أبو يوسف القزويني ٢٥

أحمد بن إمام ٣٠٢

أحمد بن الحسن الشيرازي ١٠٠

أحمد بن الحسن السكلي ١٧٠

أحمد حميد الدين الكرمانى ١٦ ، ١٩

٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٦٩

٨٨ ، ٨٧

أبو علي المعري الانطاكي ٩٨

أبو علي المهندس المصري ٨٣

أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١١٢

أبو غانم المظفر بن أحمد ٩٦

أبو غفير الداعي ٢٣

أبو الغمر الاسناني ٢٦٥ ، ٢٧٥ ،

٢٧٦

أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن حميد

الدمياطى ( ن : ابن قادوس )

أبو الفتح يانس الأرميني ٣٤٢

أبو الفتح منصور بن مقشر ( ن :

منصور بن مقشر )

أبو الفخر داعي الدعاة ٣٤٢

أبو الفرج الذهلي ٣٢٦

أبو الفرج بن الطبيب ٨٦

أبو الفرج الموفقي ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،

٣٣١

أبو الفضل جعفر المكفوف ٣١

أبو القاسم الجوهري الغافقي ١٠٢

أبو القاسم علي بن سليمان بن منجب

( ن : ابن منجب الصيرفي )

أبو القاسم الكنتاني ٩٨

أبو القاسم بن هاني ٣٤٧

أبو كاليبجار البويهى ٤٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،

١١٦ ، ٣٢٤

أبو كثير بن الزقان ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ،

٨٧

أبو كثير بن الحسن بن إسحق ٨٦

أبو المحاسن بن تغرى بردى ٤٣ ،

١٠٨ ، ١١٠

افرائيم بن الزقان (ن: أبو كثير بن الزقان)  
الأفضل بن بدر الجمالي ٣١، ٣٢، ٧٦، ٨٧،  
٩٢، ١١٣، ١٢٨، ١٣٧، ١٧٧،  
١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥،  
١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠،  
٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٢، ٢٣٣، ٣٣٨

افلاطون ٦٤

افلوطين ٢٩٩

اقليدس ٨٠، ٨١، ٨٣

امرى القيس ٢٠٨

أمية بن أبي الصلت ٨٢، ٨٤، ٨٧،

١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣،

١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠،

٢٢٩، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٩٢، ٣٣٨

أوليري ٦٨

ايفانوف ١٩، ٤٦، ٥٧

« ب »

البابلي ٣٠٥

الباخرزي ١٣٩

البيحري ١٩٦

البيخاري ١٠

بدر الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسين

٣١٢، ٣٢٣، ٣٢٦

بدر الجمالي ١٧٧، ١٧٨

البيديهي ٥٦

البراء بن عازب ٥

برجوان ٢٣٨

البيساسيري ٦٢، ٦٣، ٦٥، ١١٦،

٣٢٦، ٣٢٧

بشار بن برد ١٩٦

بطليموس ٨، ٧٧، ١١٧

احمد بن سهل البلخي ٣٣٧

احمد بن طولون ٣٠٢

احمد ابن عبد الله (الإمام المستور) ٣

احمد بن عبد الله بن أبي العصام ٢٤٥

احمد بن عبد الله الفرغاني ١٠٨

احمد بن السكيال ١٥

احمد بن محمد بن الفضل الاهوازي

٣٣٧

احمد بن محمد القشوري ٣١٣

احمد بن محمد المادراتي ٢٧٤

احمد بن محمد بن مودود (ن: ابن

عبد كان)

احمد بن محمد النحاس: ن أبو جعفر النحاس

احمد بن محمد يوسف الاصفهاني ٣٣٧

احمد بن مطرف ٩٣

احمد بن الموصلي الداعي ٢٣

احمد بن يحيى البلاذري ٢٠٣

الاخفش ١١٩، ١٥٣، ٢١٣، ٢٧٥،

اخوان الصفا ٦٩، ٧٢

ادريس الداعي ٤٥

ارسطاليس ٦٤

اسامه بن منقذ ٢٣٢، ٢٣٤

اسحق بن ابراهيم بن نسطاس ٦٨

اسحق بن نصير العبادي ٣٠٢

اسد الدين شيركوه ١٩٩، ٢٠٢،

٢٢٣، ٢٣٦

الاسكندراني الشاعر ١٤٢

اسماعيل بن ابراهيم ٦

اسماعيل بن جعفر الصادق ٣

اسماعيل بن خلف الصقلي ٩٦

الاصمعي ١٩٦، ٣٣٠

الاعمش ٥٥

« ث »

الثعالبي ٢٨٨، ٢٥٢، ٢٥١، ١٣٩، ٤٩  
 الثغوري ٢٨  
 ثلث الفيل أبو الحسين النحوي ٩١  
 ثمال بن صالح ٣٢٦  
 ثيودورا ١١٢

« ج »

الجاحظ ٣٣١، ٣٣٠، ٢١٤، ١١٩  
 جاسوس الفلك الشاعر ١٧٦  
 جالينوس ٨٥، ٨٤، ٨٢  
 جبرائيل بن تختيشوع ٦٨  
 الجرجاني ٣٠٥، ١٧٦، ١١٢، ٧٧  
 جرجس بن يوحنا ٨٥  
 جعفر (الصادق) ٤٠، ٣٥، ٣  
 جعفر بن السراج ٩٩  
 جعفر بن القرات (ن: ابن خنزابه)  
 جعفر بن منصور البين ٣١٩، ٧٣، ٢٢  
 الجليس بن الحباب ١٩٥، ١٩٤، ١٣٩  
 ٢١٦، ٢١٥، ٢٠٣، ٢٠١، ٢٠٠  
 ٢٦٧، ٢٢٦، ٢٢٤، ٢١٩، ٢١٧  
 ٣٤٥، ٣٤٢، ٣٣٩  
 جمال الدين عبد الرحمن الاسكندري ٩٩  
 جناده الهروي ٩٨، ٩٠، ٣١  
 جوثيل ٤٣، ٤٢  
 جوذر الصقلي ١١٥، ١١٤، ٢٩  
 ٣٠٩، ١٧٠، ١١٦  
 جوهر الصقلي ٣١٦، ١٠٠، ٥١، ٢٣  
 ٣٥٥، ٣١٧  
 جيات الخثعمي ٢٣

بنو أمية ٢٢٠

بنو حرب ٢٢٠

بنو رزيك ١٩٤

بنو عبد الحكم ٤٢

بنو عرام ١٣٩

بنو عبيد ٣٠٥، ٣٠٤، ٢٠٣

بنو الكنز ١٣٩

بنو مروان ٢٢٠

بنو المغربي ٣٠٥

بنو النعمان ٤٢

البهاء زهير ٢٧٢

بهاء الدين القفطي ٣٥٨

البرة ١٣٥، ٦٤، ٤٦، ٤٢، ١٩

١٦٢، ١٦١، ١٢٦

بزاد النجيري ٩١

البوصيري ١١٣

البويهوني ٦٩

البيهقي ٨٠، ٨٩

« ت »

تاج الدين السكندري ٢٢٢

تاج المعالي (غلام الأفضل) ١٧٧

التاريخ ٢٦٢

تميم بن المعز ٧٤، ١٣٢، ١٤٦

١٦٨، ١٦٤، ١٦٣، ١٤٨، ١٤٧

١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩

٢٤٩، ٢٤٧، ٢٢٧، ٢٠٨، ١٧٤

٢٨٧، ٢٨٠، ٢٥٤، ٢٥١، ٢٥٠

٢٩٧، ٢٩١، ٢٩٠

التميمي المقدس ٥٦

الحسين بن أبي الهيثم ١٠٦  
 الحسين بن أحمد (الإمام المستور) ٢٢٠٣  
 حسين بن أحمد المؤذن ٢٠  
 الحسين بن جوهري ٣١٣، ٥٣  
 الحسين بن الحجاج ٢٦٣، ٢٤٢  
 الحسين بن حوشب (ن: منصور اليمن)  
 حسين بن طاهر الوزان ٣١٣  
 الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد [ ن :  
 ابن أبي الزلازل ]  
 الحسين بن عبد الله المعري [ ن :  
 أبو حصينة المعري ]  
 الحسين بن علي بن أبي طالب ١٢٣، ٤٠٣  
 ٣٥٨، ٣١٦، ١٦٤، ١٤٢، ١٢٤  
 الحسين بن علي بن النعمان ٣٢٢، ٥٢  
 الحسين بن مهاجر ٣٠٢  
 حنين بن إسحق ٨٦

« خ »

خالد بن الوليد ٣٣٠  
 الخطيب التبريزي ١١٣، ٩٨، ٩١  
 الخطير بن الموفق في الدين ٢٨  
 الخليل بن أحمد ٧٠، ٢٧

« د »

الدارقطني ٨٨، ٩٧  
 داود بن شعبان الفاطمي ٣٥٧  
 الدرزي ٨٧، ٢٥  
 دعبل الخزاعي ١٨٦  
 دي بور ٨٢، ٨١، ٨٠

« ذ »

الذكي النحوي محمد بن أبي الفرج ٩٣  
 ذهل بن شيبان ٢٤٢

« ح »

حاتم بن ابراهيم ٦٤  
 الحافظ أبو الحسن علي بن فاضل  
 الصوري ٩٩  
 الحافظ السلفي ٩٩، ٩٨، ٩٦، ٩٥  
 ١٠١، ١٠٥، ١١٣، ١٩٠  
 ٢٢٤، ٢٢٢  
 الحافظ شرف الدين السكندري ٩٩  
 الحافظ لدين الله الفاطمي ٧٢، ٢٤  
 ١٨٩، ١٦٨، ١٥٤، ١٥٣، ٧٦  
 ٣١٣، ٣١٢، ٣٠٤، ٢٢١، ٢١١  
 ٣٤٤، ٣٤٢، ٣٣٥  
 الحاكم بأمر الله ٣٠، ٢٥، ٢٣، ١٥  
 ٦٨، ٦٠، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٣١  
 ٨٥، ٨٠، ٧٩، ٧٥، ٧٢، ٦٩  
 ١٠٣، ١٠٠، ٩٨، ٩٤، ٨٧  
 ١٣٤، ١٣٣، ١١٦، ١١٠، ١٠٤  
 ٢٤٠، ١٧٦، ١٦٩، ١٦٦، ١٣٦  
 ٣١٤، ٣١٣، ٣١٢، ٢٥٩  
 ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١  
 حسان عرقلة الشاعر ٢٠٢  
 الحسن بن ابراهيم اللبثي (ن: ابن زولاق)  
 الحسن بن أحمد القرظي ٣١٨، ٣١٧، ٣١٤  
 الحسن بن بشر الدمشقي ١٧٠، ٥٨  
 حسن بن الحافظ الفاطمي ٣٤٢، ١٨٨  
 الحسن بن خاقان ١٧٦  
 الحسن بن رافع ٣٠٢  
 الحسن بن رشيق ٩٧  
 الحسن بن علي بن أبي طالب ٤، ٣  
 ٣٥٨، ١٤٢، ١٢٤، ١٢٣  
 الحسن بن محمد الشهواجي ٢٤٥

سليمان بن الفياض الاسكندردي ٨٧

١٨١

سنة الملك أبو محمد الحسن الزبيدي

٣٣٣ ، ٣١٣

سند بن عفان الأزدي ١٠٢

سهل بن محمد بن الحسن الصوفي ٢٨٢

سهلون المنجم ٨٦

سيبويه ٧٠

السيوطي ٣١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٨

١١٠

### « ش »

الشافعي ٣ ، ٤٦ ، ٧٠ ، ١٠١

٢٨٣ ، ١٠٢

شاور السعدي ١٠٥ ، ١٣٨ ، ١٧٨

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨

٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦

٣٤٥

الشريف الكبير العجمي ٣٢٣

الشريف المرتضى ٣٢٤

الشريفه بنت الخافظ ١٢٩

الشمس الآمري ٣٥٧

شمس الملوك مظفر ٣٢٤

شمعون الصفا ٦

الشهرستاني ١٥

شيث بن آدم ٧٣

### « ص »

صالح بن رشد بن ٢٤٥ ، ٢٤٦

٢٤٧ ، ٢٥٤

صالح بن علي بن مؤنس (ن: الروزباري)

صريع الدلاء ٢٦٠

ذو الرقاعتين (ن: صريع الدلاء)

ذو التون المصري ٢٩٩

### « ر »

رابعة العدوية ٢٨٤

رزق الله المنجم ٨٢

رزيك بن الملك الصالح ١٢٧ ، ١٩٨

١٩٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

الرشيد بن الزبير ١٣٨ ، ١٩٥

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١

٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٦

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧

رضوان الوزير ٢٧٥

الروزباري ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٣٠٢ ، ٣١٣

رينولد ٢٣٤

### « ز »

زرعه بن عيسى بن نسطورس ٣١٣

زياد بن أبيه ٢٢٠

زيد بن وهب ٥٥

### « س »

سالم بن مفرج ١٧٩

سام بن نوح ٦

سانت اوغسطين ١٠

السخاوي ٣٥٧

السعيد بن ظفر ١٩٠

سلامه بن رحون ٨٢ ، ٨٤

سلطان بن ابراهيم بن مسلم ١٠١

سليمان بن جعفر ٢٤٥ ، ٢٤٦

سليمان بن العاصد ٣٥٧

٢٨٨ ، ٢٧٧ ، ٢٠٨ ، ١٩٣  
٢٩١ ، ٢٨٩  
الظاهر الفاطمي ١٥٣ ، ١٠٥ ، ٩٩  
٢٤٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ١٩٣  
الظاهر الفاطمي ٨٢ ، ٥٧ ، ٤٨  
١٧٦ ، ١٦١ ، ١٤٢ ، ١٠٤  
٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٤٠ ، ٢٣٨  
٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٣ ، ٢١٢

«ع»

العادل بن الحسن بن السلال ٩٩  
العاضد الفاطمي ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٣  
٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١١ ، ١٦٠  
٢٤٣ ، ٢١٣  
العباس بن أحمد بن طولون ٣٢٠  
عبد الجبار أحمد الطرسوسي ٩٦  
عبد الجبار بن محمد المغافري ٩٤  
عبد الجليل بن مخلوف الصقلي ١٠٢  
عبد الحميد السكاتب ٣٣٧  
عبد الرحمن بن إسماعيل العروضي ٩١  
عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم  
١١٢ ، ١٠٨  
عبد الرحيم البيساني (ن: القاضي الفاضل)  
عبد السلام بن محمد بن بندار ٢٥  
عبد العزيز بن علي بن محمد (ن:  
ابن الإمام)  
عبد العزيز بن محمد بن النعمان ٢٤  
٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٣١  
عبد الغني بن سعيد ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٠ ، ٣١  
عبد الله بن أبي الجوع ١٧٤ ، ٥٧  
٢٤٥ ، ٢٤٤  
عبد الله بن أبي سعيد الأندلسي ٩٤

صلاح الدين الأيوبي ٢٧ ، ٢٤  
٢٠٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٩  
٣١٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢١٤  
٣٥٧ ، ٣٥٣ ، ٣١٤  
الصليبيون ١٨٣  
الصليحيون ٥٩  
صناعة الدوح الشاعر ١٦٦  
صنجل ٢٣٠  
الصولي ٣٣٧

«ض»

ضرغام ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٧٨ ، ١٣٨

«ط»

طاهر بن غلبون ٩٦  
طيبطب المحرر ٣٠٢  
طغرل بك السلجوقي ١١٢ ، ٦٣ ، ٦٢  
طلائع الأمري ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢  
طلائع بن رزيك ١٠٦ ، ١٠٣ ، ٦٩  
١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٥٤  
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٨  
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦  
١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣  
٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٣  
٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠  
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٩  
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥  
طلي بن شاور ١٣٨  
«ظ»  
ظافر الحداد ١٣٢ ، ١٣١ ، ٨٧  
١٨٣ ، ١٨١ ، ١٧٩ ، ١٣٨  
١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢

عقيل بن المعز لدين الله ١٧٠  
علاء الدين علي بن احمد الأسفوني ٣٥٧  
علقمة بن عبد الرزاق العليسي ١٧٨  
علم الدولة مقرب بن ماضي ٢٧٦، ١٩٠  
علي بن أبي طالب ٣، ٤، ٥، ٦، ٧  
١٠٠٨، ١٤، ١٦، ٣٣، ٣٤  
٣٧، ٤٠، ٧٣، ١٢٣، ١٢٤  
١٣٣، ١٤٢، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢  
١٥٧، ١٦١، ٢٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨  
٣١٥، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٥٨  
علي بن احمد الجرجاني (ن: الجرجاني)  
علي بن احمد المادرائي ٣٠٢  
علي بن احمد المهلبي ٩٠  
علي بن حاتم الهمداني ٢١١  
علي بن الحسن الفهري ١٠٢  
علي بن رضوان (ن: ابن رضوان الطيب)  
علي بن عباد الاسكندري ١٨٩  
علي بن الفضل الداعي ١٥  
علي بن محمد الصليحي ١٣٥، ٣١٠  
علي بن محمد النبلي ٢٩٣  
علي بن المؤمل الشاعر ١٣٨، ٢٧٨  
علي بن منصور (ن: ابن القارح)  
علي بن النعمان ٤٩، ٥٠، ٥٣  
علي بن يوسف الإيادي ٢٩٢  
علي أبو الحسن بن يونس ٧٦  
علي زين العابدين ٣  
العماد الأصفهاني ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩  
١٤١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤  
١٩٧، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٣١، ٢٦٥  
٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣  
٣٢٨، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤  
عماد الدولة أبو الفضل بن المحرق ٢٨

عبد الله بن الحسن السمرقندي ٥٠  
عبد الله بن دهبان ١٠٩  
عبد الله بن رفاعه السعدي ١٠١  
عبد الله بن عبد المطلب ٧  
عبد الله بن محمد بن إسماعيل (الإمام  
المستور) ٣  
عبد الله بن مسعود ٥٥  
عبد الله بن المعز لدين الله ١٧٠، ١٧١  
عبد الله بن ميمون القداح ٣  
عبد الله الحسين بن ابراهيم ٥٥  
عبد القادر بن مهذب الأدفوي ٣٥٨  
عبد المطلب بن هاشم ٣، ١٣٣  
عبد الوهاب بن حسن بن جعفر ٢٩١  
عبد الوهاب بن علي المالكي ٦٧، ١٠٢  
١١٣  
عبد الله بن أبي إسحق ٨٩  
عبيد الله المهدي ٤، ١٥، ٢٢، ٢٣  
٤٣، ٤٤، ١١٤، ١١٥  
عثمان بن عبد الرحيم (ن: ابن بشرون)  
عثمان بن عفان ٣٥٨  
عثمان بن علي السرقوسي ٩٧  
العزير بالله الفاطمي ٢٣، ٢٤، ٢٧  
٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٧  
٥٨، ٥٩، ٦٨، ٧٢، ٧٥، ٨٣  
٩٠، ١١٦، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٣  
١٤٤، ١٤٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤  
١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢  
١٧٥، ١٧٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٨  
٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٩، ٣١٢  
٣١٣، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٢  
عضد الدولة البديهي ٧٧، ٣١٤  
عقيل بن أبي طالب ٢٥٥



« دق »

القاسم بن العزيز بن النعمان ٥٣  
قاسم بن هاشم ٢١٩  
القاضي الفاضل ٢٧، ١٠٥، ١٣٨، ١٨٧  
١٩٩، ٢٢٤، ٣٠٤، ٣١٣، ٣١٤  
٣١٥، ٣٢٨، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٣  
٣٥٤  
القائم بأمر الله الفاطمي ٢٣، ٤٤، ١١٤  
١١٥، ١٣٠  
قتيل الغواني (ن: صريع الدلا)  
القرامطة ١٥، ٥٠  
القرزاز النحوي ٩٠  
القضاعي ٧٧، ٩٢، ٩٣، ١٠١، ١١٢  
١١٣، ٣٢٧  
قطنبه الأسفوني ٣٥٧  
القفطي ٧٦، ٨٢، ٨٤، ١٨٣  
القلمى ٧٦  
القلقشندى ٢٤، ١٠٨، ١١٠، ١٦٠  
١٦١، ٣٠٢، ٣١١، ٣١٤، ٣٣٧  
القليوبي الكاتب ٢٥٩

« دك »

كارلو نالينو ٧٧  
كافور الاخشيدى ٥٤، ٥٥، ٩٠، ١٧٦  
الكافي ابن عبدون النصراني ٣١٣  
الكاسات الشاعر ٢٦٢  
الكامل بن شاور ١٠٥، ١٧٨، ٢٠٨  
٢٠٩، ٢٢٤  
كشاجم ٢٤٣، ٢٤٥  
الكمال الادفوى ٣٥٧، ٣٥٨

عمار بن وثيمة ١٠٨

عمار بن يمينى ٦٩، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦  
١٠٧، ١١٩، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٧  
١٣٨، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩  
١٦٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩  
٢٠٠، ٢٠١، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩  
٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦  
٢٣٧، ٢٩٢، ٣٤٨، ٣٤٥  
عمر بن الخطاب ٥، ١٠٦، ٣٥٨  
عيسى بن مريم ٦، ١٨، ١٣٦، ١٥١  
١٥٢

« دغ »

الغزالي ٦٧، ٩٩، ١٠٤  
غسان ٢٠٣

« دف »

الفارابي ٦٩  
فارس بن احمد بن موسى الضيرير ٩٦  
فاطمة الزهراء بنت الرسول ١٢٣،  
١٢٤، ١٣٣، ١٤٢، ٣٥٨  
الفائز الفاطمي ١٥٣، ١٥٧، ٢١١  
٢١٥، ٢١٩  
الفرزدق ٣٣٠  
الفضل القائد ٥٨  
الفقيه الشاعر (ن: النسناس)  
الفلاحى ٦١، ٦٨، ١٧٦، ٣٠٥  
فهد بن ابراهيم ٢٣٨  
الفيثاغوريون ١٧، ١٨  
فيروز الداعي ٢٢  
فيلون ١٠

محمد أبو عبد الله ٤٣  
محمد بن أحمد الجرجاني ٩٢  
محمد بن أحمد بن سعيد التيمي ٨٤  
محمد بن أحمد بن محمد العميدى ( ن :  
أبو سعيد العميدى )  
محمد بن أحمد بن عيسى البغدادى ١٠٠  
محمد بن أحمد اليازورى ( ن : اليازورى )  
محمد بن اسماعيل ( ن : التاريخ الشاعر )  
محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ٣  
محمد الباقر ٣ ، ٣٦  
محمد بن بركات بن هلال السعدى ٩١ ،  
١١٢ ، ١١٣  
محمد بن برى ٩٢  
محمد بن الحسن العسكري ٤  
محمد بن الحسن اليمنى ٢٤٥  
محمد بن الحسن بن عمير ٩٢  
محمد بن حميد بن حيدر ٩٢ ، ٩٥  
محمد رضا مدور بك ٨١  
محمد بن زبان ٩٦  
محمد بن زكريا الرازى ٨٦  
محمد بن سعيد بن هشام ( ن : ابن ملساقه )  
محمد بن عاصم ٢٩٠  
محمد بن عبد الله بن ظفر المسكى ٩٣  
محمد بن عبد الله بن محمد العنقى ٧٥  
محمد بن علي أبو سهل الهروى ٩٢  
محمد بن علي الهاشمى ( ن : أبو الغمر الاسنانى )  
محمد بن عيسى اليمنى ٢١٠  
محمد بن القاسم ( ن : صناجة الدوح )  
محمد بن القاسم بن النعمان ٥٣  
محمد بن كلا ٣٢٠  
محمد السكرينى ٢٤٠  
محمد بن النعمان ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢

كوبريقوقوس ٧٧  
الكيزانية ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥

« ل »

لقمان ٢١٣  
ملك بن مالك ٥٩ ، ٦٥  
لورنس ٦٢

« م »

ماسينيون ٤٢  
مالك بن أنس ٣ ، ١٢ ، ٤٦ ، ٧٠ ،  
١٠٢  
مالك بن سعيد الفاروقى ٣١٣  
المأمون البطائحي ٣٢ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ١١٣  
١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٣٨  
المأمون العباسى ١٠  
مبشر بن فاتك ٨٢ ، ٨٤  
المتنبى ٩٠ ، ٩١ ، ١٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢٤٥  
٢٩٧  
مجلي بن جميع الخزوى ١٠١  
مجير بن محمد الصقلى ١٢٩ ، ٢٨٨  
محسن بن بدوس ٣٢٣  
محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ٣ ، ٤  
٦٠٥ ، ٧٠٧ ، ٨٠٠ ، ١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٨٠  
٢٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧  
٣٨ ، ٤٠ ، ٥٥ ، ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤  
١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦  
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨  
١٦١ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٢١  
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢  
محمد أبو بكر بن علي بن حسن ٩٧ ، ٩٨

١١٦٠ ١١٥٠ ١١٤٠ ١٠٥٠ ٩٠  
١٦٨٠ ١٤٥٠ ١٣٢٠ ١٣١٠ ١٣٠  
٢٩٢٠ ٢٥٠٠ ١٧١٠ ١٧٠٠ ١٦٩  
٣١٦٠ ٣١٤٠ ٣١٠٠ ٣٠٩٠ ٣٠٦  
٣٥٦٠ ٣١٩٠ ٣١٨٠ ٣١٧  
معز الدولة البويهى ٢٢٧  
معضاد القائد ٣٢٣  
المقريزى ٢٤٠ ٢٧٠ ٣١٠ ٥٧٠ ٧٦٠  
١٢٦٠ ١٢٣٠ ١١٣٠ ١١٢٠ ١٠٨  
٢٤٠٠ ٢٣٨٠ ٢٣٠٠ ١٩٨٠ ١٧٥  
٣١٦٠ ٣٠٣٠ ٢٨٢٠ ٢٥٨٠ ٢٥٧  
٢٢٢٠ ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١  
٣٤٢  
المكربل الشاعر ٢٦٤ ٢٦٥  
مكى بن أبى طالب ٩٦  
المنصور بالله الفاطمى ١٦ ٢٣ ٤٤  
١٣٠٠ ١١٥٠ ١١٤٠ ٧٥٠ ٧٤  
٣٠٨  
منصور الجوزدى العزىزى ٢٩ ١١٦٠  
منصور بن مقشر ٨٣ ٦٨  
منصور التين ١٥ ٢٢ ٣١٩  
المهذب بن الزبير ١٣٨ ١٣٩ ١٩٥٠  
٢٠٣٠ ٢٠١٠ ٢٠٠٠ ١٩٧٠ ١٩٦  
٢١٠٠ ٢٠٩٠ ٢٠٨٠ ٢٠٦٠ ٢٠٤  
٢١٩٠ ٢١٧٠ ٢١٥٠ ٢١٣٠ ٢١١  
٣٤٥٠ ٢٩٣٠ ٢٧٦٠ ٢٣١٠ ٢٢٦  
المهذب بن النقاش ٦٦  
موسى بن الحسن (ن: بدر الدولة  
أبو الفتوح)  
موسى بن عمران ٥ ٦ ٨ ١٦ ١٨  
٥٣  
موسى بن العيزار ٨٤

محمد بن محمد الجاني ١١٣  
محمد بن وهب ٢٧٨  
محمد بن يحيى بن مزاحم ٩٣  
محمود بن ناصر الاسكندراني ١٦٨ ١٧٩٠  
المختار تاج المعالي ١٧٩  
المختار عز الملك محمد بن أبى القاسم (ن:  
المسيحي)  
مرجوايوس ٥٩  
مروان بن أبى حفصه ١٢٨ ١٩٦٠  
مروان بن عمان السكى ١٧٩ ٢٧٣٠  
٢٧٤  
المروزي الداعي ٢١٩  
مرى ٢٠١ ٢٣٧٠  
المسيحي ٢٤ ٢٧٠ ٢٨٠ ٣٠٠ ٣١٠  
٤٤ ٥١٠ ١١٠٠ ١١٢٠ ١٧٧٠  
٢٣٨ ٢٣٩٠ ٣٢١٠  
المستعلي بالله الفاطمى ٢٢٩ ٣٣٤  
المستنصر بالله الفاطمى ٢٤ ٢٨٠ ٦١  
٦٣ ٦٣٠ ٨٢٠ ٨٦٠ ٩٤٠ ١٠٤٠  
١٠٠ ١١٦٠ ١٣٤٠ ١٣٦٠ ١٣٥٠  
١٣٨ ١٤٢٠ ١٤٨٠ ١٥٠٠ ١٥١٠  
١٥٢ ١٥٤٠ ١٥٥٠ ١٥٦٠ ١٦١٠  
١٧٦ ١٧٧٠ ٢٥٧٠ ٢٩٤٠ ٢٥٨٠  
٣٠٤ ٣١٠٠ ٣١٢٠ ٣١٣٠ ٣٢٢٠  
٣٢٤ ٣٢٥٠ ٣٣٢٠ ٣٣٤٠  
مسعود الدولة (ن: ابن حريز)  
مسيهله الكذاب ٣٢٩ ٣٣٠٠  
مشرقه باشا (الدكتور) ٨١  
مصطفى نظيف بك ٨١  
المعز لدين الله ١١ ١٥ ٢٢ ٢٣٠  
٢٦ ٢٦٠ ٤٤٠ ٤٥٠ ٤٦٠ ٤٩٠ ٥٥٠  
٦٦ ٧٢٠ ٧٣٠ ٧٤٠ ٧٥٠ ٨٤٠

١١٣ ، ١٠٤ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٦  
٣١٩ ، ٣٠٩ ، ١٥٣  
نوح ١٥٢ ، ١٥١ ، ٣٩ ، ١٨ ، ٦  
نور الدين زكي ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ١٩٩  
٢٣٤  
النويري ١١٠ ، ١٠٨  
نيوتن ٨١

« ه »

ها بيل بن آدم ٦  
هارون ٦  
الهاروني الحسيني ٨٧  
هبة الله بن البدر ( ن : ابن الصياد )  
هبة الله بن صدقة ١١٣  
هبة الله بن علي بن عرام ٢٧٥  
هبة الله بن موسى ( ن : المؤيد في الدين )  
هفتكين الشرايبي ٢٢٧  
هلال بن المحسن ٣٢٥  
هو ميروس ١١٨

« و »

الواساني الشاعر ١٣٤  
ورش ٩٦  
ولي الدولة أحمد بن علي ( ن : ابن خيران )  
لوصي ( ن : علي بن أبي طالب )  
الوضيع الشاعر ٢٦١

« ي »

اليازوري ١١٢ ، ٩٢ ، ٦١ ، ٥٣ ، ٤٦  
٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٠٥  
ياسر بن بلال ٢٢٤ ، ٢٢٢

الموفق بن الخلال ٢١٩ ، ٢١٥ ، ١٩٥  
٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣١٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤  
٣٤٧ ، ٣٤٥  
المؤيد في الدين ( داعي الدعوة ) ٨٠ ، ٤  
٢٠ ، ١٦ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ٩  
٥٣ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٣٤ ، ٣٢ ، ٢٧  
٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩  
١٣٥ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١٠٢ ، ٦٩  
١٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨  
١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٨  
٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٢٤١

« ن »

الناجي المصري الشاعر ١٨٩ ، ١٧٩  
الناصر بن طلائع ( ن : رزيك بن الملك  
العالج )  
ناصرى خمرر ٢٨٩ ، ٢٣٩ ، ٦٥  
ناصر الدولة ابن حمدان ٢٨  
النبي ( ن : محمد صلى الله عليه وسلم )  
نجم الدين أيوب ١٦٠  
نجيب الدولة الجرجرائي ٣٢٣  
نزار بن المعز ( ن : العزيز بالله الفاطمي )  
النسائي ٩٧  
النسناس ٢٦٢  
نصر بن بشر بن علي ١٠٠  
نصر بن صدقة القابسي ٩٤  
نصر بن عبد الرحمن الفزاري ١٣٨  
نصر المقدسي ١٠١

النعمان بن محمد ( القاضي ) ١٥ ، ١٢ ،  
٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٣٤ ، ٢٦  
٦٠ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٩ ، ٤٧ ، ٤٦

يعقوب بن اسحق ٣٠٢	ياقوت الحموي ٥٦ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١١٠
يعقوب بن كلس ٢٤ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥	١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٣٢٢
١١٠ ، ٨٤ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦	٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨
٣١٤ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٣٨	يحيى بن تميم بن باديس ١٧٩
يوسف بن عبد العزيز بن علي الميورقي	يحيى أبو سالم بن الاجرب ( ن : ابن
١٠١	أبي حصينه الشاعر )
يوسف بن علي ١٣٤	يحيى بن علي السكتي ( ن : الوضع
يوسف بن يعقوب النجيري ٩١	الشاعر )

## المصادر والمراجع

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء للمقرزي : طبع دار الفكر العربي  
 أخبار الدول المنقطعة للخزرجي : نسخة فتوغرافية بدار الكتب  
 إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن الففطى : طبع القاهرة ١٣٢٦  
 أسرار النطقاء لجعفر بن منصور : مخطوط بمكتبتى  
 الإشارة إلى من نال الوزارة لابن منجب الصيرفى : طبع القاهرة سنة ١٩٢٤ م  
 إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقرزي : د د سنة ١٩٤٠ م  
 افتتاح الدعوة للقاضى النعمان بن محمد المغربى : نسخة خطية بمكتبتى  
 أنباء الزمن فى أخبار اليمن ليحيى بن الحسين : طبع برلين سنة ١٩٣٦ م  
 الانتصار لابن الحياط : طبع القاهرة  
 الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقاق : طبع بولاق سنة ١٣٠٩ هـ  
 بحار الأنوار للمجلسى : طبع حجر بتبريز  
 بدائع الزهور لابن إياس : طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ  
 بغية الوعاة للسيوطى : طبع القاهرة  
 تاج العروس  
 تاريخ ابن الأثير  
 تاريخ ابن خلدون  
 تاريخ مصر لابن ميسر  
 تاريخ ابن صالح الأرمنى : طبع أكسفورد سنة ١٨٦٤ م  
 تاريخ الإسلام للذهبي : نسخة خطية بدار الكتب  
 المصرية رقم ٤٢ تاريخ  
 تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام لبندلى جوزى  
 تجارب الأمم لمسكويه  
 تأويل دعائم الإسلام للقاضى النعمان بن محمد : نسخة خطية بمكتبتى  
 التمهيد فى الرد على الملاحدة والشبعة للباقلانى : طبع دار الفكر العربى  
 تفسير الآلوسى

تفسير الخازن

تفسير الطبري

تفسير القرطبي

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن الملقب

: طبع باستامبول سنة ١٩٣٦ هـ

: الجمع بين آراء الحكميين للفارابي

: حسن المحاضرة للسيوطي

المحاضرة الإسلامية ترجمة الدكتور محمد

: عبد الهادي أبو ريده

: خريدة القصر للعماد الأصبهاني

جامعة فؤاد

خزانة الأدب لابن حجة الحموي

: دستور المنجمين لمؤلف مجهول

بيارس رقم ٥٩٦٨

: دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن محمد المغربي

: دمية القصر للباخرزي

: الدول المنقطعة لابن ظافر

رقم ٨٩٠

: ديوان الرسائل لابن منجب الصيرفي

: ديوان الأمير تميم

: ديوان ابن قلاؤس تحقيق خليل مطران

: ديوان ابن هانيء الأندلسي تحقيق زاهد علي

: ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة

( تحقيق محمد كامل حسين )

: ذخيرة الأعلام بتواريخ خلفاء مصر

بيارس رقم ١٨٥٠

: راحة العقل لأحمد حميد الدين الكرمانى

( تحقيق محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمي )

- الرد على الباطنية للغزالي : طبع ليدن سنة ١٩٢٦  
رسائل إخوان الصفا : طبع القاهرة  
الرسالة المصرية لامية بن أبي الصلت : نسخة خطية بدار الكتب المصرية  
رسالة الرشد والهداية لمنصور اليمن : من سلسلة مخطوطات الفاطميين  
( تحقيق محمد كامل حسين )  
رسائل الكرماني ( ثلاث عشرة رسالة ) : نسخة فتوغرافية بمكتبتي  
الرسائل المستنصرية : نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات  
الشرقية بلندن  
رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر : نسخة خطية بدار الكتب المصرية  
رقم ١٠٥  
روضة الأدب في طبقات شعراء العرب للشهاب الحجازي : طبع حجر بومباي  
الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي : طبع القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ  
سراير النطقاء لجعفر بن منصور : مخطوط بمكتبتي  
سفر نامه لناصري خسرو وترجمة الدكتور يحيى الخشاب : طبع القاهرة  
سيرة الأستاذ جوذري : نسخة خطية بمكتبتي  
سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة : من سلسلة مخطوطات الفاطميين  
( تحقيق محمد كامل حسين )  
صبح الأعشى للقلقشندي  
الطالع السعيد للأدقوي  
عقد الجمان للعيني : طبع القاهرة سنة ١٩١٤  
المصرية رقم ١٥٨٤ : نسخة خطية بدار الكتب  
عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة : طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ  
عيون المعارف ورياض كل متبصر عارف : طبع بومباي سنة ١٢٩٧ هـ  
عيون المعارف وفتون أخبار الخلائف للقضاعي : نسخة خطية بدار الكتب  
المصرية رقم ١٧٧٩  
الغيث المنسجم للصفدي : طبع القاهرة  
الفاطميون في مصر للأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن



- الفترات والفرانات لجعفر بن منصور اليمن : نسخة خطية بمكتبتى  
فتوح البلدان للبلاذرى : طبع القاهرة  
الفخرى فى الآداب السلطانية لابن طباطبا : طبع القاهرة  
فرق الشيعة للنوبختى : طبع استامبول سنة ١٩٣١  
الفرق بين الفرق للبعداى : طبع القاهرة  
الفصل لابن حزم : طبع القاهرة  
فضائل مصر لابن زولاى : نسخة خطية بمكتبة الأزهر  
فضائل مصر للسكندى : نسخة خطية بدار الكتب  
المصرية رقم ٧٥٣  
الفهرست لابن النديم : طبع القاهرة  
فهرست كتب الشيعة للطوسى : طبع كلكتا سنة ١٨٥٥  
فوات الوفيات لابن شاكر : طبع القاهرة  
القاموس المحيط  
الكشاف للزمخشرى  
كشف أسرار الباطنية لابن مالك الخماوى : طبع القاهرة سنة ١٩٣٩  
الكشف لجعفر بن منصور بتحقيق ستروتمان : طبع القاهرة  
كنوز الفاطميين للأستاذ الدكتور زكى محمد حسن  
لسان العرب  
المجالس المؤيدية للتويد فى الدين داعى الدعاء : نسخة خطية بمكتبتى  
(ثمانمائة مجلس)  
المجالس والمسائرات للقاضى النعمان بن محمد المغربى : نسخة خطية بمكتبتى  
المجالس المستنصرية بتحقيق محمد كامل حسين : من سلسلة مخطوطات الفاطميين  
- طبع دار الفكر العربى  
بمجموع أشعار الاسماعيلية : نسخة خطية بمكتبتى  
مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى : نسخة خطية بدار الكتب  
المصرية رقم ٥٥١ تاريخ

- مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري : نسخة خطية بدار الكتب المصرية  
المسالك والممالك لابن حوقل  
معرفة أخبار الرجال للكشي  
المغرب في حلى المغرب لابن سعيد  
مقالات الاسلاميين للأشعري  
المقفي الكبير للمقريزي
- نسخة خطية بالمكتبة الأهلية :  
بيارس رقم ٢١٤٤  
الممل والنحل للشهرستاني  
معجم الأدباء لياقوت  
معجم البلدان لياقوت  
مقولات الهند للبيروني
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي : طبع القاهرة  
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : طبع دار الكتب المصرية  
نظرية المثل والممثل للدكتور محمد كامل حسين : طبع القاهرة سنة ١٩٤٨  
نقد العلم والعلماء لابن الجوزي : طبع القاهرة  
النسكت العصرية لعمارة البني : طبع سالون سنة ١٨  
نهاية الأرب للنويري : نسخة خطية بالمكتبة الأهلية  
بيارس
- الهداية الآمرية تحقيق الأستاذ آصف فيضي : نشر جمعية الدراسات الإسلامية  
بالهند
- المهمة في آداب اتباع الأئمة تحقيق محمد كامل حسين : من سلسلة مخطوطات الفاطميين  
طبع دار الفكر العربي  
وفيات الأعيان لابن خلكان : طبع القاهرة  
الولاية والقضاء للسكندی : طبع بيروت سنة ١٩٠٨  
يتيمة الدهر للشعالي : طبع بيروت

## المصادر والمراجع الإفرنجية

### Asaf A. A. Fyzee :

- A Chronological List of the Imams and Da'is. (J. B. B. R. A. S. 1934).
- Isma'ilia Law and Its Founder.
- Materials For an Ismaili bibliography. (J. B. B. R. A. S. Vol. 11, 1935)
- Qadi un - Nu'mans - (J. R. A. S. 1934.)

### Guyard (M. S.) :

- Fragments relatifs à la doctrine des Ismailis, (Paris)

### De Goeje.

- Mémoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimide, (1886.)

### Hamadany (H.F.) :

- The History of the Isma'ili da'wat and its literature during the last Phase of the Fatimid. (J. R. A. S.) 1932.)

### Ivanow, (W.)

- A Guide to Ismaili Literature. (London 1933.)
- The Organisation of the Fatimid Propaganda. (J. B. B. R. A. S. 1939.)
- The Creed of the Fatimids (Bombay 1936.)
- Ismailis and Qarmatians (J. B. B. R. A. S. 1940)
- The Rise of the Fatimids (Bombay 1942)

### Lewis, (R.)

- The Origins of Isma'ilism (1940)

### Massignon (L.)

- Salmam Pak (S. E. I.) Paris 1934.
- Esquisse d'une bibliographie Qarmate, 1922.

### O'Leary,

- A short History of the Fatimide Khalifate 1923.

### Quatremere, (N.)

- Mémoire Historiques sur la Dynastic des Khalifs Fatimid J. A. 1836.

٢٤٤٤

## استدراكات

وقعت أثناء الطبع عدة أخطاء مطبعية نعتذر عنها أشد الاعتذار . ونذكر أهمها الآن :

الصواب	الخطأ	صفحة	الصواب	الخطأ	صفحة
تسكن	تبين	٣ ١٢٦	الرسول	الرسولي	١٩ ٤
والعيدان	والعبدان	١٨ ١٢٨	شرط	مرط	٧ ٨
شعر	شعراء	٥ ١٤٠	الذي	الذي	٤ ١٧
يفرع عن عمن	يفرع عن عمن	٧ ١٤٤	تعريف	تعريف	٢٠ ٢١
تحريرها	تحويلها	١٠ ١٥٣	المطلق	الطلق	٢٣ ٢١
الدولة	الدوو	٢٢ ١٧٦	العين	العن	١٦ ٢٧
أني	أني	٦ ١٩٣	ازديادكم	ازيادكم	١ ٣٨
الحفاظ	الليفاظ	٧ ١٩٧	دامع	دامع	١٩ ٤٧
قد ألم	قد لم	١٧ ٢٠٦	فرطايته	فرغايته	٢٢ ٥٦
مبالاة	مبالانا	٣ ٢٤٢	المعري	المغري	١٣ ٩٨
عمل	عمل	١٢ ٢٥٠	المؤبدية	المؤبدية	١١ ١١٦
ويوجد	ويوجد	١٤ ٢٥٦	إمامته	إقامته	١٨ ١١٧
السجع في كتاباتهم	السجع كتاباتهم	٧ ٣١٤	بمظهر	مظهر	١٩ ١١٨
ولا ندرى	ولا ندرى	٩ ٣٢٦	العاص	العاص	٨ ١٢٤

Back

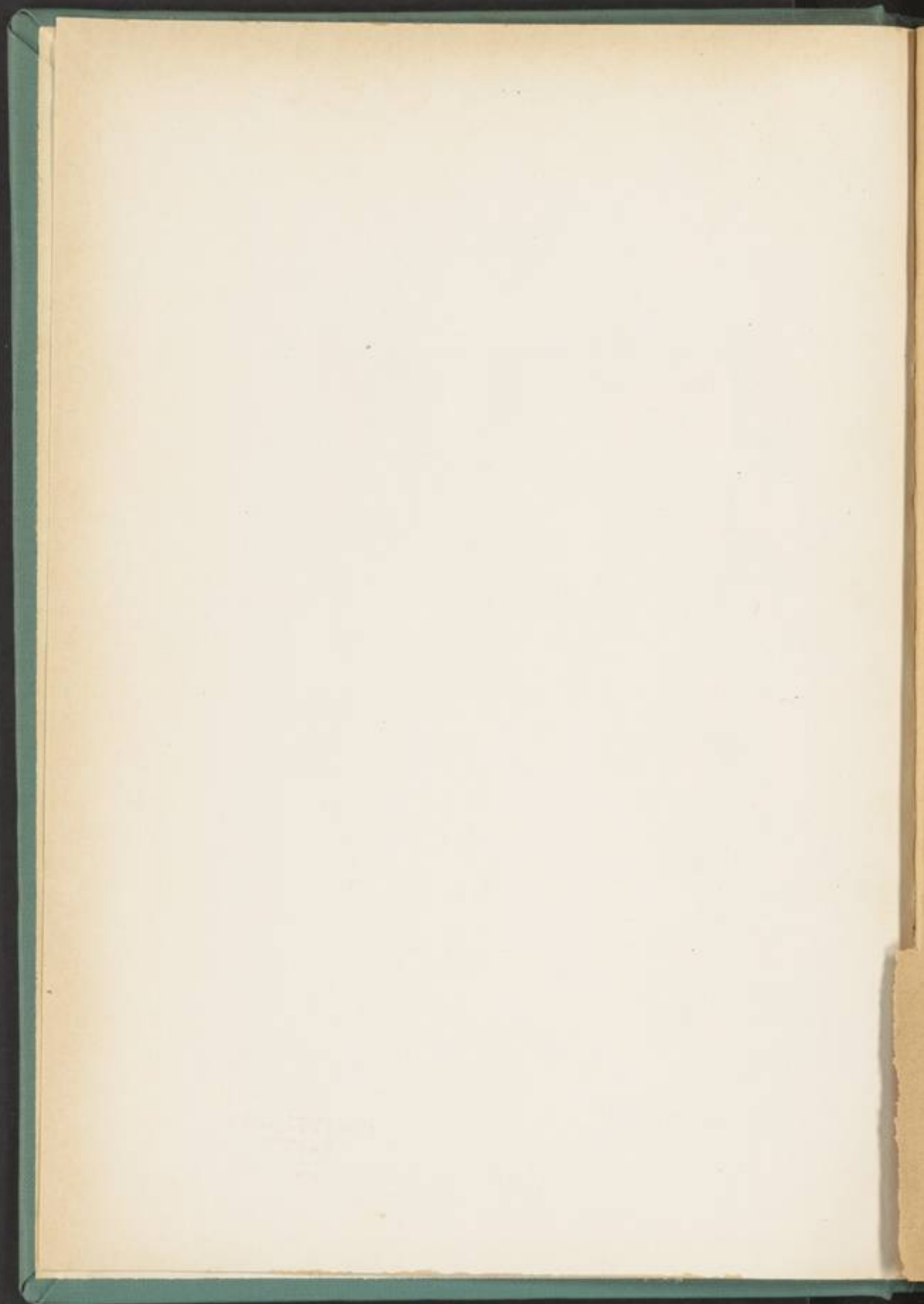
6142

B

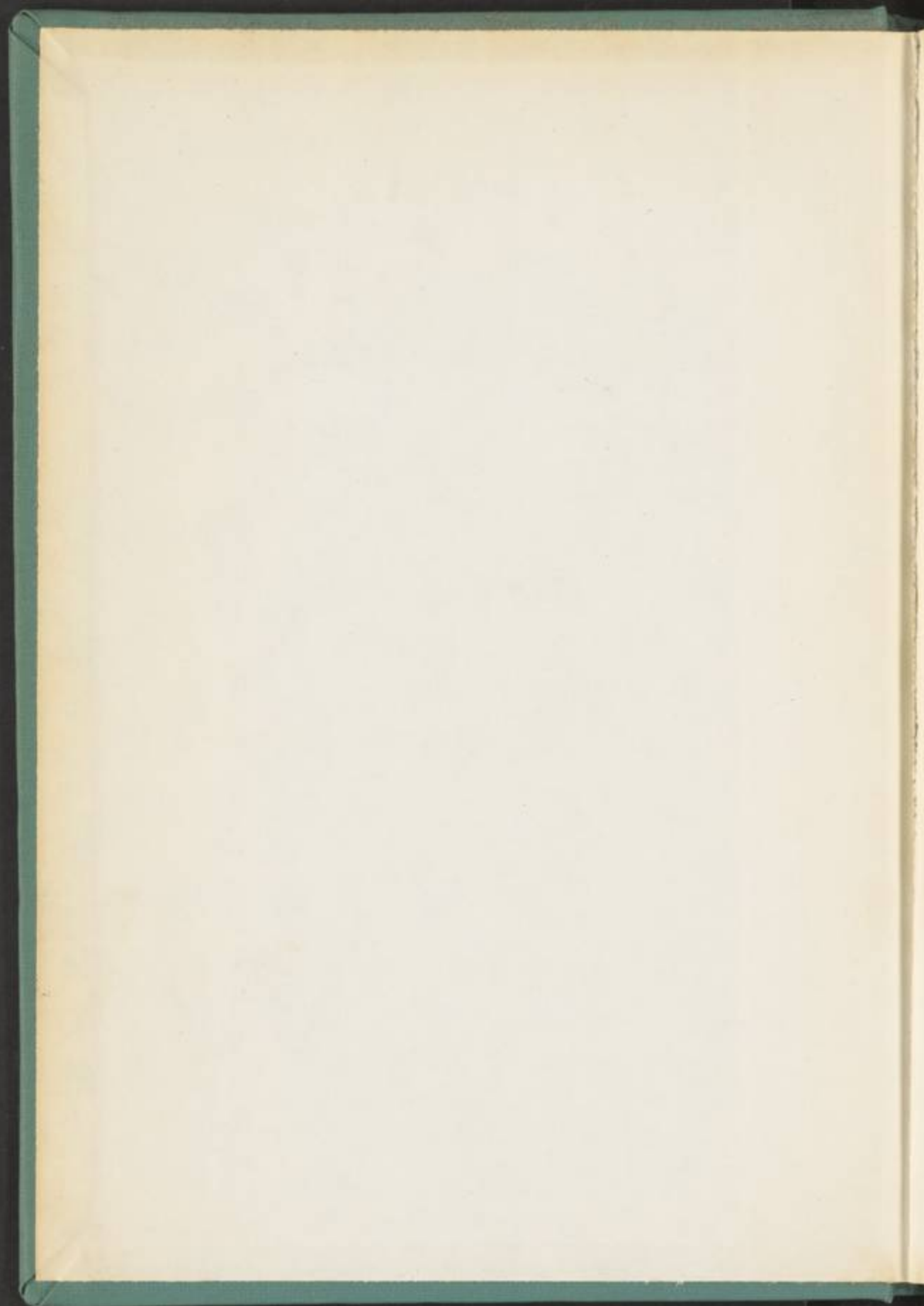
PB-37725-SB

5-17T

CC







NYU - BOBST



31142 02913 4320

PJ8206 .H83

Fi adab Mi